الثعالبي

ناقداً وأديباً

تأليف

محمود عبد الله الجادر

دار الرسالة للطباعة - بغداد

ساعدت جامعة بغداد على نشره

١٩٧٦ م ١٣٩٦ هـ

الثعالبي

ناقدًا وأديبًا

محمود عبد الله الجادر

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الطبعة الاولى

١٣٩٦ — ١٩٧٦

دار الرسالة للطباعة - بغداد

رسالة ماجستير نوقشت في جامعة بغـــداد — كلية الآداب في ١٩ / ٥ / ١٩٧٤ ونالت تقدير « ممتاز » .

الاهداء

الى شقيقي احمد

حباً ...

ووفاءً ...

محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي البحث

لم يأت اختياري موضوع رسالتي اعتباطاً ، ذلك انني كنت اشترط على نفسي فيه أن يكونَ بحثاً نقدياً يتناول عرض جانب من جوانب تراثنا النقدي العربي الضخم ، فلما لوح لي استاذي الدكتور محمود غناوي الزهيري خلال السنة التحضيرية من دراسة الماجستير بفكرة دراسة الجانب النقدي والادبي عند الثعالبي ، واشار الى انه موضوع بكر ، عجبت لقصور دراساتنا الحديثة عن ايفاء حق رجل امدها من روافد علمه بكتب لا يكاد يستغني باحث عنها في دراسة اى جانب من جوانب أدب القرنين الثالث والرابع الهجريين .

وخلوت الى المصادر استجليها مبادىء البحث ، وكان من بينها كتاب « لطائف المعارف » للثعالبي ، فقرأت في مقدمة محققيه السيدين ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي قولهما : « وأبو منصور لا شك استاذ من اساتذة العربية وآدابها ، وما هم بالكثرة الكثيرة فنضيق بهم ، نحن الخلفَ ، على هذا التراث ، وما هو بالجهد الذي يقوى له الأفراد ويذل لهم ، ولكنه جهد حكومات ، وجهد هيآت خاصة في تلك الحكومات ، هو جهد الجامعات وما في مستوى الجامعات ، فما اولاها منذ ان كتبَ لها الوجود ان تفسحَ لهؤلاء الاساتذة القليلين امكنة في الدراسة ، تخص كل استاذ بكرسي ، وتخص كل كرسي بما يكفل له جمعَ كل ما يتصحل بصاحبه ، وتخص هذا الجمع بدراسة مستوعبة شاملة ، عندها نفرغ من شيء كثير لا يزال جله معمى علينا

لا نملك فيه رأيا ، ولا نملك أن ننتفع به » (١) .

وأحسست أن هذا الكلام يقف تحدياً أمام الجهد الفردي ، ووجدت في نفسي رغبة في قبوله ، فأقدمت على تسجيل الموضوع ، وكان ثمن ذلك جهد عامين مرهقين ما كان يعينني عليه غير لذة البحث العلمي الذي تكشف عن حقائق ضمنتها هذه الرسالة التي ارجو ان اكون وفقت الى عرضها بشكل يفي الرجل الذي اغنى تراثنا بعض ماله في ذمتنا من حق الوفاء .

ولقد اقتضت طبيعة بحثي ان اعقد له ثلاثة ابواب مستغنياً عن التمهيد بمقدمة مستقلة في دراسة العصر والبيئة لسببين ، اولهما : ان بيئة خراسان في القرن الرابع الهجري قد خضعت لدراسات متعددة (٢) ، حتى غدا الخوض في مثلها ضربا من التكرار الذي لا تشفع له حجة الحفاظ على التقليد ، وثانيهما : انني لم أخل دراستي من بحث الظروف العامة ، ولكن بقدر ما يتعلق الامر بحياة الثعالبي ونقده وأدبه ، وفي المواضع التي اقتضت ذلك ، تاركا ماسوى ذلك مما قد لا يكون مجديا في نطاق بحثي هذا .

وهكذا عقدت الباب ألاول لدراسة حياة الثعالبي وثقافته ، وقسمته فصلين :

---

(١) مقدمة المحققين ، ٢٢ .

(٢) منها دراسة الاستاذ احمد امين في كتابه ظهر الاسلام ، ودراسة المستشرق آدم متز في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ، ودراسة الدكتور محمود غناوى الزهيرى في كتابه الادب في ظل بنى بويه ، والدكتور محمود السمرة في كتابه القاضي الجرجاني الاديب الناقد . وغيرها .

درست في الفصل الأول حياة الرجل ، فتحققت من اسمه ونسبه ومولده ونشأته وتقلبات حياته ، ثم تحققت من سنة وفاته ، وختمت الفصل بالحديث عن شخصيته واخلاقه .

اما الفصل الثاني فقد عقدته لدراسة ثقافته ، فتحدثت عن مصادرها ، وتحققت من اسماء شيوخه وتلاميذه ، ثم قدمت قائمة باسماء مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ، وختمت الفصل بتفصيل منهجه في التأليف وتقويم لمؤلفاته .

ودرست في الباب الثاني نقد الثعالبي ، فمهدت له بتمهيد وقسمته فصلين :

اوجزت في التمهيد دراسة تطور النقد من العصر الجاهلي الى عصر الثعالبي .

اما الفصل الاول فقد تناولت فيه دراسة منهج الثعالبي الاقليمي القائم على النظر الى آثار البيئتين العامة والخاصة في توجيه التيارات الادبية .

ودرست في الفصل الثاني منهج الثعالبي الفنى في النقد ، وعرضت مقاييسه الذوقية في الحكم على المعاني والالفاظ ، ثم تناولت موازنته بين النثر والنظم وما استتبعت من جدل نقدى ، وختمت الباب بتقويم لآرائه النقدية .

اما الباب الثالث فقد عرضت فيه لدراسة أدب الثعالبي ، فمهدت له بتمهيد وقسمته فصلين :

تناولت في التمهيد دراسة منزلته بين أدباء عصره .

ودرست في الفصل الاول خصائص نثره ومميزات اسلوبه في

مقدمات كتبه ومتونها ، ثم درست اسلوبه الانشائي .

اما الفصل الثاني فقد درست شعره فيه ، فتحدثت عن خصائصه واغراضه بالتفصيل .

وقد ظننت — عندما بدأت البحث — ان المصادر التي يمكن الافادة منها كثيرة ومتنوعة ، ودعاني الى الايمان بذلك ما طار للرجل من شهرة في التأليف في اكثر من ميدان واحد من ميادين الادب واللغة ولكن الذي هالني انني لم أفز رغم طول تنقيبي بما يجدى كثيراً ، فكتب التراجم تبخل بالتفاصيل التي يمكن ان تنفع الباحث من ذلك ان الباخرزى تلميذ الثعالبي وربيبه اكتفى في كتابه « دمية القصر وعصرة اهل العصر » بأن قدم لنا ترجمة موجزة لشيخه لا تجاوز بضعة اسطر كاد يقصرها على الحديث عن علاقته بوالده ، ثم نقل لنا نيفا واربعين بيتاً من شعره ، أما الحصري القيرواني معاصر الثعالبي فقد اكتفى بالنزر اليسير في كتابه « زهر الاداب » ونقل مقدمتي كتابين للثعالبي وبعض ما تبادله مع الميكالي من قصائد اخوانية .

ونسج المتأخرون على منوال المتقدمين ، فجاءت تراجم « نزهة الالباء في طبقات الادباء » و « وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان » و « العبر في خبر من غبر » و الوافي بالوفيات » و « طبقات النحاة واللغويين » تكراراً لبعض ما قاله المتقدمون . مع اضافات يسيرة .

اما كتب التاريخ ككتاب « المختصر في اخبار البشر » وكتاب « البداية والنهاية » وكتاب « شذرات الذهب » فما زادت على ذكر سنتي ولادة الثعالبي ووفاته مع الاشارة الى بعض مؤلفاته .

ولم اعثر في كتب طبقات المذاهب المطبوعة والمخطوطة على ذكر للثعالبي .

وقد تناولت بعض المراجع الحديثة حياة الثعالبي بدراسات قام اكثرها على تكرار ما قاله السابقون دون تمحيص ، فان تعدت ذلك فالى تقريظ لا طائل منه ، ومن بين تلك المراجع « تأريخ آداب اللغة العربية » للعلامة جرجي زيدان ، و « كنوز الاجداد » للاستاذ محمد كرد علي ، والبحث الخاص بالثعالبي من « دائرة المعارف الاسلامية » ، و « تأريخ آداب اللغة العربية » لبروكلمان ، اضافة الى ما عقده محققو بعض كتب الثعالبي المطبوعة من دراسات في مقدماتهم ، كدراسة محقق « سحر البلاغة وسر البراعة » ، ودراسة محقق « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » ، ودراسة محققي « لطائف المعارف » ، ودراسة محقق « التمثيل والمحاضرة » .

وقد افدت من قوائم مؤلفات الثعالبي التي قدمتها بعض هذه المصادر والمراجع فائدة كبيرة ، علاوة على ما افدته من كتاب « احكام صنعة الكلام » ، للكلاعي وفهارس الكتب والمخطوطات الموجودة في كثير من مكتبات العالم . اما في دراسة الجانب النقدي عند الثعالبي فقد افدت كثيراً من كتب النقد المؤلفة قبل الثعالبي ولا سيما « طبقات الشعراء » لابن سلام ، « والشعر والشعراء » لابن قتيبة ، و « طبقات الشعراء » لابن المعتز ، و « اخبار أبي تمام » للصولي ، و « الموازنة » للآمدي و « الوساطة » للجرجاني . فقد تتبعت في هذه الكتب وغيرها ملامح المناهج النقدية العربية ولا سيما الاشارات الكثيرة الدالة على ما لمحه النقاد من اثر البيئة في الادب ، والمقاييس الفنية التي اتخذوها أسساً عامة للحكم على الألفاظ والمعاني ، وخرجت من ذلك كله بحدود الميدان الذي دارت فيه آراء الثعالبي النقدية في كتبه ، على انني لم اجد بين كتب النقد المؤلفة بعد الثعالبي ما ينفع

كثيراً في دراستي عدا ما ورد في كتاب « العمدة » لابن رشيق من رد على رأى الثعالبي في تفضيل النثر على الشعر .

أما المراجع الحديثة فقد اقتصر حديث بعض مؤلفيها على الفصل الذي عقـده الثعالبي في « يتيمة الدهر » لدراسة المتنبي ، ومنها كتاب « النقد المنهجي عند العرب » للدكتور محمد مندور ، وكتاب « تأريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر - من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري » للدكتور إحسان عباس ، وتناول آخرون آراء الثعالبي النقدية بصورة اوسع ، كالدكتور محمد زغلول سلام في كتابه « تأريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري » والدكتور شكري فيصل في كتابه « مناهج الدراسة الأدبية » .

وكما اضربت المصادر القديمة عن تقديم تفاصيل وافية عن حياة الثعالبي فانها قصرت في الحديث عن ادبه عدا ما تناقلته من ابيات سائرة له دون دراسة . وتكاد المراجع الحديثة لا تغني شيئاً في هذا الميدان ، فما يكاد احـد من المعاصرين يتحدث عن ادب الثعالبي بشيء .

وهكذا اضطررت إلى اللجوء إلى كتب الثعالبي نفسه في ابواب رسالتي الثلاثة ، فأمدتني بالعون الكافي على فهم غوامض حياته وشخصيته وثقافته ونقده وأدبه ، وقد جمعت المجموع وأكثر المخطوط منها ، فزاد عـدد المجموع على الاربعين كتاباً ، ولعلي لا أغلو اذا قلت ان معظم ما يدور في رسالتي مستمد منها ، وقائم على الحقائق التي نقلتها عنها ، او استنبطتها منها ، على انني لم اجد فائدة كبيرة من الاشارة إلى ما افدته منها في هذا الموضع تاركاً ذلك للقائمةالتفصيلية

التي سأدرجها في متن الرسالة مشيراً إلى مناهجها ومدى فائدة كل منها في دراسة حياة الثعالبي ونقده وأدبه .

بقي ان اشير إلى انني أفدت كثيراً من كتاب « اليميني » للعتبي ، و « ذيل تجارب الامم » للروذراوري ، و « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ، في تحديد طبيعة العصر العامة ، وتفسير الكثير من احداث حياة الثعالبي الخاصة .

تلك هي اهم المصادر والمراجع التي أفدت منها إلى جانب مصادر ومراجع ثانوية سأكتفي بذكرها في ثبت المصادر والمراجع التفصيلي تيسيراً للرجوع إلى طبعاتها التي اعتمدتها في هذا البحث .

وبعد ، فان من حق الوفاء عليّ ان اذكر لاستاذي الدكتور محمود غناوي الزهيري ما الزم به نفسه من رعاية لهذا البحث منذ ان كان فكرة مقترحة إلى أن أستوى رسالة علمية استمدت من توجيهه وتشجيعه ما ساعد على ان تظهر بهذا الشكل الذي كنت ارجو ان اوفق اليه .

كما ارجو أن تفي كلمة الشكر بعض الفضل الذي حملني اياه كل من السادة مدير دار الكتب المصرية ، ومدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربيـــة ، ومدير تنسيق الافراد في وزارة التعليم بمصر ، وامين مكتبة الاوقاف العامة ببغداد والموصل والزملاء كامل سعيد وسعاد سليم وليون شعيا ، والصديق الكريم كمال الجراح لما قدموه من عون كريم .

الباب الأول

حيـــاته وثقافـــته

الفصل الاول

حياتـــه

الثعالبي في كتب التراجم

تكاد كتب التراجم لا تغني الباحث كثيراً في دراسة حيـــاة الثعالبي ، وهـو الرجل الذي تعد كتبه من بين أهم مصادر دراسة رجال عصره ، لقد قدر لمن عرف حشداً ضخماً من الأعلام المشهورين والمغمورين في كتبه ان لا يتوفر أحد على ترجمة مفصلة له ، ذلك أنّ تلميذه وربيبه الباخرزى اكتفى بذكره وتقريظه ، فلم يزد على أن قال بحقه : « جاحظ نيسابور وزبدة الاحقاب والدهور ، لم ترَ العيون مثله ، ولا انكرت الاعيـان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يُحمد بكل لسان ؟ أو يستر وهو الشمس لا بكل مكان ؟ وكنتُ وأنا بعدُ فرخ أزغب ، في الاستضاءة بنوره أرغب ، وكان هو ووالدي لصيقي دار وقريبي جوار ، وكم حملتُ كتبا تدور بينها في الاخوانيات وقصائدَ يتقارضان بهـا في المجاوبات ، وما زال بي رؤوفا ، وعليَّ حانيا ، حتى ظننته أباً ثانياً ، رحمة الله عليه كل صبـــاح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج قاره » (١) .

وهكذا وفى الباخرزى شيخه ما يستحق من اطراء ، ولكنه قصّر في التعريف به ، فقـد كان — لاشك — مطلعاً على جملة احواله

---

(١) دميـة القصر وعصرة أهل العصر ٢ : ٢٢٦ ، ونقل الباخرزى بعد هذا النص ستة واربعين بيتاً من شعر ابي منصور .

ومتصرفات حياته ، ولكن لنا ان ننحي باللوم على الثعالبي نفسه فهو الذي اوحى الى تلميذه بقلة الاهتمام بتفاصيل حياة من يكتب عنهم ، والاجتزاء باطرائهم ، ذلك كان منهج الشيخ في يتيمته ، وعليه سار تلميذه فما ظلم .

وإن كان لنا أن نلوم الباخرزى ، أو ننتقد منهجه ، فليس لنا أن نلوم الحصري القيرواني معاصر الثعالبي ، فقد كان لبعد الشقة ، بينهما ، واعتماد القيرواني على السماع لا المعاينة اثر" كبير" في بناء ترجمته الموجزة التي كتبها على التخمين حيث قال : « وأبو منصور هذا ، يعيش إلى وقتنا هذا على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين ، وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب » (١) .

ولم يكن بوسع أصحاب التراجم ، بعد الباخرزى والحصرى ، أن يضيفوا شيئاً ذا غناء ، فبقيت ترجمة الثعالبي تفتقر دائماً إلى التفاصيل وأخذ اللاحق يقتفي اثر السابق ، فان عُني بتفصيل أعوزه الدليل ، فاضطر" إلى أن يدور في فلك الاطراء ، دون أن نخرج من كلامه بطائل ، ومن ذلك ما قاله ابن بسام بحق الثعالبي : « كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم رأس المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم أقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضُربت اليه آباط الابل ، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوعَ النجم في الغياهب » (٢) .

---

(١) زهر الآداب ، ١٢٧ .

(٢) وفيات الاعيان ، ٢ : ٣٥٠ . لم اعثر على أصل النص ، فترجمة=

اما ابن الأنباري فما زاد على أن قال : « وأما أبو منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل الثعالبي فانه كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنف كتباً كثيرة ، منها كتاب يتيمة الدهر ، وسحر البلاغة وكتاب فرائد القلائد ، وكتاب سر الأدب ، إلى غير ذلك من الكتب ، وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي ، وحكى انه قال : (المخلاف لليمن) (١) كالسواد للعراق ، والرستاق لخراسان » (٢)

وقد حظي الثعالبي عند الصفدي بعناية فائقة ، ولكنها كانت عناية موجهة إلى مصنفاته ، فقد ذكر منها ما يقارب ثمانين كتاباً ، قدّم لها بترجمة موجزة قال فيها : « عبـــد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري الأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية . كان يلقب بجاحظ زمانه ، وتصانيفه الأدبية كثيرة إلى الغايـة » (٣) . ونقل ابن قاضي شهبة الأسدي هـــذه الترجمة مع قائمة المصنفات

= الثعالبي في « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » تقع في الجزء الثاني من القسم الرابع ، وهذا الجزء يعد اليوم في حكم المفقود ، ولهذا اضطررت للاكتفاء بمـا نقله ابن خلكان ، ويبدو أن ترجمة ابن بسام لابي منصور غنية بدليل وصف الكلاعي لها بقوله : « واجرى ذكره ابو الحسن بن بسام في كتابه (الذخيرة) وذكر فيه من حر النظام ، وبديع الكلام ، ما ينطق « البكم ويسمع الصم » إحكام صنعة الكلام ، ٣٣٢ .

(١) قرأها محقق نزهة الألباء « المحلاف لليمين » والتصحيح من فقه اللغة ، ٤٧ .

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ٢٤٩ .

(٣) الوافي بالوفيات ، ١٥ — ١٧ ، ورقة ٢٦٩ وجه .

باكملها (١) . ولا يضيف الدميري على ما ذكره سابقوه شيئاً ذا بال (٢) . تلك كتب التراجم ، اما كتب التاريخ فما زادت على ذكر سنة ولادته وسنة وفاته ، ونتف من اخبار اصحاب التراجم (٣) .

ذلك جل ما تطالعنا به كتب القدماء ، وكان الزمن الذي طالما شكا الثعالبي من جوره حياً ، أبى الا أن يجور عليه ميتاً ، فلقيت حياته من اهمال المؤرخين ما لقيت ، حتى طمست معالمها ، وغمضت جوانبها على الباحث ، وعسر التوصل الى معرفة التفاصيل عن شيوخه ، وتلاميذه ، وتنقلاته ، ومصدر رزقه وما إلى ذلك من أمور قد تعين على فهم شخصيته ، وكشف كثير من جوانب نفسه بقيت خافية الى اليوم .

وليس ما كتبه المعاصرون عن الرجل بأكثر جدوى مما كتبه القدماء ، فقد ظلوا يعتمدون على ما جادت به الأسطر القليلة التي كتبها القدماء ، فان حاولوا الاستقصاء فمن هذا المنطلق ، وفي هذا الميدان ، فظلت دراساتهم مبتورة تنقصها الصورة الحية للرجل (٤) .

---

(١) طبقات النحاة واللغويين ، ٢ : ٣٨٧ .

(٢) حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٢٠٢ .

(٣) منها : العبر في خبر من غبر ، ٣ : ١٧٢ ، المختصر في أخبار البشر ، ٢ : ٤٤ البداية والنهاية في التأريخ ، ٤ : ٦٢ .شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣ : ٢٤٦ .

(٤) وردت تلك الدراسات في . دائرة معارف البستاني ، ٦ : ٣١٦ . تأريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان ، ٢ : ٥٨٦ . النثر الفني في القرن الرابع ، ٢ : ١٧٩ . كنوز الاجداد ، ٢٣٣ . مقدمة محقق لطائف المعارف ، ٣ . مقدمة محقق التمثيل والمحاضرة ، ٤ .

وهكذا لم يبق امامنا غير كتبه مصدراً شبه وحيد للتوصل إلى ما يخل علينا به القدماء ، وإلى جانبها ما نظمه من شعر وما كتبه من نثر ، على أن لا نغفل الافادة من هـــذا النزر من أخبار أصحاب التراجم ، وكتب التأريخ .

إن كتب الثعالبي وآثاره معين غزير ، إنْ كنا لا نلوم القدمـاء على عدم الافادة منه لبعدهم عن مناهج البحث الحديثة ، فاننا لنلوم من تصدى لدراسته من المعاصرين على ترك هذ المعين كلَّ اللوم .

إن الصورة التي يمكن ان نخرج بها من هذه المصادر تكاد تكون كاملة ، ولولا فقدان قسم كبير من كتب الرجل لأمكننـا ان نخرج بتفاصيل اكثر عمقاً ، ولكنَّ هذا لا يمنع أن نقول إن ما تبقى من آثاره يحمل في تضاعيفه ما يكفي لفهم حيـاته على وجه قريب إلى الكمال .

اسمه ونسبه

هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، لم يخالف في ذلك أحد ، ولم يزد عليه (١) .

وقد يستغنى بنسبته عن ذكر اسمه كاملاً (٢) ، مع أنَّ اعلاماً آخرين يشاركونه النسبةَ نفسها ، منهم أبو بكر محمد بن بكر بن

(١) زهر الآداب ، ٢١٢ و٥٠٢ . نزهة الالباء في طبقات الادباء ،٣٤٩ ، وفيات الاعيان ، ٢ : ٣٥٠ . العبر في خبر من غبر ، ٣ : ١٧٢ .

(٢) اكتفى بعض القدماء بنسبته فقط عندمـا تعرضوا لذكره منهم ابن ابي الاصبع في كتابه « بديـع القرآن » ٦ ، ٨ ،١٣٨.=

الفضل بن موسى الثعالبي الفقيـه من اهل مصر المتوفى سنة ثمانين وثلاثمائة للهجرة (١) .

ومنهم الشيخ الاجل احمد بن علي بن الحسين الثعالبي ، وعبـد الرحمن ن مخلوف ، الجزائري الثعالبي المتوفى سنة خمس وسبعين وثمانمائة للهجرة (٢) .

وقد ادت هـذه المشاركة في النسبة ، والاكتفاء بها الى وقوع بعض الباحثين في الوهم فخلطوا بين أبي منصور وغيره ، ونسبوا اليه كتباً هي لغيره (٣) .

و « الثعالبي » بفتح الثاء المثلثة والعين المهملة وبعد الالف لام مكسورة وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى خياطة جلود الثعالب ، وعمل الفراء منها (٤) .

وقد ذكر الثعالبي كنيته في شعره إذ قال (٥) [من الوافر]

أبا منصورٍ المغرورَ أقصِر   وأبصر طرْقَ اصحابِ الرشادِ

=وعلي بن ظافر الازدي في كتابه بدائع البدائه ١١٢ ، ١٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٩٦ . اما المحدثون فنادراً ما يذكرون اسمه كاملاً ، واكثرهم يكتفون بنسبته ، أو يسبقونها بكنيته .

(١) الانساب ، ٣ : ١٣٢ . اللباب في تهذيب الانساب ، ١ : ٢٣٧ .

(٢) الكنى والالقاب ، ٢ : ١١٧ . دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٩ ،

(٣) سيقع تفصيل ذلك في مبحث « مؤلفاته » .

(٤) الانساب ، ٣ : ١٣٢ ، اللباب في تهذيب الانساب ، ١ : ٢٢٣ ، الكنى والالقاب ٢ : ١١٧

(٥) أحسن ما سمعت ، ١٤٥ .

ألستَ ترى نجوم الشيب لاحت   وشيبُ المرء عنوان (الفسادِ)(١)

وذكر اسمه في موضع آخر ، فقال : (٢) [من السريع]

يا قبلةَ العشاقِ يا من به   ستر الهوى بين الورى مُنهتك

جردتَ من عينيكَ سيفاً فلم   أغمدته في قلبِ عبدِ الملك

مولده واصله ومذهبه

ولد أبو منصور سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة في نيسابور (٣) ، لا خلاف في ذلك ، ولكن الخلاف قد وقع في تحديد أصله . فقد اغفل القدماء الاشارة إلى ذلك ، وذهب فيه المحدثون مذاهب مختلفة يعوزها الدليل على اي وجه كانت ، فقد ذهب الحوفي إلى انه فارسي الاصل (٤) ، وذهب صادق نشأة وزميله هذا المذهب فأدرجا اسم الثعالبي ضمن مجموعة اسماء لأعلام من اصل فارسي (٥) .

وأدرجه احمد لواساني ضمن قائمة اخرى لاسماء اعلام فارس (٦) .

إن هذا الرأي يبقى مفتقراً إلى الدليل ، إذ إن ولادة الرجل في مدينة فارسية ليست دليلاً مقنعاً على انه من اصل فارسي .

وما قيل في الرأي القائل بفارسية الثعالبي يقال في الرأي الذي

---

(١) كذا في الاصل وأظن صوابها (السداد)

(٢) أحسن ما سمعت ، ١٣٥ .

(٣) ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات ٢، : ٣٥٢ وتابعه الاخرون عليه.

(٤) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، ٢١٩ .

(٥) صفحات عن ايران ، ١٤٧ .

(٦) نظرات جديدة في تاريخ الأدب ، ٢٩٤ .

ساقه محمد كرد علي حيث قال : « والغالب انه من اصل عربي »(١) فرأيه قائم على التغليب لافتقاره الى الدليل اساساً .

ولو اننا استقصينا الحقيقة في مظانها لوجدنا ما يكاد يقطع بان الرجل عربي الاصل .

قال الثعالبي في حديثه عن ابي القاسم اسماعيل بن احمد الشجري « ومن ملحه قوله ، وهو منقول عن بيتين بالفارسية للاعاجم » (٢) .

وقال في حديثه عن ابي الحسن الاغاجي : « هو اشهر في [شعراء] (٣) الفارسية وفرسانهم من المجرّة » (٤) ان اشارته الى « الاعاجم » و « شعراء الفارسية وفرسانهم » بضمير الغائب ، لتدعو الى التشكيك في الرأي القائل بأنه من اصل فارسي ، فلو كان الرجل فارسياً لاستغنى عن بعض كلامه ، وبقي المعنى مستقيماً فهو يستطيع ان يقول « هو منقول عن الفارسية » في النص الاول و « هـو اشهر في الشعراء والفرسان من المجرة » في النص الثاني .

وثمة دليل آخر اوضح من سابقه ، واكثر اظهاراً للحقيقة ، هو قوله في ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري « من اعاجيب الدنيا ، ذلك انه من الفاراب احدى بـلاد الترك ، وهو إمام في علم لغة العرب » (٥) .

---

(١) كنوز الاجداد ، ٢٣٣ .

(٢) يتيمة الدهر ، ٤ : ١٥٥ .

(٣) في الاصل « شعر » ولا يستقيم المعنى بها .

(٤) تتمة اليتيمة ، ٢ : ١١٤ .

(٥) يتيمة الدهر ، ٤ : ٤٠٦ .

الا ترى ان الثعالبي لو لم يكن عربياً ما تعجب من كون الجوهري الاعجمي إماماً في لغة العرب ، وهو نفسه امام فيها ؟

بهذا يقوم لدينا الدليل على عربية الرجل دون ان يثير شكوكنا في اصله استشهاده بعدد من النصوص الفارسية في بعض كتبه (١)، او افادته من اللغة الفارسية في بعض معانيه الشعرية ، وما إلى ذلك من مظاهر املتها البيئة عليه ، فليست معرفة المرء لغة قوم دليلاً مقنعاً على انه منهم .

ولعل الدليل القاطع يبقى معوزاً في مسألة تحديد مذهب الثعالبي ، ذلك ان كتب طبقات المذاهب التي وصلت الينا لا تحمل ترجمة له .

ولما كانت كتبه نفسها بعيدة عن ميدان التخصص المذهبي . ولا تشي مادتها بهوى مذهبي معين فأن الاعتماد عليها لا يجدي في الوصول الى الحقيقة .

وهكذا لم يبق لدينا غير الاعتماد على التحليل والاستنباط للخروج بالحقيقة ، والراجح عندى ان يكون الثعالبي شافعياً بدليلين ، اولهما : انه كتب في مقدمة احد كتبه عبارة الاهداء التالية : « وان كنت في ذلك [يعني اهداء الكتاب] كمن يهدى الشمع الى الشمس والخضاب إلى الشباب ، ويحمل الفقه إلى الشافعي ، والشعر إلى البحترى »(٢)،

(١) وردت نصوص فارسية في : يتيمة الدهر ، ٣ : ٣٣٩ و ٤ : ١٤٩ . تتمة اليتيمة ، ٢ : ٢٥ : لطائف المعارف ، ٩ . الكناية والتعريض ١٥ و ٢٢ . ثمار القلوب١٨٨ . روى بيت شعر للعباس الأرخسي بالفارسية ولم يترجمه وهو عادة يترجم النصوص الفارسية التي يستشهد بها كما فعل في جميع الكتب المشار اليها .

(٢) برد الاكباد ١٠٣ .

اذ لا يخلو ذكره الشافعي دون غيره من أئمة المذاهب من دلالة .

وثانيهما : كثرة علاقاته بجماعة من اعيان الشافعية في نيسابور وغيرها ، كالخطابي (١) ، والصعلوكي (٢) والماسرجسي (٣) وغيرهم .

ومهما يكن من شيء فان مسألة تعيين مذهب الثعالبي ليست بذات خطر كبير في ميدان دراسة ادبه ونقده لما كان من بعد الرجل من تيار الصراع المذهبي في هذين الميدانيين بوجه عام .

نشأته وحياته

كانت ولادة ابي منصور في اسرة رقيقة الحال ، فقد كان ابوه يشتغل بخياطة جلود الثعالب ، وعمل الفراء منها (٤) . اما ما ذهب اليه ابن خلكان من انه كان هو « فراء » (٥) فليس الا وهماً دفعه

---

(١) ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي . ترجمته في يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٣٤ ، وفي معجم الادباء ٣ : ٨١ ، وذكر ان الثعالبي كان صديقه .

(٢) ابو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي ، ترجمته في يتيمة الدهر ٤ : ٤١٩ ، وطبقات الشافعية ٤ : ٣٩٣ .

(٣) ابو الحسن محمد بن علي الماسرجسي . روى الثعالبي عنه في اللطائف والظرائف ٦٥ ، وترجمته في وفيات الاعيان ٣ : ٣٤٠ .

(٤) في كتاب نثر النظم ١٦ ورد هذا النص « فان كنت من الاكابر فلي في عدنان الهروى أسوة ، وان كنت من الاصاغر فلي بابن الثعالبي النيسابورى قدوة » وهو يشير بوضوح الى انه كان « ابن ثعالبي » وليس « ثعالبياً » .

(٥) وفيات الاعيان ، ٢ : ٣٥٢ .

اليه اشتهار ابي منصور بمهنة ابيه . وقد تابعه كثيرون على وهمه ، حتى راح احد المعاصرين يربط بين مهنته الموهومة وبين طريقته في تأليف كتبه (١) . وراح آخر يتحدث عن امثال الثعالبي من العلماء الذين كانوا يكسبون رزقهم من عمل ايديهم (٢)

لم تكن أسرة أبي منصور تمتّ الى العلم بسبب وثيق ، ولكنها رغم رقةِ حالها، استطاعت ان تهيىء له قسطاً من الثقافة ، فدفعت به الى الكتاب حيث تلقى اول معارفه التي ظل يذكرها طويلاً (٣).

وتخرج أبو منصور في الكتاب ليجد نفسه أمام أحد امرين ، اما ان يشتغل بمهنة ابيه ، فيعيش فقيراً مغموراً ، واما ان يقتحم ميدان العلم لعله يجد فيه مكاناً لأحلامه في المجد والثروة .

وكان ان اختار الطريق الثاني فعمل مؤدباً للصبيان (٤) .

وكانت مهنة التأديب في نيسابور رائجة ، ذلك ان هذه المدينة كانت مركز العلم والفكر في خراسان ، وكان لها حظ وافر من المدارس والعلماء المشهورين .

وظل اثر هذه المهنة يلوح فيما يكتبه الثعالبي طويلاً ، فهو يدافع عنها ،

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ، ٣١٣ .

(٢) مناهج التأليف عند العلماء العرب . قسم الأدب ، ٢٧٥ .

(٣) في اللطائف والظرائف ، ٢٥ . أنشد اربعة ابيات ونسبها الى مؤدب له كان في صباه ، وقد ألف اللطائف والظرائف وعمره اكثر من خمسين سنة .

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ .

ويعدها من المهن التي مارسها كثيرون من العظماء في اول حياتهم (١).

وهكذا انسلخ ابو منصور عن مهنة عائلته، واقتحم ميدان الأدب والتأليف الذي خلد فيه اسمه، يحدوه الى ذلك عاملان هما: دافع الحاجة، ودافع الطموح الذي قدر فوجد أن العلم بضاعة ذات رواج يكاؤها العصر، ويتبوأ اصحابها من المناصب، ومن نفوس الناس اعلى مكان.

ولم تكن الثقافة المحدودة التي اهلته لأن يكون مؤدباً لتغني كثيراً، فكان لا بدل من ان ينتجع مرتعاً اكثر خصباً، وان يبذل في سبيل ذلك المال والجهد، ليجد لنفسه مكاناً بين هـذا الحشد الضخم من العلماء المرموقين الدين كانت تعج بهم نيسابور، ثم يسلك الطريق الى الفوز بالامنيـة التي كانت تشغله وتمـلأ قلبه الشاب الطموح.

وهكذا اتضح الطريق امامه، فسار فيه الى ان استكمل الاسباب التي مهدت له السبيل للوصول إلى ما كان يصبو اليه.

ولقد وجد أبو منصور في آل ميكال راعياً ومشجعاً (٢) وهيأت له الظروف سبيل الاتصال بهم، ذلك أن استاذه الخوارزمي كان على صلة وثيقة بالأمير أبي نصر احمد بن علي الميكالي (٣)، وقـد

---

(١) تتمة اليتيمة، ٢ : ٣٠.

(٢) تحدث الثعالبي عن هذه العائلة باجلال يدل على مالها عليه من اياد في يتيمة لدهر ٤ : ٣٥٤ وتحدث عنها العتبي بالاجـلال نفسه في اليميني، ورقة ١٤ ظهر.

(٣) يتيمة الدهر، ٤ : ٢٠٥.

عرف ابو منصور – عن طريق استاذه – أبا الفضل عبيد الله ، احد ابناء الأمير المذكور (١) ، فوجد كل منهما في الآخر صدى نفسه ، ورفيق روحه فكانت علاقة هي اشبه ما تكون بلحمة النسب أو أقرب ، وكان لاتفاقهما في المشارب ما مكن لهذه العلاقة ان تدوم خمسين عاماً ويزيد .

وكان في دار أبي الفضل مكتبة ضخمة ، فقد كان الرجل مولعاً بالكتب ، يجمع غرائبها ويقتني فرائدها ، ولا غرو ، فقد سلك سبيل التأليف ، وعقد له مجلس للاملاء (٢) ، وصار يهمه ان يهيء لنفسه الاسباب ، يعينه على ذلك ما يجد من يسر الحال .

ووجد ابو منصور في هذا الصديق الكريم عوناً له على تذليل عقبة كانت تعترض طريقه ، هي صعوبة حصوله على الكتب بوسائله المحدودة ، إذ إن مهنة التأديب لم تكن لتدر عليه ما يسد الرمق ، فكيف بما يفيض ؟ وهكذا لجأ ابو منصور الى كرم صديقه فأفاد من مكتبته طوال حياته (٣) .

---

(١) ترجم له في يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٥٤ .

(٢) ذكر له ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ، ٢ : ٥٢ عدة كتب ، هي « المنتحل » و« مخزون البلاغة » و « ملح الخواطر ومنح الجواهر » واشار الى مجلس املائه ، وكتاب الميكالي الاخير مذكور في يتيمة الدهر ٣ : ٢٤٣ باسم « ملح الخواطر وسبح الجواهر » ، وانفرد الثعالبي يذكر كتاب آخر له هو « نزهة اللواحظ من كلام الجاحظ » . ثمار القلوب ٢٠٦ .

(٣) أشار الى ذلك في يتيمة الدهر ٣ : ٣٤٠ . وفقه اللغة ١٦ .

ولم تكن مكتبة الميكالي هي الثمرة الوحيدة التي جناها من علاقته به ، فقد كان لاتفاق الرجلين في المشارب ، وتوافقهما في المزاج ، ما دفعهما الى العمل المشترك في ميدان التأليف (١) ، فها هـو الميكالي يهيئ فصولاً يسلكها ابو منصور في كتبه ، ويعترف له بفضله اذ يقول في تقديم فصول ابن العميد التي ضمنها اليتيمة : « اخرجتها مما اخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي من غرره وفقره ، وكفاني شغلاً شاغلاً ، وقلدني منته وشكره ، وليست تنكر اياديه عندي » (٢)

ولقد ورد اسم الميكالي سنداً لروايات عديدة متناثرة في كتب الثعالبي (٣) .

ولا تخلو كتب الثعالبي من اشارات قـد تكون غير مقصودة الى عمق علاقته بالميكالي ، منها قوله في معرض الحديث عن بيتين للأحوص : « وهما من قصيدةٍ طويلةٍ انشدنيها الأمير السيد أدام الله تأييده من اولها الى آخرها ، وأنا اسايره ، وهو يكسوها أحسنَ معرض من عبارته وجودة إنشاده ، فسقط سوطي من يدي وأنا لا اشعر لاشتغال خاطري بها » (٤) .

---

(١) ثمة ما يدعونا الى تغليب الظن بانهما اشتركا في كتابة المنتحل وسأفصل ذلك في مبحث « مؤلفاته » .

(٢) ٣ : ١٧٠ . ويقرب من هذا ما قاله في تقديم فصول للصاحب بن عباد ٣ : ٢٤٣

(٣) منها مثلاً : يتيمة الدهر ، ١ : ١٠٦ ، ٣ : ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٧٦ ، ٣٢٥ ، ٤١٤ . وثمار القلوب ٤٣١ . والكناية والتعريض ، ٢٣ ، ٤٦

(٤) ثمار القلوب، ٦٦١ .

فأبو منصور « يساير الأمير » وسوطه في يده ، والأمير ينشده الشعر ، ويتغنى بانشاده .

اما الرسائل التي تبادلها الصديقان فهي دليل آخر على قوة علاقتهما (١)

ويحدثنا الثعالبي انه ألف للميكالي كتابه « خصائص البلدان » (٢) ، والغالب على الظن انه ألف كتاب « فضل من اسمه الفضل » له ايضاً (٣) .

وقد التقى الثعالبي في دار الميكالي بنخبة صالحة من الأدباء والعلماء افاد منهم كثيراً ، كأبي محمد الحسن بن احمد البروجردي (٤) ، وأبي محمد اسماعيل بن محمد الدهان (٥) ، وابي حفص عمر بن علي المطوعي الفقيه (٦) ، وهرون بن احمد الصيمري صاحب كتاب « حديقة الحدق » (٧) وأبي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني (٨) .

---

(١) اورد الحصري مجموعة من رسائلهما في زهر الآداب ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣١٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٩٥٥ .

(٢) ثمار القلوب ، ٥٤٥ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٤ : ٤٣٣ .

(٤) ترجم له في يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٩٤ .

(٥) ترجم له في يتيمة الدهر ٤ : ٤٣٢ .

(٦) المصدر السابق ، ٤ : ٤٢٣ وتتمة اليتيمة ٢ : ١١ .

(٧) يتيمة الدهر ، ٢ : ٢١٩ .

(٨) المصدر السابق ، ٤ ٤٤٩ .

وكان ابو منصور على علاقة وثيقة بأمير آخر هو أبو نصر سهل ابن المرزبان ، الذي اصبح من ندمان الأمير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين أمير خراسان فيما بعد (١).

وقد افاد الثعالبي من علاقته به أجلّ فائدة ، فابن المرزبان صنو الميكالي في حبه الكتب ، وقد بلغ من حبه إياها ان رحل في طلبها مرتين إلى بغداد ، ولم يكن يبخل على ابي منصور بنوادرها ، حتى إنه ليتحفه ببعض ما يجلبه من بغداد « وهو بغبار السفر » (٢).

وكما شارك الميكالي أبا منصور في بعض ما كتب ، شاركه ابن المرزبان في إخراج فصول لكتبه او اخراج ما يصلح لها من دواوين الشعراء (٣) ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد ألف ابن المرزبان كتاب « اخبار ابن الرومي » للثعالبي (٤) فأفاد منه كثيراً في مصنفاته .

وأسند أبو منصور رواية كثير من النصوص الواردة في بعض كتبه إلى ابن المرزبان (٥).

---

(١) ترجم له في يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٩١ .

(٢) يتيمة الدهر ، ٢ : ٣٨٠ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ٣٤٠ .

(٤) المصدر السابق ، ٤ : ٣٩٢ .

(٥) المصدر السابق ، ١ : ٢٤٩ و ٣٠٨ و ٢ : ٢٢٤ و ٢٤٣ و ٣٤٦ و ٣٧٢ و ٣٧٧ و ٣٧٩ و ٣ : ٢٠٠ و ٤ : ٤٤٧ . والكناية والتعريض ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٥٩ . اللطائف والظرائف ، ٦٧ ، ٩٦ . وتتمة اليتيمة ١ : ٤٥ .

وقد وقع بين الصديقين مسائل ادبية طريفة ، وألغاز شعرية نقلها الثعالبي في بعض كتبه ، (١) فاطلعنا بذلك على عمق العلاقة التي كانت تربط بينهما .

ولم تقتصر علاقات أبي منصور في هذه الفترة المبكرة من حياته على من ذكرت ، فقد حدثنا انه كان على صلة بالقاضي أبي بكر عبد الله بن محمد البستي (٢) ، وأبي روح ظفر بن عبد الله الهروى (٣) واعلام كثيرين غيرهما .

لم يفارق ابو منصور نيسابور حتى سنة ٣٧٧ هـ ، فقد ذكر انه التقى بأبي الحسن علي بن احمد الجوهري عندما ورد على نيسابور رسولاً الى الامير ابي الحسن أمير جيش نيسابور في تلك السنة (٤) .

ولقد قدر أبو منصور فوجد انه غير بالغ ما كان يحلم به من المال والشهرة ان هو لازم نيسابور ، فقد كان أمراؤها آنذاك منصرفين عن الأدب والادباء ، يشغلهم عن ذلك ما هم فيه من اطماع وفتن وحروب ، فكان ان شدّ الرحال الى العاصمة بخارى ، يحدوه الامل في ان تمنحه ما ضنت به نيسابور عليه .

ولا نعلم في أية سنة كان ذلك ، ولكن ما بين ايدينا من حقائق يشير الى انه كان في بخارى قبل سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة للهجرة ، فقد ذكر في ترجمته للمأموني أنه رآه ببخارى في تلك السنة (٥) .

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٩٤ . والاقتباس ورقة ٣٦ ظهر .

(٢) ترجم له في يتيمة الدهر ، ٤ : ٤٢٤ .

(٣) المصدر السابق ، ٤ : ٣٤٧ .

(٤) يتيمة الدهر ، ٤ ٢٧ . و « ابو الحسن » كنية الأمير « فائق الخاصة »

(٥) المصدر السابق ، ٤ : ١٧١ .

وكانت زيارة الثعالبي بخارى في ايام الأمير نوح بن منصـــور السامانى وقد عصفت بالعاصمة اطماع اصحاب الاطراف وتزعزع الحكم وكثر الطامعون فيه ، حتى بلغت جيوش بغراخان ايلك مالك الترك مشارف بخارى ، وكادت تدخلها ، فصدها نوح في تلك السنة (١) ، ولكنه لم يقو على صدها في السنة التالية فدخل بغراخان ايلك بخارى ، وهرب نوح الى آمل الشط سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للهجرة (٢) .

ولم يجد ابو منصور في خضم هـذه الاحداث طريقاً الى أمير أو وزير ، فقفل الى نيسابور صفر اليدين في اواخر سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة للهجرة ، أو اوائل السنة التي بعدها (٣) . مودعاً صديقه الذي اكرم مثواه وأحسن ضيافته أبا جعفر محمد بن موسى الموسوي (٤)

واذا كان أبو منصور قد اخفق في الحصول على المـال من سفرته هذه ، فقد ربح من وجه آخر ، إذ لقي افاضل العلماء واعلام الأدب في بخارى ، كالمأموني ، وأبي منصور سعيد بن احمد البريدي (٥) ،

---

(١) الكامل في التاريخ ، ٩ : ٩٥ .

(٢) المصدر السابق . ٩ : ٩٩ .

(٣) قال الثعالبي في ترجمة المأموني : « ولما فارقته لم تطل به الايام بعدي حتى اعتل بعلة الاستسقاء ، وانتقل الى جوار ربـه سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة » يتيمة الدهر ، ٤ : ١٧٢ . وقد مات المأموني في بخارى فلا بد من ان يكون الثعالبي « فارقه » قبل انقضاء زمن طويل من تلك السنة .

(٤) ذكره في يتيمة الدهر ، ٤ : ١٠١ . وثمار القلوب ٥١٥ .

(٥) يتيمة الدهر ، ٢ : ٢٤٣ .

وأبي بكر محمد بن عثمان النيسابوري الخازن (١) ، وأبي الحسن محمد بن احمد الافريقي المتيم (٢) .

وقد كان فاته — وهو ببخارى — أن يشهد المناظرة التي جرت بين استاذه الخوارزمي وبين بديع الزمان الهمداني (٣) الذي طرأ على نيسابور سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، ولهذا اكتفى — عندما قدر له أن يحكم فيها — بقوله : « وغلب هذا قوم ، وذاك آخرون » (٤) على ان المصادفة التي حرمته من حضور المناظرة عوضته عن ذلك بأن اتاحت له فرصةً نادرةً للتعرف على الهمداني الذي ملأ نفسه إعجاباً ، فتعلق به ، ووجد انه يمثل مدرسة جديدة ليس له بها عهد ، فنظر اليه بعين الاجلال ، وأفاد منه كثيراً ، واحله من نفسه المكان الذي كان يحتله استاذه الخوارزمي الراحل .

وكان يمكن للهمداني ان يؤثر كثيراً في شخصية الثعالبي وأدبه ونقده لو انه أطال المكث في نيسابور ، ولكنه كان مولعاً بحب النقلة، لا يطيب له المقام في مكان واحد ، فسرعان ما رحل تاركاً في نفس صديقه إعجاباً لا حد له ، وشت به الترجمة التي دبجها الثعالبي له ، وحشد فيها من عبارات الاطراء ما شاء له إعجابه ان يفعل ، فقد

---

(١) ترجم له في يتيمة الدهر ، ٤ : ٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ٤ : ١٥٧ .

(٣) المصدر السابق ، ٤ : ٢٥٦ وله ترجمة في وفيات الاعيان ، ١ : ١٨

(٤) يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٥٨ . وقد وقعت هذه المناظرة سنة ٣٨٢ هـ بدليل قول الثعالبي في ترجمة الخوارزمي بعد ان ساق ذكره : « ولم يحل عليه الحول حتى خانه عمره ، ونفذ قضاء الله تعالى فيه ، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة » . يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٠٩

وصفه بقوله : « هو احمـــد بن الحسين ، بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيرة في ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ، وقوة النفس ... الخ » (١) .

لقد كان لرحيل الهمداني عن نيسابور أثرة العميق في نفس الثعالبي ، فقد خلف فيها وحشة ، وفي حياته فراغاً ، فضاق ذرعاً بما توالى عليه من مصائب ، فمن فشله في بخارى ، الى وفاة استاذه الخوارزمي الى رحيل صديق أثير ، ولـكن يبدو أن الأقدار لم تكن تسلبه شيئاً حتى تعوضه منه بوجـه آخر ، فقد طرأ أديب آخر على نيسابور في هذه الفترة هو ابو الفتح علي بن محمد البستي ، (٢) وكان الثعالبي سمع به وبطريقته المشهورة في تجنيس القوافي التي سماهـا « المتشابه » وكان يتمنى لقاءه ، فلما وافى نيسابور تحقق الأمل بلقائه ، وتكرر اللقاء ، قال ابو منصور في ترجمتـه : « وجمعتني واياه صلة الأدب التي هي أقوى من قرابة النسب ، فما زالت في قدماته الثلاث نيسابور بين سرور وأنس مقيم » (٣) .

وجرت بين الأديبين الصديقين رسائل شعرية كانت من عوامل توثيق الصلة بينهما (٤) ، وكان البستي هو الذي اشار عليه بتأليف

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٥٦ .

(٢) ترجمته في يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٠٢ . وفي وفيات الاعيان ، ٣ : ٥٨ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٤ ٣٠٢ .

(٤) المصدر السابق ، ٤ : ٣٢٠ . وأحسن ما سمعت ٤٣ ولطائف المعارف ٢٠٦ وخاص الخاص ٤٢ .

احد كتبه وأوحى اليه بمنهج الكتاب (١) .

وبدأ ابو منصور في سنة اربع وثمانين وثلاثمائة بكتابة أجل كتبه وأعظمها شهرة على الاطلاق « يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر » ليقدمها لأحد الوزراء (٢) .

وطارت شهرة أبي منصور على أثر هذا التأليف ، فقد ترك أثراً عظيماً في نفوس الناس أحس له المؤلف بالزهو ، فأعاد تأليف الكتاب بعد ما يقرب من عشرين سنة وقال في مقدمته : « قضيت به حاجةً في نفسي ، وأنا لا احسب المستعيرين يتعاورونه والمنتسخين يتداولونه ، حتى يصيرَ من أنفس ما تشح عليه أنفس أدباء الاخوان ، وتسير به الركبان الى اقاصي البلدان ، فتواترت الاخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره ، وعدّهم إياه من فرص العمر وغرره ، واهتزازهم لزهره ، وافتقارهم لفقره » (٣) .

ويبدو ان صديقه أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتبي المؤرخ

---

(١) يتيمة الدهر ، ٣ : ٢٦٩ أشار الى انه كتب كتابه « أحسن ما سمعت » بايحاء من البستي .

(٢) لم يصرح باسم الوزير والغالب على الظن انه أبو الحسين محمد بن كثير وزير ابي علي بن سيمجور الذي ذكره العتبي في اليميني ، ورقة ٦٧ ظهر ، والسبب في عدم التصريح باسمه فيما يبدو لي هو انه كتب النسخة الثانية ايام الغزنويين الذين قضوا على ابي علي ووزيره ، ولم يَرَ من اللائق ذكر اسم عدو أولي الأمر بعد ان أدالوا دولته .

(٣) يتيمة الدهر ، ١ : ١٨ .

المشهور ، ونائب شمس المعالي قابوس بن وشمكير على خراسان (١) ، دعاه لزيارة سيده في جرجان ، مدفوعاً بما طار له من شهرة ، فشدّ أبو منصور الرحال يحدوه امله الذي لم تفضض منه سفرته الخائبة الى بخارى ، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة للهجرة ، يدلنا على ذلك ما ذكره من نزوله على القاضي ابي بشر الفضل بن محمد بجرجان في تلك السنة (٢) .

ولم يكن الثعالبي غريباً على شمس المعالي ، فقد عرفه الأمير عن كثب في اثناء اقامته الطويلة في نيسابور ، (٣) وقد كان قرأ اليتيمة واعجب بها ، وعرف لمؤلفها فضله ، ولا غرو فقد كان الأمير نفسه اديباً شاعراً ذائع الصيت (٤) .

ومَثَلَ أبو منصور أمام الامير يهنئه بعودة ملكه اليه بقصيدته التي مطلعها (٥) [من البسيط]

---

(١) ترجم له في يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٩٧ . وترجمته في معجم الأدباء ، ٦ : ١٤٣ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٥٢ .

(٣) ذكر العتبي في اليميني ، ورقة ١١٤ ظهر ، انه اقام بخراسان ثماني عشرة سنة مغلوباً على ملكه . وذُكر في ذيل تجارب الامم ، ١٧ و ٢٩٧ انه ورد على نيسابور سنة احدى وسبعين ورحل عنها سنة سبع وثمانين وثلاثمائة . اما ابن الاثير فقد ذكر أن استعادته ملك جرجان كان سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . الكامل في التاريخ ، ٩ : ١٣٩ .

(٤) اليميني، ورقة ١٣٧ وجه .

(٥) وردت القصيدة كاملة في« اليميني » ورقة ١٣٣ وجه.

الفتحُ منتظمٌ والدهر مبتسمٌ وظلُّ شمسِ المعالي كلهُ نِعَمُ

ثم قدّم له كتابه « المبهج » : فاكرمه الامير بما ظلَّ يذكره له ، فقال في مقدمة النسخة الثانية للمبهج : « وقد كنت حين وردت حضرة الأميرِ السيّدِ شمسِ المعالي خَدَمْتُ به مجلسهُ حرسه الله تعالى وآنسه ، فجمع عليه يديه ، وشغل به لحظهُ ، وأعطاهُ حقّهُ ، ووفاه مهرَهُ » (١) .

ولم يلبث أن عاد الى نيسابور محملاً بعطاء الامير الذي عدّهُ « سحائبَ إنعام ، وثمراتِ إكرام ، مستصحباً بـه الأمانَ من الزمانِ » (٢) .

وكانت نيسابور يومذاك تعيش اياماً حافلة ، فقد كان اميرها الشاب أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين (٣) الذي قاد جيوش خراسان منذ سنة تسع وثمانين وثلاثمائة (٤) يواجه خطراً داهماً مصدره اسماعيل بن نوح الساماني الملقب بالمنتصر الذي انتزع بعض اطراف الدولة ، فما كان من الأمير أبي المظفر الا ان نهض اليه ، ولقيه في سرخس ، فهزمه ، وأسر مساعده الأيمن أبا القاسم بن سيمجور ، وجماعة من اعيان عسكره ، وذلك في ربيع الاول من سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (٥) .

---

(١) المقدمة ، ٢ .

(٢) « التمثيل والمحاضرة » ، ٤ .

(٣) ترجم له العتبي في « اليميني » ورقة ، ٢٣١ ظهر وما بعدها .

(٤) اليميني ، ورقة ٩٧ وجه .

(٥) « اليميني » ورقة ١٠٣ وجه ، وورد في « الكامل » ٩ :١٥٧ اسم « منصور ابن سبكتكين » بدلاً من « نصر » .

ولم تكن هذه الفرصة لتفوت الثعالبي ، فلما عاد الامير أبو المظفر منتصراً من المعركة ، دخل عليه مهنئاً بقصيدته التي مطلعها (١)

[من الطويل]

تبلجتِ الأيامُ عن غُرَرِ الدهرِ وحلتْ بأهلِ البغيِ قاصمةُ الظهرِ

ووجدت القصيدة موقعاً حسناً في نفس الامير فأكرم الشاعر ، وبدأت بينهما علاقة ، وقدّر الله لهذه العلاقة أن تطول وتتجدد .

وألفَ أبو منصور لممدوحه كتاب « الاقتباس » وكتاب « أجناس التجنيس » فعرف له الأمير فضله ، وكان لديه من المقربين .

ولقد نَعِمَ أبو منصور بكرم الامير عدة سنوات ، ولكن الامير ترك نيسابور التي دخلها الترك وملكها سباشي (٢) من قبل ايلك خان سنة ست وتسعين وثلاثمائة (٣) ولم يعد الأمير أبو المظفر الى خراسان حتى بعد أن استعادها أخوه يمين الدولة ، فكانت مدة اقامته فيها ما يقرب من سبع سنين (٤) .

(١) اورد العتبي هذه القصيدة كاملة في « اليميني » ورقة ١٠٤ وجه وظهر .

(٢) معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، ٨٠ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ٩ : ١٨٨ .

(٤) يفهم من جدول ولاة نيسابور الذي استخرجه زامباور في « معجم الانساب والاسرات الحاكمة » ، ٨٠ . ان امارة أبي المظفر دامت سنة واحدة هي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وليس الامر كذلك ، بدليل ما يفهم من « اليميني » ورقة ١٠٤ وجه و ١٣٣ ظهر من ان الامير ابا المظفر كان بنيسابور سنة اثنتين وتسعين وثلاث وتسعين وثلاثمائة ، وما يفهم من نص « اليميني » ورقة ٣٣١ ظهر من ان الامير ابا المظفر « ولي نيسابور سنين عدة » .

وعكف ابو منصور - بعد رحيل الامير - على تأليف كتاب « سحر البلاغة » ليهديه إلى صاحب الجيش ابي موسى بن عمران الكردي ، وليهدى نسخته الثانية لأبي سهل الحمدوني (١).

وحلت سنة إحدى واربعمائة فاصاب القحطُ خراسانَ ، « وعدم القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، فكان الانسان يصيح الخبز الخبز ويموت ، ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى » (٢) .

ولم يستطع أبو منصور أن يتحمل ألم النظر إلى الناس يتساقطون صرعى الجوع والوباء ، ولم يكن هو يملك ما يقيه مثل هذا المصير ، فشد الرحال مضطراً إلى أسفرائين لينزل ضيفاً على زعيمها أبي العباس الفضل بن علي الذي قال في ترجمته في اليتيمة : « ومن حسن أثره ويمن نقيبته أن أسفرائين حرمٌ آمن وجنة عدنٍ عامرةٌ ، وقد شمل سائر كور نيسابور ونواحيها الخراب وعمها الاختلال » (٣) .

واستردَّ أبو منصور أنفاسه التي كاد يقطعها الألم والجوع .

وكانت دار أبي العباس ملتقى أدباء عرفهم الثعالبي ، وأفاد منهم ، وترجم لهم في يتيمته ، منهم أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ابن اخت ابي علي الحسن بن احمد الفارسي ، (٤) . وابو العباس

---

(١) سحر البلاغة ، ٥ . واصبح أبو سهل امير نيسابور سنة ٤٢٢ هـ ، وترجمته في تتمة اليتيمة ٢ : ٦٠ .

(٢) الكامل في التأريخ ، ٩ : ٢٢٥ . وفي اليميني ورقة ١٧١ ظهر وصف دقيق لهذا القحط .

(٣) ٤ : ٤٣٧ ،

(٤) اشار إلى لقائه به وترجم له في ٤ : ٣٨٤ .

أحمد بن اسحاق الجرمقي الفيلسوف والمهندس الشاعر ، (١) وعملاق بن غيداق العثماني . (٢)

ولم يطل المقام بابي منصور في اسفرائين فقد شد الرحال ليعاود حضرة شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، وليقدم له كتابه « التمثيل والمحاضرة » (٣) .

وقد وصف أبو منصور سفرته هذه في ترجمة أبي المحاسن سعد بن محمد بن منصور في « تتمة اليتيمة » بقوله : كانت النائبة [رمت] (٤) بي إلى جرجان في سنة ثلاث واربعمائة ، فانزلني أبوه الرئيس أبو سعد محمد بن منصور - رضي الله تعالى عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه - في منزله ، وأخدمني خدمه ، وأوسعني فضله وكرمه » (٥)

ولقد كان أبو سعد رئيس جرجان ومشير الامير قابوس بن وشمكير (٦) ، يرعى الأدب ورجاله ، زاره الهمداني قديماً واختص به ، فاكرمه (٧) .

وتفيا أبو منصور بكرم الأمير قابوس ، وحسن ضيافة الرئيس أبي سعد ، فتفرغ لكتابة النسخة الثانية من يتيمة الدهر ، ويبدو أنه

---

(١) ترجم له في يتيمة الدهر ٤ : ٣٤١ .

(٢) ترجم له في يتيمة الدهر ٤ : ٤١١ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٦ .

(٤) في الاصل « رحب » ولا يستقيم بها المعنى .

(٥) تتمة اليتيمة ، ١ : ١٤٤ .

(٦) يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٤٩ .

(٧) المصدر السابق ، ٤ : ٢٥٧ .

كان يزمع ان يطيل المكث لولا أن استدعاه الأمير أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه (١) إلى الجرجانية ، فشد الرحال إلى هناك (٢) .

ومثل أبو منصور في الجرجانية بين يدي الأمير الذي كان بلاطه يضم أجل علماء العصر ، كأبي علي بن سينا ، وابي الريحان البيروني ، فكان ابو منصور درّة جديدة تسلك في عقد علماء بلاط خوارزم شاه .

وكان الأمير يعرف فضل ابي منصور قبل رؤيته ، وكان مطلعاً على بعض مؤلفاته ، ومنها كتابه « النهاية في الكناية » وقد أشار أبو منصور إلى أنّ الامير أعجب به ، وأمره بانفاذ نسخة منه إلى خزانة كتبه (٣) .

ونظم أبو منصور عدة قصائد في مديح خوارزم شاه (٤) ، وألف باسمه كتبه « الملوكي » و « المشرق » و « الظرائف واللطائف » و « نثر النظم » ، وأعاد تأليف « النهاية في الكناية » ، له وسماه « الكناية والتعريض » (٥).

---

(١) اخباره في الكامل في التاريخ ، ٩ : ١٣٢ ، ٢٦٤ ، ٤٢٢ .

(٢) تفاصيل تنقلاته هذه في تتمة اليتيمة ، ١ : ١٤٥ .

(٣) الكناية والتعريض ٢ .

(٤) وردت في اللطائف والظرائف ٦٤ وأحسن ماسمعت ١٨٤ والكناية والتعريض ٣٠ .

(٥) أشار عباس إقبال في مقدمته باللغة الفارسية لتتمة اليتيمة ، ٥ إلى ان الثعالبي أهدى النسخة الثانية من اليتيمة إلى خوارزمشاه معتمداً على ما ورد في مقدمة خطية للقسم الرابع من اليتيمة الموجودة في مكتبته الخاصة ، وسأناقش ذلك في مبحث « مؤلفاته » .

ولقد نال أبو منصور حظوة عظيمة لدى الامير ، حتى إن الامير كان ينشده ما يحفظه من شعر (١) ويقترح عليه النظم في اغراض معينة (٢) ، وبلغت هذه الحظوة به ان ينادم الامير في مجالس شربه(٣) ويقترح عليه تسمية احد أبنائه « مأموناً » فيفعل (٤) .

ولم تقتصر علاقة ابي منصور على أمير الجرجانية ،فقدكان على صلة بوزيره أبي عبد الله محمد بن حامد (٥) الذي كان قد التقى به في بلاط قابوس بن وشمكير ، ونقل عنه بعض روايات في كتابه « يتيمة الدهر » (٦) .

وكما أهدى الثعالبي خوارزم شاه كتباً ، أهدى وزيره كتابين هما « تحفة الوزراء » و« أحسن ما سمعت » .

وكان رحيله عن الجرجانية قبل سنة سبع واربعمائة (٧) إلى غزنة (٨) ،

---

(١) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٢٣ .

(٢) لطائف المعارف ، ٢٢٧ .

(٣) تأريخ البيهقي ، ٧٣٦ .

(٤) لطائف المعارف ، ٨٦ .

(٥) ترجم له في يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٤٨ .

(٦) ٢ : ٢٥٣ : ١٩٥ و ٣٣٠ و ٤ : ٢٤٢ .

(٧) قتل الأمير أبو العباس في هذه السنة . الكامل في التاريخ ٩ : ٢٦٤ .

(٨) قال الثعالبي في مقدمة كتابه « يواقيت المواقيت » الواردة في « اللطائف والظرائف » ٤ « افتتحته بنيسابور وتطرفته بجرجان، وتنصفته بالجرجانية وانممته بغزنة » مشيراً بذلك إلى ما ذكرناه من نقلته .

موفوراً من عطاء الأمير ووزيره (١) .

وكانت غزنة يومـــذاك عاصمة اعظم دولة نشأت في المشرق الاسلامي ، وسلطانها يمين الدولة وأمين الملة محمود بن ناصر الدين سبكتكين الغزنوى (٢) يجبي اليها كنوز الهند ، ويتخذ من الصخرة التي صنع منها الصنم الأعظم في « سومنات » عتبة للمسجد الذي يشيده في عاصمته (٣) .

وقد اجتمع في بلاط هـذا السلطان اجل علماء وادباء العصر ، كأبي الريحان البيروني الذي استدعاه السلطان من الجرجانية ، والفردوسي صاحب الشاهنامة ، وأبي منصور بن مشكان صاحب ديوان الرسائل .

ولم يكن أبو منصور غريباً على السلطان أبي القاسم ، فقد كان استمع اليه بعد انتصاره في سجستان ووروده نيسابور سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة في قصيدته التي مطلعها (٤) [من السريع]

يا خاتِمَ المُلكِ ويا قاهرَ الـ ... أملاكِ بين الأخذِ والصفحِ

وكان لأبي منصور من تلك المعرفة القديمة ، وهـــذه الشهرة الحديثة ما اتاح له دخول البلاط الغزنوى وتقديم كتابه لطائف المعارف إلى السلطان (٥) .

---

(١) اشار في مقدمة « اللطائف والظرائف » ٣ و « احسن ما سمعت ١٩٢ إلى حسن كرم الاثنين .

(٢) كتب العتبي كتابه « اليميني » في سيرة هذا السلطان ، وترجم له ابن الاثير في « الكامل في التاريخ » ٩ : ٤٠١ .

(٣) الكامل في التاريخ ٩ : ٣٤٥ .

(٤) ثمار القلوب ٣٥ . وانظر « اليميني » ورقة ١٣٤ ظهر .

(٥) وقع في مقدمة المخطوطة التي اعتمدها محققاً هذا الكتاب خطأ =

ويبدو أن أبا منصور لم يجد لدى السلطان كل ما كان يأمل فيه، فكان له في أخي السلطان وصديقه القديم الامير أبي المظفر نعم العوض، يشفع له اليه ما كان بينهما من صلة بنيسابور.

وأتحف أبو منصور خزانة الامير بكتاب « يواقيت المواقيت » ثم بكتاب ضخم آخر ترجه بـ « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ».

وكان للثعالبي منزلة اثيرة لدى الامير تفصح عنها الأحاديث الكثيرة التي بثها في بعض كتبه بشأنه (١).

ولم تقتصر علاقة أبي منصور على الامير فحسب، فقد عرف في غزنة نخبة من رجال الدولة واتصل بهم، مثل العميد أبي منصور ابن مشكان (٢)، والشيخ أبي الحسن [محمد] (٣) بن عيسى

= فوردت العبارة التالية : « وشرفته بعالي اسم الصاحب ابي القاسم » فعدا الكتاب مهدى إلى الصاحب بن عباد وبينا على ذلك خطأ آخر في دراستها حياة الثعالبي فظناه اتصل بالصاحب وتابعهما آخرون على هذا الخطأ. واظن صواب العبارة هو « وشرفته بعالي اسم السلطان ابي القاسم » وذلك ما سأناقشه بالتفصيل في مبحث « مؤلفاته ».

(١) مرآة المروءات ٥ و « خاص الخاص » ٤٩ وتحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ١٦ وجه.

(٢) لم يصرح الثعالبي بعلاقته به، ولكن في اسلوبه في ترجمته في تتمة اليتيمة ٢ : ٦٢ ما يوحي بذلك.

(٣) في تحسين القبيح ورقة ١ وجه، سماه « عليا » والتصحيح من تتمة اليتيمة ١ : ١ و ٢ : ٦٧.

الكرجي الذي كتب له كتابه « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » (١) والقاضي أبي الحسن المؤمل بن خليل بن احمد الذي أشار إلى كثرة لقائه به في غزنة (٢) .

وعرف جماعة من الأدباء والعلماء والأعيان والقضاة ، وروى عنهم ، وترجم لهم في تتمة اليتيمة .

بقي أبو منصور في غزنة ما يقرب من خمس سنوات ، ذلك أن الأمير أبا المظفر مات سنة اثنتي عشرة واربعمائة (٣) ، ففقد ابو منصور ملاذه ، ولم يطل المقام في غزنة ، وتركها إلى هراة ، لينزل فيها ضيفاً على القاضي أبي أحمد منصور بن محمد الهروى الازدى (٤) ، وليؤلف له كتاب « اللطيف في الطيب » وكتاب « الايجاز والاعجاز » فيشمله القاضي « بجلائل مننه ودقائق كرمه » (٥) .

ولكنه لم يلبث أن غادر هراة قاصداً نيسابور ، فبلغها وقد ناف عمره على الستين (٦) قضى اربعين سنة منها في التنقل بين الحواضر

---

(١) ترجم له في تتمة اليتيمة ٢ : ٦٧ .

(٢) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٧٥ وفيها ترجمته .

(٣) المقدمة الفرنسية لزوتنبرك في غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ٦ ودائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٨ .

(٤) ترجم له في تتمة اليتيمة ، ٢ : ٤٦ .

(٥) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٤٧ .

(٦) لا يمكن تحديد السنة التي عاود فيها الثعالبي نيسابور ولكن يؤخذ من النص الوارد في تتمة اليتيمة ١ : ٦٣ انه عاد قبل سنة عشرين واربعمائة بوقت طويل

والأمصار (١)

واستقبلت نيسابور ابنها وأديبها استقبالاً حسناً ، يدل عليه مثل قول ابي محمد الحسن بن المؤمل الحربي مرحباً بعودة صديقه (٢) [من الرجز]

قدْ أشرقت أرجاءُ ايسابورِ وطلعتْ طلائعُ السُّرورِ

بِعَوِدِ مولانا أبي مَنصور لا زال في عزٍّ وفي حُبورِ

ودولةٍ تبقى على الدُّهورِ

ويبدو أنَّ أبا منصور عاد من غزنة موفوراً فاقتنى ضيعة (٣) أمل أن يقضي بقية عمره رخي الحال من درها ، وينصرف إلى التأليف .

---

(١) لا بد من الاشارة هنا إلى الخطأ الذي وقع فيه ابراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفي بقولهما : «وكما نشأ ابو منصور بنيسابور عاش بها» مقدمة المحققين ٩ . وما وقع فيه الدكتور مصطفى الشكعة من الخطأ نفسه بقوله «غير اننا من خلال كتب الثعالبي ومقدماتها نستطيع ان نقرر انه قضى حياته في نيسابور» مناهج التأليف عند العلماء العرب ٢٧٦ . وقد كشف لنا البحث ان الثعالبي كان كثير النقلة وان كتبه نفسها هي التي تحدث بأخبار أسفاره ، وكانت مصدراً رئيساً — ان لم يكن وحيداً — لاستقاء هذه الاخبار .

(٢) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٢٣ وفيها ترجم له .

(٣) أشار الى ذلك في حديثه عن الميكالي بقوله « واستأذنته في الخروج الى ضيعة لي متناهية الاختلال » فقه اللغة ١٥ .

وعاود — منذ عودته — دار صديقه القديم الأمير أبي الفضل الميكالي ليجدد العهد القديم ، وليؤلف له « ثمار القلوب » ، ثم اتصل بأخيه أبي ابراهيم نصر بن أحمد الميكالي (١) ، وبنخبة من أعلام العصر كانوا يرتادون دار آل ميكال ، كأبي منصور يحيى بن يحيى الكاتب وابنيه أبي الوفاء وأبي سلمة (٢) . وكأبي يعلى محمد بن الحسن الصوفي البصرى (٣) .

وأشار أبو الفضل على أبي منصور بتأليف كتاب في اللغة رسم له منهجه ، وكان ابو منصور يزمع السفر الى ضيعته فزوده الامير من مكتبته بما يعينه على التأليف (٤)

واختلى ابو منصور في ضيعته بالكتب ينتقي ويختار ويصنف ، وطالت اقامته ، فقد هجم القفص من الاتراك الغزية على خراسان فأكثروا الفساد ونهبوا غلة السنة (٥) ، وأصاب ضيعة أبي منصور ما اصاب عامة البلاد ، ولكنه لم يلبث أن عاود نيسابور ليقدم الى الامير كتابه « فقه اللغة وسر العربية » ، فيجني من ثمار كرمه ما يسد به اختلال الحال .

وفي سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ولي أبو سهل الحمدوني خراسان من

---

(١) ترجم له في تتمة اليتيمة ، ٢ : ٦ .

(٢) ترجم للاب وابنيه في « تتمة اليتيمة » ٢ : ١٤ ـ ١٦ .

(٣) ترجم له في تتمة اليتيمة ، ١ : ٨٩ .

(٤) فقه اللغة ، ١٦ .

(٥) الكامل في التأريخ ، ٩ : ٢٧٧ . فقه اللغة ٢٢ .

قبل السلطان مسعود بن السلطان محمود (١).

وكان أبو سهل الحمدوني ممن عرفوا فضل ابي منصور الذي كان اهداه قديماً النسخة الثانية من كتابه سحر البلاغة ، ولهذا وجد أبو منصور في دار الامير الجديد لنفسه مكاناً ، فألف له كتابه « برد الاكباد في الاعداد » ، وأتبعه بأخوين له هما « اللطف واللطائف » و « مرآة المروءات » .

وعرف عن طريق الامير مستشاره ابا العلاء محمد بن علي بن الحسين صفي الحضرتين « فاقتبس من نوره ، واغترف من بحوره »(٢).

وورد السلطان مسعود خراسان قاصداً بغداد سنة اربع وعشرين واربعمائة (٣) فأقام في نيسابور مع وجوه دولته مدة.

ولم يدع أبو منصور الفرصة تفلت من يده فكتب عدة قصائدمدح بها السلطان (٤) ووزيره أبا نصر أحمد بن محمد (٥) وكان لهمع أبي القاسم عبد الواحد بن الحريش الاصفهاني (٦) مجالس ومطارحات

---

(١) معجم الانساب والاسرات الحاكمة ٨٠ اشار الى أن الحمدوني بقي على ولايته الى سنة ثمان وعشرين واربعمائة . اخبار الحمدوني في الكامل في التأريخ ٩ : ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٤٢٨ . ٤٢٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥٨ .

(٢) ترجم له في « تتمة اليتيمة » ١ : ١٠٧ . والنص من الترجمة .

(٣) الكامل في التأريخ ، ٩ : ٤٢٨ .

(٤) خاص الخاص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وتتمة اليتيمة ١ : ١٤٤ .

(٥) خاص الخص ، ٢٣٨ .

(٦) ترجم في تتمة اليتيمة ، ١ : ١٢٢

أدبيـة ، وكان له مثل هـــذه العلاقة بأبي الفتح محمد بن احمد الدنياوندي (١) .

أما صلته بالشيخ العارض أبي الحسن مسافر بن الحسن(٢) فقـد كانت اعمق من صلته بكل من ذكرت ، فقد كان عرفه في غزنة ، فلما ورد الشيخ نيسابور اكثر أبو منصور من مدحه بشعره وجرت بينهما مراسلات (٣) فأهداه ابو منصور كتابه « خاص الخاص » .

وكان أبو الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمري ممن صحب السلطان الى نيسابور ، واطلع على كتاب « فقه اللغة » فاعجب به ، فما كان من ابي منصور الا أن اختصره له وسمى المختصر « خصائص اللغة» واهداه له (٤) .

وكان ابو منصور قد عكف على كتابة ذيل لكتابه « يتيمة الدهر » سماه « تتمة اليتيمة » رأى ان يتحف صديقه القديم الشيخ أبا الحسن محمد بن عيسى الكرجي به ، فلما أعجله السفر أهداه مسودة الكتاب (٥) .

وقد قفل السلطان مسعود مع خاصته مصرها الى غزنة ثانياً عنانه عما كان يعتزمه من قصد بغداد لما بلغه من عصيان احمـد ينالتكين نائبه على الهند (٦) ، فعكف ابو منصور على تنقيح كتابه « تتمةاليتيمة»

---

(١) ترجم له في تتمة اليتيمة ، ١ : ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ٦٨،٢

(٣) خاص الخاص ، ٢٢٨ ، وتتمة اليتيمة ، ٢ : ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) خصائص اللغة ، ورقة ١ وجه .

(٥) تتمة اليتيمة ، ١ : ١ .

(٦) الكامل في التاريخ ، ٩ : ٤٢٨ .

وأورد فيه تراجم كثيرين ممن عرفهم من حاشية السلطان مسعود من الادباء .

ويبدو أن العمل في هذا الكتاب استغرق بقية عمره ، وكان قد شاخ وهرم وبدأ النسيان يغلبه كثيراً حتى اضطر الى التصريح بذلك في اكثر من مكان من كتابه الاخير « تتمة اليتيمة » (١) .

ولا يمكن ان نعلم بعد ذلك هل اتم الثعالبي تأليف كتابين ذكر في تتمة اليتيمة انه في سبيل اتمامهما ، وهما سر الصناعة والغلمان (٢) ، ذلك ان هذين الكتابين مما يعد في حكم المفقود اليوم .

وفاتـــه

بقى أبو اسحاق الحصري المتوفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ما ذكره من أن أبا منصور كان حيا في وقت كتابته ترجمتـه على التخمين (٣) ، ولذا فهو لا يغني في تحديد سنة وفاة أبي منصور حتى ولو امكننا تحديد وقت كتابة الحصرى لهذا النص .

ولم يشر الباخرزى وابن الانبارى في ترجمتهما لأبي منصور الى تاريخ وفاته .

وكان اول من أشار إليه ابن خلكان فقال : « وتوفي سنة تسع وعشرين واربعمائة رحمه الله تعالى » (٤) وتابعه على قوله هـذا أبو

(١) ١ : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٧٣

(٢) ٢ : ٣٦ و ٨٥ .

(٣) زهر الاداب ١ : ٢٧ .

(٤) وفيات الاعيان ، ٢ : ٣٥٢ .

الفدا (١) ، وابن كثير (٢) فذكرا أبا منصور في وفيات سنة تسع وعشرين واربعمائة ، ونص العباسي على ذكر هذه السنة في ترجمته للثعالبي (٣) .

اما الحافظ الذهبي فقد ذكر أبا منصور في وفيات سنة ثلاثين واربعمائة للهجرة وقال « عاش ثمانين سنة » (٤) ولعل عبارته الاخيرة تكشف الستر عن سبب خلافه على ابن خلكان ، فقد اشتهر أن أبا منصور عاش ثمانين سنة ، فلما جمع الثمانين إلى تاريخ ولادته خرج من الجمع بالتأريخ الذي ذكره ، وتابعه على ذلك من المؤرخين اليافعيُ (٥) وابنُ العماد الحنبلي (٦) ، فذكرا أبا منصور في وفيات سنة ثلاثين واربعمائة للهجرة ، وتابعه من اصحاب التراجم ابن قاضي شهبة الذي قال « توفي سنة ثلاثين واربعمائة عن ثمانين سنة » (٧) .

ووقف الصفدي بين الرأيين فقال « وتوفي سنة ثلاثين واربعمائة وقيل سنة تسع وعشرين » (٨) وتابعه على ذلك الدميرى فذكر

(١) المختصر في أخبار البشر ، ٤ : ٦٢ .

(٢) البداية والنهاية ، ١٢ : ٤٤ .

(٣) معاهد التنصيص ، ٤٧٣ .

(٤) العبر في خبر من غبر ، ٣ : ١٧٢ .

(٥) مرآة الجنان ، ٣ : ٥٣ .

(٦) شذرات الذهب ، ٣ : ٢٤٦ .

(٧) طبقات النحاة واللغويين ، ٢ : ٣٨٧ .

(٨) الوافي بالوفيات ، ١٥ ـ ١٧ ، ق ٢ ، ورقة ٢٦٩ وجه .

التأريخين (١) .

وبعد ، فالخلاف واقع على سنة واحدة من عمر الثعالبي الذي شارف الثمانين، ولعل الرجل توفي في اواخر سنة تسع وعشرين واربعمائة فاشتهر عنه أنه عاش ثمانين سنة ، فوقع الخلاف الذي قد لا يكون اللجاج في مناقشته ذا جدوى كبيرة في دراسة حياة الرجل، لضآلة ما اختلف عليه .

ولكننا قد لا نجانب الصواب اذا قلنا إن وفاة الثعالبي وقعت في سنة تسع وعشرين واربعمائة لسببين ، اولهما : ان ابن خلكان ذكرها ، وهو أقرب عهداً بالثعالبي من كل من ذكرنا ، ولقرب العهد أثر في تقويم الرأي في مثل هذا الامر .

وثانيهما : ما ذُكر من ان السلاجقة دخلوا نيسابور في رمضان من سنة تسع وعشرين واربعمائة ، ففر عنها الغزنويون ، ثم ثار اهلها بهم في شعبان من سنة ثلاثين واربعمائة (٢) ، ولو كان أبو منصور ادرك هذه الاحداث لما سكت عنها ، ولوجدنا في شعره ، او كتابه الاخير ، «تتمة اليتيمة»، أثراً يشير إلى هذه الأحداث الجسام ، ولقد أمعنت في البحث عن لمحة ذات دلالة في جملة ، أو بيت شارد ، فأعيا البحث ، فقام لدى الدليل على ان قول ابن خلكان هو الصواب

ولقد كانت وفاة أبي منصور مبعث أسىً عميق في قلوب اصدقائه ، فرثاه صديقه القديم الحاكم ابو سعد عبد الرحمن بن دوست بابيات افسدتها الصنعة هي قوله: (٣) [من السريع]

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٢٠٣ .

(٢) الكامل في التأريخ ، ٩ : ٤٥٨ و ٤٦٣ .

(٣) الوافي بالوفيات ، ١٥ ـ ١٧ ، ق ٢ ورقة ٢٧٠ وجه .

كان أبو منصورٍ الثعلبي أبرعَ في الآدابِ من ثعلبْ
ليت الردى قدَّمني قبلهُ لكنه أروغُ منْ ثعلبْ
يطعن من شاء منَ الناسِ بالـ موتِ كطعنِ الرمح بالثعلبْ

شخصيته واخلاقه

لم تجر حياة أبي منصور كلها على نمط واحد ، فقد كان في مرحلة شبابه طموحاً متوثباً يملأ الأمل نفسه، ويعمر الايمان قلبه بأنه لا بد بالغ ما يريد .

وقد انعكست هذه الطبيعة الطموح في كتبه فطالعتنا فيهـا روح شفافة متفتحة ، تتصيد الطرفـة الغريبة ، والنادرة المسلية ، من ذلك قوله : « دخل الي بعض الظرفاء من الفقهاء ، فطاولني الحديث ، ثم قال لي : ما قيل قوله تعالى « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ؟ قلت : « آتنا غداءنا » قال : فاعمل عليه . فاستحسنت هذه النادرة ، وامرت بتقديم ما يتناوله » (١) .

وكثر في أدب الثعالبي ، في هـذه الفترة ، شعر الخمر ، والغزل بالمذكر والمؤنث ، فلما اورد بعضه في كتبه التي صنفهـا في كهولته قدمه بقوله : « وقلت في صباى » (٢) كأنه يعتذر بهذا من زلة شباب .

ولكن هذه الحياة الطافحة بالأمل لم تلبث أن انتهت ، فقد تعثرت الخطى بأبي منصور ، وقصر الميدان عنها ، إذ إنه لما جمع يديه على ثمرة دأب خمسين عاماً جمعهما على نزر قليل .

ويحل عام القحط فيسلب أبا منصور اللقمة التي تسد الرمق ،

---

(١) الكناية والتعريض ، ٤٩ .

(٢) خاص الخاص ٢٤٩ ، وتتمة اليتيمة ، ١ : ٩٠ .

على حين ينعم آخرون ممن ميزهم القدر بطيب العيش ولذته ، فيطلق الرجل انة صدعت نفسه ، ويصوغ الم قلبه شعراً ويقول : (١)

[من السريع]

أما ترى الدهر وأيامه ... في العمر مثل النار في الهشيم

تمر كالريح وما في يدي ... من مرها شيء سوى الريح

وتتنقل الاحوال بأبي منصور في كهولته ، ولكنه يظل يقاسي شظف العيش ، ويمتلك ضيعة فيرهقه خراجها ، ثم ينهب القفص غلتها ، فلا يجد من المال ما يكفي لسقيها (٢) ، حتى يضطر الى بيع مملوكه الذي طال أسفه عليه (٣) .

لا عجب بعد هذا أن يسود التشاؤم روحه ، ويتملك اليأس نفسه ، فيغلب على أدبه وكتبه طابع الكآبة ، كالذي نلمحه من مثل قوله : « ليس فيما أحفظ من الشعر الكثير أحسن وأوعظ وأنفع وأدعى الى تسليتي وتطييب نفسي من أقوال ثلاثة من الشعراء ، احدهم قول أبي الطيب [من البسيط]

هوّن على بصر ماشق منظره ... فانما يقظات العين كالحلم

ولا تشكّ الى خلق فتشمته ... شكوى الجريح الى الغربان والرخم

والاخر قول محمد بن بشير [من البسيط]

لا أحسب الشر جاراً لا يفارقني ... ولا احز على ما فاتني الودجا

ولا نزلت من المكروه منزلة ... إلا تيقنت أن القى لها فرجا

---

(١) الامثال ، ورقة ١٠ ظهر .

(٢) خاص الخاص ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ .

(٣) المصدر السابق ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

والثالث ما انشدنيه ابو الفتح البستي (١) [من مخلع البسيط]

إذا آزدرى ساقط كريماً فلا يطولن ضيق صدره

فأكثر الناس منذ كانوا ما قدروا الله حق قدره

ولكن أبا منصور كان مؤمناً عميق الايمان ، في حالتي سرائه وضرائه ، يدل على هذا رأيه في استنكار الخروج على حدود الدين في بعض ما يسوق من اختياراته (٢) .

ولعله عاش سعيداً في عائلته ، فقد كان يقدر الرابطة الزوجية حق قدرها ، يفصح عن ذلك مثل قوله (٣) [من الطويل]

ودونك بيتاً قد تحلت به النهى كما يتحلى معصم بسواره

إذا لم يكن في منزل المرء حرة تدبره ضاعت مصالح داره

اما ما كان من غزله بالغلمان ، واستكثاره منه في اختياراته ، فلعله وليد ذوق العصر ، والتطبع بطابع البيئة .

وقد احرز ابو منصور مكانة كريمة عند الامراء والوزراء واكابر الدولة ، مكنه منها علمه وأدبه ومعرفته بآداب مخاطبة الملوك والرؤساء ، وقد أشار بفخر ظاهر الى كثرة التقائه « بأعيان الفضل وأفراد الدهر وبدور الصدور » (٤) .

اما اصدقاؤه ـ وهم كثرة ـ فقد كانوا يعتزون بصداقته ، ويعرفون

---

(١) خاص الخاص ، ١٤٨ .

(٢) يتيمة الدهر ، ٢ : ١١٣ و ٣ : ٢٤١ وثمار القلوب ٥٣ وفقه اللغة ١١٨ وتتمة اليتيمة ٢ : ١١٣ .

(٣) مرآة المروءات ٢٣ .

(٤) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٦٨ .

له حقها ، وقد اورد في كتبه اسماء كثيرين ممن عرفهم وعرفوه ، لم يقل في حقهم إلا كل خير .

ولا بد لمن يستقرىء ما قاله اصدقاء أبي منصور فيه من ان يلمس المكانة الاثيرة التي كان يحتلها من نفوسهم ، من ذلك قول الميكالي فيه : (١) [من الطويل]

أخٌ لي اما الود منه فرائـــد والفاظه بين الحديث فرائدُ
إذا غاب يوماً لم ينب عنه شاهد وان شهد ارتاحت اليه المشاهدُ

وقول البستي (٢) [من المتقارب]

إذا نسي الناس إخوانهـــم وخان المودة خوّانهـــا
فعنـــدي لاخواني الغـائبيـن صحائف ذكرك عنوانها

وقول القاضي أبي احمد منصور بن محمد (٣) [من الوافر]

جُعلت لك الفداء لو ان كتبي بحسب تكاثري بك واعتمـادي
إذاً لجعلت اقلامي عظـــامي وطرسي مقلتي ودمي مـــدادي

وغير هذا كثير .

وقد بادل أبو منصور اصدقاءه وداً بود ، فأصفى لهم قلبه ، ونظم فيهم ما أقر عيونهم ، فتبوأ من نفوسهم أعز مكان ، واخذ من قلوبهم بقدر ما اعطاهم من قلبه الكبير .

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٧٥ ،
(٢) يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٢٠ . وأحسن ما سمعت ٤٣ .
(٣) تتمة اليتيمة ، ٢:٥٣ .

الفصل الثانى

ثقافتـــه

وصف الباخرزي ابا منصور بأنه « أسد الصناعة في غابة ثعالب ، وتصنيفاته للأنس جوالب جوالب، وأسلاته في النطق والكتابة قواضب قواضب » . (١)

وقال ابن كثير إنه « كان إماما في اللغة والاخبار وايام الناس بارعاً مفيداً » . (٢)

وذكر احمد امين انه « كان واسع العلم باللغة والأدب والأدباء وتاريخهم وألف في ذلك كله » (٣)

هذه الاقوال ، وكثير غيرها ، تدل على مدى الاعجاب الذي اثاره ابو منصور في نفوس من ترجموا له ، او اطلعوا على مؤلفاته ، ولا شك في ان الذي اثار اعجابهم هو هذه الغزارة في العلم والعمق في الفكر ، والتقصي البارع للحقيقة ، وعرض كل ذلك باسلوب سمح ، وعبارة رشيقة .

لقد اغترف ابو منصور من روافد المعرفة في عصره ما شاء الله له ، ولم يقتصر في ذلك على علم بعينه ، فقد كان ينهل من كل مورد ، فان طاب له علٌ بعد نهل ، وبالرغم من انه كاد يختص بالادب فانه لم يقصر عن الخوض في علوم اخرى كالنقد والبلاغة واللغـة والتاريخ والاخلاق ، فجاءت مؤلفاته منبئة عن ثقافات مختلفة ، حتى تكاد بمجموعها تكون موسوعة لثقافة القرن الرابع لا يستغني عنها عـالم او اديب .

---

(١) دمية القصر ، ١ : ١١٢ .

(٢) البداية والنهاية ، ١٢ : ٤٤ .

(٣) ظهر الاسلام ، ١ : ٢٧٢ .

مصادر ثقافته : كان الكتاب هـو اللبنة الاولى في بناء معارف ابي منصور ، فلما اتم دراسته فيه وجد ان لا بد له من ان يقطع اشواطا اخرى كثيرة ليستكمل اسباب العلم الذي كان يعده مفتاحا لما كان يحلم به من مجد وشهرة ، وقد كان به - فوق هـذا - ولع خاص بالعلم ، وميل الى العلماء، حتى نراه يقول : « من فضائل العلم ان شهادة اهله مقرونة بشهادة الملائكة في قوله تعالى « شهد الله ان لا إله الا هو والملائكة واولو العلم » ، واولى الناس بالاجلال ، في الاعظم العلماء ، لانهم ورثة الانبياء ، وقد رفع الله درجاتهم فقال : « يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات » (١) .

وبالرغم من ذلك لم تكن الحال الرقيقـة التي كانت عليها عائلة ابي منصور لتسمح لها بان ترتب له شيخا من العلماء ، فكانت الكتب شيخه الاول ، يتلقى علومه عليها ، ويمنحها من وقته اكثره ، حتى يطول حديثه عنها في كثير من مؤلفاته مبديا شغفه الشديد بها من ذلك قوله : « وكثيراً ما اذكر في أكل الوجبة (وأنا)(٢) انظر في كتاب جديد وقـع الي ولا اصبر عنه الى وقت فراغي من الأكل (٣) » ولقد خص الثعالبي القرآن الكريم بأوفى نصيب من دراسته ، وتجلى اثر ذلك في موقفه من اللغة العربيـة نفسها ، حتى نراه يقول : « إن من أحب الله احب رسوله المصطفى صلى الله عليه

(١) الاقتباس ، ورقة ٤٠ ظهر .

(٢) هكذا في المطبوع واظن صوابه « ان » . لتنسجم الجملة مـع ما بعدها .

(٣) اللطائف والظرائف ٢٦ .

وسلم ومن أحب النبي العربي احب العرب ، ومن احب العرب احب العربية التي نزل بهـــا أفضل الكتب ، على افضل العجم والعرب »(١) .

وكان من اثر حبه القرآن الكريم ودراسته إياه ان الف كتابا برأسه في الاقتباس منه ، وقدم له ببحث واف في سر الاعجاز المتمثل - في رأيه - في اقتباس الادباء آياته لفظـا او معنى ليحلو وقـــع كلامهم في الآذان ويقر معناه في الاذهان (٢) '

ويتجلى إعجاب أبي منصور بالقرآن الكريم في كتب الامثال التي طال ما عقدفيها فصولا لامثال طبقـات من الناس يتمثل من القرآن الكريم بأحسن منها (٣) ، وفي القسم الثاني من فقه اللغة الذى اكثر فيه من الاستشهاد بآيات القرآن ، وجعل من عنوانه اشارة صريحة الى ذلك فسماه « سر العربية في مجـــاري كلام العرب وسننها ، والاستشهاد بالقرآن على اكثرها » .

ولقد كانت آيات القرآن الكريم حجة لابي منصور في كثير من آرائه ، فهو يرد على ابن قتيبة الذي ذهب الى ان المسكين هو الذي لا يملك شيئا ، ويرى انه اخطأ مستدلاً على ذلك بقـــوله تعالى : « اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر »(٤) واما المسألة التي اثارها ابن جنى حين عاب على المتنبي استعماله لفظة « سواك »

(١) فقه اللغة ٢ وهو متأثر في هذا برأي الجاحظ المشهور .

(٢) الاقتباس ، ورقة ١ ظهر و ٢ وجه .

(٣) التمثيل والمحاضرة ١٥ ، الاعجاز والايجاز ١٠ ،خاص الخاص١٧.

(٤) فقه اللغة ١٠٢ ،

في قولة : [من البسيط] :

قد شرف الله ارضا انت ساكنها   وشرف الناس إذ سواك انسانا

واقترح ابدالها بـ (انشاك) ، فان الثعالبي يرده فيها بقوله : « وقلت انا : ولو قال غير ما قال لم يكن فصيحا شريفا لان في القرآن « ثم سواك رجلا » فلا افصح ولا اشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره »(١) .

ويبدو ان تأثر ابي منصور بالقرآن كان عميقا ، فهو يستشهد بآياته الشريفة حتى في مداعباته (٢) ومحاجاته لاصدقائه (٣) .

لقد كان القرآن هو المعين الاول لثقافه ابي منصور ، اما المعين الثاني فقد تمثل في هذا التراث الضخم من الثقافتين العربية والمترجمة الذي تضمه الكتب على اختلاف مناهجها ، وتنوع مواضيعها ، وقد اغترف ابو منصور مما احتوته مكتبة الميكالي وما اتحفه به ابن المرزبان من كتب ، وكان يتتبع الحقيقة التي يريد اقتناصها في نوادر الكتب ، ويكد نفسه في سبيل الحصول عليها ، فاذا اطلعه الخوارزمي على قصيدة لشاعر تشوق لقراءة ديوانه ، وبقي « يسأل الرياح عنه »(٤) حتى يحصل عليه ، فان لم يجد ما يبتغيه راح يطلب الى العلماء من اصدقائه ان يؤلفوا له فيما يريد (٥).

---

(١) يتيمة الدهر ، ١: ٢٣٧ .

(٢) الكناية والتعريض ٥ ٤٩ .

(٣) الاقتباس ، ورقة ٣٦ وجه .

(٤) يتيمة الدهر : ٢، ٢٣٠ .

(٥) يتيمة الدهر ٤: ٣٢٩ أشار الى تأليف ابي نصر سهل بن المزربان كتاب « اخبار ابن الرومي » له .

ولقد بدا أثر ادمان الثعالبي القراءة في مؤلفاته ، فهي تحمل ثمار قرائح كثيرين ممن سبقه من العلماء الى جانب ثمار قريحته ، ويبدو انه كان كثير الاعجاب بمؤلفات الجاحظ وابن قتيبة والمبرد والصولي والصابي والقاضي الجرجاني ، ففي كتبه المختلفة نقول لا تحصى عنها.

شيوخه : لم يكن إدمان قراءة الكتب ليمنع أبا منصور من سماع أئمة علماء عصوره ولعل تسمية أحد كتبه بـ « احسن ما سمعت » تحمل دليلا خفياً على انه كان يسمع اكثر مما كان يقرأ .

ولقد ذكر ابن الانباري ان ابا منصور « اخذ عن ابي بكر الخوارزمي » (١) وسكت جميع القدماء عن ذكر اسماء شيوخ آخرين ، ولعل اختصارهم ترجمته كان السبب في ذلك ، ولكن الغالب على الظن ان ابا منصور لم يختص بشيوخ معينين - عدا الخوارزمي - ، وشفيع هذا الظن عدم تخصص الثعالبي في فرع من فروع العلوم ، فقد كانت معارفه وليدة تحصيل شخصي محض ، يأخذ من كل لون من الوان المعرفة بطرف ، ثم يمضي عنه الى آخر ، ولعل ميله الخاص الى علوم اللغة والأدب هو الأثر الوحيد الذي تركته تلمذته على الخوارزمي فيه.

ولو اننا استقرأنا كتب أبي منصور لوجدنا انه استكثر من روايات عن اعلام معينين قد لا نسلم - إن عددناهم شيوخا له - من الاعتساف، والبعد عن الصواب ، على انني لم اجد ضيراً في ذكر اسمائهم ، فهم ان لم يكونوا شيوخه فقد كان لهم أثر عميق في غزارة ما رواه ، ومن هؤلاء

(١) نزهة الالباء في طبقات الأدباء . ونقل ذلك محمد كرد علي في « كنوز الاجداد » ٢٢٣ ، ويوسف اليان سركيس في « معجم المطبوعات العربية » ٦٥٦ .

ابو الفتح علي بن محمد البستي (١) ، وابو علي محمدبن عمر الزاهر (٢)، وابو طاهر ميمون بن سهل الواسطي (٣)، وابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي (٤) ، وعون بن الحسين الهمداني (٥) ، والشيخ ابو بكر علي بن الحسن القهستانى (٦) وغيرهم .

ولقد فاقت رواياته عن الخوارزمي روايات هؤلاء جميعا في كثرتها (٧)، وفوق هذا فاننا لا نجد في روايات ابي منصور عن هؤلاء الاعلام ما نلمسه في رواياته عن الخوارزمي مما يشبه التصريح بتلمذته عليه ،

---

(١) روى عنه في يتيمة الدهر ٣ : ٦٨ ، ٣٩٣ و ٤ : ٣٥٣ ، ٣٢٧ وفي الكناية والتعريض ، ٩ وفي « من غاب عنه المطرب » ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، وفي « اللطائف والظرائف » ٤٨ ، وفي « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » ورقة ٦ وجه و١٨ وجه ، وفي « الاقتباس » ورقة ١١ وجه وظهر وورقة ٣٢ وجه ، « اللطف واللطائف » ورقة ٦ وجه .

(٢) روى عنه في يتيمة الدهر ١ : ١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ٢٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٤٢٠ ، ٤٣٢ ، ٤٢٣ ، ٢ : ٢١٧ ، ٣٧٢ و ٣ : ٣٥٨ و ٤ : ٤١٥ . وترجمته في اليتيمة ٤ : ٤١٥ .

(٣) روى عنه في يتيمة الدهر ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣ : ٣ ، ٤٠ وفي « اللطائف والظرائف » ٤٠ وفي « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » ورقة ٧ وجه .

(٤) روى عنه في يتيمة الدهر ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٢ ، و ٣ : ٣٢٥ و ٤ : ٥٠ ، ٣٠٣ وفي « الكناية والتعريض » ٦ ، ٤٨ وفي « ثمار القلوب » ٣٧٢ .

(٥) روى عنه في « يتيمة الدهر » ٣ : ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ .

(٦) روى عنه في تتمة اليتيمة ١ : ٥ ، ٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٨٧ و ٢ : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ وترجمته في تتمة اليتيمة ٢ : ٧٣ ومعجم الادباء ٥ : ١١٦ .

(٧) روى عنه في يتيمة الدهر ١ : ٤٥ ، ١٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٤٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، =

كتلقيبه اياه بـ « الاستاذ الطاهري » في جميع رواياته عنه في « الكناية والتعريض » و « الظرائف واللطائف » واشارته الى تعليقات أخذها عنه (٢) ، او روايات استنسخها منه (٣) . في كتب اخرى .

على ان ابا الفتح البستي كان يحتل مكانة خاصة من نفس ابي منصور تظهر واضحة في ترجمته له ، وفيما قاله في حقه ، من ذلك قوله (٤)

[من الوافر]

عشقت الجود جداً فهو طبعك ... وبست (٥) تراب « بست » فهي ربعك

وليس يريد هذا الدهر حصدي ... لأني في بني الآداب زرعك

فهو حين يعد نفسه زرع « بست » يشير اشارة خفية الى اعترافه بحق الأستاذية لأبي الفتح البستي دون غيره ، ذلك أن أبا منصور لم يحدثنا عن علاقة له بأحد من أهل بست غير أبي الفتح البستي .

= ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، و ٢ : ١١٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٣٦٣ ، و٣: ١٩٤، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦ ، و ٤ : ١٠٢ ، ١٥٠ ، ٢٤٢ . وفي « الكناية والتعريض » ٧ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٥٤ وفي « اللطائف والظرائف » ٦٩ وفي « من غاب عنه المطرب » ٢٤٩ ، وفي « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » ورقة ٥ ظهر و ١٥ ظهر وفي « ثمار القلوب » ٣٦ ، ٤٩٥ وفي « فقه اللغة » ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٧.

(٢) فقه اللغة ، ٤٢ ، ٤٧ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٢ : ١١٩ .

(٤) لطائف المعارف ٢٠٦.

(٥) البوس : التقبيل ، فارسي معرب . لسان العرب مادة (بوس) .

ولم يكن شباب أبي منصور هو المرحلة الوحيدة لتلقيه العلم، فقد حدثنا انه أفاد كثيرا من علماء كانوا يطرأون على نيسابور بعد سنة عشرين وأربعمائة للهجرة ، فيفيد منهم كثيرا وهو ابن سبعين سنة ويزيد . ومن هؤلاء العلماء أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي (١) ، وأبو يعلى محمد بن الحسن البصري (٢) .

لقد كان أبو منصور تلميذاً محبا للعلم وأهله في شبابه ، وكان عالما متعلماً في شيخوخته، يأخذ عمن يجد لديه بضاعة من العلم مزجاة، وتلك صفة العالم الذي يؤمن بانه متى ظن أنه علم فقد جهل (٣).

تلاميذه : أشار ابن بسام في حديثه عن أبي منصور الى ميل الناس الى الاغتراف من علمه ، وضربهم آباط الابل اليه (٤) .

وقد صرح الباخرزي بتلمذته على أبي منصور ورغبته في الاستضاءة

---

(١) تتمة اليتيمة ١ : ٦٣ وفيها ترجم له .

(٢) المصدر السابق ١ : ٨٩ وفيها ترجم له.

(٣) أشار محقق «الاعجاز والايجاز» في دراسته للثعالبي — المقدمة ٥ — الى أنه «أخذ عن أشهر العلماء الثقات كابن السكيت وابي عبيدة والأصمعي والخوارزمي وسيبويه والسيرافي والمبرد وابن جني وغيرهم» . ونحن إن وجهنا قوله إلى أحسن جهاته من حسن الظن قدرنا أنه استعمل لفظة «أخذ» لغير معناها الاصلاحي ، فقصد بها النقل عن كتب هؤلاء الذين توفي أكثرهم قبل أن يرى ابو منصور النور بكثير .

(٤) وفيات الأعيان ٢ : ٣٥٠ .

بنوره (١)، ولنا ان نعدّ كتابه « دمية القصر » ثمرة من ثمار تلك التلمذة.

وفي « يتيمة الدهر » اشارة الى انّ « بعض التلامذة » قرأوها عليه (٢).

وذكر ياقوت انه رأى نسخة من يتيمة الدهر عليها خط يعقوب ابن احمد بن محمد (٣) بالقراءة على الثعالبي (٤)، وليعقوب هذا أبيات قالها في الثعالبي يشكر فيها فضله بطريقة يفهم منها انه كان من تلامذته، منها قوله (٥) [من الطويل].

لئن كنت يامولاى أغليت قيمتي — واعليت مقداري واورثتني مجدا
وقصرت في شكر يك فالعذر واضح — وهل يُشكر المولى اذا اكرم العبدا؟

وأشار ياقوت ايضاً الى نسخة اخرى من اليتيمة بخط محمد بن اسحاق البحاثي (٦)، في معرض حديثه عن حسن خطه، ولكنه لم يشر الى قراءته اليتيمة على الثعالبي (٧)، وصرح الثعالبي بقراءة أبي المحاسن سعد بن محمد بن منصور رئيس جرجان كتاب اليتيمة عليه (٨).

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٦٢.

(٢) ٤ : ٤٥٠.

(٣) ترجم له في تتمة اليتيمه ٢ : ٢٠.

(٤) معجم الأدباء ٢ : ٣١٩.

(٥) تتمة اليتيمة ٢ : ٢٠.

(٦) ترجم له في تتمة اليتيمة ٢ : ٣٠ ولم يشر الى انه من تلاميذه.

(٧) معجم الادباء ٦ : ٤١٠.

(٨) تتمة اليتيمة ١ : ١٤٤ وفيها ترجم له.

وقد صرح البيهقي (١) بأنه سمع عن الثعالبي حين كان بنيسابور (٢).

ووردت روايات لنصوص من كتب الثعالبي في كتب متأخرة تنتهي اسانيد بعضها بأسماء اعلام سمعوا النصوص عن الثعالبي مباشرة ، من ذلك سند نصوص نقلها علي بن ظافر الأزدي ينتهي اسنادها بأبي محمد اسماعيل بن محمد النيسابوري عن الثعالبي (٣).

وذكر ابن خليفة الكتابي « المبهج » و « فقه اللغة » سنداً ينتهي بأبي محمد الحسين بن محمد بن احمد النيسابوري (٤) عن الثعالبي ، وذكر لكتاب « اجناس التجنيس » سندين ينتهي احدهما بأبي محمد المذكور عن الثعالبي وينتهي الآخر بأبي نصر محمد بن الفضل بن محمد السرخسي عن الثعالبي (٥) وقد وجدت مخطوطة « اجناس التجنيس » الموجودة بالاسكوريال تحمل السند نفسه (٦) .

ولابد ان يكون تلاميذ ابي منصور كثيرين ، ولعل عدم شهرة اكثرهم طمس اسماءهم ، فلم نعد نعرف عن مدرسة الثعالبي شيئاً

---

(١) ابو الفضل محمد بن الحسين البيهقي ، توفى سنة ٤٧٠ هـ، ترجمته في « الوافي بالوفيات » طبعة دمشق ٢ : ٢٠ .

(٢) تاريخ البيهقي ، ٧٣٥ .

(٣) بدائع البدائه ، ١٣٠ وقد روى الثعالبي لابي محمد بعض شعره في يتيمة الدهر ٤ : ٤٧٠ و « ثمار القلوب » ٤١٩ .

(٤) فهرسة ابي بكر بن خليفة ٣٦٨ ، ٣٧٠ .

(٥) المصدر السابق ٣٨٩ .

(٦) ورقة ١ وجه وورد فيها اسم ابي نصر بهذا الشكل « ابو نصر محمد بن مسعود السرخسي » .

كثيراً ، ولكن الأثر الذي بقي من دراسة الباخرزي على الثعالبي ظل يلوح متمثلا في المؤلفات التي نسجت على منوال اليتيمة لقرون طويلة منذ عصر الثعالبي حتى وقت قريب (١) .

ان قيمة ابي منصور العلمية لا تتجلى في عدداولئك الذين تخرجوا عليه من الادباء والعلماء بقدر ما تتمثل في هذا التراث الضخم من المؤلفات التي ظلت الاجيال تتدارسها ، وتنتفع بكنوزها الى يومنا هذا ، وستبقى كذلك الى ما شاء الله .

---

(١) اشار محقق « خريدة القصر ـ القسم العراقي » الى سلسلة الكتب التي نسجت على منوال اليتيمة ، وذكر ان آخرها كتب في القرن الثالث عشر ، مقدمة المحقق ١ : ٨٧ .

مؤلفاته : كان لابد ان تشغل مؤلفات أبي منصور بال كل من تعرض لترجمته من قدامى ومحدثين ، ذلك انه كان يعد من آحاد المؤلفين غزارة انتاج ، ووفرة عدد كتب .

ولقد تفاوت اصحاب التراجم في حرصهم على ذكر اسماء كتبه ، فمنهم من اكتفى بذكر المشهور منها ، ومنهم من ذكر اسماء ما رآه منها ، ومنهم من تسقط اسماءها وحرص على ان لا يفوته ذكر ماراى منها او سمع به أو قرأ عنه .

ولقد تكشف هذا الحرص - قديماً وحديثاً - عن قائمة قريبة الى الكمال لكتب الثعالبي ، ولكن الافراط في الحرص أدى احيانا الى الوهم والوقوع في اخطاء لم يتحر اصحابها الحقيقة ،فاشتبهت عليهم الأمور .

وكان أبا منصور أحس بما سيكون من أمر الخلط في ذكر كتبه ، فحرص على ذكر اسماء بعض كتبه في متون كتبه الاخرى ،ولم يكتف احياناً بذكر الاسم بل شرح منهج الكتاب واستشهد بشيء مما جاء فيه ، فكان مجموع الكتب التي ذكرها اربعة وعشرين كتابا انفرد بذكر سبعة منها لم يذكرها له احد من القدماء ، ولعل في كتبه التي تعد اليوم في حكم المفقود ذكراً لأسماء كتب عديدة فقدت مخطوطاتها أو نسبت في المكتبات الى مؤلف مجهول .

ولم يعبأ الباخرزي بذكر مؤلفات شيخه ، وكأنه رأى انها من الشهرة وذيوع الصيت بمكان لا يستوجب معه ذكرها .

وأشار الحصري في تقديم بعض النصوص للثعالبي الى انه نقلها من كتابين له ، سمى احدهما ولم يسم الآخر (١) .

---

(١) زهر الآداب ١٢٧ نقل عن (سحر البلاغة) وذكر اسمه ،و٣٦٠، ٣٦١ ، نقل عن (التمثيل والمحاضرة) ولم يسمه .

ويبدو ان دواعي الاضراب عن ذكر مؤلفات أبي منصور في تراجم معاصريه له بقيت قائمة حقبة طويلة من الزمان، فلم يحفل احد من كتاب التراجم خلال اكثر من قرن بذكر كتبه هذا النزر الذي طالعتنا به بعض الكتب، فقد ذكر ابن الانباري في ترجمته للثعالبي اسماء اربعة من كتبه (١)، اما ابن خلكان فذكر في ترجمته للثعالبي خمسة كتب (٢)، وأورد ذكر ثلاثة كتب اخرى في تضاعيف كتابه « وفيات الاعيان » (٣).

ويبدو ان كتب الثعالبي قد لقيت من عناية أهل الاندلس ما لم تحظ به عند المشارقة، لما هو معروف عن اهل ذلك الأفق من تعلق بآداب المشرق وعلومه، وحرصهم على اقتناء كل ما تفيض به قرائح أبنائه، « حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتاباً محكما » (٤).

وكان من نتيجة هذا ان طالعتنا اول قائمة موسعة لكتب الثعالبي من أفق الاندلس، قدمها الكلاعي صاحب كتاب « احكام صنعة الكلام » وقال في تقديمها: « اخبرني أبو الحسن بن بسام قال: اخبرني الوزير الفقيه ابو بكر بن العربي انه سقط اليه من تواليفه [يقصد الثعالبي]

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الادباء، ٢٥٠.

(٢) وفيات الاعيان، ٢ : ٣٥٢.

(٣) المصدر السابق، ذكر لطائف المعارف ونسبه الى الثعالبي ١ : ٣١ وذكر الغلمان ونسبه الى الثعالبي ١ : ٣٥ وذكر المنتحل ونسبه الى الثعالبي ٢ : ١٠٥.

(٤) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القسم الاول المجلد الاول ٢.

واحد وعشرون تأليفاً لم يسمها ابو الحسن المذكور ، ثم وجدت بعد موته تسميتها بخطه » (١) .

ولا ندري بعد ذلك أكان الكلاعي وجد اسماءها في « الذخيرة » أم في غيرها من مؤلفات ابن بسام ، لكنه أحسن صنعا اذ سمي هذه التأليف كلها بعد كلامه هذا ، فكان اول من قدم قائمة طويلة بكتب الثعالبي ان لم يكن سبقه احد ممن فقدت كتبهم ، ولم يتنبـه محققا « لطائف المعارف ـ للثعالبي » الى هذه الحقيقة حين زعما ان الصفدي « انفرد بذكر كتب ابي منصور ، ذكر له نحوا من تسعين كتابا » (٢) والحقيقة هي ان الصفدي قدم قائمة باثنين وثمانين كتابا ولكنها جاءت متأخرة عن قائمة الكلاعي بقرنين (٣) ، وقد نقل ابن قاضي شهبة قائمة الصفدي (٤) ، ثم لم يزد احد من القدماء على القائمة شيئا .

اما المحدثون ـ مستشرقين وعربا ـ فقد اهتموا بمؤلفات الثعالبي اهتماما بالغا ، فقدمت دائرة المعارف الاسلامية قائمة اوجزت فيها شرح مناهج تسعة وعشرين كتابا للثعالبي مستغنية بذلك عن تقديم ترجمة له (٥) .

ولما كان « بروكلمان » هو محرر مادة « الثعالبي » في « دائرة المعارف

---

(١) احكام صنعة الكلام ، ٢٣٢ .

(٢) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ١٤ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ وجة وظهر ،

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ـ٣٨٨ .

(٥) ٦ : ١٩٣ ـ ١٩٨ .

الاسلامية » فان القائمة التي قدمها لكتب الثعالبي في كتابه « تأريخ آداب اللغة العربية »(١) لا تختلف بشيء عن قائمة « دائرة المعـارف الاسلامية » .

وذكر حاجي خليفة ما يقرب من عشرين كتابا للثعالبي في اماكن متفرقة من « كشف الظنون »(٢) وزاد البغدادي عليه فذكر خمسة وعشرين كتابا (٣) . اما جرجي زيدان فقد ذكر ستة وثلاثين كتابا حرص على وصف منهج المطبوع منها وذكر مكان وجود المخطوط(٤)، وذكر الزركلي ثلاثة وثلاثين كتابا بين مطبـوع ومخطوط (٥) . اما محققو كتب الثعالبي فقد قدموا قوائم متفاوتة لكتبه نذكر منهاقائمة احمد عبيد التي ذكر فيها ستة وثلاثين كتابا (٦) ، وقائمـة ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي التي ذكر فيهااربعة وثمانين كتابا(٧)، وقائمة عبد الفتاح الحلو التى ذكر فيها ستة وثمانين كتابا معتمداً على قائمة ابن شاكر الكتبي في كتابه عيون التواريخ (٨) .

ولم يكن هؤلاء الرجال هم جميع من عني بذكر كتب الثعالبي ،

---

(١) ١ : ٢٨٤ . « بالالمانية » .

(٢) ١٤ ، ١٢٠ ، ٢٣٨ ، ٤٨٣ ، ٥٢٣ ، ٩٨١ ، ٩٨٥ ، ١٠١٦ ، ١٢٠٣ ، ١٢٨٨، ١٤٤٥ ، ١٤٨٨ ، ١٥٣٥ ، ١٥٥٤ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٩١١ ، ١٩٨٩، ٢٠٤٩.

(٣) هدية العارفين ، ١ : ٦٢٥ .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٥ .

(٥) الاعلام ٤ : ٣١١ .

(٦) سحر البلاغة مقدمة المحقق : د ٢ .

(٧) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ، ١٠ـ١٧ .

(٨) التمثيل والمحاضرة ، مقدمة المحقق ١٤ـ٢٠ .

فهناك آخرون قد يكون في ذكرهم إطالة لا مسوغ لها ، ذلك انهم اعتمدوا على المصادر التي اعتمد عليها هؤلاء .

وقد كان لابد من الرجوع الى جميع هذه القوائم ، والاستعانة بما لم اذكره منها ، مع الافادة من فهارس دور الكتب والمكتبات بعد دراسة ما تبقى من كتب الثعالبي ، للخروج بدراسة وافية لكتبه قائمة على المنهج التأريخي بقدر ما تسمح به وسائل البحث التي حد منها كثيراً فقدان اغلب كتب الثعالبي فكان حصيلة ذلك قائمة بمايقارب مئة كتاب هي :

١ ـ المنتحل « مطبوع » : نسبه ياقوت الى الميكالي نقلا عن كتاب مشارب التجارب لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفى سنة خمس وستين وخمسمائة (١) .

ونسبه ابن خلكان الى الثعالبي مرة والى الميكالي مرة اخرى(٢).

ونسب الصفدي المنتحل الى الثعالبي (٣) ، في حين نسبه معاصره ابن شاكر الكتبي الى الميكالي (٤) واكثر الباحثين من المحدثين على انه للثعالبي ، عدا جرجي زيدان الذي سماه « المنتخل » ونسبه الى الثعالبي ثم استدرك قائلا : « وبعضهم نسب المنتخل لأبي الفضل الميكالي معاصر الثعالبي » (٥) .

---

(١) معجم الأدباء ، ٥ : ٢٠٨ .

(٢) وفيات الاعيان ، ٢ : ١٠٥ و ٤ : ١٩٤ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ، ق٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٤) فوات الوفيات ٢ : ٥٢ .

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٨ .

وتابعه على تسميته بـ « المنتخل » كل من محققي لطائف المعارف ١٩ ، ومحقق « شاهنامة ثعالبي » مقدمة المحقق ب .

وتحمل مخطوطة دار الكتب المرقمة «٢٠٨٧ أدب» اسم المنتحل وهي منسوبة الى الثعالبي ، أما مخطوطة أيا صوفيا المرقمة «٤٥٥٠» فتحمل اسم المنتحل وهي منسوبة الى الميكالي .

وقد طبع الكتاب باسم «المنتحل» مع «المتنخل في تراجم شعراء المنتحل» وصححه الشيخ احمد ابو علي امين مكتبة الاسكندرية، منسوبا الى الثعالبي ، بمصر سنة ١٣٢١ هـ ، وقد حققه على نسخة مخطوطة فريدة لم يشر الى مصدرها .

وقد خرج مصحح «المنتحل» برأي طريف في نسبة الكتاب ، فبعد ان عرض آراء القدماء قال : «بيد ان الأمر فيه نكتة خفية لابد من اظهارها ، وهو ان الأمير الميكالي كان ممدوح الثعالبي ، وله فيه قصائد سيارة نال عليها جوائزه ، فلا غرو اذا ألف كتاباً مثل هذا ونسبه اليه ، أو انتحله الامير لنفسه ، وسكت عنه الثعالبي» (١).

وذهب الى ان تسميته بـ «المنتحل» «لا غرابة فيها اذا نظرنا الى قول المؤلف في مقدمته انه أودعه ما ينخرط في سلك الرسائل والمخاطبات ويندرج في اثناء الاخوانيات والسلطانيات» (٢).

ونحن لو عدنا الى الكتاب نفسه لاتضحت امامنا حقائق عدة ، قد تعين على توثيق نسبته ، ومن هذه الحقائق ان الكتاب يقع في خمسة عشر باباً يتناول كل باب منها غرضا شعرياً جمعت فيه نصوص شعرية تنخرط في سلك الغرض ، ولا عمل للمؤلف في الكتاب الا الجمع والاختيار ، وذلك هو منهج كثير من كتب الثعالبي مثل «احسن ما سمعت» و «من غاب عنه المطرب» و «سحر البلاغة» .

(١) المنتحل ، مقدمة المصحح ، ٣ .

(٢) المصدر السابق «المتن» ، ٣ .

ويلاحظ ان عناوين ابواب المنتحل تشبه عناوين فصول كتب لم يختلف أحد على نسبتها الى الثعالبي . فعنوان الباب الاول من المنتحل « في الخط والبلاغة » هو عنوان الفصل الاول من « من غاب عنه المطرب » . والباب الرابع من المنتحل « مكارم الاخلاق والمديح » هو عنوان الباب التاسع من « احسن ما سمعت » وعنوان الباب الرابع عشر من المنتحل « في العيادة وما ينضاف اليها » يشبه عنوان الباب الثامن عشر من سحر البلاغة « في العيادة وما يجانسها » ويشبه عنوان الباب التاسع عشر من « احسن ما سمعت » « في الامراض والعيادات وما ينضاف اليها » .

اما مادة ابواب المنتحل فتختلف عن مادة كتب الثعالبي المشابهة. فالمنتحل يعنى بنصوص القدماء كعنايته بشعر المحدثين ، بينما لا تتناول كتب الثعالبي شعر القدماء الا في القليل النادر .

وليس في ابواب المنتحل أي ترتيب منهجي لاسماء اصحاب النصوص ، فقد وردت اسماء الشعراء في الباب الاول مثلا بهذا التسلسل : البحتري، كشاجم ، ابن أبي البغل ، أبو الفتح البستي ، ابن الرومي ، المتنبي ، المريمي ، ابن مندويه ، علي بن الجهم ، الوزير المهلبي ، الصابي ، ابو فراس ، الصابي « ثانية » ابن طاهر ، ابن الرومي « ثانية » ...الخ.

وهذا المنهج يخالف ما ألفناه من منهج الثعالبي في ذكر اسماء الشعراء على تسلسلهم التاريخي (١) ، على ان الباب العاشر من المنتحل خالف بقية الابواب فأورد اسماء الشعراء على التسلسل التاريخي فأشبه في

---

(١) الاعجاز والايجاز ، الباب العاشر ١٣٦ ، خاص الخاص ، الباب الرابع ٩٥ .

منهجه منهج الثعالبي ، واشبهت النصوص التي وردت فيه النصوص التي وردت في الابواب المماثلة من كتب الثعالبي (١) .

وثمة ملاحظة اخرى هي ان تسمية الشعراء في المنتحل تخالف تسميتهم في كتب الثعالبي ، فقد ورد اسم « ابي تمام الطائي » في المنتحل (٢) ، ويسميه الثعالبي « ابا تمام حبيب بن اوس » (٣) ، وورد اسم « ابي الفضل محمد بن العميد » في المنتحل (٤) ،ويسميه الثعالبي « ابو الفضل بن العميد »(٥)، وورد اسم « علي بن الرومي » في المنتحل(٦) ويسميه الثعالبي « ابن الرومي »(٧) ؛ وورد اسم « علي البسامي » في المنتحل (٨) ، ويسميه الثعالبي « ابن بسام »(٩) .

ومما يثير الانتباه أن المؤلف لم يورد لنفسه شيئا من النصوص كما اعتاد الثعالبي أن يفعل في كتب الاختيارات التي ألفها بلا استثناء .

---

(١) ورد في الباب العاشر من المنتحل كثير من النصوص التي وردت في البابين المشار اليهما في هامش الصفحة السابقة باعيانها .

(٢) ١٤٤ ، ١٥٤ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٩٤ ، الاعجاز والاعجاز ١٨٥ .

(٤) ١٢٢ .

(٥) التمثيل والمحاضرة ١٢١ ، لطائف المعارف ٤٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، الاعجاز والايجاز ٢٢٦ ، خاص الخاص ١٥٨ .

(٦) ٧٨ ، ٢٢٤ .

(٧) التمثيل والمحاضرة ١٠٠ ، لطائف المعارف ٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، الاعجاز والايجاز ٢٧١ ، خاص الخاص ١٢٨ .

(٨) ١٥٥ .

(٩) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ ، لطائف المعارف ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٣ .

ويقابل هذا ما ورد في المنتحل من نصوص للميكالي ، قال مؤلف المنتحل في تقديمها : «وقال ابو الفضل عبيد الله الميكالي»(١) ولو كان الميكالي هو المؤلف لكان الأجدر به أن يقول : «قال مؤلف الكتاب» أو ما يشبه ذلك .

إن بعض الأدلة المستقاة من منهج الكتاب ومادته يشير الى انه من تأليف الثعالبي ويشير بعضها الى انه لغيره . فكأن الادلة مجتمعة تقود الباحث الى طريق مسدود ، ولكنها تحمل في الوقت نفسه مفتاح السر وهو ان مؤلف كتاب المنتحل ليس الثعالبي وحده ، ولا الميكالي وحده ، انما هو لهما مجتمعين .

وثمة أدلة تشير الى هذه المشاركة في التأليف، منها ما ذكرته من أن الميكالي اخرج للثعالبي فصولا اودعها بعض كتبه (٢) ، فمن غير المستبعد ان يشترك الرجلان في تأليف كتاب برأسه ، ومنها ما أشرت اليه من اضطراب في وحدة منهج « المنتحل » حتى كأنه مؤلف على منهجين ، ومنها ما ورد من تناقض في نسبة بعض النصوص في الكتاب ، فقد ورد في باب الاستعطاف والمعاتبات بيتان نسبا الى البستي (٣) ، وورد الثاني منهما في باب الذم وذكر المقابح منسوبا الى الخوارزمي (٤) .

ان اختلاف القدماء في نسبة الكتاب الى الثعالبي والى الميكالي له ما يسوغه ، فقد صنف الرجلان الكتاب في اوائل حياتهما العلمية ،

---

(١) ٢٤٨ .

(٢) يتيمة الدهر ٣ : ١٧٠ ، ٣ : ٢٤٣ .

(٣) ١١٣ .

(٤) ١٣٦ .

وكتبا اسميهما على نسخته فاشتهرت نسبته الى احدهما عند فريق من المؤرخين والى الآخر عند فريق آخر ، وتلك مسألة لا غرابة فيها فقد سبقهما الخالديان الى هذا السبيل .

٢ ـ فضل من اسمه الفضل « مفقود » : انفرد الثعالبي بذكره ، ولم يشر اليه احد من القدماء ، ولم يتنبه المحدثون الى انه مذكور في كتابين من كتب الثعالبي (١) .

واغلب الظن ان الكتاب مؤلف باسم أبي الفضل الميكالي بمناسبة ولادة ابنه « الفضل ». ولابد من ان تكون ولادة الفضل قدوقعت في وقت مبكر من علاقة الثعالبي بالميكالي ، ذلك ان الثعالبي كنى الميكالي بأبي الفضل في كتاب الاقتباس الذي ألفه في حدود سنة تسعين وثلثمائة (٢) .

والراجح ان يكون الكتاب قائماً على ذكر مناقب اشخاص سموا بـ (الفضل) وما قيل فيهم ، وما صدر عنهم من اقوال وافعال ، يوحي لنا بذلك اسم الكتاب ، ومنهج الثعالبي العام في تآليفه .

٣ ـ السياسة « مفقود » : ذكره الثعالبي في كتاب المتشابه (٣) ، وذكره الصفدي بهذا الاسم (٤) وتابعه ابن قاضي شهبة (٥) .

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٤٣٣ ، ثمار القلوب ٢٩٣ .

(٢) ورقة ٢٦ وجه .

(٣) ٢١ .

(٤) الوافي بالوفيات ، ١٥ـ١٧ ، ق٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .

ولما كان المتشابه مؤلف باسم الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين في فترة امارته على نيسابور بين سنتي تسع وثمانين وست وتسعين وثلاثمائة ، فلابد من ان يكون كتاب « السياسة » مؤلف في وقت مبكر من تلك الفترة .

ويبدو من النص الوحيد المتبقي من الكتاب ، وهو النص الذي ورد في المتشابه ، ان منهجه قائم على ذكر اقوال تشبه الحكم من انشاء الثعالبي في السياسة ، وفيما يجب على الملك ان يتصف به ، وما يترتب عليه تجاه رعيته من واجبات .

٤ ـ المبهج « مطبوع » : ذكره الثعالبي في عدد كبير من كتبه، ونقل كثيراً من نصوصه (١) وذكره القدماء والمحدثون بهذا الاسم، وترددت دائرة المعارف الاسلامية بين تسميته بـ« المبهِج » أو « المبهَج » (٢) .

منه نسخ مخطوطة في برلين وباريس وكوبريللي (٣) ، وفي مكتبة الأوقاف العامة بالموصل نسخة منه برقم «٨/١٠ حسن باشا» ، ونسخة

---

(١) المتشابه ١٩ ، التمثيل والمحاضرة ٤ ، الكناية والتعريض ، ٤٤ ، اللطائف والظرائف ٥ ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ٢٢ وجه و ٢٣ ظهر و ٢٥ وجه ، الاعجاز والايجاز ٢٢ ، ثمار القلوب ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٢٧ ، ٢٣١ ، ٣٤٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٥٧٣ ، ٦١٨ ، ٦٣١ ، ٦٣٦ ، ٦٥٤ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٦٦ ، ٦٧٠ ، ٦٧٦ ، ٦٧٩ ، ٦٨٤ ، ٦٨٨ . مرآة المروءات ٣١ ، تتمة اليتيمة ٢ : ٤٥ .

(٢) ٦ : ١٩٥ .

(٣) تأريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧ .

بدار الكتب برقم «٣١٧ أدب» ونسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم «٢٢١ مجاميع» .

طبعت منتخبات منه في القسطنطينيه في « اربع رسائل » الجوائب، ١٣٠٢ هـ وهو الرسالة الثانية من المجموع وطبع كاملا في مطبعة النجاح بمصر سنة ١٩٠٤ م عن نسخة مخطوطة كتبت سنة ٧٣٢ هـ.

وقد صرح المؤلف في مقدمته باهداء الكتاب لقابوس بن وشمكير (١) ، وقد كان ذلك في زيارته الأولى له ، (٢) فيكون تأليفه قبل سنة تسعين وثلاثمائة للهجرة ، وفي مقدمته ما يشير الى انه أعاد تأليفه مرة اخرى لما رآه من اعجاب الناس به ، ورتبه على سبعين بابا (٣) .

والكتاب من إنشاء الثعالبي ، يتناول في كل باب من أبوابه موضوعا أدبياً أو سياسياً او اجتماعياً وما الى ذلك من مظاهر الحياة مسجلا خواطره الخاصة في جمل نثرية قائمة على الصناعة اللفظية ، تبدو كل جملة مستقلة عن الاخرى ، ولكنها تجتمع في الغرض الذي عقد عليه الباب ، وتتخللها احيانا أبيات من شعره .

٥ - أجناس التجنيس . أو «المتشابه» «مطبوع» سماه الكلاعي: «اجناس التجنيس» ونسبه الى الثعالبي (٤) ، وذكره ابن ابي الاصبع بهذا الاسم ونسبه الى الثعالبي (٥)، ولكن الصفدى ذكر للثعالبي «أجناس

(١) ٥٢.

(٢) التمثيل والمحاضرة ٥٤ .

(٣) ٥٢.

(٤) احكام صنعة الكلام ، ٢٣٢ .

(٥) بديع القرآن ، ٨ .

التجنيس» ثم ذكر له كتابا باسم «المتشابه لفظا وخطا» على انه كتاب آخر (١)، وتابعه ابن قاضي شهبة على ذلك (٢) .

وذهب اكثر المحدثين الى نسبة كتابين الى الثعالبي ، احدهما باسم « أجناس التجنيس » والآخر باسم « المتشابه »(٣) . ولا نعلم من اين اتى محققا لطائف المعارف بقولهما ، « المتشابه لفظا وخطاً وهو ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الذي طبع في مصر سنة ١٣٢٦ هـ »(٤) ولعلها اطلعا على مخطوط ثمار القلوب ابدلت صفحة عنوانه ، فاوقعهما ذلك في الوهم .

ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة كثيرة يحمل بعضها عنوان « أجناس التجنيس » ويحمل الآخر عنوان « المتشابه » ، ففي الاسكوريال مخطوطة منه بعنوان « أجناس التجنيس » ضمن مجموعة برقم ٣٦٣ ، تمتاز من غيرها بانها تحمل سند رواية ابي طاهر احمد بن ابراهيم الاصبهاني منتهيا بابي محمد الحسين بن احمد النيسابوري عن الثعالبي ، وبأبي نصر محمد بن مسعود السرخسي عن

(١) الوافي بالوفيات ٥١ — ٧١ ، ق٢ ، ٢٦٩ ظهر .

(٢) طبقات النحاة اللغويين ٢ : ٣٨٨ .

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان ٢ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ولما سماه الزركلي في « الاعلام » ٤ ، ٣١١ باسم « التجنيس » ذهب محققا لطائف المعارف الى ذكر ثلاثة كتب للثعالبي باسم « اجناس التجنيس » و « التجنوس » و « المتشابه » مقدمة للمحققين ١٤ ، ١٥ ، ١٨ .

(٤) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ، ٢١ .

طريق آخر(١) .

وفي دار الكتب ثلاث نسخ منه اثنتان منها بعنوان اجناس التجنيس وهما برقم « ١٢٨ بلاغة » و « ٤٨٠ مجاميع » والثالثة بعنوان « المتشابه » برقم « ١١٦ مجاميع » .

وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي في العدد العاشر من مجلة كلية الاداب في نيسان ١٩٦٧ م « ص ٦-٣٣ مع مقدمة المحقق » على نسخة واحدة مصورة في المجمع العلمي العراقي برقم ٩٦/م عن نسخة دار الكتب المرقمة « ١١٦ مجاميع » باسم « المتشابه » .

والغالب على الظن ان اسم الكتاب هو « اجناس التجنيس » بدليل ذكر الكلاعي وابن ابي الاصبع هذا الاسم وكلاهما اقدم من الصفدي الذي ذكر « المتشابه لفظا وخطا » ، وهو عنوان الفصل الثالث من الكتاب .

وقد صرح المؤلف باهداء الكتاب للامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين ، والراجح ان يكون كتبه له في فترة امارته على نيسابور ، اي قبل سنة ست وتسعين وثلاثمائة للهجرة ، ذلك ان الكتاب قائم على منهج بسيط يتناول فكرة واحدة هي الجناس والتمثيل لانواعه بنصوص من الشعر والنثر ، مما يوحي بانه من مؤلفات الثعالبي المبكرة ، يضاف الى ذلك انه لم يذكر فيه غير اسم كتابين من

---

(١) ورقة ١ وجه ، وورد اسم ابي نصر فيها بهذا الشكل وهو في فهرسة ابي بكر بن خليفة ٣٨٨ « ابو نصر محمد بن الفضل السرخسي » .

كتبه الاولى وهما « المبهج » و « السياسة »(١) ، ويؤكد ذلك مـــا قطع به الثعالبي على نفسه من وعد بان يكون الكتـاب « مقــدمة لاخوات له في سائر الفنون »(٢) وما برّ به وعده بتأليف كتاب « الاقتباس من القرآن الكريم » الذي اهــداه للامير ابي المظفر نفسه ، فامكننا معرفة ذلك من تغليب الظن بصحة كون « اجنـاس التجنيس » مؤلفـا في فترة مبكرة من عهد امارة ابي المظفر عــلى نيسابور ، ذلك ان الاقتباس مؤلف في ذلك العهد نفسه .

٦ـ الاقتباس « مخطوط » : ذكره الثعالبي في « يتيمة الدهر »(٣) وفي « الكناية والتعريض »(٤) ، ولم يخالف احد في اسمه ونسبته ؛ منه نسخة مخطوطة في مكتبة سليم اغـــا برقم « ١١٣ » بعنوان « الاقتباس من القرآن الكريم » وفي معهد المخطوطات المصـــورة بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها برقم « ٢٦ التفسير وعـلم القرآن » تقع في ١١٩ ورقة .

والكتاب مؤلف في فترة امارة ابي المظفر على نيسابور اي قبـل سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، ذلك انه مـــذكور في كتاب الكناية والتعريض الذي الف سنة اربعمائة للهجرة ، وقـــد صرح المؤلف في مقدمته باهداء الكتاب الى الامير ابي المظفر(٥) ، ويبدو انه الفه

---

(١) المتشابه ١٩ ، ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ١١ .

(٣) ٢ : ٢٤٣ .

(٤) ١٩ .

(٥) ورقة ١ وجه .

تنفيذا لوعده الذي قطعه على نفسه في مقدمة « اجناس التجنيس » بان يؤلف للامير كتبا اخرى في مثل هذا الفن .

وكتاب الاقتباس يتناول فنا بلاغيا هو الاقتباس من القرآن الكريم ، وهو يقع في خمسة وعشرين بابا مفصلة ، يغلب على الظن انها ثلاثة وعشرون ، اما البابان الاخيران فقد اضيفا اليه فيما بعد ذلك ان عنوان الباب الثالث والعشرين هو « في فنـــون مختلفة الترتيب » وهذا العنوان هو عنوان الباب الختامي لكثير من كتب الثعالبي(١) ، وان البابين الاخيرين وهما « في الدعوات المستجابة » و « في الرقى والاحراز » يختلفان في العنوان والاسلوب عما هـــو مألوف في كتب الثعالبي .

ومنهج الكتاب قائم على الاقتباس من القرآن الكريم لفظـا او معنى او عملا ، ولكنه لم يقتصر على « الاقتباس » في إطاره البلاغي المحدود ، بل تجاوزه الى كل ما يتعلق بالقرآن الـكريم من شعر ونثر ونوادر واجوبة مسكتة ، وقد ترد فيه فصول برأسها لا عـلاقة لها بمفهوم الاقتباس البلاغي ، مثل (فصل في ذكر أخلاق النبي)(٢) ومثل الفصول التي عقدها للجناس والطباق والتشبيه والاستعارة في القرآن الـكريم(٣) .

وكتاب الاقتباس صورة لنضج ثقافة مؤلفه بمـا احتوى عليه من

---

(٢) هو عنوان الباب الاخير من « احسن ما سمعت » « من غـــاب عنه المطرب » « اللطائف والظرائف » .

(٢) ورقة ١٣ وجه وظهر .

(٣) ورقة ١٠٢ ظهر ـ ١٠٧ ظهر .

معارف متعددة ، ونظرات دقيقة تدل على اطلاع واسع وعلو كعب في التأليف .

٧ـ سحر البلاغة « مطبوع » : ذكره الثعالبي بهذا الاسم(١) ، وأكثر القدماء على ذلك ، عدا الكلاعي الذي سماه « السحر والبلاغة » (٢) ولكن أغلب مخطوطاته جاءت بعنوان « سحر البلاغة وسر البراعة » حتى ان طاش كبرى زادة عده كتابين ، فذكر « سحر البلاغة » و « نشر البراعة » (٣) . ومن هذه المخطوطات نسخة في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٦٧٢٤ ، ونسخة في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل ضمن مجموعة برقم ٨/١٠ حسن باشا ، ونسخة مصورة في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم « خزانة ٦٥٦ » نسبت خطأ الى أبي البركات محمد بن عيسى بن سعد(٤) . ونسختان في مكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم (٩٣٤٥) و (١١١٨٥) باسم الثعالبي .

وأشار جرجي زيدان الى وجود نسخ مخطوطة اخرى في برلين

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٢٢٥ .
(٢) إحكام صنعة الكلام ٢٣٣ .
(٣) مفتاح السعادة ١ : ٢٣٢ .
(٤) فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٤٨٠ ، ٤٨١ ، لم يتنبه واضع الفهرس الى التناقض بين التاريخ الذي زعم ان المؤلف كتب المخطوطة فيه وهو سنة ٦١٠ هـ وبين العصر الذي عاش فيه الأشخاص الذين أهديت لهم نسخ الكتاب الثلاث ، وذكرت أسماؤهم جميعا من رجال القرن الخامس الهجري .

وفينا وكوبريللي(١) .

وتوجد نسخة مخطوطة في مكتبة الدراسات الاسلامية العليا ببغداد برقم ١٢١٧ عنوانها « لباب الآداب » للثعالبي ، وجدت - بعد أن درستها - أنها منتخبات من سحر البلاغة نفسه ، واصل المخطوطة الموجودة بالمكتبة السليمانية بعنوان « لباب الأدب » للثعالبي برقم « ٢٨٧٩ »(٢) والمخطوطة الموجودة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة بعنوان « الآداب » برقم « ٧ أدب »(٣) هما أيضا مختارات من هذا الكتاب .

وقد طبعت منتخبات من الكتاب بعنوان « سحر البلاغة » في القسطنطينية في مجموعة « أربع رسائل » سنة ١٣٠٢ هـ .

وطبع كاملاً بعنوان « سحر البلاغة وسر البراعة » في دمشق بتحقيق السيد احمد عبيد عن نسختين خطيتين (٤) .

وقد صرح المؤلف باهداء النسخة الاولى من الكتاب الى الرئيس

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧ .

(٢) المختار من المخطوطات العربية في الاستانة ، ٤٧ .

(٣) مخطوطات جامعة الرياض المصورة ١ : ٧ .

(٤) الطبعة غير مؤرخة ، وقد قال المحقق انه اعتمد على نسختين الأولى ناقصة من المدينة المنورة ، أتم نقصها من مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ، وذكر ان نسخة دار الكتب المرقمة « ٤ ش » بعنوان « سحر البلاغة وملح البراعة » ليست كتاب سحر البلاغة نفسه ، إنما هي كتاب آخر للثعالبي ، ولكنه لم يذكر اسمه . مقدمة المحقق ، ٢.

أبي سهل الحمدوني والنسخة الثانية الى صاحب الجيش أبي عمران موسى بن هارون الكردي والنسخة الثالثة الى ابي الفضل الميكالي(١).

ويبدو ان الكتاب مؤلف قبل سنة ٤٠٠ هـ لان الثعالبي ذكره في النسخة الثانية من يتيمة الدهر التي كتبها سنة ٤٠٣ هـ ، ولكن هذا لا يمنع من ان تكون النسخة الاخيرة منه كتبت في تاريخ متأخر لا نعرف عنه شيئا .

يقع الكتاب في اربعة عشر قسما ، عقد كل قسم منها لغرض من الاغراض الادبية المألوفة وسلك المؤلف في كل قسم اقوالاً لاعاظم كتاب عصره ، وحل أبيات كبار الشعراء باسلوبه ، ولكننا لا نستطيع ان نفصل بين النوعين إلا قليلا ، لان المؤلف - بخلاف عادته - لم يهتم بنسبة النصوص الى قائليها الا في القسم الرابع عشر منه .

وكان من اثر شهرة هذا الكتاب ان لم يتخل احد ممن ترجموا للثعالبي عن ذكره الى جانب « يتيمة الدهر » ، ونقل بعضهم قول ابي يوسف يعقوب بن احمد بن محمد تلميذ الثعالبي فيه (٢) [من الوافر] .

سحرت الناس في تأليف سحرك   فجاء قلادة في جيد دهرك
وكم لك من معال في معان   شواهد عندنا بعلو قدرك
وقيت نوائب الدنيا جميعاً   فأنت اليوم جاحظ أهل عصرك

(١) مقدمة المؤلف ٣ .

(٢) تتمة اليتيمة ٢ : ٢٠ ، ٢١ ونقل الصفدي في (الوافي بالوفيات ١٥-١٧ ، ق ٢ : ٢٦٩ وجه) ، هذه الابيات .

٨ـ التمثيل والمحاضرة « مطبوع » : ذكره الثعالبي بهذا الاسم(١) ونقل الحصري نصوصا منه ونسبها الى « كتاب للثعالبي » لم يسمه(٢) وذكره القدماء جميعا بهذا الاسم ، ولكن دائرة المعارف الاسلامية(٣) وجرجي زيدان(٤) ترددا بين هذا الاسم واسم آخر هو « التمثل والمحاضرة » .

وفي معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية خمس نسخ مصورة منه بعنوان التمثيل والمحاضرة ،(٥) أما نسخة دار الكتب الموجودة ضمن مجموعة برقم « ٤٩٢ » فهي بعنوان « التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة » وكذلك المخطوطتان الاخريان المرقمتان « ٦٠٠ أدب » و « ٢٠٨٣ أدب » .

ولعل التسمية الاخيرة جاءت نتيجة إضافة من أحد النساخ المولعين بالسجع ، أما عنوان « التمثل والمحاضرة » فلعل لدائرة المعارف الاسلامية عذراً في سوء الترجمة ، أما جرجي زيدان فيبدو أنه نقل وهم دائرة المعارف بأمانة .

وقد طبعت منتخبات من الكتاب في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ، ضمن مجموعة « أربع رسائل » ، وطبع كاملاً بمصر سنة ١٩٦١ م

---

(١) ثمار القلوب ، ٣٣ ، ١١٩ ، ٥٧٨ ، ٦١٩ .

(٢) زهر الآداب ، ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٣) ٦ : ١٩٦ .

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ، ٢ : ٥٩٧ .

(٥) فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٤٢٩ .

بتحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ، وعنوان الطبعتين كليهما « التمثيـل والمحاضرة » .

وقد صرح المؤلف باهداء الكتاب الى الامير شمس المعالي قابوس ابن وشمكير في زيارته الثانية له(١) ، وقد ذكرت سالفاً ان هذه الزيارة وقعت سنة ٤٠٠ هـ ولهذا يرجح أن يكون تأليف الكتاب بين هذه السنة وسنة ٤٠٣ هـ وهـي السنة التي قتل فيها الامـير شمس المعالي .

والكتاب في الامثال التي تفنن المؤلف في تبويبهـا ودراسـتها وتناولها من أوجه مختلفة ، فهو يتحدث تارة عما جاء منها في القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والتـابعين وأعلام النـاس قديماً وحديثاً مع دراسة بلاغية لها ، ويتناول تارة العلاقة بين المثل وجنس صناعة صاحبه ، ويذهب ثالثة الى جمـع الامثال التي تتعلق بمظاهر سماوية وأرضية ، ولا ينسى أن يفرد فصلاً لما قيل من أمثال في مدح أشياء وذمها بأعيانها .

إن ما يتميز به كتاب الثعالبي هذا من جميـع كتب الامثال المعروفة في الادب العربي هو هذا التبويب البارع الذي اخضع لـه منهج الكتاب فابعده عن النسق المعجمي لكتب الامثال ، (٢) يضاف

(١) ٣ .

(٢) ذكر عبدالجبار عبدالرحمن كتاب التمثيل والمحاضرة رابع سبعة كتب في الامثال رتبها حسب قدمها ، وذكر انها جميعاً ـ عدا كتاب الثعالبي ـ مرتبة على الاحرف الهجائية . المراجع العربية والمعربة ٢٩٠ ، ٢٩١ .

الى ذلك أن المؤلف لم يقتصر في كتابه على الامثال المتداولة المعروفة بل ذهب الى جمع كل ما يجري مجرى المثـــل من اقوال القـــدماء والمحدثين ، فجعل كتابه روضة تقل أفانين مختلفات الثمر من ادب هذه اللغة العريقة .

إننا لا نغلو إذا قلنا إن « التمثيل والمحاضرة » واحد من أحسن كتب الثعالبي مادة ومنهجاً ، ولعل الرجل أحسن بذلك فاستوحى من منهج عدد من فصوله مناهج جعل كلا منها أساساً لكتاب برأســـه فيما بعد .

٩ـ الأمثـــال « مخطوط »

ذكر الصفدي كتابا باسم الامثـال والتشبيهات(١) ، وتـابعه ابن قاضي شهبة(٢) ، وخلط اكثر المحدثين بينه وبين كتـاب آخر اسمه « الفرائد والقلائد » وسيأتي بحثه .

وتوجد في المكتبة الاحمدية بتونس نسخة مخطوطة منه بعنوان « الامثـــال » برقم « ٤٧٣٤ » ، وتوجد نسختان اخريان في معهد إحياء المخطوطات بجامعـــة الدول العربيـــة الاولى برقم « خزنة ٣/١١٥٠ »(٣) والثانية برقم « فيض الله ٣١٣٣ » .

لم يصرح المؤلف باهداء الكتاب لاحد ، ولكنه شرح منهج الكتاب

---

(١) الوافي بالوفيات ، ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .

(٣) ذكر واضع فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٤٢٧ انها (٦٨ ورقة) والواقع انها « ١٨ ورقة » .

في مقدمة(١) والكتاب في الامثال ، قسمه المؤلف احد عشر ومئة باب عقد كل باب لغرض أدبي تناول فيه ما قيل في مدح شيء وذمه بعينه من القرآن الكريم والحديث الشريف واقوال العرب والعجم والخاصة والعامة ثم الشعر . واودعه نبذاً من أقواله في كتاب « المبهج »(٢)، ان منهج « الامثال » يشبه منهج بعض فصول « التمثيل والمحاضرة »(٣) مما يؤيد الظن بأن الكتابين مؤلفان في وقتين متقاربين .

١٠- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر « مطبوع »

ذكره الثعالبي في عدد من كتبه (٤) ، ولم يتخلَّ عن ذكره أحد من القدماء والمحدثين ، حتى عرف الثعالبي لدى الناس بانه « صاحب اليتيمة » ، وحتى اكتفى ياقوت ، عندما نقل بعضا من تراجم اليتيمة ، بان قال « قال الثعالبي في كتابه »(٥) .

وتكاد كل المكتبات التي تقتني المخطوطات لا تخلو من نسخة ناقصة او كاملة او اكثر من نسخة منه ، ولهذا يصبح ذكر مخطوطاته خروجا عن دائرة هذا البحث ، وحسبي ان اشير الى دراسة

---

(١) ورقة ١ وجه .
(٢) ورقة ٤ وجه نسب المؤلف الى نفسه حكما لم يذكر مصدرها وقد وردت في المبهج ٣٧ .
(٣) الفصل الاول ١٥-١٧ والقسم الثاني من الفصل الرابع ٤٠٧-٤٥٩ .
(٤) سحر البلاغة ، ٣ ، ثمار القلوب ، ٧٤ ، تتمة اليتيمة ١ : ١٦٤ .
(٥) معجم الادباء ١ : ٣٢٥ و ٢ : ٩٦ .

بروكلمان(١) ، وعمر رضا كحالة(٢) لهذه المخطوطات .

وقد طبع الكتاب في دمشق سنة ١٣٠٤ هـ بأربعة اجزاء غير مفهرسة ، وصدر في كلكتا فهرس للاشخاص والاشعار والاماكن لهذه الطبعة صنعه أبو موسى احمد الحق سنة ١٩١٥ م .

وطبعت اليتيمة في مصر سنة ١٩٥٦ م بتحقيق الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد باربعة اجزاء غير مفهرسة .

بدأ الثعالبي بتأليف النسخة الاولى من هذا الكتاب سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ليهديه لاحد الوزراء كما صرح في مقدمته(٣) ، ولكنه اعاد تأليف الكتاب لما رآه من شهرته وليكمل ما فيه من نقص ففرغ من كتابة النسخة الثانية سنة ثلاث واربعمائة بجرجان(٤) .

وكتاب اليتيمة مؤلف فى تراجم الشعراء ، وقد قسمه المؤلف اربعة اقسام تناول في كل قسم شعراء بيئة واحدة ، فخص شعراء الشام وما يجاورها بالقسم الاول وهو اكبر الاقسام ، وخص شعراء دولة آل بويه بالقسم الثاني ، وخص شعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان بالقسم الثالث ، وخص شعراء خراسان ، وما وراء النهر بالقسم الرابع .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية « بالالمانية » ١ : ٢٨٤ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٥، ٦ سنة ١٩٤٥ م ٢٧٢

(٣) ١ : ١٧ .

(٤) صرح بذلك في تتمة اليتيمة ١ : ١٤٥ ، ولعل هذا التصريح يقلل من اهمية ما ذهب اليه عباس اقبال في مقدمته « بالفارسية » لتتمة اليتيمه ١ : ٥ ، من ان النسخة الثانية من اليتيمة كتبت في الجرجانية . واهديت لخوارزم شاه .

وكل قسم من الاقسام موزع على عشرة فصول يتناول في كل فصل ترجمة شاعر أو اكثر حتى بلغت تراجم بعض الفصول العشرات .

ولعل مادة الكتاب وتقسيمه اربعة وعشرة يوحيان بتأثر الثعالبي بطبقات ابن سلام من حيث التقسيم الشكلي .

وقد ذكر ابن خلكان ان اليتيمة ذيل على كتاب « البارع » لهارون بن علي المنجم(١) ، وذلك صحيح ان كان قصد كونها من المؤلفات التي اهتمت بتراجم المحدثين ، ولكن اليتيمة ان اشبهت « البارع » في ذلك فقد خالفته في المنهج كثيراً ، اذ انها اول كتاب تراجم قائم على التقسيم البيئي ، ولهذا يصح ان نعدها اصلاً ، ونعد الكتب التي عدها حاجي خليفة ذيولاً للبارع(٢) ذيولاً لليتيمة نفسها .

لقد كان اول ذيل لليتيمة لمؤلف اليتيمة نفسه ، كتبه بعد اليتيمة بما يقرب من عشرين عاماً ، ثم كتب تلميذه الباخرزي المقتول سنة ٤٦٧ هـ دمية القصر وهي اول ذيل لليتيمة وتتمتها ، وكتبت ثلاثة ذيول للدمية هي « وشاح الدمية » لعلي بن زيد البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ و « زينة الدهر وعصرة اهل العصر » لابي المعالي سعد بن علي الحظيري المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ، و « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الاصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . وكتب ابو الحسن بن بسام المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ذيلاً لليتيمة في الاندلس سماه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » .

---

(١) وفيات الاعيان ٢ : ١٩٤ .

(٢) كشف الظنون ٢٠٤٩ .

ولقد صرح كثير من مؤلفي هذه الكتب بانهم نسجوا على منوال اليتيمة(١) ، وهم يقصدون بذلك مبدأ تقسيم التراجم على البيئات ، فلو كانت كتبهم اشبه بـ « البارع » لما اغفلوا الاشارة الى ذلك .

ان التشابه بين اليتيمة والبارع في اختصاصهما بدراسة المحدثين لا يكفي لان نعد اليتيمة ذيلاً على البارع ، والا وجب ان نعد « البارع » ذيلاً على كتاب « الروضة » للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ووجب ان نضيف « طبقات الشعراء المحدثين » لابن المعتز المقتول سنة ٢٩٦ هـ الى قائمة الذيول .

لقد لمس الثعالبي معالم الابتكار في كتابه ، ولمس الشهرة التي طارت له ، وتحدث عن ذلك بفخر العالم الذي هو والتواضع صنوان فقال : « وانا لا احسب المستعيرين يتعاورونه ، والمنتسخين يتداولونه حتى يصير من انفس ما تشح عليه انفس ادباء الاخوان ، وتسير به الركبان الى اقاصي البلدان »(٢) .

ولم يكن الثعالبي هو الوحيد الذي حدثنا عن قيمة كتابه ، فقد ذكر ياقوت انه رأى نسخة من اليتيمة بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية(٣) ، وتحدث باعجاب بالغ عن بعض تراجم

---

(١) دمية القصر ، ١ : ١١٨ ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة القسم الاول ، المجلد الاول ، ٢٠ ، ٢٣ ، خريدة القصر ، القسم العراقي ، ١ : ٥ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ١٨ .

(٣) معجم الادباء ٦ : ٤١ ، إن لهذا القول دلالته بالرغم من أن حديث ياقوت عن اليتيمة ورد في معرض الحديث عن قيمة خط محمد بن اسحاق البحاثي .

اليتيمة(١) ، ونقل كثيراً منهـا بنصه(٢) ، وتابعه على ذلك ابن خلكان(٣) والسبكي(٤) وغيرهما فنقلوا بعض تراجم معاصري الثعالبي من يتيمة .

ولعل سبب ثقة المؤرخين بتراجم اليتيمة أن المؤلف اعتمد في كثير من تراجمه على مشافهة من يترجم لهم ، فان تعذر ذلك اعتمد على رواة شافهوا الشعراء وسمعوا منهم ، فان تعذر هذا ايضاً - وذلك نادر جداً - لجأ الى دواوين الشعراء ينتقي منها وينتخب .

ولم يقتصر الاعجاب باليتيمة على القدماء وحدهم ، فقد أكثر المحدثون في عصرنا من الحديث عنها ، والاعلان عن إعجابهم بهـا ، لكونها مصدراً يكاد يكون منفرداً بدقته العلمية في تراجم أدباء القرن الرابع ، ولكونها مصدراً وحيداً لتراجم كثير من الأدبـاء الأوساط والمغمورين في ذلك القرن . حتى ذهب الدكتور زكي مبارك الى قوله « من الذي يستطيع أن يحدد خسارة الأدب لو ضاعت اليتيمة أو ثمار القلوب ؟ » (٥)

---

(١) معجم الادباء ١ : ٩٥ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٦٦ ، ٧٥ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ٣٢٥ ، ٢ : ٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ٢٧٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٤ : ٤١ ، ٢٣٢ ، ٥ : ١٦٦ ، ٢٢٦ ، ٢٩٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٥٤ ونقل من تراجم تتمة اليتيمة في كتابه ٢ : ٩٠ ، ٦ : ٢٥٢ ، ٤١١ .

(٣) وفيات الأعيان ، ١ : ٤٥٤ ، ٣ : ٥٨ ، ٤ : ٦٣٦ ، . الخ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٨٢ ، ٤٥٩ ، ٥ : ٢٠٦ ونقل عن تتمة اليتيمة في كتابه ٤ : ٢٨٥ .

(٥) النثر الفني في القرن الرابع ، ٢ : ١٧٩ .

وقد لاحظ الدكتور عمر الدقاق ان اليتيمة تتميز من بقية كتب التراجم بأنها « كتاب ادبي في المختارات الشعرية وتصوير الحياة الأدبية في القرن الرابع ، قبل ان تكون كتاب تراجم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، لان المادة الأدبية كانت تهم الثعالبي قبل الأديب » (١) وذهب هذا المذهب الدكتور مصطفى الشكعة الذي قال : « اليتيمة تعتبر أولى طبقات الشعراء ذات الصفة الموسوعية » (٢) ، واضاف الدكتور أمجد الطرابلسي الى كل ذلك قوله : « قيمة الكتاب إنما هي في مئات التراجم ألقصيرة التي ينطوي عليها لأولئك الشعراء الأوساط أو المغمورين ، فلولا يتيمة الدهر لفقدت معظم اخبار هؤلاء وآثارهم » (٣) .

وليس معنى كل هذا أن اليتيمة لا مآخذ عليها ، فهي كأي عمل عظيم لا يمكن أن تبلغ الكمال ، لكن حسبها أن قاربته . فمن عيوبها ما ذكره الدكتور زكي مبارك بقوله : « من أقتل عيوب اليتيمة إغفال الوفيات ، فقد يندر أن يذكر مؤلفه في أي عام مات من يحدثنا عنه ، وفي أي عهد لقيه ؟ ولو أن الثعالبي عني بتدوين الوفيات لأدى لتأريخ الأدب حقاً من أوجب الحقوق » (٤) ، وانطلق الدكتور طه حسين من هذا المنطلق فاشار الى عدم دراسة الثعالبي حياة من وردت تراجمهم في اليتيمة لبيان أثرها في أدبهم ، ونعى على المؤلف

---

(١) مصادر التراث العربي ، ١٥٩ .

(٢) مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ٤٤٨ .

(٣) نظرة تاريخية في التأليف عند العرب ، ١٨٧ .

(٤) النثر الفني في القرن الرابع « ٢ : ١٩٠ .

« اكتفاءه بهذا الاطراء الذي لا غناء فيه » (١)

ومن الجلي ان الدكتورين ينطلقان من وجهة نظر مؤرخ الأدب ، واليتيمة ليست كتاباً في تأريخ الأدب بقدر ماهي كتاب في الأدب نفسه ، وعرض ما يتعلق به من فنون النقد والبلاغة واللغة وما الى ذلك ، فلا مجال إذن للطعن على المؤلف لقصوره عن التصور التأريخي للأدب ، ومقارنة اليتيمة بالذخيرة التي ألفت بعدها بمائة وخمسين سنة كان لها أثرها في تطور فن التأليف وتعقده ، وكفى الثعالبي فضلاً انه اوضح الطريق امام ابن بسام وغير ابن بسام لدراسة الأدب من خلال دراسة البيئة .

اما ما يؤخذ عليه من تفضيله السجع و « العبارات الرنانة أكثر من عنايته بالتحليل النفسي للشاعر وتحليل شعره » (٢) فأمران مردودان ، اما السجع فقد كان طابع النثر الأول في القرن الرابع ، وسجع الثعالبي في اليتيمة « على كل حال مقبول » (٣) وتلك شهادة رجل خص السجع وأطـــواره بدراسة مستفيضة (٤) ، أما التحليل النفسي فأظن أن من الغلو المسرف ان ننعى على مؤلف من القرن الرابع ان لم يعن بتطبيقه وهو علم من ابكار علوم القرن الرابع عشر الهجرى .

ولنا أن نضع تحت هذا القياس مآخذ حنا فاخورى على اليتيمة

---

(١) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة مقدمة المحقق ج .

(٢) ظهر الاسلام ٢ : ١٢٢ .

(٣) النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ١٨٧

(٤) المصدر السابق ١ : ٦٤ ـ ١٠١ .

في إيجاز تراجمها (١) فشفيع المؤلف في ذلك أنه ترجم لحشد ضخم من المغمورين من الأدباء ، فلما تناول المشهورين وفاهم حقهم من الدراسة ، فقد خص أبا فراس بثلاثين صفحة ، وخص السرى الرفاء بأكثر من سبعين صفحة ، وخص الصاحب بن عباد بحوالي مائتي صفحة ، وخص المتنبي بأكثر من مائتي صفحة (٢) .

وهكذا تبقى اليتيمة بالرغم من كل ما قيل فيها ، وما يقال ، كتاباً من خير ما وصل الينا من كتب تراجم الادباء في منهجها وشمولها وجدواها على دارسي الأدب منذ تأليفها الى يومنا هذا .

١١ - ديوان أبي الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني « مفقود »

جمعه الثعالبي ، وقد اشار الى ذلك في ترجمته لأبي الحسن بقوله « لم أر للحام ديوان شعر مجموعاً ، فعنيت بجمع تفاريقه ، وضم منتشره ، ثم اخترت منه ما يصلح لكتابي هذا » (٣) ، ولم يتنبه الى ذلك احد من القدماء او المحدثين .

ان ورود قول الثعالبي هذا في اليتيمة دليل على انه جمع هذا الديوان في الفترة التي ألف فيها اليتيمة .

---

(١) تاريخ الادب العربي ، ٧٥٦ .
(٢) تجدر الاشارة الى ان الفصل الخاص بالمتنبي الوارد في اليتيمة ١ : ١٢٦ ـ ٢٤٠ قد طبع منفرداً بعنوان « ابو الطيب المتنبي وماله وما عليه » نشر محمد علي عطية سنة ١٩١٥ م ونشر مرة اخرى بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بمصر سنة ١٩٤٨ م.
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٠٢ .

١٢ ـ الكناية والتعريض ويسمى النهاية في الكناية « مطبوع »

ذكره الثعالبي في ثمار القلوب وسماه « الكنى » (١) واورد منه نصاً (٢) . وذكره في مرآة المروءات باسم الكناية (٣) ، وسماه في مقدمة المطبوع « الكناية والتعريض » (٤) وفي خاتمته « النهاية في الكناية » (٥) .

ولقد تردد القدماء بين الاسمين الاخيرين فسماه الكلاعي «النهاية في الكناية »(٦) وسماه الصفدي « الكناية والتعريض » (٧) وتابعه ابن قاضي شهبة (٨) .

وتوجد منه نسخ مخطوطة بعنوان « الكناية والتعريض » في برلين برقم ٧٢٣٦ ، وفي المكتبة الاحمدية بتونس برقم ق ٤٠وفي دارالكتب المصرية برقم «٧٠٠٤ أدب » وفي مكتبة عارف حكمت بالمدينةالمنورة برقم « ١٧٣ مجاميع » .

وتوجد نسخ مخطوطة منه بعنوان النهاية في الكناية في المتحف

---

(١) ٦٠٦.
(٢) ورد هذا النص في المطبوع بعنوان الكناية والتعريض ٤٤ .
(٣) ٢٧ .
(٤) ٢ .
(٥) ٥٩ .
(٦) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .
(٧) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق٢ : ٢٦٩ ظهر .
(٨) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .

البريطاني برقم ١١١٠ ، ١١١١ ، وفي المكتبة الخديوية برقم ن ع ١٨٤٢٠ وفي دار الكتب برقم «٤٩٢ أدب » و « ٢٥ش أدب » .

ويخيل إليّ ان السر في اختلاف الاسم هو ان الثعالبي ألفه بنيسابور سنة ٤٠٠هـ ، ثم اعاد تأليفه بالجرجانية بأمر من خوارزم شاه(١) ولعل نسخة نيسابور كانت تحمل عنوان« النهاية في الكناية» ثم غيره المؤلف الى « الكناية والتعريض » في نسخة الجرجانية ،وذلك ما يفسر ورود الاسمين في الكتاب ، ولا يستبعد بعد ذلك ان يكون الكلاعي اطلع على نسخة نيسابور ، واطلع الصفدي على نسخة الجرجانية فحدث الخلاف .

اما عنوان « الكنى » و « الكناية » اللذان ذكرهما الثعالبي ، فمحمولان على النسيان او الاختصار ، ولا يعرف بعد ذلك من أين جاء الدكتور زكي مبارك باسم « الكنايات »(٢) .

وقد طبع الكتاب بعنوان« النهاية في الكناية » في مكة سنة١٣٠١هـ ، وبهامشه الفوائد العجيبة في اعراب الكلمات الغريبة لمحمد امين بن عابدين ، ثم اختيرت منتخبات منه وطبعت في القسطنطينية سنة ١٣٠٢هـ ضمن مجموعة « اربع رسائل » .

وطبع بعنوان « الكناية والتعريض » بمصر سنة ١٣٢٦هـ مع كتاب « كفايات الأدباء واشارات البلغاء » للجرجاني ، وأعيد نشر هذه الطبعة بالأوفسيت في مجموعة رسائل الثعالبي ببغداد ١٩٧١م.

---

(١) الكناية والتعريض ٢ .

(٢) النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ١٨١ ولم يصرح باسم المصدر الذي نقل منه .

والكتاب بعد ذلك مبني على جمع الكنايات « عما يستهجن ذكره، ويستقبح نشره ، او يستحيا من تسميته ، او يتطير منه ، او يسترفع ويصان عنه ، بألفاظ تؤدي المعنى وتفصح عن المغزى وتحسن القبيح»(١). ويقع ذلك في سبعة ابواب عقد كل باب منها لغرض تجري الكنايات في اطاره ، وقد تأنق المؤلف في اختيار الكنايات من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر ، ولكنه - على عادته التي درج عليها في كتب الاختيارات - خص المحدثين من الشعراء والكتاب بأوفى نصيب ، ولم ينس نفسه .

١٣ - الملوكي « مفقود »

انفرد الثعالبي بذكره(٢) ، وذكر حاجي خليفة كتابا باسم «سيرة الملوك» (٣) وتابعه البغدادي(٤) فذهبت دائرة المعارف الاسلامية الى ان « الملوكي » و « سيرة الملوك » كتاب واحد (٥) ولا أظنّ ذلك صحيحاً ، فان من المرجح أن يكون ما ذكره حاجي خليفة اسماً مختصراً لكتاب « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » .

ويبدو ان الملوكي كان أول كتاب ألفه الثعالبي في الجرجانية ، فقد أشار في كتاب « تحفة الوزراء » الى انه كتبه لحمدوني الوزير بعد ان كتب الملوكي لخوارزمشاه ، ويؤخذ من ذلك أن الكتابين على

(١) الكناية والتعريض ١ .

(٢) تحفة الوزراء ، ورقة ٣ وجه .

(٣) كشف الظنون ، ١٠١٦ .

(٤) هدية العارفين ١ : ٦٢٥ .

(٥) ٦ : ١٩٦ .

نسق واحد في منهجهما القائم على تناول سياسة الملوك والوزراء ،وبحث ما يتعلق بذلك في اطار أدبي ، فالمقبول عقلا ان يكونا اول كتابين يهديان الى الملك ووزيره ، ليتيح المؤلف لنفسه بهما فرصة فهم ذوق الرجلين حتى يتفرغ لتأليف ما يرضيهما ، وذلك ما فعله في كتبه اللاحقة التي أهداها لكل منهما .

١٤ ـ المشرق « مفقود »

ذكره الثعالبي بهذا الاسم(١) وعلى ذلك كل القدماء ، ولكن قراءته التبست على محقق التمثيل والمحاضرة فقرأه « المشوق »(٢) على محققي المعارف فقرأه « الشوق » (٣) .

ولا يمكننا معرفة تأريخ تأليف هذا الكتاب بدقة الا أنه يمكننا القول انه مؤلف قبل « الظرائف واللطائف » لانه مذكور فيه ،ويغلب على الظن انه مهدى لخوارزم شاه ،لان ذكره في « الظرائف واللطائف ورد بمناسبة ذكر قصيدة في مدح خوارزم شاه .

اما منهج الكتاب فان لنا ان نحمل التشابه بين اسمي « المبهج « المبهج » و « المشرق » على محل التشابه في المنهج ، آخذين بالاعتبار أن كلاً من الكتابين أهدي لملك ميال الى الأدب متذوق للاسلوب الانشائي ، ولكن هذا كله يبقى مجرد ظن قد يكون في غـــير محله ،

(١) اللطائف والظرائف ٦٤ ، وقرأه المحقق « المترف » والتصحيح من الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ق٢ : ٢٦٩ ظهر وطبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨.

(٢) مقدمة المحقق ١٧ .

(٣) مقدمة المحققين ١٩ .

ويبقى العثور على نسخة من الكتاب هو المحك لتصديق او تكذيب الظنون .

١٥ ـ نثر النظم وحل العقد « مطبوع »

ذكره الثعالبي باسم « النظم والنثر وحل عقد السحر »(١) ولكنه سماه في مقدمته « نثر النظم وحل العقد »(٢) وذكره الكلاعي (٣) والصفدي (٤) وابن قاضي شهبة (٥) باسم « حل العقد » وقرأه محقق لطائف المعارف « حلي العقد » (٦) .

وتوجد منه نسخة خطية في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم « أحمد الثالث ٢٣٣٧ » بعنوان نثر المنظوم .

وقد طبع في دمشق سنة ١٣٠٠هـ وطبع في دمشق طبعة اخرى سنة ١٣٠١هـ وبهامشه « الفرائد والقلائد » المنسوب خطأ الى الثعالبي ،ثم طبع بمصر سنة ١٣١٧هـ .

وقد صرح المؤلف بأنه كتبه بأمر الملك خوارزم شاه ، اما منهجه فقائم على حل نظم « مختار الشعر الذي يشتمل عليه الكتاب المترجم بمؤنس الأدباء »(٧) . الذي يغلب على الظن انه من مختارات الثعالبي

(١) اللطائف والظرائف ، ٢١ .
(٢) ٢ ، ٤ .
(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٢ .
(٤) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق٢ : ٢٦٩ ظهر .
(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ .
(٦) مقدمة المحققين ١٦ .
(٧) نثر النظم ٢ .

نفسه ، وهذا الكتاب هو الكتاب الثاني من انشاء الثعالبي بعد المبهج فيما تبقى بين ايدينا من كتبه .

١٦ ـ الظرائف واللطائف « مطبوع »

ذكره الكلاعي باسم « الطرائف واللطائف »(١) ولكن بقية القدماء سموه باسمه الصحيح .

وقد دمج ابو النصر المقدسي (٢) مادة الكتاب مع مادة كتاب « اليواقيت والمواقيت » للثعالبي مبقياً على مقدمتيهما وسمى المجموع « اللطائف والظرائف »، ومن هنا جاءت التسمية الاخيرة في دائرة المعارف الاسلامية(٣) .

وتوجد من هذا المجموع نسخ مخطوطة في ليدن برقم ٤٥٦، وفي مكتبة امين بك الجليلي الخاصة بالموصل .

وقد طبع المجموع بمصر سنة ١٢٧٥هـ(٤) وببغداد سنة ١٢٨٢هـ

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .

(٢) معاصر الثعالبي لم تذكر عنه كتب التراجم شيئاً ، الا ان الثعالبي روى له قولاً في لطائف المعارف ٢٠٥ .

(٣) ١٩٥:٦ ونقل جرجي زيدان هذه التسمية في تاريخ آداب اللغة العربية ٥٩٨:٢ وذكر اماكن وجود مخطوطاته .

(٤) ذكر جرجي زيدان في تأريخ آداب اللغة العربية ٥٩٨:٢ ان هذه الطبعة جمعت كتابين للثعالبي هما « المحاسن والاضداد » و« يواقيت المواقيت » وتابعه محققاً لطائف المعارف على وهمه فزعما ان كتاب « المحاسن والاضداد » ، كتاب آخر للثعالبي ، لطائف المعارف مقدمة المحققين ، ١٧ هامش١ .

وطبع بعد ذلك مرتين بمصر الاولى سنة ١٢٩٦هـ والثانية سنة ١٣٠٧هـ .

ويؤخذ من مقدمة الكتاب أن اسمه هو « الظرائف واللطائف » وان الثعالبي ألفه لخوارزمشاه بعد ان استوفى حظه من نعمته (١) ، ولهذا يرجح ان يكون ألفه في أواخر فترة بقائه بالجرجانية .

ومنهج الكتاب قائم على مدح اشياء وذمها بأعيانها ، كما اشار المؤلف الى ذلك في مقدمة الكتاب ، ولعله جاوز الحقيقة في حديثه عن منهجه عندما قال « لم أسبق الى مثله ، ولم أشارك في ارتباط شكله »(٢) فقد حفل كتاب سابق له هو التمثيل والمحاضرة بكثير مما يشبه مادته(٣)، وحفل الكتاب نفسه بنماذج من اقوال الجاحظ التي ساقها في مدح اشياء وذمها في الوقت نفسه (٤) ،ومثل ذلك للرقاشي(٥)، ولكن الثعالبي قد يكون على حق ان كان قصده انه لم يسبق الى كتابة كتاب برأسه في مثل هذا المنهج .

أما مادة الكتاب فهي مختارات من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والنثر والامثال ، وقد أكثر فيه المؤلف من سوق الشواهد من شعره .

---

(١) اللطائف والظرائف ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ٣

(٣) التمثيل والمحاضرة من ٣٨١ الى ٤٦٨ .

(٤) اللطائف والظرائف ١٥ .

(٥) المصدر السابق ٣٤ .

١٧ ـ تحفة الوزراء « مخطوط »

لم يذكره احد من القدماء ، وذكر في دائرة المعارف الاسلامية ان منه نسخة مخطوطة في مكتبة غوطا برقم «١٨٨٦» وفي دار الكتب برقم «٦٣٣٣هـ» (١) . وذكر ذلك كثير من المحدثين .

وتوجد منه نسختان مخطوطتان مصورتان في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ، الأولى برقم « فيض الله ٢١٣٣ » والثانية برقم « امانة خزينة ١٧٢٦ » وهي اكبر من الأولى ، وفي مكتبة الجامعة المركزية ببغداد نسخة مصورة برقم (أح١٤٦) عن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس برقم (٤٨٢). (٢)

وقد صرح المؤلف في مقدمته بأن ألف لأبي عبد الله الحمدوني(٣) وزير خوارزمشاه ومشيره ، ولم يشرح منهج الكتاب مخالفاً بذلك ما دأب عليه في كتبه الأخرى .

ويقع الكتاب في خمسة أبواب تناول في كل باب منها جانباً من جوانب الوزارة ، فبحث فيها لغة واصطلاحاً ، وفيما ورد فيها

---

(١) ٦ . ١٩٦

(٢) تلاعب النساخ كثيراً بهذه النسخة فأضافوا اليها ما ليس ما ليس منها ، كأقوال القاضي الفاضل ، ورقة ١٦ ظهر ، ونظام الملك « ورقة ٣٢ وجه » ولكن هذا لايشكك في نسبة المخطوطة اليه لأنه اورد لنفسه فيها ابياتا « ورقة ٥ وجه » نسبها الى نفسه في « احسن ماسمعت١٦٢ » و « من غاب عنه المطرب ٢٩٢ » و « خاص الخاص٢٤٩» .

(٣) ورقة ٢ وجه .

من أقوال ثم عدل الى دراسة سياسة الوزراء بلغة من خبير الأمر مستعيناً بالشواهد المختلفة على ما يقول ، ومن ذلك قوله « قد جرت عادة الملوك باستيزار الواحد والاثنين فصاعداً من الوزراء والجمع بينهم في زمان واحد ، وذلك خطأ من الرأي ، وخطأ من التدبير ، وفيه خطر على المملكة ، إذ لا يسع السيفين غمد" ، وكثرة الأيدي في الصلاح فساد" ، وفي امثال العامة : من كثرة الملاحين غرقت السفينة ،وأجلُ الاقوال وأحسنها واصدقها قوله تعالى في محكم كتابه : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »(١) .

ان كتاب « تحفة الوزراء » يكشف جانباً جديداً من جوانب ثقافة الثعالبي الواسعة العميقة .

١٨ ـ احسن ما سمعت « مطبوع »

ذكره الثعالبي في اليتيمة في معرض ذكر حديث جرى له مع أبي الفتح البستي فقال : « سألني ان أؤلف كتاباً في الاحاسن ، واورد فيه احسن ما سمعته في كل فن ، فأجبته الى ذلك ، وحين ابتدأته عرضت موانع وقواطع من استتمامه»(٢) .

وذكره الكلاعي(٣) وبقية القدماء بهذا الاسم ، ولكن حاجي خليفة ذكره « اللآلي والدرر » وقال : « ويعرف بأحسن ما سمعت »(٤) ،

---

(١) ورقة ٧ وجه .

(٢) ٣ : ٢٦٩ .

(٣) احكام صنعة الكلام ٢٢٢ .

(٤) كشف الظنون ١٥٣٥ .

فجرى المتأخرون على قوله وسماه جرجي زيدان «احسن ماسمع» (١) وتابعه على ذلك محقق « شاهنامة ثعالبي»(٢) .

ويبدو أن اسم « اللآلىء والدرر » من وضع متأخر على نسخة ضاعت صفحة عنوانها ومقدمتها ، ذلك أن المؤلف قال في مقدمته«فقد أثبت في كتابي هذا «احسن ما سمعت » وسميته بذلك » (٣) .

وقد طبع الكتاب بأسم « أحسن ماسمعت » مع شرح لمحمدصادق عنبر في مصر سنة ١٣٢٤هـ .

والغالب على الظن انه ألفه في أواخر فترة وجوده بالجرجانية (٤) مودعاً به أبا عبدالله الحمدوني وزير خوارزم شاه ومشيره الذي لم يصرح باسمه ولكنه اشار اليه عندما ساق بيتين لأبي الفتح البستي فقدم لهما بقوله : « وقوله في [المؤلف]له(٥) . هذا الكتاب »(٦)،وقد

(١) تأريخ آداب اللغة العربية ٢:٥٩٧ وذكر اماكن وجودمخطوطاته.

(٢) مقدمة المحقق ، أ .

(٣) ٤ .

(٤) اشار المؤلف في آخر كتابه الى وشك فراقه لمن ألف له الكتاب في خاتمته ، ١٩٢ .

(٥) في الأصل « في المؤلف لهذا الكتاب » وذلك يناقض الواقع لان البيتين في مدح شخص اسمه « محمد » وليس ذلك اسم الثعالبي، اضافة لما سأثبته من انهما قيلا في أبي عبد الله محمد بن حامد الذي لا يمكن ان يكون «مؤلف الكتاب» ولكن يمكن ان يكون « المؤلف له » .

(٦) ٣٧ .

كان الثعالبي أورد هذين البيتين في يتيمة الدهر في ترجمته لأبي عبدالله وزير خوارزمشاه وقدم لهما بقوله : « وقال فيه ابو الفتح»(١).

ويقع الكتاب في اثنين وعشرين باباً عقد كل باب لغرض أدبي، ساق فيه اختيارات شعرية ونثرية أكثرها للمحدثين ، ولم يسق للقدماء شيئاً الا في معرض سياقة أراء نقاد قدامى استحسنوا ابياتاً بأعيانها.

وقد فرض طابع العصر نفسه على الاختيارات ، ولعب ذوق الثعالبي دوراً فيها .

ولكن الأب لويس شيخو تعرض في دراسته لكتاب « احسن ما سمعت »(٢) الى ذكر مآخذ على المؤلف من ذلك كونه لم يعن بغير شعر المحدثين ، وذلك رأي مردود على صاحبه لان الثعالبي لم يخص هذا الكتاب وحده بشعر المحدثين ، فجميع كتبه في الاختيارات والتراجم معقودة عليه ، وفي مقدمة يتيمة الدهر عرض للاسباب التي اقنعت الثعالبي بذلك(٣) لو تدبرها الأب لما ذهب الى ما ذهب اليه .

واخذ الأب لويس شيخو على الثعالبي ما اخذه ناشر « أحسن ما سمعت » من ايراد المؤلف أبياتاً تنبو عن « الذوق » حقق الناشر بعضها (٤) وتمنى الأب عليه لوحذف بعضاً آخر ، من ذلك قول ابن المعتز (٥) [من الوافر] .

---

(١) ٤ : ٢٩٤ .

(٢) كتب المقال في مجلة (المشرق للسنة العاشرة ١٩٠٧ العدد الاول ١٣_٢٣ .

(٣) ١/١٧ .

(٤) ١١٣ .

(٥) ورد هذان البيتان في « احسن ماسمعت » ٨١ .

تظل الشمس ترمقنا بلحظٍ مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى كعنين يريد نكاح بكر

ان القياس الذي ذهب اليه الرجلان قياس" « خلقي » يعني باللفظ ، ولو أنهما رجعا الى نفسيهما لوجد أن كلمة « نكاح » من الفاظ القرآن الكريم ، وقد وردت فيه اكثر من مرة ، ولوجدا ان النبي والصحابة والتابعين لم يأتموا من مثل هذه الالفاظ حتى في حالة الغضب (١)، أفلا يشفع لابن المعتز بعد ذلك دقة الصورة وبعد الخيال وجمال التشبيه أيختار الثعالبي بيتيه اعجاباً بهما ، ولمَ هذا الاستنكار وفي الكتاب نفسه بما غضّ الأب والمحقق الطرف عنه ما هو أبعد في « سوء الخلق » كقول الشاعر في غلام(٢) . [من الوافر]

فديتك انما اخترناك عمداً لأنك لا تحيض ولا تبيض

ان الصورة الأدبية التي استنكرها الرجلان تمثل ذوق العصر ، ولو ان كلامنا أباح لنفسه حذف ما ينفر عنه ذوقه من التراث لذهبنا بأكثره ، وفي ذلك ما فيه من خيانة لأمانة السلف في الاعناق .

١٩ـ من غاب عنه المطرب «مطبوع»

ذكره ابن خلكان بهذا الاسم (٣) ، وتابعه الآخرون ، ولكن الصفدي سماه «من أعوزه المطرب» (٤) فنقل محققا لطائف المعارف كلا

(١) ساق الجاحظ نماذج من ذلك في كتابه «مفاخرة الجواري والغلمان» رسائل الجاحظ ٢:٩١ـ٩٥ .
(٢) ١١٥ .
(٣) وفيات الاعيان ٢:٣٥٢ .
(٤) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ق٢:٢٦٩ ظهر .

الاسمين (١) .

ومنه نسخ خطية كثيرة ذكرت في دائرة المعارف الاسلامية (٢) وتأريخ آداب اللغة العربية (٣) وأشار داود الجلبي الى وجود نسخة مخطوطة منه في مكتبة أمين بك الجليلي بالموصل (٤) .

وقد طبع الكتاب في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ في مجموعة التحفة البهية ، الرسالة الثامنة عشرة ،

وأشار محرر مادة «الثعالبي» في دائرة المعارف الاسلامية الى ان «من غاب عنه المطرب» ذيل لكتاب «أحسن ما سمعت» ، ولابد لمن يقرأ الكتابين من ان يقتنع بصدق هذا الرأي . فالكتابان متفقان منهجا ومادة واسلوبا ، فان اقتنعنا بذلك فلا بد لنا من ان نحكم بان «من غاب عنه المطرب» ألف بعد رحيل الثعالبي عن الجرجانية ، على أن احتمالا اخر قد يكون صحيحا ، وهو ان يكون «احسن ماسمعت» « ذيلاً لـ « من غاب عنه المطرب » أو ان يكون « من غاب عنه المطرب » اصلا زاد فيه المؤلف وسماه « أحسن ما سمعت » . ولكن الدلائل تشير الى ان الرأيين الاخيرين مردودان ، من ذلك ان الثعالبي أشار في اليتيمة الى « احسن ماسمعت » وسماه بهذا الاسم (٥) ، ولو كان ألف « من غاب عنه المطرب » قبل « احسن ما سمعت »

---

(١) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ، ١٩ .

(٢) ٦ : ١٩٤ .

(٣) ٢ : ٥٩٧ .

(٤) مخطوطات الموصل ٢٦٥ .

(٥) ٣ : ٢٦٩ .

لما فاته ان يشير الى ذلك ، يضاف الى هـذا ما يلاحظ من سوق الثعالبي أبياتاً لابي العلاء المعري في « من غاب عنه المطرب» وعدم استشهاده له في « احسن ما سمعت » فلو ربطنا هذا بما يلاحظ من خلو يتيمة الدهر المؤلفة سنة ٤٠٣هـ من ترجمـــة للمعري ، ووجود ترجمة له في تتمة اليتيمة التي ألفها سنة ٤٢٤هـ(١) خرجنا بحقيقـة وهي ان الثعالبي سمع بالمعري متأخراً ، فأشار اليه في كتبه المتأخرة فحسب ، وثبت لدينا أن « من غاب عنه المطرب » الذي ورد فيـه ذكر أبي العلاء المعري كتب بعـد « احسن ماسمعت » الذي خلا من شعر المعري .

٢٠ـ لطائف المعارف « مطبوع »

نقل ياقوت منه نصا نسبه الى الثعالبي ولم يسم الكتاب(٢)،ونقل ابن خلكان النص نفسه وسمي الكتاب بـ« لطائف المعارف»(٣) ونقل القلقشندي عنه بعض النصوص وسماه(٤) ، ونقل عنه نصوصاً اخرى ولم يسمه (٥).

وذكر حاجي خليفة ثلاثه كتب باسم لطائف المعارف ، أقدمها تاريخا

---

(١) ١:٩ .

(٢) معجم الأدباء ١:٣٠٧ وورد هـذا النص في « لطائف المعارف » ٤٧، ٤٨ .

(٣) وفيات الاعيان ١:٣١ .

(٤) صبح الاعشى ١:٤١٢ ، ٤٣٣ ، ٤٤٢ .

(٥) المصدر السابق ١:٤٢٧، ٤٣٦، ٤٣٨،٤٣٩ ، ٤٤٠،٤٤٨ .

كتاب الثعالبي (١) .

وتوجد منه نسخ مخطوطة في ليدن اعتمد عليها دي يونغ في طبعته الصادرة سنة ١٨٦٧ م . ثم طبع الكتاب في مصر سنة ١٩٦٠ م بتحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي .

وقد وصف المؤلف في مقدمته بأنه «مشرف بمعالي اسم الصاحب أبو القاسم» (٢) فذهب محققا الطبعة المصرية الى ان المقصود هو «الصاحب ابو القاسم اسماعيل بن عباد» (٣) فكان خطأ في التحقيق جر الى خطأ أكبر في دراسة حياة الثعالبي ، فقد ذهب كثيرون ممن درسوا الثعالبي إلى أنه كان على صلة بالصاحب بن عباد ، وأنه أهداه كتابه «لطائف المعارف» منهم ادوارد بـراون (٤) ، وعبد الفتاح محمد الحلو (٥) ، وابو الفضل ابراهيم (٦) .

ان كل الحقائق تشير الى رفض ما ذهب اليه المحققان ، وهذه الحقائق يفصح عنها الكتاب نفسه ، ولو تمعن فيه محققاه لأدركا خطل رأيهما في اهدائه ، ولكنهما خيبا الظن في القول المأثور «صاحب الدار أدرى بما فيها » حين ظنا ان الكتاب مؤلف للصاحب بن عباد

---

(١) كشف الظنون ١٥٥٤ .

(٢) ٣ .

(٣) ٣ ، هامش ١ .

(٤) تأريخ الادب في ايران ١١٦ . واعتمد براون على طبعة دي يونغ في ذلك .

(٥) التمثيل والمحاضرة ، مقدمة المحقق .

(٦) ثمار القلوب ، مقدمة المحقق ٥ .

المتوفى سنة ٣٨٥ هـ، وذلك ما تدحضه الحقائق التالية المستقاة من كتاب « لطائف المعارف » نفسه :

١ - ورد فصل في الكتاب عنوانه « اعجوبة في هلاك تسعة املاك متناسقين في مدة سنتين وهما سنة سبع وثمان وثمانين ، وفيهم يقول مؤلف الكتاب »(١) وتحت هذا العنوان مباشرة قصيدة طويلة نظمها الثعالبي مؤرخا لوفيات ملوك ماتوا فعلا في هاتين السنتين ، فكيف يعقل ان يكون الكتاب مهدى للصاحب المتوفى سنة ٣٨٥هـ .

٢ - ورد في الكتاب ايضاً ما يفيد بأن المؤلف ذاكراً أبا العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه في تسميته ابن له(٢) ،وكان الثعالبي ذكر انه التقى بخوارزم شاه اول مرة سنة ٤٠٣هـ حين استدعاه الى الجرجانية(٣)، فمن المعقول ان يكون نص لطائف المعارف مكتوباً بعد هذا التاريخ، ولم يكن الصاحب حيا عند ذاك ليهدي الكتاب له .

٣ - ذكر المؤلف في لطائف المعارف انه التقى بصاحب الجيش أبي المظفر نصر بن ناصر الدين(٤)، وذكر السلطان أبا القاسم محمود بن سبكتكين (٥)، ولم يكن أبو المظفر (صاحب جيش) ولا ابو القاسم (سلطاناً) قبل سنة ٣٨٥هـ.

---

(١) ١٤٩ . وواضح انهما سنتا سبع وثمانين وثمان وثمانين وثلاثمائة للهجرة .

(٢) ٨٦ .

(٣) تتمة اليتيمة ١:١٤٥ .

(٤) ٢٠٥ .

(٥) ٢٠٧ .

ان هذه الحقائق تدل جميعاً على ان الكتاب مؤلف بعد سنة ٣٨٥هـ، ولما كان الصاحب بن عباد قد توفى سنة ٣٨٥هـ فأنني اقطع بان الكتاب مهدى لغيره الا اذا كان إهداء الكتب للاموات معقولاً .

ويمكننا أن نضيف أدلة مما لم يرد في الكتاب ويشهد بان الثعالبي لم يكن عرف الصاحب او التقى به ، فان اخبار الصاحب في يتيمة الدهر منقولة عن أسانيد ذكرها الثعالبي ، ولو كان التقى به لما أخلى ترجمته من خبر يرويه عنه او شعر يرويه له سمعه منه مشافهة ، وذلك اعتاد الثعالبي أن يفعله في تراجم من كان على صلة بهم ممن وردت تراجمهم في اليتيمة ، أمـا الرواية الواردة في مرآة المروءات ، والتي قدم لها بقوله : « سمعت أبا القـاسم الصاحب يقول ... »(١) فمحمولة على خطأ الناسخ ، لأن الرواية نفسها وردت في يتيمة الدهر وقدم لها بقوله : « حدثني ايضاً [والضمير يعود على ابي الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي] قال : سمعت الصاحب يقول »(٢) .

وقد ذكر الثعالبي « لطائف المعارف » في « اللطائف والظرائف » ووصفه بأنه « مؤلف لخزانة مولانا الملك المؤيد أعز الله نصره ، وثبت ملكه »(٣) ولم يكن الصاحب ملكا .

واظن المقصود بـ « خزانة مولانا الملك» خزانة السلطان أبي القاسم محمود بن سبكتكين ، وذلك ما يفسر ورود اسم « أبي القاسم » في

---

(١) ١٥ .

(٢) ٣ : ١٩٧ .

(٣) ٦٤ .

عبارة الاهداء في مقدمة لطائف المعارف ، اما لفظة « الصاحب » فلعلها اضافة ناسخ .

ويغلب على ظني ان النص السابق الوارد في مجموع « اللطائف والظرائف » قد ورد أصلاً في « اليواقيت في بعض المواقيت » الذي هو احد الكتابين اللذين يتكون منهما المجموع ، ولما كان الثعالبي قد اهدى هذا الكتاب للامير ابي المظفر اخي السلطان ابي القاسم ، فقد رأى ان قوله « خزانة مولانا الملك » ليس غريباً على اخي الملك نفسه .

وكتاب لطائف المعارف نوع التأليف الموسوعي بشكله البسيط ، وقد قسمه المؤلف عشرة أبواب استعرض في كل باب منها لونا من الوان المعارف الادبية والتاريخية والاجتماعية والسياسية ، وخص وصف البلدان وخصائصها بالباب العاشر وهو اكبر الابواب .

ان كتاب لطائف المعارف يمثل قمة نضج الثعالبي ، ولو كان توسع فيه لكان له شأن آخر .

٢١- اليواقيت في بعض المواقيت « مطبوع »

سماه الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته(١) ، ولكن الصفدي سماه «يواقيت المواقيت»(٢) وتابعه على ذلك ابن قاضي شهبة(٣) ، وابن معصوم الذي نقل معظم الكتاب(٤) .

---

(١) اللطائف والظرائف ٤ .

(٢) الوافي بالوفيات ١٥-١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .

(٤) انوار الربيع في انواع البديع ٢ : ٣٧٥ .

وقد سبقت الاشارة الى دمج الكتاب مع الظرائف واللطائف ، والى اماكن وجود مخطوطات المجموع وطبعاته . ولم أجد ذكر مخطوطة منفردة له إلا في فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس الذي ضم ذكر مخطوطتين بهذا الاسم(١) على انه يخيل الي انهما مجموع « اللطائف والظرائف » كله ، لما ذكر من ان عدد أوراق كل من المخطوطتين يزيد على الستين ورقة ، وهو عدد يقارب عدد صفحات مجموع « اللطائف والظرائف » المطبوع في ١٢٨ صفحة .

وقد أشار المؤلف في مقدمته الى انه افتتح الكتاب بنيسابور ، وتطرفه بجرجان ، وتنصفه بالجرجانية ، وأتمه بغزنه ، واهداه الى « الامير الاجل »(٢) ولم يكن الثعالبي يعرف أميراً غير الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين ، ولهذا يرجح أن يكون هو المقصود بالنص السابق الذي يؤخذ منه ان هذا هو أول كتاب يؤلفه في غزنة .

اما منهج الكتاب فقائم على مدح أشياء وذمها بأعيانها ، وذلك ماهياً لابي نصر المقدسي جمعه مع الظرائف واللطائف مسوغا ذلك بقوله : « وبعد ، فهذا الكتاب كان في نسختين متناسبقي الجمع متناسقتي الوضع ... فجمعت بينهما وعطفت عنانيهما الى سنن »(٣) .

٢٢ـ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم(٤) « مطبوع »

لم يعزه اليه أحد من القدماء .

---

(١) ١٣٤ .

(٢) ٤ .

(٣) اللطائف والظرائف ٢ .

(٤) ترجمه محمود هدايت الى الفارسية وقدم له ، وطبع بمطبعة مجلس بطهران ، ١٩٤٩ م بعنوان (شاهنامة ثعالبي) .

توجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة ابراهيم باشا بالقسطنطينية برقم ٩١٦ منسوبة الى أبي منصور الحسين بن محمد المرغني الثعالبي(١) ونسخة منقولة عنها في باريس برقم ١٤٨٨ ضمن تاريخ ابن خلدون(٢) ، ونسخة أخرى بباريس برقم ٥٠٥٣ منقولة عن مخطوطة بالموصل منسوبة الى الثعالبي ، وهي موجودة الآن في الموصل فعلاً في مكتبة « يحيى باشا الجليلي » برقم ٩٥٣ / ث ع ت بعنوان « تاريخ الثعالبي » وتتكرر فيها عبارة « قال العبد الفقير الثعالبي » . ونسب حاجي خليفة كتابا باسم « سير الملوك » الى ابي منصور عبدالملك الثعالبي(٣) .

ونسب جرجي زيدان كتاب « غرر ملوك الفرس وسيرهم » الى ابي منصور عبدالملك الثعالبي(٤) ، ثم نسبه الى ابي منصور الحسين بن محمد المرعشي في مكان آخر(٥) ونسبه هـ . ا . جب(٦) ، وفرانتس روزنثال(٧) ، واحمد امين الى الثعالبي(٨) دون ان يعينوا

---

(١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، مقدمة الناشر بالفرنسية ، ١ .
(٢) المصدر السابق ، مقدمة الناشر ، ٣ .
(٣) كشف الظنون ١٠١٦ .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ، ٢ : ٥٩٦ .
(٥) المصدر السابق ، ٢ : ٦٢٧ وذكر انه توفي سنة ٤٢١ هـ ولم ينسب إليه كتابا آخر .
(٦) المدخل في الادب العربي ، ٩٦ .
(٧) علم التاريخ عند المسلمين ، ١٣١ .
(٨) ظهر الاسلام ، ١ : ٢٧٤ .

الكنية والاسم .

وقد ظهر الكتاب في باريس سنة ١٩٠٠ م منسوبا الى عبدالملك الثعالبي بتحقيق زوتنبوك الذي قدم دراسة لمخطوطات الكتاب واعترض على نسبته الى المرغني او المرعشي « الذي لم يرد اسمه في كتب تراجم الرجال عدا ما ذكر من وجود شخصية بهذا الاسم لعبت دوراً سياسياً مهماً في أواخر القرن السادس »(١) وأبدى ظنه بان يكون المرغنى مالكا للكتاب لا مؤلفاً .

ولكن دائرة المعارف الاسلامية أيدت نسبة الكتاب الى المرغني ونفت توفر أية معلومات عنه عدا تأليفه هذا الكتاب ، وأبدت عدم اقتناعها بادلة زوتنبرك(٢) ، وأيد مجتبي محتوى ناشر الطبعة الايرانية للغرر هذا الرأى(٣) ، الا ان محمود هدايت ناشر الترجمة الفارسية للغرر بعنوان « شاهنامة ثعالبي » نسب الكتاب الى عبد الملك الثعالبي دون مناقشة(٤) .

والذي يغلب على ظني ان الكتاب من تأليف عبدالملك الثعالبي ، فالكتاب مهدى الى الامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين الذي توفي في أوائل القرن الخامس ، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون مؤلفه الحسين بن محمد المرغني المتوفى سنة ٦٠٠ هـ(٥) . ولكن لا يستبعد

---

(١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، مقدمة المحقق بالفرنسية ٥ .

(٢) ٦ : ١٩٨ .

(٣) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم مقدمة ناشر الطبعة الايرانية ، الصفحة « و » .

(٤) شاهنامة ثعالبي ، مقدمة المحقق ، ب .

(٥) الكامل في التاريخ ، ١٢ : ١٨٦ .

أن يكون المرغني تملك نسخة من الكتاب ، فظن النـــاسخ أنه هو المؤلف .

وبالرغم من أن ادلة زوتنبرك على نسبة الكتـــاب الى الثعالبي تبدو مقنعة فان ثمة أدلة اخرى يمكن الخروج بها من تمحيص الكتاب ومقارنة اسلوبه بأسلوب الثعالبي في كتبه الاخرى تقطـــع بصحة النسبة .

من ذلك أن مؤلف « الغرر » وصف كتابه بانه « خاصي عامي جاهلي اسلامي عربي عجمي »(١) ، وقد وصف الثعالبي كتابه التمثيل والمحاضرة بمثل هذا فقال : « اسلامي جاهلي ، عربي عجمي ، ملوكي سوقي ، خاصي عامي »(٢) .

وورد في كتاب « الغرر » وصف لفرس بهذا التعبير : « كانما أنعلوه بالرياح الاربع » في اكثر من مكان(٣) ، وهذا الوصف مما يستعمله الثعـــالبي كثيراً حتى إنه أورده في شعره إذ قـــال في شكر الميكالي لاهدائه فرسا(٤) [من الكامل] .

يا واهب الطرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالريـــاح الاربـــعِ

وقد أورد مؤلف « الغرر » ابياتا لابن لنكك قدم لها بقوله :

---

(١) اتبع الناشر طريقة الترقيم بالحروف اللاتينية في مقدمة المؤلف وورد هذا النص في الصفحة التي تحمل حرف « ل » .

(٢) ٥ .

(٣) ٢٢٠ ، ٣١٠ .

(٤) خاص الخاص ٢٣٨ .

«أنشدني ابو بكر الخوارزمي» (١) والخوارزمي استاذ الثعالبي وسنده لكثير من رواياته، فاذا اقتنعنا بان المرغني هو مؤلف الغرر فيجب ان نقتنع بانه صنو الثعالبي في اسلوبه الادبي وفي ذوقه في التشبيه، وفي تلمذته على الخوارزمي، وحتى في ذوقه في اختيار اسماء كتبه، ذلك أن كلمة « الغرر » قد وردت في أسماء كثير من كتب الثعالبي مثل « غرر المضاحك » و « غرر البلاغة » وذلك تشابه عجيب لا يحتمل العقل قبوله.

وبعد كل ذلك يمكن القول بان هذه الادلة مع ما ساقه زوتنبرك من نصوص أوردها لمؤلف الغرر ووردت في كتب الثعالبي الاخرى لا تحتمل أن تكون جميعاً من باب المصادفة لكثرتها، ولدقة ترابطها.

إن كتاب « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » من مؤلفات ابي منصور عبدالملك الثعالبي قطعاً.

والكتاب في التاريخ العام، يتناول الحوادث من عهد كيومرث الى عصر المؤلف دون التقيد بنظام السنين الذي كان مألوفاً في كتب التاريخ عند العرب، وتلك ميزة سبق بها الثعالبي غيره من المؤرخين.

ويكاد اسلوب الكتاب يبتعد عن السجع، وتلك طريقة الثعالبي فيما يسوقه من أحاديث ذات طابع تاريخي او إخباري، فان تعرض لحديث الادب أو خاض في أمر ذي صلة بالخيال تكلف السجع وذلك ما فعله في بعض فقرات كتاب الغرر، وسنتعرض لبحث ذلك في باب « أدب الثعالبي ».

وليس من شك في ان هذا الكتاب مؤلف قبل سنة ٤١٢ هـ التي

---

(١) ٤٤٧ .

توفي فيها الامير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين الذي ألف الكتاب باسمه .

ان كتاب « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » صورة لعلو كعب الثعالبي في علم التاريخ الى جانب العلوم الاخرى التي طرق أبوابها في مؤلفاته العديدة التي لم يخلِ كثيراً منها من سرد وقائع تاريخية على طريقته في « الغرر »(١) .

٢٣ـ تحسين القبيح وتقبيح الحسن « مخطوط »

ذكره الصفدي باسم « التحسين والتقبيح »(٢) وتابعه ابن قاضي شهبة(٣) . وتوجد في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة مخطوطة منه بعنوان « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » منسوبة الى الثعالبي(٤) ، وهي برقم « فيض الله ٢١٣٣ »، ونسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم « ٣١ مجاميع » .

وقد صرح المؤلف باهداء كتابه الى « الشيخ السيد أبي الحسن [محمد](٥) بن عيسى الكرجي » ، والغالب على الظن انه كتبه

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٤٣٧ ، وثمار القلوب ١٧٨ـ١٨٢ .

(٢) الوافي بالوفيات ، ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ .

(٤) ورد اسم الثعالبي خطأ في الكارت المكتبي الخاص بالمعهد ، فجاء هكذا « ابو اسماعيل بن عبدالملك بن منصور الثعالبي » ،

(٥) في المخطوط « علي بن عيسى الكرجي » ورقة ١ وجه والتصحيح من تتمة اليتيمة ١ : ١ و ٢ : ٦٧ .

له في غزته متمماً حلقة ثلاثة كتب في مدح الاشياء وذمها ألفها في أوقات متلاحقـــة ، هي الظرائف واللطـائف ، واليواقيت في بعض المواقيت ، وهذا الكتاب . ويبدو أنه احس بطراقة التأليف في هذا الفن فأعلن في كل من كتبة الثلاثة أنه لم يسبق الى تأليف كتـاب في مثله(١) .

ولكن منهج « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » يخالف منهج توأميه قليلا ، ويفترق من مادتهما كثيراً ، فان منهج الكتابين السابقين يقوم على مدح الشي وذمه في مكان واحد ، بينما يقوم منهج هذا الكتاب على مدح اشياء تعارف الناس على ذمها في النصف الأول منه(٢) ثم على ذم أشياء تعارف الناس على مدحها في النصف الثاني منه(٣) .

وفي المخطوطة أدلة تثبت صحة نسبتها الى الثعالبي كايراد المؤلف ابياتا نسبها الى نفسه(٤) ، وهي منسوبة الى الثعالبي في كتبه الاخرى(٥) مع ما ورد في المخطوطة من الاستشهاد ببعض النصـوص النثرية التي قدم لها بقوله : « وقلت في كتابي المبهج »(٦) .

---

(١) اللطائف والظرائف ٣ ، ٤ تحسين القبيـح وتقبيـح الحسن ورقة ١ وجه .

(٢) من ورقة ٢ وجه الى ورقة ١٤ ظهر .

(٣) من ورقة ١٤ ظهر الى ورقة ٢٨ وجه .

(٤) ورقة ١١ وجة ، ١٢ وجه ، ٢٥ وجه .

(٥) خاص الخاص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، اللطائف والظرائف ٣٠ ، المبهج ٢٩

(٦) ورقة ٢٢ وجه و ٢٣ ظهر و ٢٤ ظهر و ٢٥ وجه .

٢٤ـ اللطيف في الطيب « مفقود »

ذكره الثعالبي بهذا الاسم(١) ، وسماه الصفدي(٢) ، وابن قاضي شهبة(٣) « الطيب » وتابعهم المحدثون .

وقد كتبه للقاضي أبي أحمد منصور بن محمـد الهروي الازدي قاضي هراه كما صرح بذلك(٤) ، ولعله فعل ذلك عنـد عودته من غزنة الى نيسابور بعد سنة ٤١٢ هـ .

ولا يمكن معرفة منهج الكتاب أو مادته اعتمادا على عنوانه ، لان ما سيقال سيكون مجرد تخمين .

٢٥ـ الايجاز والاعجاز « مطبوع »

ذكره الصفدي(٥) وابن قاضي شهبة(٦) بهـذا الاسم ، وسماه حاجي خليفة « اعجاز الايجاز »(٧) وتابعه البغدادي(٨) .

وتوجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الخديوية برقم «ف ع ١٦٥٥٤» ونسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينـة المنـورة برقم « ٤ أدب

(١) الاعجاز والايجاز ، ٨ .

(٢) الوافي بالوفيات ، ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .

(٤) الاعجاز والايجاز ، ٨ .

(٥) الوافي بالوفيات ، ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٦) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .

(٧) كشف الظنون ١٢٠ .

(٨) هدية العارفين ، ١ : ٦٢٥ .

بعنوان الاعجاز والايجاز . اما نسختا دار الكتب المرقمتان « ٤٠٧ أدب » و « ٥٤٥ أدب » فكلتاهما بعنوان « إعجاز الايجاز » وفي مكتبة الاوقاف العامة بالموصل نسخة اخرى برقم « ٨/٥ حسن باشا » بعنوان « الاعجاز في الايجاز » .

وقد طبع الكتاب في القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ في « خمس رسائل » وهو الرسالة الاولى وعنوان هذه الطبعة هو « الايجاز والاعجاز » ، وطبع بمصر سنة ١٨٩٧ م مع شروح لاسكندر آصاف وعنوان هذه الطبعة « الاعجاز والايجاز » والراجح ان يكون عنوان الكتاب « الايجاز والاعجاز » فان الايجاز خاص يؤدي الى عام هو الاعجاز ، والمقبول ذكر الخاص قبل العام .

ولم يصرح المؤلف باسم الذي الف له الكتاب واكتفى بتسميته بـ « القاضي الجليل اطال الله بقاءه »(١) ولكنه لم يلبث ان كشف عنه في تضاعيف الكتاب ، فحين استشهد بنصوص للقاضي أبي احمد منصور بن محمد وصفه بانه « المخدوم بهذا الكتاب »(٢) وعلى هذا يكون الثعالبي الفه له عند عودته من غزنة ماراً بهراة ، بعد سنة ٤١٢ هـ .

والكتاب يقع في عشرة ابواب معقودة على الآيات والاقوال البليغة والحكم والامثال والشعر موزعة بمنهج يشبه منهج « التمثيل والمحاضرة » الى حد كبير . كما ان مادة الكتاب نفسها تبدو كأنها منتزعة من

---

(١) الاعجاز والايجاز ، طبعة آصاف ، ٨ .

(٢) الايجاز والاعجاز ، خمس رسائل ، ٩٨ ولم يرد هذا الوصف في طبعة آصاف حين ذكر القاضي ، ٢٦٦ .

« التمثيل والمحاضرة » عدا الباب العاشر الذي عقده للشعر ، فقد زاد فيه كثيراً على ما أورده في « التمثيل والمحاضرة » من شعر .

على ان اهم ما يتميز به منهج الايجاز والاعجاز هو التدرج الزمني لاصحاب النصوص في الابواب كلها .

وقد اختصر الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنه ٦٠٦ هـ كتاب الايجاز والاعجاز وسمى المختصر « أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام »(١) فذهب كثير من المحدثين الى ذكره ضمن كتب الثعالبي(٢) ، وذهبت دائرة المعارف الاسلامية الى القول بان الثعالبي « ضمن كتابه - والمقصود احاسن كلام النبي - كتابا اكبر منه هو كتاب الاعجاز والايجاز »(٣)

وقد طبع مختصر الرازى هذا في لندن سنة ١٨٤٤ م مع ترجمة لاتينية للمسيو فالتون .

وذكر في فهرس دار الكتب كتاب بعنوان « منتخب إعجاز الايجاز » للعلامة عبد اللطيف بن محي الدين الدمشقي(٤) .

---

(١) ذكر في فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب لغاية مايو سنة ١٩٢٦ م ، ٣ : ٤ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٨ لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ٢٠ ، شاهنامة ثعالبي مقدمة المحقق أ .

(٣) ٦ : ١٩٦ .

(٤) فهرس الكتب الموجودة بدار الكتب لغايه مايو سنة ١٩٢٦ م ، ٣ : ٣٨٨ .

٣٦ـ حشو اللوزينج « مفقود »

انفرد الثعالبي بذكره(١) ، ولم يشر اليه أحد من القـــدماء ، وتنبه لذكره الدكتور زكي مبارك الذي أوجز شرح منهجـــه(٢) ، ومحققا لطائف المعارف اللذان اكتفيا بذكر اسمه(٣) .

ويبدو ان الثعالبي كتبه في نيسابور بعد عودته من غزنة ، فقـــد أورد ذكره بمناسبة ورود ما يشبه مادته في كتابين متأخرين من كتبه(٤) ، ولم يشر اليه عندما أورد مثله في يتيمة الدهر(٥) ، وعلى هـذا يغلب على الظن أنه مؤلف بعد اليتيمة ، ويستبعد أن يكون مؤلفاً في الجرجانيـــة أو غزنة ، لأنه لو كان ألفه هناك لما تخلى عن اهدائه لاحد الرؤساء ولما تخلى عن ذكر ذلك كعادته عنـــد ذكر كتبه المهداة .

أما منهج الكتاب ، فان ما ورد في ثمار القـــلوب يشير الى انه قائم على دراسة إطناب الاعتراض من وجهة نظر النقد ، فقـد قسمه

---

(١) ثمار القلوب ٦١١ ، واورد ما يشبه منهجه في « خاص الخاص » وذكر ان له نظائر جمعها في « بعض كتبه » .

(٢) النثر الفني في القرن الرابع ، ٢ : ١٨٥ .

(٣) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ، ١٦ .

(٤) هما ثمار القلوب وخاص الخاص المشار اليهما في ذكر الكتاب ، وهما مؤلفان بعد سنة ٤٢٠ هـ .

(٥) ١ : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

قسمين ، « حشو اللوزينج »(١) وهو الاعتراض الذي يزين الكلام بحسنه و « حشو الاكر » وهو الذي يفسد الكلام بقبحه .

٢٧ـ خصائص البلدان « مفقود »

انفرد الثعالبي بذكره في فصل خصائص البلدان في كتابه ثمار القلوب إذ قال « ولبسط الكلام في كل منها ، وخصائص البلدان ، وتفصيل معادنها ، وتركيب أماكنها ، وتخليص أحوالها ، مكان من كتاب « خصائص البلدان » المستفتح ايضا باسم الامير السيد أدام الله تأييده »(٢) والامير المقصود هو الميكالي الذي الف له « ثمار القلوب » .

ولابد من الاشارة الى ان هذا المنهج قد طبق ايضاً على الفصل الخاص بخصائص البلدان في « لطائف المعارف »(٣) مما يوحي بأن الفكرة استهوته بعد تأليفه لطائف المعارف فالف كتابا برأسه فيها بعد عودته الى نيسابور ليهديه الى الامير ابي الفضل الميكالي .

٢٨ـ فقه اللغة وسر العربية « مطبوع »

ذكر الثعالبي ان من الف له الكتاب وهو الامير ابو الفضل الميكالي ، هو الذي اختار له اسم « فقه اللغة » ، فالفه له وشفعه

---

(١) ذكر في خاص الخاص ١٢٨ ان مصطلح « حشو اللوزينج » من ابتكارات الصاحب بن عباد .

(٢) ٥٤٥ .

(٣) ١٥٢ـ٢٣٩ .

ب- « سر العربية »(١) .

وذكره كل من الكلاعي(٢) ، وابن خلكان(٣) ، والصفدي(٤) ، والقلقشندي(٥) ، وابن قاضي شهبة(٦) ، باسم « فقه اللغة » ، ويبدو أن القسم الثاني منه قد فصل عنه وسماه بعض النساخ المولعين بالسجع « سر الأدب في مجاري كلام العرب » ، وذلك ما يفسر عدم ذكر ابن الانباري « فقه اللغة » ، وذكره « سر الادب » بدلاً منه(٧) ، ولعل الكتابين بقيا منفصلين بعد ذلك فقد ذكر الصفدي(٨) وابن قاضي شهبة(٩) « سر الادب » على انه كتاب آخر للثعالبي وعلى ذلك اكثر المحدثين .

وقد اطلق الاسم الاخير على الكتاب بقسميه في كثير من مخطوطاته ، كمخطوطة مكتبة الاوقاف العامة بالموصل المرقمة « ٨/٧ نبي شيت » والمخطوطة المصورة بمعهد احياء المخطوطات

---

(١) فقه اللغة ٢٨ .

(٢) احكام صنعة الكلام ، ٢٣٢ .

(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢ .

(٤) الوافي بالوفيات ، ١٥-١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٥) صبح الاعشى ١ : ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٤٦٨ ، ٢ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٦) طبقات النحاة واللغويين ، ٢ : ٣٨٧ .

(٧) نزهة الالباء في طبقات الادباء ، ٢٤٩ .

(٨) الوافي بالوفيات ، ١٥-١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٩) طبقات النحاة واللغويين ، ٢ : ٣٨٨ .

بجامعة الدول العربية برقم « احمد الثالث ٢٤٤٣ » ومخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم « ٢١ لغة » .

وقد لعب التصحيف والتحريف دورا في ورود اسم ثالث للكتاب هو « شمس الادب » وهو ما كتب على مخطوطة المكتبة الخديوية المرقمة « ٤١٩٢ » والمنسوبه خطـأ الى ابي سعيد بن مهدي بن ابي سعيد السناني . وقد ذكر بروكلمان عدة مخطوطـات بالعنوان الاخير توجد في مكتبات اوربا(١) .

وتوجد نسخة من الكتاب في الكتبخانة العمومية في القسطنطينية برقم » ٣٢٠٧ بجاميع » تحمل عنوان « معرفة الرتب فيما ورد من كلام العرب » .

وقد وجدت في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربيـــة مخطوطة بعنوان « المنتخب من سنن العرب » برقم (فيض الله ٢١٣٣) وجدت ـ بعد مقارنتها ـ انها « سر العربية » نفسه ، اما المخطوطة الموجودة في مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف الاشرف بعنوان « اسماء الاضداد » للثعالبي فما هي إلا فصل مقتطع من فقه اللغة(٢)

والمخطوطة الوحيدة التي وجدتها بعنوان « فقه اللغة وسر العربية » موجودة في دار الكتب برقم « ٥٧٤٠ » .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات بعنوان « فقه اللغة وسر العربية »

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٢٨٦ .

(٢) مادة المخطوط موجودة في كتاب فقه اللغة ٤١٨ ، وقد اكتشف هذه الحقيقة السيد محمد حسين آل ياسين واشار اليها في رسالته للماجستير « الاضداد في اللغة » ٣٨٧ وما بعدها .

منها طبعة بعناية الكنت رشيد الدحداح بباروس سنة ١٨٦١ م ، وطبع على الحجر بمصر سنة ١٢٨٤ هـ ، ثم طبع طبعة حروف بمصر سنة ١٨٨٠ م ، وطبعة اخرى بمصر سنة ١١٣٨ هـ ، وبتصحيح الشيخ الزهري بمصر سنة ١٣٢٥ هـ (القسم الثاني فقط) ، وباعتناء الاب لويس شيخو ببيروت سنة ١٨٨٥ م ، وبتصحيح محمد بدر الدين النعساني بمصر سنة ١٩٠٧ م ، وطبع بمطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٩٣٦ م وبتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري بمصر سنة ١٩٣٨ م ، وطبع بمطبعة الاستقامة (دون تاريخ) ، واعيد نشر بعض هذه الطبعات اكثر من مرة .

والطبعة الوحيدة للكتاب بعنوان « سر الادب في [بجاري](١) كلام العرب » صدرت في ايران سنة ١٨٥٨ م مع كتاب « السامي في الاسامي للميداني » ، وهي طبعة حجرية .

وقد صرح مؤلف الكتاب بان الميكالي هو الذي امره بتأليفه له ورسم له حدوده(٢) ، واشار في مقدمته الى حادثة هجوم القفص على ضيعته اثناء تأليف الكتاب(٣) ، وقد وقع ذلك سنة ٤٢٠ هـ(٤) وعلى هذا يكون تأليف فقه اللغة في حدود هذا التاريخ(٥) .

---

(١) في الاصل (بجازي) ولعله خطأ في الطباعة .

(٢) فقه اللغه ١٥ .

(٣) فقه اللغة ٢٢ .

(٤) الكامل في التاريخ ٩ : ٣٧٧ .

(٥) اشارت دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ١٩٧ الى ان الثعالبي الف فقه اللغة في اخريات ايامه .

والكتاب ، كما أشرت ، قسمان ، الأول « فقه اللغة » وقد قسمه المؤلف ثلاثين بابا مفصلة جمع في كل فصل مفردات لغوية لمعنى تدل على أجزائه أو أقسامه او أطواره أو أحواله ، وجمع الفصول المتقاربة في المعنى أو التي هي اجزاء يكمل بعضها بعضا لمعنى أعم في باب واحد عقده لذلك المعنى .

وعلى هذا يمكن أن نعد « فقه اللغة » كتابا في اللغة(١) ولكن من الغلو أن نسميه « معجما للمعاني »(٢) ، إذ ليس في ابوابه الثلاثين أي أثر للتنسيق المعجمي الذي يسهل معه الوصول الى اللفظة او المعنى ، فقد يدرج المؤلف فصولا في باب لا علاقة لها به(٣) ، وقد يكتب فصولا في باب ويشير الى أنه كان يجب ان يكتبها في باب سابق « انساه كتابتها الشيطان »(٤) فيه .

ولا يتجلى جهد المؤلف في هذا القسم بقدر ما يتجلى جهد الجامع ، فالفصول كلها منقولة عن كتب أئمة اللغة التي لم يعن المؤلف بالاشارة اليها في رواياته وان كان أشار الى مجموعها في مقدمته(٥) ولا نجد في هذا القسم شيئا من رأي المؤلف الا في

---

(١) وصف بذلك في مصادر التراث العربي ٢٤٥ وفي تاريخ آداب اللغة العربية « بروكلمان » ١ : ٢٨٤ .

(٢) وصف بذلك في ، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب ٥١ و المراجع العربية والمعربة ٢٦٢ .

(٣) ٢٢١ـ٢٢٣ .

(٤) ١٠٣ ، ٣٧٤ .

(٥) ١٦ .

مسألتين صغيرتين(١) .

ويبدو غلو الثعالبي في الاعجاب بأدب معاصريه في هذا الكتاب ، فهو ينسى أنه يكتب في اللغة التي تعارف الناس على قبول الشاهد القديم فيها ، فتراه يستشهد بأقوال المحدثين كثيرا ، بل يستشهد بشعره هو(٢) .

أما القسم الثاني « سر العربيـــة في مجاري كلام العرب » فيتكون من فصول غير مبوبة تتناول مسائل في اللغة والنحو والصرف والبيان والبديع والمعاني معتمدا النص أساسا للدراســة ، وقد أشير في دائرة المعارف الاسلامية الى ان جل هذا القسم منقول من كتاب فقه اللغة لاحمد بن فارس(٣) ، وذلك صحيح .

أما ما ذهب اليه احمد امين من ان الثعالبي سبق احمد بن فارس في تسميته كتابه(٤) ، فأمر لا صحة له لأن ابن فـارس توفي سنة ٣٩٥ هـ ، والف الثعالبي فقه اللغة بعـــد وفاة ابن فارس بربع قرن .

ان اهمية « فقه اللغة » تتجلى ـ كما أوضح الدكتور زكي مبارك ـ في ان اكثر المصادر التي نقل عنها ضاعت ، ولم يبـــق لها اثر إلا فيه(٥) .

---

(١) ١٠٢ ، ٢٧٩ .

(٢) ٣٤٥ .

(٣) ٦ : ١٩٧ .

(٤) ظهر الاسلام ٢ : ١٢١ .

(٥) النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ١٩٠ .

وقد بلغ من اعجاب بعض القدماء به أن نظمه شعراً وسمى مؤلفه « نظم فقه اللغة » . ونقل السيوطي بعض ما جاء فيه(١) .

٢٩ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب « مطبوع »

هكذا سماه الثعالبي في مقدمته(٢) ، وعلى ذلك الكلاعي(٣) ، ولكن الصفدي عده كتابين فذكر « ثمار القلوب » على انه كتاب منفرد من كتب الثعالبي ثم ذكر « المضاف والمنسوب » على انه كتاب آخر(٤) ، ونقل عنه ابن قاضي شهبة ذلك ، ولكن يبدو أنه أخطأ القراءة ، أو أن ناسخ كتابه أخطأ فكتب اسم الاول « شهادة القلوب » وكتب اسم الثاني « المضاف في المنثور »(٥) .

وقد طبعت مقدمته مع الباب الرابع منه فقط بمجلة المشرق ببيروت سنة ١٩٠٠ م(٦) .

وطبع كاملا بتحقيق محمد بك ابو شادي بمطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ(٧) وطبع مرة اخرى بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

---

(١) المزهر في اللغة ، ١٢٣ ، ٤٥٠ .

(٢) ٣ .

(٣) احكام صنعة الكلام ٢٣٢ .

(٤) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ .

(٦) العدد ١٢ صفحة ٥٥٣ .

(٧) نشرت عدة مقالات حول تحقيق هذه الطبعة في مجلة لغة العرب ١٩٢٨ م العدد السادس : ٣٧١ والعدد العاشر : ٧٦٢ وسنة ١٩٢٩ م العدد الثاني : ١٧٣ .

بمصر سنة ١٩٦٥ م .

وقد صرح المؤلف في مقدمته بأنه أهدى الكتاب لخزانة الامير ابي الفضل الميكالي وأشار الى أنه هو الذي أمره بتأليفه(١) ، وقد كان ذلك بعد سنة ٤٢١ هـ ذلك انه اورد لنفسه أبياتا في مدح السلطان محمود الغزنوي قدم لها بقوله : « قلت من قصيدة في السلطان الماضي »(٢) ، ومعروف ان السلطان محمود توفي سنة ٤٢١ هـ .

ولكن أمر تعيين تاريخ تأليف الكتاب على وجه الدقة قد لا يسلم من الخطأ ، لان في الكتاب ما يشير الى انه لم يؤلف في وقت واحد ، ولعله استغرق في تأليفه سنوات ، من ذلك ضخامة الكتاب وسعة مادته ، ومن ذلك ما يلاحظ من ان المؤلف ينسى أحيانا ما قاله في الكتاب نفسه ، فقد اورد في اول الكتاب مثلاً رسالة لابي اسحق الصابي بنصها(٣) ، ثم لما اراد الاشارة اليها في مكان آخر قال « وقرأت رسالة لابي اسحق الصابي لا اذكرها » ثم ساق معنى الرسالة(٤) .

ومنهج « ثمار القلوب » قائم على ذكر أشياء مضافة أو منسوبة الى المعنى الذي يعقد الباب عليه وعلى ما يقاربه في المعنى او يجانسه ، وتبلغ أبواب الكتاب واحدا وستين باباً ، ويتفاوت الحديث بين مضاف أو منسوب وآخر ، فقد يكتفي المؤلف بالتعريف ، وقد

---

(١) ٣ ، ٨ .

(٢) ٣٥ .

(٣) ١٥٤ .

(٤) ١٨٩ .

يسوق الآية والحديث والمثل والقول المأثور والشعر والنادرة .

ومنهج الكتاب ومادته يدلان على مدى توسع معارف الثعالبي ونضجه الفكري ، فالكتاب موسوعة أدبية يمكن أن نعده مع « لطائف المعارف » عملا أدبيا وعلميا ضخمـا بالنسبة لعصره ، ولعل ذلك ما دفع الدكتور زكي مبارك الى المبالغة في تقويم الكتاب حين قال : « ونحن نقول بدون تحفظ إن هذا الكتاب من انفس ما كتب باللغة العربية »(١) .

وكان من أثر عظمة هذا الكتاب ان كثرت مختصراته ، ذكر حاجي خليفة اثنين منها هما : « نفحة المجلوب من ثمار القلوب » و « جنى المحبوب المنتخب من ثمـار القلوب » ونسبهما الى « بعض الادباء »(٢) .

وتوجد في دار الكتب المصرية مخطوطة بعنوان « مـا يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » للامام محمد امين بن فضـل الله المحبي المتوفى سنة ١١١١ هـ برقم « ٤٧٥٤ أدب » تناول فيها مادة ثمار القلوب مرتبة على حروف المعجم .

وذكر في دائرة المعارف الاسلامية موجز لثمـار القلوب بعنوان « عماد البلاغة » لعبدالرزاق المناوى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ (٣) .

٣٠ـ برد الاكباد في الاعداد « مطبوع »

سماه الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته(٤) ، وعلى ذلك كل من

---

(١) النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ١٨٣ .

(٢) كشف الظنون ، ٥٢٣ .

(٣) ٦ : ١٩٧ .

(٤) ١٠٣ .

ذكره عدا الصفدي الذي اختصر الاسم ، فسماه « الاعداد »(١) وتابعه ابن قاضي شهبة(٢) .

وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب برقم « ١٧٥٦١ أدب » ومخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم « ١٧٧ مجاميع » بعنوان « برد الاكباد في الاعداد » .

وطبع باسمه هذا في القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ في مجموعة « خمس رسائل » وهو الرسالة الثانية .

لم يصرح المؤلف باسم الذي الف الكتاب له ، ولكنه اشار اليه بقوله « الحمد لله إذ عاد مولانا أطال الله بقاءه ، وادام علاءه الى مقر عزه ودار مقامه »(٣) .

والغالب على الظن انه يقصد به الامير ابا سهل الحمدوني الذي ولي امارة نيسابور سنة ٤٢٢ هـ ، والذي كان الثعالبي أهداه نسخة من « سحر البلاغة » قبل اكثر من عشرين عاما .

ويقع الكتاب في خمسة ابواب سلك في كل باب منها اختيارات ادبية من الشعر والنثر قائمة على التقسيم العددي . خص الباب الاول بالاختيارات القائمة على ذكر شيئين ، والثاني للثلاثة ، والثالث للاربعة ، والرابع للخمسة ، والخامس للستة حتى العشرة ، أما مادة الكتاب فلا تختلف كثيرا عن مادة كتبه الاخرى في الاختيارات إلا في طريقة عرضها التي ابتكرها واشار الى انه لم

---

(١) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ ٢٨٧ .

(٣) ١٠٢ .

يسبق الى جمع شملها وعمل مثلها(١) .

ان كتاب « برد الاكباد في الاعـداد » دليـــل على اثر الروح التعليمية في مصنفات الثعالبي .

٣١ـ تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين « مفقود »

قال الثعالبي في كتابه « مرآة المروءآت » « ولي كتاب في الاهداء والاستهداء شاف كاف في [مثل](٢) ذلك فليراجع »(٣) . والمرجح ان المقصود بهذا النص هو هذا الكتاب الذي ذكره الصفدي(٤) وابن قاضي شهبة(٥) .

ولا يمكن معرفة منهج الكتاب او تاريخ تأليفه على وجه الدقة ، ولكن يمكننا ، اعتمـادا على مناسبة ذكره في مرآة المروءآت ، ان نقرر ان منهجه ربما كان في عرض منتخبات من النصوص الادبيـة التي جرت عادة الادباء بارسالها مع ما يرسلونه من هدايا ، والنصوص الادبية التي قيلت في استماحة الهدايا ، ولنا ان نقول بعـد ذلك ان تأليف هذا الكتاب سبق تأليف « مرآة المروءآت » بزمن لا يمكن تحديده .

---

(١) ١٠٣ .

(٢) في الاصل المطبوع « نيل » ولا يستقيم بها المعنى .

(٣) ٢٢ .

(٤) الوافي بالوفيات ، ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٥) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ وورد الاسم فيه « تفضيـــل المقتدرين وتنصل المعتذرين » ولعله من خطأ الناسخ .

٣٢ـ مرآة المروءات « مطبوع »

سماه الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته(١) ، وعلى ذلك القدماء والمحدثون عدا الكلاعي الذي ذكر مرآة المروءة(٢) .

وتوجد في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل مخطوطة منه ضمن مجموعة برقم ٨/١٠ حسن باشا ، وهي أكبر من المطبوع .

وقد طبع الكتاب بمصر باسم « مرآة المروءات واعمال الحسنات » سنة ١٨٩٨ م دون تحقيق .

لم يصرح المؤلف باسم الذي الف له الكتاب ولكنه ذكر « الصدر الاجل السيد الصاحب اكفى الكفاة » ثم اشار الى « العبودية القديمة لحضرته »(٣) .

والراجح ان يكون الكتاب مؤلفا للامير ابي سهل الحمدوني الذي ينطبق عليه الوصف على وجه قريب من الدقة . ولو صدق الظن فان الكتاب مؤلف بعد سنة ٤٢٢ هـ ، ودليلنا على ذلك ان المؤلف لما ذكر السلطان محمود الغزنوي المتوفى سنة ٤٢١ هـ وصفه بـ « السلطان الماضي »(٤) .

ويقع الكتاب في خمسة عشر بابا مفصلة يبدأ كل باب بلفظة « مروءة » مضافة الى طبقات الناس ومظاهر العيش ، اما مادة الكتاب فهي المادة التي عودنا الثعالبي عليها في كتب الاختيارات من

(١) ٣ .

(٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٢ .

(٣) ٢ ، ٣ .

(٤) ٨ .

آيات واحاديث وامثال واشعار لا يتجلى للمؤلف فيها إلا جهد الجمع والتنسيق ، ولكنها رغم ذلك تكشف جوانب كثيرة من حياة مجتمع المؤلف في علاقاته وحياته وطعامه وشرابه وما الى ذلك من امور تدخل في باب دراسة علم الاجتماع .

٣٣ـ اللطف واللطائف « مخطوط »

لم يذكره أحد من القدماء ، وذكره البغدادي(١) ، وذكر جرجي زيدان ان منه نسخا مخطوطة في برلين وفينا ودار الكتب(٢) ، وتوجد منه نسخة بالاسكوريال برقم ٣٦٣ وذكر في « فهرست المخطوطات العربية في معهد شعوب أسيا بالاتحاد السوفيتي » أن في المعهد نسخة بعنوان « لطائف الظرفاء » هي كتاب اللطف واللطائف نفسه ، وانه مؤلف للحمدوني(٣) ، ولكن مخطوطة الاسكوريال تخلو من ذلك وانما ورد اهداء الكتاب فيها الى « مولانا الامير السيد الصاحب اطال الله بقاءه »(٤) وهو الوصف الذي ورد للحمدوني في الكتب الاخرى المهداة له .

ويقع الكتاب في ستة عشر بابا عقدها لاقوال طبقات الناس التي من جنس صناعاتهم وجعل كل باب لطبقة ، وقد اشار المؤلف الى انه لم يسبق الى مثل هذا المنهج(٥) ، والحقيقة ان الجاحظ سبقه الى

(١) هدية العارفين ١ : ٦٢٥ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧ .

(٣) ٤١ .

(٤) ورقة ١ وجه .

(٥) ورقة ١ وجه .

مثله قبل اكثر من قرن ونصف(١) ، والمنهج نفسه ليس طارئا على مؤلفات الثعالبي نفسه فقد ورد في كتبه الاخرى فصول قام منهجها على ما قام عليه منهج هذا الكتاب(٢) .

اما ميزة هذا الكتاب على كتاب الجاحظ فتتمثل في تناوله طبقات عديدة من الناس واقوالها في امور مختلفة .

٢٤ـ خاص الخاص « مطبوع »

ذكره الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته(٣) ، ولم يخالفه احد من القدماء والمحدثين في التسمية عدا ابن قاضي شهبة الذي سماه « خاص الخواص »(٤) ولعله خطأ الناسخ .

وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب برقم « ٤٤٧ أدب » .

وقد طبع بتونس سنة ١٢٩٣ هـ ، وبتصحيح الشيخ محمود السمكري بمصر سنة ١٣٢٦ هـ ، وبتقديم حسن الامين ببيروت سنة ١٩٦٦ م والطبعة الاخيرة تنقصها مقدمة المؤلف التي فيها سياقة الابواب .

وقد صرح المؤلف في مقدمته باهداء الكتاب للشيخ ابي الحسن مسافر بن الحسن(٥) ، الذي ورد بصحبة السلطان مسعود على

---

(١) صناعات القواد ضمن رسائل الجاحظ ١ : ٣٧٥ـ٣٩٣ .

(٢) برد الاكباد ١١٢ ، خاص الخاص ٦٥ـ٨٣ وفيه اشار المؤلف الى ما عمله الجاحظ من نوعه .

(٣) خاص الخاص ، طبعة السمكري ، ٢ .

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .

(٥) خاص الخاص ـ طبعة السمكري ، ٢ .

نيسابور سنة ٤٢٤ هـ .

ويقع الكتاب في سبعة أبواب متقاربة في المادة التي هي الاقوال البليغة من الآيات والاحاديث والامثال والاشعار ، مختلفة في المنهج الذي هو منهج فصول متفرقة في كتب الثعالبي السابقة(١) عدا الباب الثالث الذي ضم رسالة صغيرة للثعالبي كان بعض الملوك أمره بتأليفها في الامثال على « افعل من كذا »(١) .

ولعل الثعالبي اراد ان يهدي أبا الحسن كتابا وهو على جناح السفر مع السلطان ، فلما لم يجد مادة لكتاب جديد لفق له الكتاب من فصول كتبه الاخرى بعد ان اضاف اليها وهذب بعضها .

٣٥ـ نسيم السحر « مطبوع »

ذكره الصفدى بهذا الاسم(٣) وتابعه ابن قاضي شهبه(٤) .

وقد طبع الكتاب ببغداد في العدد الاول من سلسلة « الكتاب » بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين(٥) ، وطبع في المجلد الاول من مجلة المورد ببغداد سنة ١٩٧١ م بتحقيق الدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، ولا تحمل الطبعتان اسم الذى اهدي له الكتاب ، فقد ورد في مقدمة النسخ الخطية التي رآها المحققان « اما بعد فان لقاء الشيخ

---

(١) ورد منها في (التمثيل والمحاضرة) ١٥ـ١٨ و (برد الاكباد) ١١٢ ، ١٣٠ و (الايجاز والاعجاز) ١٣٦ـ ٢٧٨ .

(٢) اشار هو الى ذلك في مقدمة الباب « طبعة بيروت » ٣٨ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٢٨٨ .

(٥) نشر في مستل غير مؤرخ .

نسيم السحر على كبد المكروب »(١). فلم يهتديا الى اسمه ، وصرحا بذلك(٢) .

وقد عثرت على نسخة مخطوطة مصورة من الكتاب في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية بعنوان « خصائص اللغة »(٣) برقم « الظاهرية ٣٠٦ » وردت فيها العبارة المذكورة بهذا الشكل « اما بعد فان لقاء الاجل الافضل الاوحد ابي الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمري نسيم الصبا على كبد المكروب »(٤) .

وابو الحسن هذا من خواص السلطان مسعود ، وقد ورد معه على نيسابور سنة ٤٢٤ هـ ، وقد كان له على ابي منصور في غربته بغزنة اياد ذكرها في مقدمة هذا الكتاب(٥) الذي يرجح انه كتبه له عند وروده على نيسابور .

وقد اشار الشيخ محمد حسن آل ياسين الى انه رجع عند تحقيقه الكتاب الى فقه اللغة وسر الادب فوجد ان « الاسلوب واحد والمطالب متشاكلة والبحث فيها متشابه الى ابعد الحدود »(٦) . واما الدكتورة ابتسام مرهون الصفار فقالت « لقد وجدت بعض الفصول

---

(١) طبعة ال ياسين ١١ وطبعة الصفار ١٣١ .

(٢) طبعة آل ياسين ٣ وطبعة الصفار ١٢٧ .

(٣) ربما وضع احدهم هذا العنوان على نسخة فقدت صفحة عنوانها معتمدا على وصف المؤلف كتابه بانه في « خصائص اللغة » ١ وجه

(٤) ورقة ١ وجه .

(٥) طبعة آل ياسين ١١ .

(٦) مقدمة المحقق ٣ .

في كتاب نسيم السحر لم يذكرها الثعالبي في كتابه فقه اللغة ، ووجدت فصـولا في فقه اللغة اختصرهـا الثعـالبي في نسيم السحر ، او اضاف اليها يسيرا من المواد اللغوية ، او بدل اسماء عناوينها»(١) .

وقد وجدت اشارة في مقدمة الثعالبي لنسيم السحر لفتت نظري هي قوله : « فألفت له واختصرت هذا الكتاب »(٤) . ولم اجد بعد هذا الكلام إشارة الى الاصل الذي اختصر منـه هـذا الكتاب ، فقمت بمقارنة دقيقة بين نسيم السحر وفقه اللغة وخرجت بنتيجـة تؤكد صدق قول الثعالبي ، ذلك ان كتاب نسيم السحر مختصر من القسم الاول من كتاب فقه اللغة ، وجميع مـا ورد فيه موجود في فقه اللغة بلا استثناء ، وان ما اشار اليه المحققان من النتـائج التي خرجا بها لا يدل على انها صبرا على المقارنة بما يكفي للفوز بالحقيقة .

ولما كان « نسيم السحر » مختصر من « فقه اللغـة » فهو مؤلف بعد سنة ٤٢٠ هـ على وجه اليقين اذ ليس من المعقول ان يؤلف المختصر قبل اصله ، ولهذا حكمت بانه اختصره للشيخ الصيمري في سنة ٤٢٤ هـ .

اما طريقة اختصار نسيم السحر فقائمة على اختيار فصول من فقه اللغة ، وانتخاب بعض مادتها ، او اخذها كما هي ، او بتقديم وتأخير مفرداتها ، ونقلها الى المختصر بترتيب يخالف ترتيبها في فقه اللغـة احياناً ، ويوافقه احياناً .

---

(١) مقدمة المحققة ١٢٨ .

(٢) طبعة آل ياسين ١٢ .

٣٦ ـ سر الصناعة « مفقود »

انفرد الثعالبي بذكره فأشار في « مرآة المروءات » الى اتجاه نيته الى تأليف كتاب في النقد (١)، ثم اشار في تتمة اليتيمة الى انه حرر الكتاب ولم يتمه بعد ، وان من عزمه أن يترجمه بـ «سر الصناعة»(٢)، وعليه يمكن أن نستنتج انه مؤلف بعد سنة ٤٢٤هـ .

وقد ورد ذكر الكتاب في الموضعين السابقين بمناسبة ايراد المؤلف رأياً نقدياً له في بيت شعر ، فان صح القياس عليه فكتاب سر الصناعة مؤلف في النقد القائم على التذوق الشخصي .

٣٧ ـ الغلمان « مخطوط »

لعل الثعالبي قصده بوصفه احد كتبه بأنه : « التغزل [بمائتي] (٣) غلام»(٤) .

ونقل ابن بسام نصين من كتاب للثعالبي سماه « الف غلام»(٥) ونقل الكلاعي هذا الاسم نفسه(٦) وذكر ابن خلكان كتاباً باسم « الغلمان » للثعالبي (٧).

---

(١) ١٤ .

(٢) ٢ : ٣٦ .

(٣) في الأصل « بماتى » ولا وجه له .

(٤) تتمة اليتيمة ، ٢:٨٥ .

(٥) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، القسم الرابع . المجلد الاول٧٦.

(٦) احكام صنعة الكلام ٢٢٣ .

(٧) وفيات الاعيان ١:٣٥

وسماه الصفدي أيضاً «الغلمان» (١) وتابعه ابن قاضي شهبة (٢)، وذكر حاجي خليفة الاسم الاخير (٣)، وأشار جرجي زيدان الى أماكن وجود مخطوطاته (٤) .

ويبدو من النص الذى أورده الثعالبي عند ذكره اسم الكتاب والنصين اللذين ساقهما ابن بسام والنص الذي ساقه ابن خلكان ان الكتاب معقود على الاختيارات من غرض شعري واحد هو الغزل بالغلمان ، ولعل توزيع هذه المادة قائم على اختلاف الغلمـــان من حيث صفاتهم او اعمالهم .

والراجح أن الفراغ من تأليف الكتاب وقع بعد الفراغ من تأليف تتمة اليتيمة التي كتبت سنة ٤٢٤ هـ ، ذلك ان النص الذى أشار فيه الى هذا الكتاب يدل على أنه كان لايزال يجمع مادته ، ولعله كان قد جمع آنذاك قصائد في مائتي نوع من الغلمان ، أوصلها بعد ذلك الى ألف ، فحدث ماحدث من اختلاف بين التسمية التي وردت في التتمة ، والتسمية التي ذكرها ابن بسام .

٣٧ـ تتمة اليتيمة «مطبوع»

ذكره ياقوت بهذا الاسم ، ونقل عنه بعض تراجمه (٥) ، وورد خلال قائمة الكلاعي اسم «يتيمة الدهر» ، ثم ورد في آخرها اسم

(١) الوافي بالوفيات ، ١٥ـ١٧ ، ق٢ : ٦٩ ظهر .

(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ :٣٨٨ .

(٣) كشف الظنون ١٤٤٥ .

(٤) تأريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٧ .

(٥) معجم الادباء ، ٣ : ٢١٩ ، ٥ : ١٧٥ ، ٦ : ٤١١ وسماه في الموضع الاخير « تتمة يتيمة الدهر » .

«اليتيمة» مرة ثانية فأشار محقق كتاب الكلاعي الى انه قد يكون المقصود به « تتمة اليتيمة » (١) .

وذكره الصفدي (٢) والسبكي(٣) باسم « تتمة اليتيمة » الا ان ابن قاضي شهبة الذي نقل قائمة الصفدي قرأه « يتيمة اليتيمة »(٤) وذكره حاجي خليفة بالاسم الاخير في حديثه عن ذيول يتيمة الدهر (٥) .

ان التصحيف محتمل في كلا الاسمين ، وأياً كان الوجه الذي يحتمله اسم الكتاب فان الوجه الأخر محتمل بالقدر نفسه ، ولو اننا لجأنا الى الكتاب نفسه فسنجد ما يقطع بتسميته بغض النظر عن اعجام الحروف مهما كان .

قال المؤلف في ترجمة ابي القاسم غانم بن محمد الاصفهاني: «تضمن كتاب اليتيمة قليلا من شعره ، وقد كررت ذكره في التتمة لما سبق من العذر فيه »(٦) .

وقال في ترجمة ابي سعد محمد بن خلف الهمداني : « قد تقدم ذكره

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ حاشية (١)

(٢) الوافي بالوفيات ١٥ – ١٧ ، ق٢ ، ٢٦٩ وجه ويمكن قراءته « يتيمة اليتيمة لما اتسمت به مخطوطة الوافي بالوفيات من اشكال خطها المغربي .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٨٥

(٤) طبقات النحاة اللغويين ٢ : ٣٨٧ .

(٥) كشف الظنون ٢٠٤٩.

(٦) ١ : ١١٩ .

في اليتيمة وتكرر في التتمة »(١) .

وهذا النصان يقطعان بأن الاسم الصحيح هو « تتمة اليتيمة » دون ان يقبل ذلك أي نقاش ، فان قبلنا بأن اسم الكتاب «يتيمة اليتيمة» وجب علينا ان نتهم الثعالبي بالغفلة لأنه اورد كلمة « اليتيمة » مرتين في كل من النصين ، وافترض ان يفهم الناس من الاولى « يتيمة الدهر »، ومن الثانية « يتيمة اليتيمة »، وذلك جهل بفن الكلام ننزه الثعالبي عنه ، ان الحقيقة الواضحة هي ان اسم الكتاب «تتمة اليتيمة» وقد اختصره الثعالبي بـ « التتمة »، وذلك ما يفسر كلامه في النصين.

وقد طبع الكتاب باسم « تتمة اليتيمة » في طهران سنة ١٣٥٣هـ في جزأين بتحقيق عباس اقبال ، وكتب الخوري جرجس منش مقالا عن عدة مخطوطات لهذا الكتاب تناولها بالدراسة ، واشار الى ان الثعالبي ألف كتابه ليرد به فضل الشعراء الذين« حملوا اليه الالطاف والهدايا» بأن ترجم لهم فيه (٢) .

وقد صرح المؤلف في مقدمته بأنه كتب التتمة مرتين ، أتحف بالاولى الشيخ أبا الحسن محمد بن عيسى الكرجي وهو على جناح السفر، وأعمل التنقيح في النسخة الثانية فأنشأها نشأة اخرى(٣) ، وفي الكتاب ذكر لحوادث وقعت سنة ٤٢٤هـ(٤) ، وذلك ما يقطع بأن تأليف النسخة الاخيرة منه على الاقل وقع بعد تلك السنة .

---

(١) ١٢٦:١ .

(٢) مجلة لغة العرب سنة ١٩٢٠ ، ١٢ : ٥٣٠ ، ٥٣١

(٣) ١:١ .

(٤) ١١٤:١ ، ١٤٥ .

ومنهج « تتمة اليتيمة » قائم على ما قام عليه منهج اليتيمة ، فهو تراجم شعراء موزعة على البيئات ، وقد صرح المؤلف بهذا في حديثه عن علاقة التتمة باليتيمة فقال «يجري بجرى الفرخ له والعلاوة عليه»(١).

وقد اضاف الى التتمة نفسها تتمة اخرى جعلها خاتمة للتتمة واستغنى فيها عن التوزيع على البيئات (٢) وختمها بترجمة الصابوني مقدماً لها بقوله : « وهذه خاتمة الخاتمة »(٣)، ولعل هذه العبارة دليل قاطع على الوهم الذي وقع فيه ياقوت عندما اشار الى ان الحسن بن المظفر النيسابوري « سلك طريق أبي منصور الثعالبي فيما اورده من شعره في آخر كتاب « تتمة اليتيمة »(٤) وذلك ان آخر التتمة يخلو من ذلك .

واخيراً فان أهم ما تميزت به التتمة من اليتيمة هو ايجاز تراجمها وقلة الأخبار فيها ، وبعدها عن التحليل النقدي .

٣٨ ـ ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة « مطبوع »

ذكر ادورد فنديك انه طبع في ليبسك سنة ١٨٤٧م(٥) .

٣٩ ـ لطائف الصحابة والتابعين « مطبوع »

لم يذكره احد من القدماء ، واشارت دائرة المعارف الاسلامية

---

(١) ١:١ .

(٢) تتمة اليتيمة ٢:٨٨ـ١١٦ .

(٣) تتمة اليتيمة ٢:١١٥ .

(٤) معجم الادباء ٣:٢١٩ .

(٥) اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ٢٦٩ .

الى انه طبع في ليذن سنة ١٨٣٥م(١) .

٤٠ ـ سجع المنثور « مخطوط »

ذكره الكلاعي(٢) والصفدي(٣) وابن قاضي شهبة (٤) .

وتوجد مخطوطة مصورة منه في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ف ١٠٥٥ ق ٤٩٥ مصورة من مخطوطة «احمد الثالث ٢٣٣٧» وهي اثنتا عشرة لوحة .

وقد شرح المؤلف منهجه في مقدمته (٥) ، وهو منهج ملفق من مناهج كتبه السابقة ، فقد قسم مادة الكتاب ، وهي مادة كثير من كتبه من الا قوال البليغة ، خمسة عشر بابا ، عقد البابين الاول والثاني للصفات الممدوحة والمذمومة ، والثالث لجواهر الكلام ، والابواب الستة التالية للامثال المسجوعة موزعة على الابواب بحسب الكلمة الاولى منها ، والابواب الستة الاخيرة في الأمثال عامة والدعاء .

وقد خاطب المؤلف في مقدمته شخصاً لم يسمه ولعله يقصد القارىء أو شخصا معينا ذهب نقصان المقدمة باسمه .

ولعل اختلاف منهج أبواب الكتاب متأت من تأليفه على مراحل،

---

(١) ١٩٦:٦ وذكر في فهرس المطبوعات العربية بمعهدشعوب آسيا:٤١ ان المخطوطة الموجودة فيه بعنوان « لطائف الظرفاء » هي هذا الكتاب نفسه .

(٢) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .

(٣) الوافي بالوفيات، ١٥ـ١٧ق٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٤) طبقات النحاة واللغويين ٢ :٣٨٨ .

(٥) ورقة ١ وجه .

أو تلفيقه من فصول كتب بعضها مفقود .

ولا يمكن بعد ذلك أن نستشف من منهج الكتاب ومادته شيئا يتعلق بتاريخ تأليفه .

٤١ـ التوفيق للتلفيق «مخطوط»

ذكره البغدادي (١) ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في برلين برقم ٨٣٣٨ ، ووصفه بأنه «حول مختلف الأشياء والأشخاص ، وهو ذو محتوى مزيج من الجد والهزل» (٢) .

٤٢ ـ البراعة في الكلم والصناعة « مفقود »

أشير في «فهرس المخطوطات العربية في معهد شعوب آسيا »الى ان اسم هذا الكتاب ورد في مخطوطة بعنوان « لطائف الظرفاء »مع اشارة المؤلف الى انه مهدى للشيخ العميد الحمدوني (٣) .

٤٣ ـ ترجمة الكاتب في آداب الصاحب «مخطوط»

ذكر محقق سحر البلاغة ان في مكتبته الخاصة نسخة بهذا العنوان يظن انها للثعالبي (٤) .

٤٤ ـ المهذب من اختيار ديوان ابي الطيب المتنبي واحواله وسهوته وماجرى بينه وبين الملوك والشعراء « مخطوط »

ذكر في فهرس دار الكتب وجود نسخة منه بالدار برقم

(١) هدية العارفين ١: ٦٢٥ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية « بالالمانية » ١: ٢٨٦ .

(٣) ٤١ .

(٤) مقدمة المحقق ١، وقد طلبت اليه اطلاعي عليها فلم ألق منه رداً.

«١٨١٩٤ش»(١) .

٤٥ ـ حلية المحاضرة ، وعنوان المذاكرة ، وميدان المسامرة «مخطوط»

انفردت دائرة المعارف الاسلامية بذكره واشارت الى وجود مخطوطة منه بباريس برقم « ٥٩١٤ »(٢) .

٤٦ ـ طبقات الملوك « مخطوط »

ذكر الزركلي انه مخطوط(٣)

٤٧ ـ عيون الآداب « مفقود »

ذكره الثعالبي ولم يصرح بنسبته الى نفسه ولكن سياق الحديث يشعر بأنه له (٤) .

٤٨ ـ ملح النوادر « مفقود »

ذكره الثعالبي بطريقة توحي بأنه له (٥)

٤٩ ـ ديوان شعر الثعالبي « مفقود »

ذكر الباخرزي انه رأى مجلدة منه (٦)

٥٠ ـ الثلج والمطر « مفقود »

---

(١) ٣:١٢٧ .

(٢) ٦ : ١٩٦ .

(٣) الاعلام ٤ : ٣١١ .

(٤) اللطائف والظرائف ٥١ .

(٥) المصدر السابق ٦٣ .

(٦) دمية القصر ٢ :٢٢٦ .

ذكره الكلاعي(١) والصفدي(٢) وابن قاضي شهبة(٣) .

٥١ ـ غرر المضاحك « مفقود »(٤)

٥٢ ـ اللمح الغضه « مفقود »(٥)

٥٣ ـ الأحاسن في بدائع البلغاء « مفقود »

ذكره الصفدي(٦) وتابعه ابن قاضي شهبة(٧) .

٥٤ ـ الأدب بما للناس فيه أرب « مفقود »(٨)

٥٥ ـ افراد المعاني « مفقود »

٥٦ ـ انس المسامر « مفقود »

٥٧ ـ الانيس في غرر التجنيس(٩) « مفقود »

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٣ .

(٢) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق٢:٢٦٩ ظهر .

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢:٣٨٨ .

(٤) ذكر في المصادر الثلاثة السابقة .

(٥) ذكر في المصادر نفسها .

(٦) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق٢:٢٦٩ ظهر .

(٧) طبقات النحاة واللغويين ٢:٣٨٨ .

(٨) ذكر هذا الكتاب والكتب التي بعده الى الرقم (٨٣) في القائمتين الواردتين في المصدرين السابقين .

(٩) ذكره ابن قاضي شهبة باسم « الانيس في غريب التجنيس » .

٥٨ ـ بهجة المشاق « مفقود »

٥٩ ـ التفاحـــة « مفقود »

٦٠ ـ جوامع الكلم « مفقود »

٦١ ـ حجـــة العقل « مفقود »

٦٢ ـ خصائص الفضائل (١) « مفقود »

٦٣ ـ الخوارزميات « مفقود »

٦٤ ـ سر البيان «مفقود »

٦٥ ـ سر الوزارة (٢) « مفقود »

٦٦ ـ الشمس (٣) « مفقود »

(١) لعله تحريف « خصائص البلدان » الذي لم يرد له ذكر عند الصفدي وابن قاضي شهبة وهو الكتاب رقم ٢٧ من هذه القائمة.

(٢) لم يذكر الصفدي وابن قاضي شهبة« تحفة الوزراء »فلعلهما قصداه بهذا الاسم .

(٣) ابدى محققا لطائف المعارف في مقدمتهما (١٦) انهما يشكان بان الصفدي وابن قاضي شهبة يقصد ان شمس الادب ، ولا اظن ذلك لان الصفدي وابن قاضي شهبة ذكرا (سر الادب) و (الشمس) على انهما كتابان مختلفان .

٦٧ - صنعة الشعر والنثر (١) « مفقود »

٦٨ - الطرف من شعر البستي (٢) « مفقود »

٦٩ - عنوان المعارف (٣) « مفقود »

٧٠ - عيون النوادر « مفقود »

٧١ - الفصول الفارسية « مفقود »

٧٢ - الفصول في الفصول (٤) « مفقود »

٧٣ - لباب الاحاسن « مفقود »

٧٤ - مدح الشيء وذمه « مفقود »

٧٥ - المديح « مفقود »

٧٦ - مفتاح الفصاحة « مفقود »

٧٧ - الملح والطرف « مفقود »

---

(١) لعله «سر الصناعة» الذي لم يذكره الصفدى وابن قاضي شهبة، وهو الكتاب رقم ٣٦ من هذه القائمة .

(٢) قرأه محققا لطائف المعارف «الظرف من شعر البستي» مقدمة محققي لطائف المعارف ١٧ .

(٣) قرأه محقق التمثيل والمحاضرة « عيون المعارف » مقدمة محقق التمثيل والمحاضرة ١٣ .

(٤) انفرد الصفدي بذكره ولم يذكره ابن قاضي شهبة .

٧٨ ـ الأصول في الفصول (١) « مفقود »

٧٩ ـ منادمة الملوك « مفقود »

٨٠ ـ من غاب عنه المؤنس « مفقود »

٨١ ـ نسيم الأنس « مفقود »

٨٢ ـ النوادر والبوادر « مفقود »

٨٣ ـ الورد « مفقود »

٨٤ ـ الانوار البهية في تعريف مقامات فصحاء البرية «مفقود»

ذكره البغدادي (٢) .

٨٥ ـ تحفة الارواح وموائد السرور والافراح « مفقود »

٨٦ ـ جواهر الحكم « مفقود »

٨٧ ـ انس الشعراء « مفقود »

انفرد محققا لطائف المعارف بذكره ، ولم يشيرا الى المصدر الذي استقيا الاسم منه (٣).

---

(١) انفرد ابن قاضي شهبة بذكره ولعله يقصد الفصول في الفصول السابق ذكره «رقم ٧٢» من هذه القائمة .

(٢) هدية العارفين ١:٦٢٥ وذكر الكتابين المرقمين ٨٥و٨٦ من هذه القائمة .

(٣) مقدمة المحققين ١٥ .

٨٨ ـ أحاسن المحاسن « مخطوط »

ذكره الكلاعي(١) والصفدي(٢) ، وابن قاضي شهبة(٣)، واشار جرجي زيدان الى وجود نسختين مخطوطتين منه في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية (٤) ولكن محققي لطائف المعارف أشارا الى وجود نسختين منه بدار الكتب بهذا العنوان، وان بدار الكتب نفسها نسخة منه تحمل اسم احسن ما سمع(٥) .

واخطأ محرر مادة « الثعالبي » في دائرة المعارف الاسلامية اذ قال ان كتاب « محاسن المحاسن » نسب الى الثعالبي في » خمس رسائل» طبعة استانبول(٦)، والحقيقة ان الرسالة منسوبة الى الرخجي في هذه الطبعة لا الثعالبي (٧) .

والمظنون ان الكتاب هو احسن ما سمعت نفسه اعتماداً على مقارنة محققي لطائف المعارف ، وعلى ما اشار اليه حاجي خليفة عندما ذكر ان احاسن المحاسن يقع في اربعة وعشرين باباً (٨)، فلما ذكر احسن ما سمعت قال انه « مختصر في عشرة ابواب »(٩) مع ان المطبوع باسم

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٢ .

(٢) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٣) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٢٨٧ .

(٤) تأريخ آداب اللغة العربية ٢:٥٩٧ .

(٥) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ، ٢١ .

(٦) ٦ : ١٩٦ .

(٧) خمس رسائل ، ١٤٤ـ١٧١ ،

(٨) كشف الظنون ،١٤ .

(٩) المصدر السابق ، ١٥٤٥ وسماه اللآلىء والدرر .

احسن ما سمعت يقع في اثنين وعشرين بابا .

٨٩ لطائف الظرفاء « مخطوط »

ذكره الصفدي (١) وابن قاضي شهبة (٢) وذكر محقق التمثيل والمحاضرة انه طبع مع « يواقيت المواقيت »(٣) ولعل اسمه اشتبه عليه فذكره بدل الاسم الصحيح الذي طبع مع« اليواقيت والمواقيت» وهو « الظرائف واللطائف » .

وان الملاحظة الواردة في « فهرس المخطوطات العربية بمعهد شعوب آسيا » بأن لطائف الظرفاء هو نفسه اللطف واللطائف (٤) ، تؤكد الظن بأن الكتابين ما هما الا فصول منتزعة من « خاص الخاص » الذي يلاحظ ان عنوان الباب الرابع منه هو «في لطائف الظرفاء»(٥).

٩٠ ـ غرر البلاغة وطرف البراعة « مخطوط »

ذكر في دائرة المعارف الاسلامية ان منه نسخة ببرلين برقم ٨٣٤١، ونسخة في كوبريللي برقم ١٢٩٠(٦) .

وتوجد منه نسخة في معهد احياء المخطوطات بجامعـــة الدول

(١) الوافي بالوفيات ، ١٥ ـ ١٧ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .
(٢) طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٨ .
(٣) التمثيل والمحاضرة ، مقدمة المحقق ١٤ .
(٤)٤١ .
(٥) طبعة بيروت ، ٤٩ . وقد أشرت الى هذا في بحثي لكتاب «اللطف واللطائف» رقم (٣٣) ، من هذه القائمة .
(٦) ٦ : ١٩٧ .

العربية برقم « بشير اغا ايوب ١٥٠ » بعنوان غرر البلاغة ودرر الفصاحة .

وقد قام الدكتور رزوق فرج بدراسة مقارنة لمخطوطة منه موجودة بمكتبة الاوقاف العامة ببغداد برقم « ٥٦٢٢ »، ووجد انه هو كتاب الايجاز والاعجاز للثعالبي ، لتشابه مادة الكتابين وفصولهما، وقد ذكر ان كتاب « الايجاز والاعجاز» قد سمي باسم آخر هو«غرر البلاغة» في كل من معجم هرهلو وفهرس مخطوطات باريس (١) .

وكان يمكن ان يكون بحث الدكتور اكثر دقة لو انه جمع مخطوطات الكتاب المتوفرة واجرى مقارنته عليها ، فان الاكتفاء بمخطوطة مكتبة الاوقاف قد لا يشفع للفكرة بالقدر العلمي المطلوب ، وكان يمكن للدكتور ان يتجنب بعض الهفوات لو استعان بالمصادر -وهي متيسرة- بدلا من اعتماده على النقول منها ، فقد ذكر مثلا ان الصفدي ذكر « غرر البلاغة » ولم يذكر « الايجاز والاعجاز » معتمداً في ذلك على نقل محققي لطائف المعارف(٢)، والحقيقة ان الصفدي ذكر «الاعجاز والايجاز » ولم يذكر « غرر البلاغة »(٣) .

ان هذه المآخذ لاتقلل من قيمة النتيجة التي خرج بها الدكتور، فلعل عنوان « غرر البلاغة » وضع على مخطوطة من مخطوطات « الايجاز والاعجاز » ضاعت صفحة عنوانها ، فخلط الناسخ بينها وبين « غرر البلاغة » للصابي(٤) .

---

(١) مجلة كلية الآداب العدد ١٤ المجلد الثاني ٦٢٢ ـ ٦٤٥ .

(٢) المصدر السابق ٦٢٤ .

(٣) الوافي بالوفيات ، ١٥ ـ ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٤) ذكر الكتاب ونسبه في صبح الاعشى ٩ : ٢٨٠ ، ٢٨٥ .

٩١ ـ ملح البراعة « مخطوط »

ذكر محقق سحر البلاغة ان في دار الكتب المصرية نسخة منه(١)، وذكره محققا لطائف المعارف دون الاشارة الى مكان وجود مخطوطته(٢) ، والحقيقة ان مخطوطة دار الكتب المصرية المقصودة تحمل عنوان « سر البلاغة وملح البراعة »(٣) .

٩٢ـ تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم « ١٥٤ » .

٩٣ـ التدلي في التسلي مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم « ٣١ مجاميع » .

٩٤ـ نتائج المذاكرة مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم « ٣١ مجاميع » .

٩٥ـ نزهة الالباب وعمدة الكتاب مخطوطة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم « ٢٧١ مجاميع »(٤) .

ونسب الى الثعالبي عدد من الكتب عن طريق الخطأ او التوهم وهذه الكتب هي :

(١) سحر البلاغة مقدمة المحقق ٢ .

(٢) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ، ١٩ .

(٣) فهرس مخطوطات دار الكتب ١ : ٤٥٦ .

(٤) ذكرت الكتب الاربعة الاخيرة في « مخطوطات جامعة الرياض المصورة» ١ : ٣٥ ، ٣٧ و ٢ : ١٠٣ ، ١٠٥ على التوالي واظنانها جميعاً مما سبق ذكره من كتب الثعالبي بعناوين جديدة من وضع النساخ .

١ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن

نسبه محققا لطائف المعارف الى الثعالبي(١) ، وأشار محقق سحر البلاغة الى انه نسب الى الثعالبي وهما في الاعلام(٢) ونسب محقق التمثيل والمحاضرة الوهم نفسه الى جرجي زيدان والبغدادي(٣) .

والواقع ان الزركلي وجرجي زيدان والبغدادي لم ينسبوا الكتاب الى ابي منصور الثعالبي ونسبه الزركلي والبغدادي الى عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري الثعالبي(٤) ، ولعل تشابه نسبة الرجلين هي التي دفعت الى هذا الوهم(٥) .

٢ـ الكشف والبيان

نسبه محققا لطائف المعارف الى الثعالبي(٦) ، وأشار محقق سحر البلاغة الى ان نسبته وردت في كشف الظنون الى الثعالبي(٧) والحقيقة ان اسم الكتاب ورد في كشف الظنون ، ولكنه نسب فيه الى ابي اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى

(١) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ، ١٥ .

(٢) سحر البلاغة ، مقدمة المحقق ١ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ، مقدمة المحقق ١٢ .

(٤) الاعلام ٤ : ١٠٧ ، هدية العارفين ١ : ٥٣٢ .

(٥) طبع الكتاب منسوبا الى عبدالرحمن الثعالبي بمطبعة الجزائر سنة ١٣٢٧ هـ .

(٦) لطائف المعارف ، مقدمة المحققين ١٩ .

(٧) سحر البلاغة ، مقدمة المحقق ، ٢ .

سنة ٤٢٧ هـ(١) ، وهذه هي النسبة التي اتفق عليها المؤرخون ، فقد ذكرها السبكي(٢) وتابعه البغدادي(٣) ، ومحرر مادة « الثعلبي » في دائرة المعارف الاسلامية(٤) .

٣ـ المقصور والممدود

ذكر جرجي زيدان ان منه نسخة مخطوطة بدار الكتب(٥) ، ونسبه الزركلي الى الثعالبي وذكر انه مخطوط ، ولكنه لم يشر الى مكان وجوده(٦) ، وتابعهما محققا لطائف المعارف(٧) ، ومحقق التمثيل والمحاضرة(٨) ، ومحقق شاهنامة ثعالبي(٩) .

وقد رجعت الى فهارس دار الكتب فلم أجـد مخطوطة بهذا العنوان منسوبة الى الثعالبي ، ولم يجد بحث موظفي دار الكتب الخاص عنها شيئا . ولعل في نسبة هذه المخطوطة الى الثعالبي وهما خفيا فقد وجدت في دار الكتب مخطوطة بعنوان المقصور والممدود

(١) ١٤٩٦ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٥ : ١٠٨ ، ٤٠٢ ، ٨ : ٣٦٧ .

(٣) هدية العارفين ١ : ٧٥ .

(٤) ٦ : ٢٠٢ .

(٥) تأريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٨ .

(٦) الاعلام ٤ : ٣١١ .

(٧) لطائف المعارف مقدمة المحققين ، ١٩ .

(٨) التمثيل والمحاضرة ، مقدمة المحقق ١٥ .

(٩) شاهنامة ثعالبي مقدمة المحقق ب .

برقم « ٦٥٢٥ هـ » منسوبة الى ابي علي القالي ، وربما التبست قراءة « القالي » على جرجي زيدان فظنها « الثعالبي » ونسب المخطوط اليه

٤ـ دور الحكم

في دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة بهذا العنوان برقم « ٥١٠٧ أدب » منسوبة الى الثعالبي وهي مجموعة أمثال وأقوال غير مبوبة ولا منهج لعرضها ، وهي بمجموعها غريبة عن الامثال التي يكثر الثعالبي من تكرارها في كتبه ، وقد لاحظت ان ورقتها الاخيرة تحمل النص التالي « تم المجموع بحمد الله وحسن توفيقه ، وفرغ من جمعه وكتبته ياقوت المستعصمي في رمضان سنة احدى وثمانين وستمائة للهجرة ... الخ »فلعل الذي نسب الكتاب الى الثعالبي لم يلاحظ كلمة « جمعه » التي تدل على أن المؤلف هو ياقوت المستعصمي بشكل صريح .

٥ ـ الاشباه والنظائر

توجد في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية مخطوطة بهذا العنوان برقم « ولي الدين ٥٢ » منسوبة الى الثعالبي وهي في الكلمات المتشابهة في اللفظ المختلفة في المعنى في القرآن الكريم ، ومنهج الكتاب ومادته يخالفان ما هو مألوف في كتب الثعالبي ولعله « الثعالبي » آخر.

٦ـ طرائف الطرف

نسبته دائرة المعارف الاسلامية الى الثعالبي وذكرت اماكن

وجـــود مخطوطاته(١) ومنها مخطوطة في كوبريللي برقم « ١٣٣٦ » ولا أعتقد ان الكتاب للثعالبي بدليل قول المؤلف في مقدمته بأنه سيورد اقوالا لمن ادرك زمانهم أو تقدموه (٢) وقد اورد اقوالا للابيوردي المتوفى سنة ٥٠٧هـ(٣)، ولعمر الخيام المتوفى سنة ٥١٥هـ(٤) وللعمـــاد الاصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ(٥) ، وتجدر الاشـارة الى ان في دار الكتب المصرية مخطوطة بعنوان « طرائف الطرف » منسوبة الى البارع الهروي برقم « ٢٠٤٤ أدب » ، وقد ذكر ياقوت اسم البارع الهروي ونسب اليه كتابا بعنوان « طرائف الطرف »(٦) .

يضاف الى كل هذا أن أحداً من القدماء لم ينسب الـكتاب الى الثعالبي ، وعلى ذلك يمكننا القطـــع بانكار نسبة طرائف الطرف الى الثعالبي .

٧ـ الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والاصحاب

نسبه جرجي زيدان الى الثعالبي ، واشار الى وجود مخطوطة منـه بدار الـكتب المصرية(٧) ، وهذه المخطوطـة برقم « ١٦٧٣ أدب » منسوبة الى الثعالبي .

---

(١) ٦ : ١٩٧ .

(٢) ورقة ١ وجه .

(٣) ورقة ٣٠ ظهر .

(٤) ورقة ٢ ظهر .

(٥) ورقة ٣٥ وجه .

(٦) معجم الادباء ٢ : ٢٤١ .

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ : ٥٩٨ .

وقد لاحظت ان مادة الكتاب غريبة على ما هو مألوف من مادة كتب الثعالبي في الاختيارات ، فاكثر النصوص للقدماء لا للمحدثين ، ووردت فيها نصوص محدثة منها نصوص عامية لا نعهدها في كتب الثعالبي كقوله : « يانفس أيش تشتهين »(١) ، وقد ورد اسم الثعالبي في المخطوط بشكل يوحي بانه بعيد عن تأليف المخطوط وهو قول المؤلف في حديثه عن غلام الخالدى : « قال أبو منصور الثعالبي : قرأت انا بخطه قصيدة للخالدي »(٢) .

٨ـ مؤنس الوحيد

للثعالبي كتاب بهذا الاسم نسبه اليه ابن خلكان(٣) ، وطاش كبرى زاده(٤) وحاجي خليفة(٥) والبغدادي(٦) وطبع كتاب باسم « مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد » في فينا سنة ١٨٢٩ م بتحقيق غوستاف فليغل ونسب الى الثعالبي وقد اشار محرر مادة الثعالبي في دائرة المعارف الاسلامية الى ان المطبوع ما هو إلا قطعة من محاضرات الراغب الاصبهاني(٧) .

(١) ورقة ٣٥ ظهر .

(٢) ورقة ٩ ظهر ، وقد ورد النص مع القصيدة في ثمار القلوب ٢٢٩ بهذا التقديم « قال مؤلف الكتاب : قرأت انا بخطه ... الخ » .

(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢ .

(٤) مفتاح السعادة ١ : ٢٣١ .

(٥) كشف الظنون ١٩١١ .

(٦) هدية العارفين ١ : ٦٢٥ .

(٧) ٦ : ١٩٦ .

وقد أجريت - بغية التأكد من ذلك - مقارنة بين الكتابين فوجدت أن المطبوع باسم « مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد » هو قسم من محاضرات الراغب الاصبهاني يبدأ بالحد الثاني ، باب القضاء ، وينتهي بالحد الخامس ، فصل الاقارب(١) .

٩- الفرائد والقلائد

نسبه الى الثعالبي كل من الكلاعي(٢) وابن الانباري(٣) والصفدي(٤) وابن قاضي شهبة(٥) .

وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل ضمن مجموع خطي برقم ٨/١٠ حسن باشا منسوبة الى الثعالبي ونسخه في دار الكتب المصرية برقم ١٤٨٢ منسوبة الى ابي نشوان اليمني الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ، وذكر صلاح الدين المنجد نسخة منه موجودة في الكتبخانة العمومية بالاستانة منسوبة الى ابي الحسن علي بن الصفاني الاهوازي(٦) .

---

(١) محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء ١ : ١٩٣-٣٥٧ .

(٢) احكام صنعة الكلام ، ٢٣٢ .

(٣) نزهة الالباء في طبقات الادباء ، ٢٥٠ .

(٤) الوافي بالوفيات ، ١٥-١٧ ق ٢ : ٢٦٩ ظهر .

(٥) طبقات النحاة واللغويين ، ٢ : ٣٨٧ .

(٦) المختار من المخطوطات العربية في الاستانة ، ٢٧ ، ووردت مثل هذه النسبة في مخطوطة هارفرد ، جولة في دور الكتب الامريكية ، ٧٣ .

وقد طبـع الكتاب بعنوان « الفرائد والقلائد » منسوبا الى الثعالبي ، على هامش نثر النظم في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ وطبـع منفرداً بعنوان الامثال منسوبا الى الثعالبي في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ وطبع بعنوان احاسن المحاسن منسوبا الى علي بن الحسين بن الحسن الرخجي في مجموعة « خمس رسائل » في القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ « الرسالة الثالثة » .

إن المخطوطات والطبعات الثلاث المذكورة هي باجمعها كتاب واحد وقد تأكد لدي بما لا يقبل الشك أنها جميعا ليست للثعالبي(١) ، وإنما لابي الحسين محمد بن الحسن بن احمد الاهوازي(٢) ، والدليل القاطع على ذلك هو ان الثعالبي نفسه ، اورد في كتابه سحر البلاغة ذكر الاهوازي ونسب اليه ثلاثة وعشرين نصاً وصفها بقوله « مـا أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسين الاهوازي في كتابه الفرائد والقلائد »(٣) . وقد وجدت هذه الاقوال الثلاثة والعشرين موجودة باجمعها في المطبـوع باسم الفرائد والقـلائد المنسوب الى الثعالبي(٤) ، ولقد أكد الثعالبي هذه الحقيقة فنسب الى الاهوازي

---

(١) اشارت دائرة المعارف الاسلامية الى ذلك دون دليـل علمي ، وأخطأت حين قالت ان الاهوازي مولود سنة ٥٤٤ هـ .

(٢) معاصر للثعالبي ولد سنة ٣٤٥ هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢١٨ .

(٣) ٢٠٠ وسماه القلائد والفرائد للاهوازي في يتيمة الدهر ٢ : ٤١٩

(٤) هي بحسب ترتيبها في سحر البلاغة واردة في الفرائد والقلائد في الصفحات ١١١ ، ١٠٧ ، ٦٤ ، ١٣ ، ١٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ =

اكثر من مرة اقوالا موجودة باعيانها في الفرائد والقلائد المطبوع باسم الثعالبي(١) فكيف يعقل بعد هذا ان يكون الثعالبي مؤلفاً لكتاب كل ما ورد فيه هو من إنشائه ، ثم ينسب هو بعض ما ورد فيه لغيره ؟

الفرائد والقلائد من تأليف ابي الحسين الاهوازي ، ولعل القدماء رأوا اسم الثعالبي على إحدى مخطوطاته التي تملكها ، وظنوا المالك مؤلفاً .

١٠ـ مكارم الاخلاق

نشر الاب لويس شيخو ببيروت سنة ١٩٠٠ م كتابا بهذا الاسم منسوبا الى الثعالبي ، وذكر انه وجد مخطوطته في المكتبة الشرقية ، وان احدا لم يذكرها من القدماء والمحدثين(٢) .

وقد تأكد لي ان المطبوع باسم مكارم الاخلاق ماهو الا منتخبات من كتاب « الفرائد والقلائد » للاهوازي بابوابه الثمانية التي حافظ على نسقها وانتخب من مادة كل منها ما يقرب من ربعها ، ولما كان

= ٦٠ ، ٦١ ، ٥٠ ، ٥٠ ، ٦٩ ، ٩٢ ، ٩٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٧ ، ٧٦ ، ٤٦ ، وهي موجودة في الطبعتين الاخريين .

(١) المتشابه ١٤ أورد قولا واحدا ورد في الفرائد والقلائد ٦٩ ، الاعجاز والايجاز ـ طبعه آصاف ، ١١٠ ، أورد ثلاثة اقوال وردت في الفرائد والقلائد ٩٢ ، ٦٤ ، ٩٢ ، خاص الخاص ، ١٢ أورد ثلاثة أقوال وردت في الفرائد والقلائد ٤٩ ، ٦٩ ، ٦٢ .

(٢) مجلة المشرق السنة الثالثة العدد الاول : ٢٨ـ٣١ .

كتاب الفرائد والقلائد لابي الحسين الاهوازي كما اثبتنا فان مكارم الاخلاق - تبعا لذلك - للاهوازي وليس للثعالبي ، ولعـــل مختصر مكارم الاخلاق اعتمد على مخطوطة منسوبة الى الثعالبي ، فجرى عـلى ما جرى الاصل عليه من خطأ .

١١- تراجم الشعراء

توجد نسخة مخطوطة في معهد احياء المخطوطات بجامعـــة الدول العربية برقم « ٢٢٨١ » فقدت أوراقها الاولى ، وجاء في أول الورقة الاولى مما تبقى منها « المعروف بيتيمة الدهر » فأدى هذا الى الشك بانها لمؤلف يتيمة الدهر .

والمخطوطة تحتوي على تراجم للشعراء بطريقة تخالف طريقـــة الثعالبي في توزيع الشعراء على البيئات والالتزام بالترجمة للمحدثين دون القدماء ، فلعل عبارة « يتيمة الدهر » الواردة في مقدمته وردت على سبيل التشبيه او المقارنة ، ولكنها رغم كل ذلك لا تصلح مدعاة للظن بان الكتاب من تأليف الثعالبي .

تلك هي كتب أبي منصور أو ما يسرت سبل البحث معرفته منها .

ولابد لمن يستقرىء كتب الثعالبي ويتدبر مادتها ومناهجها من ان يلمس ان الرجل طرق جميع أنواع التأليف التي عددها الكلاعي فقال : « منها ما أقل فضيلته الاختيار ... ومنها ما فضيلته جمع ما افترق مما تناسب وافترق ، ومنها اختصار الطويل في اللفظ القليل ، ومنها رد القصير في معرض الطويل ، ومنها ما يعتمـــد المؤلف على فكرة ويغترف من بحره »(١) .

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٠ ، ٢٣١ ونقل في كشف الظنون ٣٥ .

ولقد دلنا البحث على ان بعض ما نسب الى الثعالبي من كتب ليس له ، وان بعض كتبه سميت باكثر من اسم واحد ، وان كثيراً منها ملفق من فصول من كتب سابقة له وان حجم بعضها لا يجاوز حجم كراس ، ولكن هذا كله لا يعني أنه لم يكن غزير التأليف فقد طالما اشار القدماء الى كثرة تآليفه ، فقال ابن الانباري في وصفه « صنف كتبا كثيرة »(١) وقال ابن بسام : « تواليفه اشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راوٍ لها وجامع من أن يستوفيها حد أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظم أو رصف »(٢) . أما الصفدي فأشار الى هذه الحقيقة بقوله : « تصانيفه الأدبية كثيرة للغاية »(٣) .

ويغلب على الظن أن أهم عوامل وفرة كتب أبي منصور تفرغه للتأليف وانقطاعه له ، فلعل الرجل أحس أنه غير بالغ شأو أعلام عصره في ميدان الشعر والنثر ، وان ملوك عصره كانوا مقبلين على الكتب يقتنون فرائدها ويكافئون مؤلفيها أحسن مكافأة ، فكان أن أقبل على التأليف يعينه دأبه الصبور ، وسعة اطلاعه ، ويشفع له أسلوب إن لم يرفعه الى مستوى كبار أدباء العصر فقد رفعه الى منزلة كبار مؤلفيه ، فلا عجب ان كان أبو منصور كريم المنزلة عند ملوك عصره ، فقد « تفيأ ظلالهم ، وعاش في كنفهم ، وألف الكتب برسمهم ، واهداها الى خزائنهم ، ونال عندهم سني الجوائز ووافر

(١) نزهة الالباء في طبقات الادباء ٢٥٠ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٠ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٥ـ١٧ ق ٢ : ٢٦٩ وجه ، ونقله ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين ٢ : ٣٨٧ .

الاعطيات »(١) .

لقد أشار الثعالبي الى تأليفه بعض كتبه بأمر من الملوك والامراء وذكر ان بعضهم كان يرسم له منهج الكتاب الذي يريده أن يؤلفه باسمه(٢) وتلك منزلة كريمة ما بعدها زيادة لمستزيد .

منهجه في التأليف

اتسمت كتب أبي منصور بطابع يكاد يكون مميزاً رغم تشعب مباحثها ، وتنوع مواضيعها ، فقد التزم الرجل في كل كتاب من كتبه بمنهج يحرص على ذكره في مقدمته ولا يخرج عنه إلا على سبيل الاستطراد .

ولعل أبرز ما يميز منهج الثعالبي دقته العلمية في جمع مادة الكتاب ، فهو لا يعبأ بأن يعترف بخطأ بدر منه ثم تكشفت له حقيقته فيما بعد فيسوقه ، على وجهه الصحيح(٣) ، ولعل السبب في ذلك ان كتبه لم تقتصر على المشهورين من الشعراء ، فقد تناول الأوساط والمغمورين منهم ، ولابد من ان يختلف الرواة في نسبة الشعر الى مثل هؤلاء . يضاف الى هذا ما كان من إخراج الثعالبي بعض كتبه اكثر من مرة ، أو تأليفها على فترات متباعدة ، وفي ذلك ما فيه من خطر اضطراب النسخ ، واحتمال وقوع الخطأ .

ولا يغض من قيمة بعض كتب ابي منصور انه استعان بالعلماء من أصدقائه على اخراج بعض فصولها ، فقد كان في اشارته الى

(١) التمثيل والمحاضرة ، مقدمة المحقق ، ٥ .

(٢) نثر النظم ، ٢ ، فقه اللغة ١٣ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٢ : ١١٨ .

ذلك نهج علمي يعطي به لكل ذي حق حقه ، وفي تصريحه باسمائهم مدعاة الى الثقة بما كتبوه ، فهم لا يقلون عنه في حرصهم على الحقيقة وجودة التأليف .

ولقد انسمت كتب أبي منصور بالتكرار ، ولكنه لم يكن تكرارا عملا ، فقد كان الرجل يفيد من النص بعــدة وجوه ، فهو يورده في ترجمة صاحبه مثلا ، ثم يورده في كتاب أخر على انه حكمة تنتظم مع اخوات لها في غرض أدبي معين ، ويورده في كتاب ثالث شاهدا على وجه من وجوه البلاغة ، ولعل حرصه على الاقتصـار على الشعر المحدث هو الذي زين له الافادة من النص الواحد باكثر من وجه واحد .

ولم تكن النصوص هي التي تتكرر فحسب فقد عودنا الثعـالبي على تكرير منهج كامل في أكثر من كتاب واحد ، ولا سيما تلك الكتب التي تؤلف في فترات متقاربة ، فقد كتب « الامثال » و « التمثيل والمحاضرة » و « الايجاز والاعجاز » و « خاص الخاص » وكلها كتب في الامثال ، في أوقات متتالية مظهراً ولعه الخاص بالامثال « التي كانت تلائم الطبع العربي الذي يميل الى الايجاز والتركيز»(١) وقــد سوغ الثعالبي ولعه هذا بأن الامثال كلام يجمـــع الايجاز والاصابة(٢) . وهما صفتان من صفات الأدب الجيد في نظره .

وتبرز ـ الى جانب الولع بالامثال ـ ظـــاهرة اخرى في منهـج الثعالبي العام هي ولعه بمدح الاشياء وذمها ، فقد ألف في هذا المنهج

---

(١) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، ١٨٧ .

(٢) الامثال ، ورقة ١ وجه .

« الظرائف واللطـــائف » و « اليواقيت والمواقيت » و « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » وعقد فصولا له في التمثيل والمحاضرة ، وعذره في ذلك أن مدح الشيء وذمه بعينه « غاية البراعة » والمقدرة عـــلى جزل الكلام في سر البلاغة »(١) ولنا ان نلاحظ بعد ذلك أثر الترف الفكري في مثل هذا المنهج .

وثمة فصول في « التمثيل والمحاضرة » و « خـاص الخـاص » و « برد الاكباد » عقدها لرد كلام طبقات الناس الى جنس صناعتهم ويبدو أن الفكرة كانت قـــد استهوته وألف كتابا برأسه فيها هـــو « اللطف واللطائف » .

ان العقلية التعليمية التي لم تزل طابع الرجل ظلت عاملا خفيا في تحديد مناهج مجموعات الاختيارات المذكورة وغيرها مما نلمح فيه أثر هذا العامل في التبويب المنسق والتسلسل الزمني والتدرج الطبقي لمواد كتبه جميعا .

وكما تأنق أبو منصور في اختيار مادة كتبه وتنسيق منـاهجها ، تأنق في اختيار عناوينها . فقد وضع لها اسماء رقيقة بميسم لطيف كاد يكون طابعا ينبيء عن المؤلف بمجرد سماع اسم الكتاب ، فأكثر من استعمال كلمات بأعيانها أو مشتقاتها مثل « اللطف » و « الملح » و « الدرر » و « الغرر » و « الطرف » وما الى ذلك ، ولكنه لم يهتم كثيراً بالسجع فيها . ولعل اكثر ما ورد من عناوين كتبه المسجعة جاء من زيادة ناسخ مولع بالسجع .

وقد أشار الدكتور زكي مبارك الى نموذج من ذلك فقال :

---

(١) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ١ وجه .

« من أغرب ما رأيت أن كتاب « من غاب عنه المطرب » للثعالبي كتب كاتبه على أصله ما نصه « كان ينبغي للمؤلف رحمه الله ان يلحق اسم هذا الكتاب بلفظه ، وهو ان يقول : « المعرب فيمن غاب عنه المطرب »(١) ، ولهذا لا يستبعد ان تكون عناوين كثير من كتبه المسجعة من هذا القبيل مثل « مرآة المروءات وأعمال الحسنات » و « مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد » ولكن هذا لا يعني أن الثعالبي لم يسجع في عناوين بعض كتبه ، فقد رأينا له سجعا بريئا من التكلف في مثل عناوين « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » و « تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين » وما الى ذلك من سجع يخف على السمع ، ويمتلك القلب برقته .

تقويم كتبه

تناول الثعالبي في كتبه معارف شتى كانت سائدة في عصره ، وبالرغم من أن الطابع العام لميدان تأليفه هو الادب ، فقد ألف في اللغة والنقد والبلاغة بفروعها والتأريخ والمجتمع والموسوعات ، ولكنه برز في التراجم ، وكتب الاختيارات الادبية .

ويبدو أن كثيراً من كتبه اشتهر وهو لا يزال في المراحل الاولى من حياته إذ يتجلى ذلك في حديثه عن اضطراره الى اعادة كتابة بعضها لاعجاب الناس بها ، كاليتيمة والمبهج والكناية والتعريض ، ولقد استنسخ بعضهم كتبا للثعالبي(٢) ، وتحفظها آخرون(٣) .

---

(١) النثر الفني في القرن الرابع ١ : ٨٣ .

(٢) تتمة اليتيمة ١ : ١٣ .

(٣) يتيمة الدهر ٢ : ٨١ وتتمة اليتيمة ١ : ١٤٥ .

ولقد ظلت كتب ابي منصور معينا للقدماء والمحدثين ينهلون ما طاب لهم المورد ليصدروا بصور وافية عن أدب عصره وعاداته واخلاقه مصورة باسلوب سلس رائق يتقصى الحقيقة ويكسوها ثوبا قشيبا من الفاظ بعيدة عن التعقيد بريئة من التكلف .

ولقد طالما اشار الذين أفادوا من كتب أبي منصور الى هذه الحقيقة ، فأثنوا على كتبه بما هي أهل له ، فوصفوها بأنها « فائقة » و « مشهورة » و « سائرة » و « فاخرة » ، وذهب الحصري القيرواني الى القول بان مصنفات ابي منصور كانت تشهد له بانه من اعلى رتب المصنفين(١) . أما ابن بسام فقد عده رأس المؤلفين وإمام المصنفين(٢) .

وذهب كثير من المحدثين الى وضع اسم الثعالبي بين اسماء اشهر مؤلفي العربية ، فقد عده مصطفى الشكعة « واحدا من الثلاثة الكبار الذين أهدوا الى المكتبة العربية أكبر قدر من الكتب الادبية الخالصة » ، وعد الصولي والمرزباني معه(٣) . أما محمد كرد علي فوصف كتب الثعالبي الصغيرة بقوله : « كلها من الامتاع والاجادة في القمة »(٤) .

وقد أخذ بعض القدماء على أبي منصور مآخذ ، وجاراهم على ذلك المحدثون فقد وصفه الكلاعي بقوله : « كان أبو منصور الثعالبي حسن التأليف ، مطبوع التصنيف ، وتآليفه حسان المصادر والموارد

---

(١) زهر الاداب ٢٧ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) مناهج التأليف عند العرب ٢٧٥ .

(٤) كنوز الاجداد ٢٣٥ .

لم يسلك فيها مسلك ابي العلاء »(١) ومسلك ابي العلاء الذي يقصده هو « اعتماد المؤلف على فكره ، واغترافه من بحره »(٢) وكأن الكلاعي أشار بهذا الى ان اغلب كتب الثعالبي جمع وليس تأليفا ، ولعل للكلاعي عذرا في ذلك ، فهو لم يطلع الا على اسماء واحد وعشرين كتابا من كتبه ، ولو أنه رأى بقيتها لوجد ان للثعالبي اكثر من كتاب واحد جرى فيه مجرى ابي العلاء كالمبهج ونثر النظم وغرر اخبار ملوك الفرس وسر الصناعة وما الى ذلك .

وعلى أية حال فان الكلاعي لم يكن متجنيا على ابي منصور بقدر ما تجنى عليه ياقوت الذي قال في معرض حديثه عن مؤلفات سعد بن المهذب بماتي : « تصانيفه كثيرة يقصد بها قصد التأدب وفي معرض وقائع تجرى ويعرضها على الاكابر لم تكن مفيدة إفادة علمية ، إنما كانت شبيهة بكتب الثعالبي واضرابه »(٣) .

إن هذا الحكم يجافي حقائق كثيرة اقربها اعتراف ياقوت نفسه في ترجمة بديع الزمان الهمداني ، بان احدا لم يستقص خبره كما اقتصه الثعالبي (٤) فان تجاوزنا اليتيمة الى ثمار القلوب ولطائف المعارف والايجاز والاعجاز وفقه اللغة فهل يبقى ثمة شك في « الافادة العلمية » لكتب الثعالبي ؟

إن كتب الثعالبي في الاختيارات الادبية نفسها ليست بعديمة

---

(١) احكام صنعة الكلام ٢٣٠ .
(٢) المصدر السابق ٢٣٠ .
(٣) معجم الادباء ٢ : ٢٥١ .
(٤) المصدر السابق ١ : ٩٥ .

الجدوى في حفظ التراث وتنسيق أبوابه واغراضه ، وتقديم ثمراته يانعة للاحق ليعرف فضل السابق فيحذو حذوه ، فكيف نحرم الرجل قيمة هذا او ما هو افضل منه مما ذكرنا ؟

وبعد فلسنا ندري كيف رضي ياقوت لنفسه أن ينقل عن كتب الثعالبي كثيراً من تراجمه(١) فيعتمد على مصادر « لم تكن مفيدة افادة علمية ؟ » .

ولقد نسج بعض المحدثين على منوال ياقوت ، فذهب بروكلمان الى ان كتب الثعالبي محض مجموعات ليس منها غير شكلها السهل الممتع ، وان الثعالبي لم يتوان عن السطو على فقرات بكاملها من اعمال سلفه دون ذكر المصادر(٢) .

وقال نيكلسون إن معظم مؤلفات الثعالبي مجموعات غير علمية صممت لا متاع الجمهور وإيناسه اكثر من تقديم الثقافة المتينة(٣) اما محمد مندور فقد اتهم الثعالبي بانه كان يسرق آراء غيره ويخيطها كما يخيط الفراء(٤) .

إن هذه الآراء تصيب جانبا من الحقيقة لا الحقيقة كلها ، فان بين كتب الثعالبي كراريس كتبها لملء الفراغ او للتسلية ، ولكنها ليست جميع كتبه ، ولا معظمها ولا عبرة بالقليل في الحكم على الكثير .

ومثل هذا يقال في مآخذ اخرى جانبت الصواب كالذي ادعاه

---

(١) اشرت الى ما نقله ياقوت عن الثعالبي في معرض الحديث عن كتاب اليتيمة في (مؤلفاته) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية « بالالمانية » ١ : ٢٨٤ .

(٣) تاريخ الادب العباسي ١٤٣ .

(٤) النقد المنهجي عند العرب ٣٠٣ .

محقق « أحسن ما سمعت » من ان الثعالبي أخطأ في نسبة بيت حين قال : وقال عنترة [من المنسرح]

المال للمرء في معيشته   خير من الوالدين والولد

فراح ينعى على المؤلفين - وهو يقصد الثعالبي - إفسادهم التراث بعدم التحقق من نسبة النصوص، بعد ان اجرى دراسة مطولة للحياة البدوية التي عاشها عنترة ، والروح الحضرية في البيت(١) .

وتلك التفاتة جيدة تستحق الاحترام لو كان صاحبها غير المحقق نفسه ، ذلك أن كتاب احسن ما سمعت لم يرد فيه نص جاهلي إلا في مجرى عرض آراء نقاد قدامى وهذا البيت ليس منها ، وان عشرات الابيات في « احسن ما سمعت » وردت نسبتها بهذا النص « وقال غيره » ، فلو ان المحقق تروى قليلا لوجد ان « عنترة » خطأ ناسخ أصله « غيره » ، وكفى نفسه مؤونة الجدال .

وبعد ، فان تآليف الثعالبي جزء من تراثنا العربي ، ولا يخلو اي عمل عظيم من ان يصيب صاحبه ويخطىء ، ويحسن ويسيء ، وكفى الثعالبي فضلا ان ينوف صوابه على خطأه ، واحسانه على اساءته ، وحسبنا منه هذه المكتبة التي اغترفنا منها كثيراً مما انفردت به ، وسنغترف منها ما شاء الله .

---

(١) ١٧٤ هامش ١ .

البـاب الثـاني

نقـــده

شهد القرن الثالث الهجري نهضة علمية وادبية في حياة العرب العقلية كانت ثمرة استقرار العرب في امصارهم الجديدة ، واحتكاكهم بأمم ذات حضارات عريقة ، ترجموا عنها خلاصة علومها وفنونهـا ، ومزجوا ذلك كله بالبذور الحضارية التي كانت تمد جذورها في الحياة العربية الجاهلية ، تلك البذور التي يكاد التراث الجاهلي الادبي واللغوى يفصح عنها بالرغم من طمس المؤرخين كثيراً من جوانبهـا بقصـد او بدونه .

ولقد كان مدار النقد الادبي غير المدون ، جاهليـه واسـلاميه وعباسيه ، هو الشعر العربي الذي اهتدى الجاهليون اليه ، وبلغوا به القمة التي لم يكن بعدها الا الانحدار في نظر النقـاد الاوائل من اللغويين الذين اقتصرت ملاحظاتهم النقدية على ما قيل لا على مـا يقال ، فظل الشعر المحدث بعيداً عن مدار تلك الملاحظات .

ولم تكن النهضة التي شملت مناحي الحياة العقلية بادىء الامر « ذات أثر بعيد في التعبير الفني »(١) فقد ظـل الشعراء ينسجون على قالب القدماء ويعدونه مثلهم الاعلى ، اما ما ظهر من التطور فقد شمل المظهر لا الجوهر ، ولكن النقد تخلى حتى عن دراسة هذا التطور الشكلي ، فقد ظل النقاد يخضعون الشعر المحدث للمقاييس التي استنبطوها من تخضهم الشعر القديم ، وسكتوا عن قصور المحـدثين عن استيعاب روح العصر ، وتعلقهم بتجـديد المظهر فحسب(٢) ،

---

(١) الاسس الجمالية في النقد العربي ٢٩٢ .

(٢) اشار الاستاذ طه احمد ابراهيم الى ذلك في كتابه تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ١٠٨ .

وهو تجديد ليس للابداع الفني نصيب كبير فيه ، فقد فرضته سنة التطور ، واملته طبائع الاشياء .

ان تغيير الديباجة وتعمد الاكثار من استعمال فنون البديع التى اقتصد القدماء في استعمالهـا ، والاغراب في الاستعارات التي كانت مأنوسة في الشعر القديم ، وما الى ذلك ، لم يكن هو التجديد الذي كان يمكن للحياة العقلية الجديدة ان تحدثه في الشعر ، ولكن هذه المظاهر كانت ـ رغم قصورها عن الجوهر ـ مدار كثير من البحوث النقدية المتأخرة ، التي فتحت صدرها لدراسة النثر ايضاً ، حتى عقد بعض النقاد كتبا برأسها في دراسته ونقده .

ولقد شهد القرن الثالث الهجري اولى محاولات تدوين النقـد ، فقد احس العلماء ان هذه الملاحظات التي تدور على الالسنة قـد يطويها الزمن فتضيع ، ولعل كون صحيفة بشر بن المعتمر (المتوفى سنة ٢١٠ هـ) من اوائل ما كتب في النقد لا يكفي لتسويغ مـا ذهب اليه الاستاذ احمد امين من ان تدوين النقد جاء تلبية لحاجة المعتزلة الى نشر دعوتهم(١) ، فقد دون قبل الصحيفة وبعدها كتب في النقد للمعتزلة ولغير المعتزلة « كصناعة الشعر » لابي هفان عبد الله ابن احمد المهزمي (المتوفى سنة ١٩٥ هـ)(٢) و « فحولة الشعراء » للاصمعي (المتوفى سنة ٢١٦ هـ) و « طبقات الشعراء » لابن سلام (المتوفى سنة ٢٣١هـ) عدا الكتب التي كان النقد فرعا من مناهجها « كالبيان والتبيين » و « الحيوان » للجاحظ (المتوفى سـنة ٢٥٥ هـ) و « الشعر

(١) النقد الادبي ٤٣٨ .

(٢) ذكره ياقوت في معجم الادباء ٤ : ٢٨٨ .

والشعراء » لابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٦ ٢ هـ) و « الكامل » للمبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) ، وما قام الى جانب ذلك كله من دراسات إعجاز القرآن الكريم المبكرة التي تعرضت لفنون البيان القرآني بالتمحيص ، فكانت ذات صلة وثيقة بالدراسة النقدية ، مثل « معاني القرآن » للفراء (المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) و « مجاز القرآن » لابي عبيدة (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) .

يصح ان نقول بعد هذا إن حركة تدوين النقد جاءت مصاحبة لحركة تدوين سائر العلوم والفنون التي كانت نتيجة طبيعية للاستقرار الحضاري . والتشعب العلمي الذي لم تعد تحتمله الرواية غير المدونة .

ولئن كاد النقد العربي في مراحله الاولى ينحصر في دائرة ملاحظات اللغويين من انصار القديم لقد تقسمته في اواخر القرن الثالث ، واوائل الرابع ، اربع فئات متفاوتة في الذوق والمنهج والذهنية ، وهي فئة تلاميذ اللغويين من انصار القديم ، كأبي سعيد السكري ، وثعلب والمبرد ، وابي العميثل . وفئة الشعراء الذين درسوا الادب على اللغويين ، وقامت ثقافتهم على القديم ولكنهم تذوقوا المحدث ، واعجبوا به ، فاقبلوا على دراسته ، كعبدالله بن المعتز . وفئة العلماء الذين درسوا العلوم الكونية والعقلية الى جانب دراستهم اللغة والادب والشعر القديم والحديث ، فكان لهم ذوق خاص في النقد ، يتمسك بالقديم جوهرا ، ويتأثر بالمحدث عرضا ، ويعرض ذلك بذهنية العلماء الذين يخضعون مناهجهم لنوع من التفريع والتبويب المنظمين ، كابن قتيبة ، واخيرا فئة العلماء الذين تأثروا كثيراً بالثقافة اليونانية المترجمة فاتخذوها مقياسا

لأحكامهم في النقد ، كقدامة بن جعفر(١) .

ولعل من الخطأ ان نجازف بالتعميم فنقول : ان النقد في القرن الثالث « قد تأثر في منهجه بالعقلة الجديدة التي كونتها فلسفة اليونان »(٢) فان لتأثر بالفلسفة اليونانية كان في ميدان الكلام والمنطق والعلوم أظهر منه في ميدان النقد ، وإن ما وجد من تلك الافكار طريقا لنفسه الى كتب قدامة في اواخر القرن الثالث ، بقي بجرد هيكل فكري « تجتلب له الشواهد اجتلابا عنيفا من الادب العربي »(٣) ، وفي ذلك ما فيه من البعد عن طبيعة النقد التي تبدأ عادة بالنص ، وتنتهي بالتحليل.

ان المتتبع لمراحل تطور النقد المدون في القرن الثالث يستطيع ان يلمح فيه اثر تطور الحياة العقلية العربية ، إذ لم تكن نخلو حتى فئة اللغويين المتشبثة بالقديم من بعض الميل الى التجديد ، ولعل المبرد اصدق شاهد على ذلك ، فقد الف كتابه « الروضة » في اشعار المحدثين ، ورضي ان ينقد أشعارهم ، وينشدها تلاميذه ، ويفسرها لهم(٤) .

وإن كان التعصب للقديم سنة غالى فيها اللغويون واتباعهم في

---

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب ـ طه احمد ابراهيم ـ ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ١١ .

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب ـ طه احمد ابراهيم ـ ١١٤ .

(٤) روى ابن المعتز قصيده لابي نواس ثم اشار الى ان شيخه المبرد انشده اياها ، وشرحها له طبقات الشعراء ، ١٩٧ .

القرنين الثاني والثالث فقد ابت سنة التطور على هذا الغلو أن يستمر ، فما إن اشرف القرن الرابع حتى كاد النقاد يفرغون من مناقشة المسألة ، وانصبت الدراسات النقدية الجديدة على الادب المحدث ، ولم نعد نسمع لانصار القديم صوتا نقديا يذكره حتى بدت بعض الكتب التي عنيت بدراسة آراء القدماء في النقد « كالموشح في مآخذ العلماء على الشعراء » للمرزباني ، لوناً من دراسات تاريخ النقد لا النقد ذاته ، ولذلك فان تأثير مثل هذه الكتب لم يكن عميقاً في توجيه الذوق النقدي العام لهذا القرن .

لقد تبلورت نظريات النقد في القرن الرابع ، وانتظمت دراساته وقامت على أصول محدودة ، وقواعد ثابتة(١) ، ذلك ان هذا القرن حفل بعبقريات شعرية بلغت بالادب العربي قمة النضج الحضاري ، فاستتبع ذلك نضج النقد نفسه .

وقد أفاد النقاد من تجارب سابقيهم ، وعرفوا ما يصلح لعصرهم وما لا يصلح ، فنبذوا التفكير القائم على الذهنية العلمية التي لا تلائم طبيعة النقد ، وأخذوا بما يصلح لفهم المحدث لانه كثر وطغى فتناولوه بالدرس القائم على التحليل والموازنة التطبيقيين معتمدين على « الذوق الادبي السليم ، مؤتنسين بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح »(٢) .

لقد قدر للقرن الرابع ان يشهد تدوين أعظم كتب النقد العربي وحسبنا ان نذكر منها « عيار الشعر » لابن طباطبا (المتوفى سنة

(١) اثر القرآن في تطور النقد الادبي ، ٢٢١ .
(٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، طه احمد ابراهيم ، ١٤١ .

٣٢٣ هـ) و « الموازنة » للآمـــدى (المتوفى سنة ٣٧١ هـ) ، و « الوساطة » للجرجاني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) .

ولعـــل النقد الذي انصب في منهجه على الموازنة بين الشعراء ، كان - في أساسه - منصبا على مقارنة المذاهب الادبيـة ، إذ لم يكن الناقد ليعنى بالشاعر بقدر عنايته بمذهبه الفني . وهـكذا كان كتاب « الموازنة » معقوداً للمقارنة بين الشعر الحضري الذي توجهـه ثقافة عميقة ممثلا في شعر ابي تمام ، وبين الشعر الذي يتحكم فيه الطبع وحده ممثلا في شعر البحتري ، اما كتاب « الوساطة » فلم يكن دفاعا عن المتنبي بقدر ما كان دفاعاً عن عمود الشعر العربي الذي كساه الشاعر ثوبا محدثا ، فغذاه بالفكر الفلسفي الخاضع لروح الشعر والممتزج به امتزاجا رقيقا يرتفع به عن ان ينبو عن السمع ، او يثقل على القلب ، فيلغ بمحاولة أبي تمام مبلغ النجاح الحقيقي .

ولقد واكب النقد الادبي مراحـــل تطور الادب نفسه ، وشغل نفسه في القرنين الثالث والرابع بتحليل دواعي الخصومات الادبيـــة ومحاولة الفصل فيها ، كالخصومة حول مذهب البديـــع في القرن الثالث ، والخصومة بين مذهبي ابي تمام والبحتري في النصف الاول من القرن الرابع ، والخصومة حول مذهب المتنبي في النصف الثاني من القرن الرابع ، ولهذا كان أغلب الدراسات النقدية يهتم بالجانب التطبيقي ، ولكن ميدان النقد لم يخل - بالرغم من كل ذلك - من دراسات نظرية متأثرة بالفكر المترجم ، كدراسة « نقد الشعر » لقدامة ، او ذوقية تحليلية ، كدراسة « عيار الشعر » لابن طباطبا ولم يخل كذلك من دراسات لفن البيـان القرآني كدراسة الرماني في رسالته « النكت في إعجاز القرآن العظيم » ودراسة الباقلاني في

كتابه « إعجاز القرآن » .

إن القمة التي بلغها النقد الادبي في القرن الرابع كانت صورة للقمة التي بلغها الادب نفسه في ميداني الشعر والنثر ، ولعل خلو ميدان الادب بعد هذا القرن من شاعر عظيم كالمتنبي ، ومن كاتب عظيم كابن العميد ، او ابي حيان التوحيدي ، كان هو السبب في اقتصار الدراسات النقدية فيما بعد - ولزمن طويل - على تكرار ما قد قيل ، ولكن الامر لم يستمر الى الابد ، فقد مال من رغب بنفسه عن اللجاجة الى العودة الى النقد النظري ، ولكنه كان هذه المرة نقداً متأثراً بالفكر العلمي أكثر من تأثره بالذوق ، فكثر التشديد على الصور البلاغية وتعريفها وتفريعها واجتلاب الشواهد لها ، وجرى على ذلك أمثال ابي هلال العسكري في « الصناعتين » وعبد القاهر الجرجاني في « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ، وابن سنان الخفاجي في « سر الفصاحة » .

وبعد ، فليس من العسير جدا تحديد مكانة الثعالبي بين النقاد العرب بالرغم من ضياع أهم كتاب له في النقد وهو كتاب « سر الصناعة الذي تكاد » النصوص القليلة المتبقية منه(١) تصور جانبا مهما من ذوقه النقدي ، وتدعو الى الاعتقاد بانه لو سلم هذا الكتاب من الضياع لاغنى وكفى مؤونة تقصي الملاحظات العابرة المبثوثة في كتب كثيرة غيره للخروج بصورة واضحة لاراء الثعالبي النقدية .

وربما كان فقدان كتب اخرى للثعالبي هو السر في التفاوت الملموس بين نظرة القدامى ونظره المحدثين اليه ، ذلك ان القدامى

---

(١) ذكرها في مرآة المروءآت ، ١٤ ، وتتمة اليتيمة ٢ : ٣٦ .

قرأوا من كتبه ما لم يقع الى المحدثين ، فجاءت احكامهم اقرب الى الدقة(١) ، فهذا الباخرزي الذي درس عليه وعرفه عن كثب يصفه بانه « جاحظ نيسابور » وانه « الشمس لا تخفى بكل مكان»(٢) وهذا الحصري يقول فيه « فريد دهره وقريع عصره »(٣) اما ابن بسام فيرى انه « راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم»(٤).

على ان بعض المحدثين نظر اليه من زاوية اخرى ، فقد ذهب الدكتور مندور الى وصفه بأنه « حتى في كتبه فراء يخيط آراء غيره بعضها الى بعض فهو جامع اكثر منه ناقدا »(٥) .

وبالرغم من الخطأ الظاهر في الاساس الذي بنى مندور كلامه عليه ـ ذلك ان الثعالبي لم يكن فراء اصلا ـ فان قوله معقود على ما تعرض لدراسته من آراء الثعالبي النقدية وهو الفصل الخاص بالمتنبي من « يتيمة الدهر » وحده ، ولا نقاش في ان هذا الفصل يمثل جانبا من آراء الثعالبي النقدية ، ولكن لا نقاش ايضا في انه لا يمثل منهجه النقدي كله ، فهو لا يصلح اساسا لتعميم الحكم على الثعالبي الناقد ، على اننا لو تجاوزنا هذا الاعتراض ايضا لوجدنا ان الدكتور يأخذ على الثعالبي انه « رجل ضعيف الشخصية حتى لنكاد

---

(١) اعترف الدكتور شكري فيصل بان فهم منهج الثعالبي النقدي لا يتأتى الا بدراسة كتبه جميعا « مناهج الدراسة الادبية » ١٧٠

(٢) دمية القصر ٢ : ٢٢٦ .

(٣) زهر الاداب ١٢٧ .

(٤) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٠ .

(٥) النقد المنهجي عند العرب ٣٠٣ .

[كذا] نجزم بانه لا رأى له في شيء، وانما هي انتقادات الصاحب والحاتمي ، وآراء عبدالعزيز الجرجاني، تخير من بينها ونظمها »(١) .

والحقيقة أن الثعالبي نقل كثيرا من آراء هؤلاء الاعلام في هـذا الفصل وفي غيره ، ولكن ذلك لا يسلبه فضيلته في امرين ، اولهما : انه لم ينقل آراء سابقيه كما هي، وانما « تخير من بينها ونظمها » ، إذ إن دافع الكثير مما قاله الحاتمي والصاحب كان التحامل الشخصي وقد جرهما هذا التحامل الى الغلو في تسقط عيوب الشـاعر ، او توهمها ، وثانيهما : ما انفرد به الثعالبي من آراء جديدة في دراسـة المتنبي بعد أن بدا أن السابقين ذهبوا بكل ما يمكن أن يقال ، وقد اعترف الدكتور مندور نفسه للثعالبي بما انفرد به من ملاحظات حين اشار الى ان كثيرا مما قاله في محاسن شعر المتنبي « لم نلقه عند النقاد السابقين »(٢) .

ومن هنا ندرك مدى تعجل الدكتور في حكمه الذى خالف به مبدأه الذى نادى به في مقدمة كتابه حين عرف النقد المنهجي بانه : « النقد الذى يقوم على منهج تدعمه اسس نظرية او تطبيقية عامة ، ويتناول بالدرس مدارس ادبية ، او خصومات يفصل القول فيها ، ويبسط عناصرها ، ويبصر بمواقع الجمال والقبح فيها» (٣) ، فلو أنه درس كتب الثعالبي دراسة متأنية ، ولم يقتصر على دراسة فصل واحد من اليتيمة وحدها لاكتشف الأسس النظرية والتطبيقية لمنهج الثعالبي

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ، ٣٠٣ .

(٢) المصدر السابق ٣٠٥

(٣) المصدر السابق ، ٥ .

النقدي ، ولامتنع من كيل الاتهامات له .

يمكن بعد ذلك ان نقيس دراسة الدكتور احسان عباس أراء الثعالبي النقدية (١) بالمقياس الذى أخضعناه له دراسة الدكتور مندور ، فكلا الدراستين قائم على بحث الفصل الخاص بالمتنبي من «يتيمة الدهر» وكلا الدراستين عممتا الحكم على الجزء ، وفي ذلك مافيه من الاخلال بالروح العلمية للبحث الادبي .

أما الدكتور محمد زغلول سلام فقد افرد لدراسة الثعالبي بحثاً موجزاً حاول ان يتلمس فيه أهم خصائص منهجه النقدي (٢).

كما اشار الاستاذ احمد امين الى القسم الخاص بشعراء الشام في يتيمة الدهر ، واقترب كثيراً من توضيح اسس منهج النقد عند الثعالبي (٣) .

وتحدث كثير من المستشرقين عن الجانب الذوقي في نقد الثعالبي فقال « هـ. ا. جب » في وصف اليتيمة بأنها « نالت نجاحاً سريعاً بفضل ذوق المؤلف اللطيف في النقد »(٤) وذهب نيكلسون الى وصف اليتيمة وصاحبها بقوله « مجموعة مشهورة عن الشعراء المحدثين والمعاصرين ، تقدم برهاناً لا شك فيه على علمه الممتاز وذوقه في

---

(١) قدم هذه الدراسة في كتابه «تاريخ النقد الادبي عند العرب ٢٧٥ وما بعدها وسأناقش الأوهام الواردة فيها في المكان المناسب .

(٢) تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الى العاشر الهجري ، ٤١ وما بعدها .

(٣) النقد الأدبي، ٤٤٩ وما بعدها .

(٤) المدخل في الأدب العربي ، ٩٦ .

النقد »(١) .

لقد اكتفى من ذكرنا من قدامى ومحدثين بهذه اللمحات في دراسة نقد الثعالبي دون ان يقدموا دراسة مستفيضة عن آرائه ومنهجه النقدي، وهكذا قدر للرجل الذي أمدت كتبه كثيراً من الدراسات الحديثة بعناصر الحياة أن لا يحظى بدراسة علمية تفيه حقه ، وتضعه في مكانه الطبيعي بين النقاد .

لقد دخل الثعالبي ميدان التأليف في النقد ، وفي غير النقد ، والقرن الرابع مشرف على نهايته ، والمعركة النقدية حول المتنبي تكاد تضع أوزارها ، والنقد الأدبي كله يكاد يتحول عن مجراه الذوقي الذي بلغ أوجه في آراء الآمدي والجرجاني الى مجرى بلاغي يغلب عليه الجفاف العقلي في آراء أبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني ، اما الميدان الأدبي فقد خلا من عبقريات فذة غذتها فصاحة البداوة، وصقلتها حضارة المدنية ، وانضجتها ثقافات مختلفة عربية وغير عربية كعبقرية أبي تمام أو البحتري أو المتنبي . ولم يعد هناك دواع لخصومة حول مذهب أدبي جديد يحمل لواءه أديب يستفز خصوما ويستنفر انصاراً ، إذ لم يكن ابو العلاء المعري أو الشريف الرضي الا ظلا غير متجانس لعبقرية المتنبي ، ولم يكن غير المعري والرضي من شعراء العصر من يمكنه أن يثير ما اثاره الأدباء العباقرة السابقون من خصومات نقدية .

ان النقد لم يستطع يوماً ان يبعث عبقرية شعرية من الخمول ولكن الأدب الفذ استطاع ان يستثير معارك نقدية تتكشف غالباً عن

---

(١) تاريخ الادب العباسي ، ١٤٣ .

عبقريات نقدية لعلها لو لم تستنفر الى خوض تلك المعارك ما بعثت الى الوجود .

ولهذا كانت دراسة تاريخ النقد الأدبي عند العرب غير منصفة على الاغلب ، لتجردها من المعيار النسبي في تقويم أدوار النقاد من هذا المنطلق ، ان الدور الذي لعبه امثال الصولي او الامدي او الجرجاني في ميدان النقد كان كبيراً ، ولكن لنفترض انهم لم يعاصروا أبا تمام والبحتري والمتنبي ، فما الذي كان يمكنهم ان يفعلوه ليدخلوا ميدان النقد من هذا الباب الواسع الذي دخلوا منه ؟

لقد عاش الثعالبي في عصر أجدب الميدان الادبي فيه مما يستثير عبقرية الناقد ويبرزها ، فكان ان عمد الى استخلاص آراء سابقيه ليبني بعد ذلك منهجاً نقدياً جديداً تدعمه ثقافته العميقة وذوقه الفني الخاص .

ان آراء الثعالبي النقدية تمثل حلقة مهمة في تاريخ النقد العربي ولا شك في ان الدراسة العلمية الدقيقة كفيلة بأن نكشف جوانبها ، وتسبر غورها ، وتكشف لنا عن الاسس الفنية التي بنى الرجل احكامه النقدية عليها ، وهي احكام استمدت طبيعتها من اركان منهجين نقديين متناسقين متمازجين هما :

١ ـ منهج اقليمي يقوم على اسس من دراسة البيئة العامة التي يكون المكان والزمان والمجتمع قواعدها الثلاث ، مع دراسة ما يتفرع عن هذه القواعد من عوامل سياسية واجتماعية وفكرية واخلاقية . ثم دراسة بيئة الاديب الخاصة على اساس انها وليدة تفاعل ايجابي بين المؤثرات البيئوية العامة والاديب نفسه ، ثم تتبع آثار كل هذه العوامل في الادب .

وذلك منهج كان للثعالبي فضل تطبيق اركانه في الدراسة النقدية اول مرة في تاريخ النقد الادبي .

٢ ـ منهج فني يعتمد على ذوق الناقد الشخصي الذي يستمد عناصره من مصادر شتى أهمها الثقافة الادبية التاريخية ، والتيارات الادبية التي تسود العصر ، مع الموهبة النقدية التي لا يستغني عنها أي ناقد .

وذلك منهج لجأ الثعالبي اليه في كثير من الاحيان ، ولا سيما في سياقته بعض الاحكام في معرض تعليقاته على النصوص الادبية التي ترد في كتبه ، من ذلك ما نلاحظه من احكامه النقدية المتناثرة على المعاني التي فضل مبتكرها ، وهجن مبتذلها ومسروقها ، واحكامه على الالفاظ التي فضل فيها السهولة والفصاحة ، وآثر ان توشيها بعض زخارف البديع .

ولعل موازنة الثعالبي بين النثر والنظم في مقدمة كتابه «نثر النظم» تمثل جانبها اخر من جوانب المنهج الفني في نقده ، ذلك انه حكم فيها ثقافته النقدية وذوقه الشخصي إلى حد كبير .

ولنا بعد ذلك أن نتناول اسس هذين المنهجين ـ الاقليمي والفني ـ عند الثعالبي بدراسة قائمة على ربط وتحليل ما تناثر من آرائه في كتبه ، وذلك ماسنفعله في الفصلين التاليين .

المنهج الأقليمي

ملامح المنهج قبل الثعالبي

إن مسألة الربط بين البيئة والأدب قديمة في تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ولعل الملاحظات الكثيرة التي حفلت بها كتب تأريخ الأدب في هذا الميدان تدعو الى التريث قبل قبول حكم الدكتور احسان عباس بأن الثعالبي كان صاحب «أول التفاتة الى الأثر الاقليمي في الأدب» (١) ، ذلك ان ابن سلام (المتوفى سنة ٢٣١ هـ) كان أسبق النقاد ـ فيما وصل الينا من تراث ـ الى التنبه الى أثر البيئة في الأدب ، باعتراف ضمني من الدكتور احسان عباس نفسه عبر عنه في دراسته ابن سلام حين قرر ان حشده شعراء القرى والنظر الى علاقة كل منهم بقريته «مقياس لاضرر منه» (٢) .

وقد لاحظ الدكتور محمد مندور أن عامل «المكان» ثاني أربعة

(١) تأريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٤٩٤ .

(٢) المصدر السابق ، ٨٠ .

اركان بني عليها ابن سلام كتابه «طبقات الشعراء» فقال : «ان ابن سلام عندما وزع الشعراء بين الجاهلية والاسلام ، وقسم هؤلاء واولئك الى طبقات ، نظر فوجد أن هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة بل ظلوا متصلين كل بقريته ، وهم ما يمكن ان نسميهم بالشعراء الاقليميين ، فجمعهم في باب شعراء القرى» (١) .

ليس من شك في ان هذا الحكم مبني على أساس من الواقع ، ولكن تفاصيله مبنية على وهمين مبعثهما الاسراف في الاستنتاج . وأول الوهمين هو أنه عد إفراد ابن سلام شعراء القرى بدراسة خاصة ركنا منهجيا لكتاب الطبقات ، مع ان مقدمة ابن سلام - رغم مافيها من اضطراب قد يكون سببه تلفيقها من مقدمتي كتابين مختلفين - لا تحمل اية اشارة الى شعراء القرى العربية ، وكل ماورد فيها من حديث عن مادة الكتاب يقتصر على قول ابن سلام ، ففصلنا الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين ، فنزلناهم منازلهم »(٢) وقوله : « فاقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الاسلاميين للاستغناء عن فحول شعراء الجاهلية بطبقاتي المؤلفة في ذلك ، فرتبت هذا المؤلف على عشر طبقات ، كل طبقة تجمع اربعة من فحول شعراء الاسلام »(٣) .

هاتان الاشارتان هما كل ما يمكن ان يخرج به الباحث من مقدمة الكتاب ، بما قد يرجح الظن بأن قسم شعراء القرى العربية دخيل

---

(١) النقد المنهجي عند العرب، ٦٣ .

(٢) طبقات الشعراء ، ٩ .

(٣) المصدر السابق ، ١٠ .

على الطبقات من كتاب آخر لابن سلام نفسه ، فهو يشبه كتاب الطبقات مادة واسلوباً ، ولكنه يخالفه منهجاً ، إذ ان المؤلف لم يخضع الشعراء للتقسيم الرباعي فيه ، فقد ذكر من شعراء المدينة خمسة ومن شعراء مكة ثمانية ، ومن شعراء الطائف ثلاثة ، ولم يذكر من شعراء اليمامة أحداً ، وذكر من يهود المدينة ثمانية . اما ما يبدو من التمسك بلفظة « الطبقة » في قسم شعراء القرى العربية(١) فهو لا يقوم دليلاً على انه قسم من كتاب الطبقات بقدر ما قد يدل على تمسك ابن سلام بـ « الطبقية » في مؤلفاته المختلفة تأثراً بما كان من شيوع استعمالها في عصره(٢) .

ولا يمكن بعد ذلك ، ان نعد قسماً يُشك في كونه من صلب الكتاب اساسا للحكم على منهجه (٣) .

اما ثاني الوهمين اللذين قام عليهما حكم الدكتور مندور فهو ما ذهب اليه من ان شعراء القرى لم يصبحوا شعراء للعرب كافة ،فعدهم

---

(١) وردت هذه اللفظة في قسم شعراء القرى العربية « طبقات الشعراء » ٥٤ .

(٢) مقال الدكتور علي جواد الطاهر بعنوان (الطبقة من الشعراء لدى محمد ابن سلام) ، بمجلة الأديب ، ابريل ١٩٦٧م، الجزء الرابع ٢٦ .

(٣) رفض الدكتور محمد زغلول سلام ان يعد قسم شعراء القرى العربية جزءا من كتاب طبقات الشعراء وعده اتجاها يمثل ميل ابن سلام الى تصنيف ما يجمع من شعر بحسب القبائل . تأريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري ، ١٠٦ .

ابن سلام شعراء اقليميين . وفي هذا القول تعسف لا تقره وقائع الامور ، أفلم يكن حسان بن ثابت وأمية بن أبي الصلت اللذين ذكرهما ابن سلام في شعراء القرى العربية من شعراء العرب كافة ؟ وهل كان أمية بن حرثان ، وحريث بن مخفض وامثالهما ممن ذكر في طبقات الجاهليين أشهر من حسان وأمية بن أبي الصلت ؟

فان قيل لم استغنى ابن سلام عن ذكر حسان وأمية بن أبي الصلت وغيرهما ممن وردت اسماؤهم في شعراء القرى العربيـة ضمن شعراء الطبقات الجاهلية ؟ قلنا ان الرجل استغنى عن ذكرهم لما كان قدمه من حديثه عنهم في كتاب سابق لا نعرف عنه شيئاً سوى انه قد يكون اختلط بعضه أو كله بكتاب « طبقات الشعراء » فيما بعد .

وقد ذهب الدكتور بدوى طبانه الى ما ذهب اليه الدكتور مندور حين عد « البيئة » جزءاً من المسلك الذي سلكه ابن سلام في النظر الى الشعراء ، ولكنه اقتصد في استنباط الآراء فقال : « نظر ابن سلام في البيئة واثرها في الشعر فخصص فصلا لشعراء القرى العربية »(١)

وسواء كان قسم (شعراء القرى العربيـــة) جزءاً من طبقات الشعراء ام لم يكن ، فانه يشكل ـ في نظري ـ لمحـة ليست عميقـة الدلالة ـ في المقياس المنهجي ـ على الربط بين البيئة والادب ، ذلك ان ابن سلام لم يعلل ربطه الشعراء بقراهم ، ولم يشر الى أثر كل قرية في شعر شعرائها ، أو الى ميزة أدبية مشـتركة بين شعر شعراء القرية الواحدة ، او ما الى ذلك من امور تشيع في الدراسات المنهجية القائمة على الربط بين البيئة والادب .

---

(١) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية الى القرن الثالث ، ١٣٢ .

ولقد حفل كتاب « طبقات الشعراء » بملاحظات عديدة تشير الى تنبه ابن سلام الى أثر البيئة في الادب ، ولكنه لم يكن تنبهاً منهجياً ، ولهذا جاءت اشاراته عابرة ، ولكن بعضها كان عميق الدلالة على ان اوائل النقاد العرب لم يغفلوا تعليل الظواهر الادبية مهما دقت بواعثها ، من ذلك قوله في حديثه عن عدى بن زيد : « كان يسكن الحيرة ومراكز الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمل عليه شيء كثير »(١) .

ولعل هذه الملاحظة كانت ماثلة في ذهن ابن قتيبة عندما قال عن زياد الاعجم : « وهو كثير اللحن في شعره ،ولهذا قيل له الاعجم، ولفساد لسانه بفارس »(٢) فخالف بقوله هذا ما وصف الاصمعي زياداً به إذ قال : انه « حجة لم يتعلق عليه بلحن » (٣) .

ولقد تجاوز ابن سلام تأثير البيئة في لغة الشعر الى ما هو ابعد من ذلك ، فتحدث عن مظاهر ذات تأثير اكثر عمقا ، ولاحظ غزارة الشعر في بيئة دون اخرى فقال : وبالطائف شعر وليس بالكثير ، وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء ، نحو حرب الاوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر

---

(١) طبقات الشعراء ، ٣١، ونقل ابن قتيبة هذا النص في الشعر والشعراء ٢٢٥ .

(٣) الشعر والشعراء ٤٣٣، ويشبه ذلك ما ذكره من سبب دخول الفاظ فارسية شعر الأعشى ، المصدر نفسه ٢٥٨ .

(٤) فحولة الشعراء ١٦ .

قريش انه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان واهل الطائف »(١) .

ولعل ابن سلام انطلق من وجهة نظر خاصة في حكمه هذا ، فان ملاحظته لا تصدق على شعر الخمر والغزل والمديح بقدر ماتصدق على شعر الحماسة ، ولكنها رغم ذلك ملاحظة جديرة بالدراسة لما فيها من دلالة عميقة على تنبيه الدقيق الى اثر البيئة العامة في الادب .

وقد جاءت ملاحظة الاصمعي عن دواعي الشعر مخالفة لملاحظة ابن سلام ، ولكنها أشبهتها في أنها مقيدة بمدلول بعيد عن التعميم المنهجي في قوله : « ما استدعي شارد بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي »(٢) فان هذا الحكم يصدق على دواعي معان واغراض معينة من الشعر ، ولكنه عاجز عن حصر دواعي الشعر بكل معانيه واغراضه ، وذلك ما جعل رواية ابن رشيق حول كتابة عبد الكريم النهشلي شعراً يدخل مسام القلوب حين افتعل لنفسه الظروف التي ذكرها الاصمعي ، تبدو رواية غريبة نافرة عن التصديق(٣) .

اما الجاحظ فان الأمر يختلف عنده عما عهدناه عند ابن سلام والاصمعي ، فلقد نظر فرأى ان دواعي الشعر لا تتحقق في مظهر واحد حين قال : « وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشدة بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وحسد العرب لهم على دارهم ، وتخومهم وسط اعدائهم ، حتى

---

(١) طبقات الشعراء ٦٥، ٦٦ .

(٢) العمدة ١ : ٢٠٦ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

كانهم وحدهم يعدلون بكراً كلها ، ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعرا منهم ، وفي إخوتهم عجل قصيد ورجز وشعراء ورجازون ، وليس ذلك لمكان الخصب ، وأنهم اهل مدر ، وأكالو تمر ، لأن الأوس والخزرج كذلك وهم في الشعر كما قد علمت ، وكذلك عبد القيس النازلة قرى البحرين فقد تعرف أن طعامهم أطيب من طعام أهل اليمامة ، وثقيف اهل دار ناهيك بها خصباً وطيباً ، وهم وان كان شعرهم أقل فان ذلك القليل يدل على طبع في الشعر عجيب ، وليس ذلك من قبل رداءة الغذاء ، ولا من قلة الخصب الشاغل والغنى عن عن الناس ، وانما ذلك عن قدر ماقسم لهم من الحظوظ والغرائز والبلاد والاعراق مكانها » (١) .

ويبدو ان الجاحظ قصد الى ان ينقض ملاحظة ابن سلام عن أثر الحرب في كثرة الشعر ، فقادته طبيعته الميالة الى الاستطراد الى الخروج بثلاثة دواع لكثرة الشعر هي الطبع « الحظوظ والغرائز » والبيئة « البلاد » والجنس « الأعراق » ، فجاءت نظرته الى دواعي الشعر أقدر على تفسير ظواهر أدبية كثيرة لا نستطيع تفسيرها على ضوء نظرة ابن سلام أو نظرة الاصمعي ، على ان الجاحظ لم يعن كثيرا بتحليل آثار العوامل البيئية التي لمسها في أدب بعض القبائل ، فهو يكتفي باظهار العجب لها كما صرح في حديثه عن ادب بنى عبد القيس حيث قال : « وشأن عبد القيس عجب ، وذلك أنهم بعد محاربة إياد تفرقوا فرقتين : ففرقة وقعت بعمان وشق عمان ، وهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم أشعر قبيل

(١) الحيوان : ٣٨٠ ، ٣٨١ .

العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة البـــادية وفي معدن الفصاحة وهذا عجب » (١) .

ان العجب متأت من تصـور شمول نظرة الجاحـظ نفسه ، فلو انه قارن بين البيئتين القديمة والجديدة فربما وجد في عوامل البيئـــة الجديدة ما يسوغ الأمر الذي عجب له .

وقد اعار الجاحظ البيئة اهمية كبرى عندما تحدث في غير ميدان الادب ، فجاء حديثه اقل إبهاماً واكثر دقة ، ولعل حديثه عن العقوبة في الديانة الزرادشتية مثل صالح لذلك ، فقد ذهب الى ان (زرادشت) انما هدد مخالفيه بالعقاب بالثلج لما راى من كون بلادهم باردة ، يهدد الرجـل فيها بالاقامة في الريح والايقـاف في الثلج فيرتدع ، نظن زرادشت « ان ذلك ازجر لهم عما يكره »(٢) .

لقد كانت البيئة عند الجاحظ أحد ثلاثة عوامل مؤثرة في الادب، وعاملا رئيساً مؤثراً في كثير من مظاهر الحياة والفكر والعقائد،وذلك نظر أملته ثقافة العصر عليه ، وعلى معاصر له هو ابن قتيبـة الذي كانت نظرته الى دواعي الشعر اكثر تشعباً ، وربطه الشعر بمؤثرات بيئية اعمق مدلولا ، فقـد رأى ان دواعي الشعر تتمثـل في ثلاثة أركان هي :

١ ـ الدافع المادي الذي عبر عنه بقوله« وللشعردواع تحث البطيء ، وتبعث المتكلف ، منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب، ومنهـا

(١) البيان والتبيين ، ١ : ٩٦ ، ٩٧

(٢) الحيوان ، ٥:٦٧ .

الطرب ، ومنها الغضب (١) .

٢ ـ الطبع الذي اشار اليه بقوله : « وللشعر تارات يبعد فيها قريبه ويستصعب ريضه ، وكذلك الكلام المنثور ، وفي الرسائل والخطب والمقامات والجوابات ، فقد يتعذر على الكاتب والأديب وعلى البليغ الخطيب ، ولا يعرف لذلك سبب الا ان يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء او خاطر غم »(٢) .

٣ ـ البيئة الخاصة التي اشار اليها بقوله : « وللشعر اوقات يسرع فيها أتيه ويسمح فيها أبيه ، منها اول الليل قبل تغشي الكرى ، ومنها صدور النهار قبل الغذاء ، ومنه يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير »(٣) .

وبالرغم من ان الركنين الاول والثالث يختلفان ظاهراً ، فانهما صورتان بيئيتان متفقان في الجوهر القائم على الدافع البيئي الخاص بالاديب ، ولو ان ابن قتيبة توسع في مفهومه قليلا لخرجنا من نظرته بالدقة العلمية المرجوة .

ولا نجد عند ابن المعتز اشارة الى اثر البيئة في الادب سوى حديثه عن « الحمادين » .

وهو يكاد لا يفصح فيه عن ايمان واضح بأثر البيئة في أدبهم ، فهو لما ترجم لهم في مكان واحد علل ذلك بقوله : « وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون ، حماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ،

---

(١) الشعر والشعراء ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ٨٠ ، ٨١ .

(٣) المصدر السابق ٨١ .

وحماد الراوية ، يتنادمون الشراب ، ويتناشدون الاشعار ، ويتعاشرون اجمل عشرة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة، واذا رأى الناس واحداً منهم قالوا : «زنديق ، اقتلوه »(١).

إن الاحساس البيئي غامض في قول ابن المعتز ولكنه ينم عن ميل الى جمع أدباء متقاربين في المشارب والمنطلق في مكان واحد ، مع التخلي عن الاشارة الى الميزات الأدبية المشتركة بينهم .

اما ابن طباطبا فقد أدرك الصلة الوثيقة بين البيئة والأدب باحساسه النقدي المرهف ، وبطريقته الفذة القائمة على الملاحظة الدقيقة ، واستخلاص الأحكام من مقارنة الحقائق . ولعله أدمن النظر ، وأجال الفكر قبل أن يخلص الى قوله :« واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها ، وأدركه عيانها ، ومرت به تجاربها ، وهم أهل وبر ، صحونهم البوادي وسقوفهم السماء ، فليست تعدو أوصافهم مارأوه فيها » (٢) .

ان الحقائق التي عبر ابن طباطبا عنها بقوله هذا كثيرة جدا ، رغم بساطة تعبيره المتأتية من بساطة الحقيقة التي يحملها ، فالشعر عنده وصف وتشبيه وحكم ، وكل ذلك تمليه البيئة بمشاهدها وطبيعتها وحدودها على الأديب ، فيبقى محصورا في حدودها العامة التي لا يمكن ان يتعداها ، فابن طباطبا يطلق أثر البيئة على الادب بكل مظاهره، ويعده وليد البيئة بكل مظاهرها .

ولما كتب القاضي الجرجاني « الوساطة » لم يفد كثيراً من رأي

---

(٢) طبقات الشعراء ٦٩ .

(٢) عيار الشعر ١٠ .

ابن طباطبا ، بل عاود مسلك القدامى في ملاحظة اثر البيئة في جانب واحد من جوانب الادب ، فجعل اللغة والاسلوب ميدان ملاحظاته دون المعاني ، اذ قال في اثر الاسلام والتحضر في الشعر : « فلما ضرب الاسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي الى القرى ، وفشا التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه واسهله ، وعمدوا الى كل شيء ذي اسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً والطفها من القلب موقعاً ... وتجاوزوا الحد في التسهيل حتى تسمحوا ببعض اللحن ، وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة ، وأعانهم على ذلك لين الحضارة ، وسهولة طباع الاخلاق ، فانتقلت العادة ، وتغير الرسم ، وانتسخت هذه السنة ، واحتذوا بشعرهم هذا المثال ، وترققوا ما امكن ، وكسوا معانيهم الطف ما سنح من الالفاظ ، فصارت اذا قيست بذلك الكلام الاول يتبين فيها اللين ، فيظن ضعفاً ، فاذا افرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقا ، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولطفا »(١) .

لقد ظل الجرجاني يدور في فلك الشكل دون ان يلمس أثر مظاهر البيئة الجديدة التي تكلم عنها في المعاني والاخيلة والاغراض وغزارة الشعر او قلته ، فكانت دائرة بحثه ضيقة الحدود .

وهكذا بقي الحديث عن اثر البيئة في الادب محدوداً بملاحظات متفاوتة في مدلولها ، مختلفة في تحليلها ، مرتبطة بما سيقت لاجله دون ان تكون ركنا مبدئيا من اركان أي منهج نقدي عربي فيما وصل الينا من تراث القرون الاربعة الاولى بعد الاسلام .

---

(١) الوساطة ، ١٨ .

لقد خضع الادب العربي في العصر العباسي لمؤثرات بيئية متعددة، ونادى الادباء انفسهم بالتغيير الذي تتطلبه البيئة الجديدة ، وكان أبو نؤاس أشدهم حماسا ، فكان صوته - رغم ما وجه اليه من تهمة الشعوبية - دعوة مخلصة لان يكون الادب صورة صادقة للبيئة والعصر، ولكن هذه الدعوة لم تجد صدى عميقاً في ميدان النقد ، وبقي النقاد يتجاهلونها الى ان وجد صدى في نفس ابي منصور الثعالبي الذي اصطنعها منهجاً لدراسته النقدية ، فأغنى النقد العربي بما يبدو انه كان بأمس الحاجة اليه .

بواعث المنهج وأسسه عند الثعالبي

لقد اطلع الثعالبي على الدراسات النقدية وكتب تراجم الشعراء ، ولمس جهد اصحابها في تحليل العوامل المؤثرة في الادب ، وملاحظاتهم حول أثر البيئة في الادب بوجه خاص ، فاستهواه هذا الجانب ، ولعله حين اطلع على كتاب « شعراء مصر » للصولي(١) وكتاب « اصبهان » لابي عبد الله حمزة بن حسين الاصبهاني (٢) ، وجد ما للمنهج الربط بين الشعراء وبيئاتهم من ميزات تتمثل في سهولة حصر اسمائهم ، وحصر العوامل المؤثرة في شعرهم ، وفي امكان استقصاء الآثار الفنية التي تتركها المؤثرات البيئية في الانتاج الشعري ، وذلك هو المنهج الذي اقام تراجمه لشعراء اليتيمة وتتمتها على اسسه ، واتبعه في كثير من كتبه الاخرى التي لم تخل من ملاحظات شتى عن أثر البيئة في شكل الشعر ومضمونه بطريقة منهجية بعيدة عن العفوية التي اتسمت بها

(١) ذكره في لطائف المعارف ، ١٦٤ .

(٢) ذكره في يتيمة الدهر ، ٣ : ٢٩٩ .

احكام كثير من السابقين في الميدان نفسه .

ولعل لتلمذة الثعالبي على الخوارزمي أثرها في نضج الفكرة عنده، فقد كان الخوارزمي رحل الى الشام ، وانتجع بلاط سيف الدولة ، واطلع على نتائج قرائح الشعراء هناك، وامتلأت نفسه اعجابا به ،فراح يبث تلاميذه اعجابه ومنهم الثعالبي الذي روى عن شيخه قوله: «ما فتق قلبي وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، الا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي، وامتزجت بأجزاء نفسي ، وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة قشيب »(١) .

ولقد نظر الثعالبي فرأى أن يفرد لشعراء الشام الذين اعجب بهم، تأثراً بشيخه ، باباً يفصل فيه سبب تبريزهم على سائر الشعراء، وقاده ذلك الى ان يخص شعراء كل بيئة منها بباب مستقل يسهل معه حصرهم واستخلاص أثر الظروف العامة ثم الخاصة في شعرهم، فقسم اليتيمة اربعة اقسام ، وخص شعراء الشام وما جاورها بالقسم الاول، وشعراء العراق وما جاورها بالقسم الثاني ، وشعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان بالقسم الثالث ، وشعراء خراسان وما وراء النهر بالقسم الرابع .

ان هذا التقسيم يشف بمجمله عن فكرة راسخة في نفس الثعالبي نلمحها من طريقته وان هو لم يفصح عنها ، فقد عاش الرجل في عصر تفككت فيه اوصال الدولة الاسلامية ، وتقاسمها امراء مختلفو القوميات والمذاهب والمطامع ، فتعددت البيئات التي ينتجعون بيئة واحدة أو بيئات متقاربة « وكان لهذه البيئات المختلفة التى احتلها الأدب العربي آثارها المختلفة في تفاوت الذوق الأدبي ، وتباين خواصه ، سواء أكان

(١) يتيمة الدهر ١:٢٦

في العصر الواحد أم في العصور المتتابعة »(١) .

لقد لمس الثعالبي هذا كله ، ورأى ان من المستحيل ان يتحدث عن الشعر العربي في بيئاته الجديدة المتعددة بالطريقة التي كان يتحدث بها السابقون عن شعراء يتجمعون في بيئة واحدة او بيئات متقاربة ، وهكذا كان لجوءه الى المنهج الاقليمي في دراسة الأدب امراً هيأت له الظروف ، واملته الاحداث فكان له فضيلة السبق اليه .

وكان يمكن ان يمضي الأمر دون أن يثير الانتباه كما مضت طريقة اتباع التسلسل الزمني في تراجم الشعراء دون أن يكون لها مدلول نقدي خاص (٢) ، وكان يمكن ان نعد منهج الثعالبي طريقة

(١) اصول النقد الادبي ، ١٢٧ .

(٢) ذهب الدكتور بدوي طبانة الى القول بأن ابن سلام سلك الطريقة التاريخية «*The Historical Method*» من جهة انه قسم الشعراء الى جاهليين واسلاميين ومخضرمين حسب أزمانهم مستنداً الى تعريف الاستاذ احمد الشايب لهذه الطريقة ، واشار الى انها تقوم على الربط بين الأدب والتاريخ « دراسات في نقد الادب العربي »، ١٤٥ ».

ونحن لو تحرينا الحقيقة لوجدنا ابن سلام لم يشر بأي شكل في طبقاته الى أثر الزمان في الادب فهو ان قدم الجاهليين ، أوأفرد لهم كتابا خاصا ، فانما يعبر بذلك عن طبيعة منهج نقدي متزمت ورثه عن شيوخه من اللغويين الذين كانوا يصرون على تقديم الجاهليين لاعتبارات خاصة ، اما الحس التاريخي المزعوم في دراسة ابن سلام فيكذبه تقديمه الكثيرين من المتأخرين في الزمان =

سهلة لحصر الشعراء كما ظن الدكتور احسان عباس (١) ، ونغض النظر عن منهجيه التقسيم ، أو نعده منهجا مبتكرا في التأليف لا قيمة له في الميزان النقدي ، لولا أن الثعالبي أقام لنفسه أكثر من شاهد على احساسه النقدي بهذا التقسيم ، فقد تلمس للشعر بشكله ومحتواه الفنيين عوامل كثيرة ومتشعبة كان ابرزها لديه عامل البيئة العامة ، فعمل على أن يجد في تقصي الظواهر الأدبية ويلح في طلب الدواعي والمسببات ، ويربط بين هذا وذاك ، ليخرج بمنهج متكامل يضعه قيد التطبيق في كتابه « يتيمة الدهر » فيوفق التوفيق كله وينال الكتاب من القبول في حياة صاحبه وبعد وفاته مايجعله رائد المؤلفين في تأريخ الأدب والنقد الأدبي .

ان المنهج الذى سلكه الثعالبي يدل على انه سبق النقادالعرب جميعا الايمان بأن العوامل المؤثرة في الادب وليدة ظروف بيئية مختلفة .

ويبدو أن نظرة الثعالبي الى الظروف البيئية قريبة جداً من نظرة نقاد عصرنا هذا اليها ، فهم يحددونها بانها : الظروف « المكانية والزمانية الاصيلة والطارئة التي تتوافر في اية بقعة ، ويتكون منها جميعاً مزاج يؤثر في الهيأة الاجتماعية التي تطبع كل

= على سابقيهم في المعيار الطبقي في قسمي كتابه ، ومقياسه في ذلك كثرة الشعر وجودته ، لا تقدم الشاعر في الزمان أو تأخره ، وعلى هذا يصح ان نقول ان منهج ابن سلام يقوم على اسس فنية لا تأريخية .

(١) تأريخ النقد الأدبي عند العرب ٣٧٤ .

ما يتصل بها بطابعها الخاص »(١) .

ويكاد هذا التحديد يكون خلاصة ما يمليه جانب كبير من آراء الثعالبي النقدية .

لقد قام منهج الثعالبي الاقليمي في النقد على ثلاثة اسس رئيسة تتمثل في النظر الى اثر المكان والزمان والتيارات الاجتماعية ، وما يتفرع عنها ويقع في دائرتها ، في توجيه التيار الادبي العام مع النظر الى اثر بيئة الاديب الخاصة في انتاجه : وذلك ما سنتناوله بالدراسة التفصيلية في المباحث التالية .

أثر « المكان » في الادب

كان النظر الى أثر « المكان » في الادب هو المدار الذي قام عليه منهج التقسيم في اليتيمة وتتمتها ، ولما خص الثعالبي كل بيئة بقسم من أقسام اليتيمة وجد أن البيئات كثيرة ، وان كثرتها قد تخرج به الى الاطالة ، وتعدد الاقسام . فجمع الى كل بيئة ما يجاورها ويقاربها في الموقع ، وكشف بذلك عن فهم عميق لاثر « المكان » في الادب .

ولقد وجد الثعالبي ان « شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام »(٢) ودليله على ذلك ان ما أحصاه من اسماء المجودين والمشهورين من شعراء الشام اكثر من اسماء المجودين والمشهورين من شعراء العراق او البيئات الاخرى .

---

(١) أصول النقد الادبي ٨٣ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١:٢٤ .

ولما تقصى العلل وجدها تكمن في بواعث معينة خصت بها بيئة الشام دون غيرها من البيئات ، فاشار الى بعضها بقوله : « والسبب في تبريز القوم قديما وحديثا على من سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ، ولا سيما اهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة السنتهم من الفساد العارض لالسنة اهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من اهل الشام بين فصاحة البداوة ، وحلاوة الحضارة »(١) .

وكأنه أحس ان رأيه جديد قد لا يلقى القبول المرجو عند من درجوا على التعلق بطريقة القدماء منهجا واسلوبا ، فعمد الى ان يسند رأيه بآراء أدباء متذوقين للادب لا يرقى الشك الى أذواقهم ، فاختار الصاحب بن عباد ، وذكر الكثير عن إعجابه بطريقة أدباء الشام ، وقال إنه كان : « يحرص على تحصيل الجديد من اشعارهم ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترا ضخم الحجم عليها ، وكان لا يفارق مجلسه ولا يملأ احد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سن قلمه ، فطورا يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله ويورده كما هو في رسائله »(٢) .

ثم عمد الى شيخه الخوارزمي ، فأشار الى ما كان يبديه من اعجاب عميق بطريقة شعراء الشام(٣) ،

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٤ ، ٢٥ وذكر عللا اخرى لا صلة لها بعامل « المكان » ، وسنتعرض لدراستها ضمن العوامل الاجتماعية .

(١) المصدر السابق ، ١ : ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، ١ : ٢٦ .

ولو اننا دققنا النظر في دوافع الثعالبي الى تفضيل شعراء الشام لوجدنا انه ينطلق من مبدأ النظر الى قرب الشام من خطط العرب وبعدها عن خطط العجم وذلك مقياس سليم في نظر كثير من النقاد الذين يرون ان في الشعر البدوي روحا ليست في الشعر الحضري . وربما كان ذلك واحدا من عوامل كثيرة دعت العلماء الاوائل الى رفض الشعر الحضري دون تعليل ، ولعلها هي التي تكمن وراء مثل قول ابن سلام في حديثه عن الشعر المنحول : « ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ، ولا ما وضعوا . ولا ما وضع المولدون وانما عضل بهم ان يقول الرجل من اهل البادية من ولد الشعراء او الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الاشكال »(١) .

لقد كان يكفي - في نظر ابن سلام - ان يكون الرجل من اهل البادية ليشابه شعره المنحول شعر من يضع عليه حتى يشكل ذلك على « اهل العلم » .

اما الرواة والمولدون فهم اهل حاضرة لا يحسنون ان يضعوا شعرا يشكل تمييزه لانهم ان استطاعوا ان يستعيروا الالفاظ ، ويتقمصوا المعاني ، فانهم لابد مفتقرون الى الروح التي تسم البادية بها شعر ابنائها من قوة طبع ، وبساطة فكرة ، وبعد خيال ، ووفرة عاطفة .

ومن هنا انطلق الثعالبي في تفضيله شعراء الشام القريبين من بادية الحجاز وهي ارض الفصاحة ومهد الشعر البريء من تعقيد الحضارة الذي ضرب بجرانه على شعر العراق وفارس في القرن الرابع

---

(١) طبقات الشعراء ، ١٤ .

فأحاله مقطوعات قصيرة النفس تنقصها جزالة اللغة ، ويغلب عليها التلاعب اللفظي والاهتمام بالمعاني المستحدثة والطارئة على عمود الشعر العربي .

إن العلل التي استنبطها الثعالبي لتفضيل شعراء الشام قائمة على أسس من الملاحظة الدقيقة والتحليل العلمي المستند الى الموازنة بين البواعث والظواهر ، إلا ان الاستاذ محمد محي الدين عبدالحميد لم يقتنع بما قدمه الثعالبي من علل ، وعد تفضيله شعراء الشام على شعراء العراق « عصبية تغطي على كل محمدة » لان الثعالبي « لم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الاول منه ، لان التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم هو حين يريد أن يبين السبب في ذلك ، يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى (سائر البلدان) التي عقد الفصل عليها ، ويذكر ان قرب العراق من الفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب أهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وان هذا القرب ، وهذا الاختلاط ، قد يكونان سببا في فساد السنة العرب من أهل الشام »(١) .

فهو ينعى على الثعالبي امرين ، اولهما : نسيانه شعراء سائر البلدان في موازنته بين شعراء الشام وشعراء العراق ، وثانيهما : عدم تنبهه الى اثر الروم في فساد السنة اهل الشام .

ولو أن الاستاذ محي الدين عبدالحميد تروى قليلا لامكنه ان

---

(١) يتيمة الدهر ، مقدمة المحقق ، ٩ .

يرى تفضيل الثعالبي شعراء العراق كان نتيجة موازنة بين بيئتين قسم الله لهما حظا من الشعر لا يذكر حظ اي بلد آخر الى جانبه . لما كان لهما من الصلة المباشرة بأرض الشعر العربي الاصيل ، ولكونها مركزي الخلافة الاسلامية على التتابع اربعة قرون متتالية ، فلا عجب ان كانا منبعين غزيرين للشعر العربي ، لا يدانيهما في ذلك صقع ، ولا ينازعهما مركزهما الشعري بلد .

ولعل اصدق دليل على ما ذهبنا اليـه قول الاستاذ احمد امين « فكأن الشعر في عهده الاول لم يشأ ان ينمو ويزدهر الا في ارضه ومنبته ، فاذا خرج الشاعر من ارضه اعتقل لسانه ، او يكاد ، فنما في جزيرة العرب لانها مهده ، ونما في العراق والشام لانهما على هامش ارضه ، ومن قديم كانت صحراء الشام والعراق مبعثا لشعره فلم يجد فيهما جديد ، ولكن إذا سكن العربي مدينة تخالف طبيعة ارضـه كمصر والمغرب وخراسان لم يتغن بشعره الا قليلا . وهي ظاهرة غريبة حقا تحتاج الى درس وامعان نظر »(١) .

ولقد امعن الثعالبي النظر ، وادرك العلة ، ففضـل شعراء الشام ، وجعل المفضول شعراء العراق ، فكأنه فضل شعراء الشام ـ بذلك ـ على شعراء سائر البلدان ، وهذا ما كان يجب ان يتنبـه له الاستاذ عبدالحميد ، إلا اذا كانت (العصبية) لبلد (ثالث) جرته الى قوله ما قال .

اما اغضاء الثعالبي عن اثر الروم في السنة اهل الشام . وعـدم إغضائه عن اثر الفرس في فساد السنة شعراء العراق ، فتلك حسنة

---

(١) النقد الادبي ، ٤١٩ .

تحسب له لا عليه ، وذلك إستنتاج أقرب الى روح العلم لا العصبية ، فلقد رأى الرجل أن اختلاط الروم بعرب الشام كان اختلاط اعداء تدور بينهم حروب وتفصل بينهم ترات ، وان العربي من اهل الشام ينفر من كل ما هو رومي لما وقر في نفسه من عداء للروم ، ولهذا فهو يحتفظ بشخصيته العربية ويعتز بها ، ويأنف من ان يذلها بتقليد اعدائه ، أما في العراق فالامر يختلف تماما ، لان الفرس كانوا هم حكامه الحقيقيين ، ولان المجتمع العربي العراقي طال عهده بالاختلاط بالفرس ، والاندماج فيهم ، حتى كادت الشخصية العربية الاصيلة تختفي ، وحتى كاد العربي في العراق وفارس يكون غريباً في أرضه ، منتزعاً عن الشخصية العربية .

لقد قلب الثعالبي الامر على وجوهه ، ورأى ان اثر الفرس في عرب العراق غير أثر الروم في عرب الشام ، فعد ذلك حقيقة يحسب لها الحساب في دراسة أدب البيئتين ، وحسبه بعد ان يكون فتح بابا الى دراسة قائمة على اسس علمية دقيقة تاركا التفصيل لمن يعنى بالتفاصيل .

وكأن ذلك كله لم يكن كافيا في نظر الدكتور احسان عباس عندما حكم على الثعالبي بقوله : « لا يعد الثعالبي في النقاد لان كتبه التي تتصل بالشعر لا تصور إلا ذوقا فرديا خالصا من العسير تبين اساس نقدي له سوى إعجابه باللون الحضري في اشعار معاصريه على تباين تلك الاشعار في موضوعاتها وصياغتها ، وعلى الرغم من انه ذكر شعراء عصره في اليتيمة ، وهي اوضح كتبه من حيث الاسس النقدية ، على حسب الاقاليم ، فمن الكثير عليه ان يقال انه فعل

ذلك إدراكا منه لاختلاف الشعراء واختلاف بيئاتهم »(١) .

إننا لو تأملنا رأي الدكتور إحسان لرأيناه ينعى على الثعالبي أمرين ، أولهما أنه استعمل ذوقه الفردي الخاص المقصور على الاعجاب باللون الحضري في أشعار معاصريه ، وثانيهما : أن ما يبدو من انه منهج مقرر لليتيمة لم يكن مبعثه إدراك أثر البيئة في الأدب ، فهو لم يكن أساساً تطبيقياً للدراسة فيها كما يشير الدكتور بعد ذلك بقوله : « ولكن هذا لم يكن هو الأساس الذي جعله يفرد باباً لشعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان ، وآخر لاهل خراسان وما وراء النهر وانما وجد التأليف بحسب القسمة الاقليمية أسهل في حصر اسماء المعاصرين ، فاعتمده ، ولو كان اختلاف البيئة مقياسه في النظرة النقدية لما خلط بين شعراء مصر والمغرب والاندلس ، وترجم لهم في نطاق واحد »(٢) .

إن هذين المأخذين لا يشكلان طعنا على الثعالبي بقدر ما يرسمان صورة واضحة لشخصيته النقدية التي حاول الدكتور احسان عباس طمسها عامداً . إن تحكيم الذوق الفردي ـ حضريا كان او بدويا ـ لا يعد تهمة تغض من قيمة أي ناقد بقدر ما هو شرط ضروري له ، وتلك مسألة لا تحتاج الى برهان ، أما القول بأنه من غير الممكن تبين الأساس النقدي لذوق الثعالبي سوى إعجابه باللون الحضري في أشعار معاصريه فمغالطة عجيبة ، أوَ ليس الاعجاب باللون الحضري أساساً نقدياً كان من الجدير بالدكتور ان يشمر لدراسته وتبين بواعثه

---

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ٣٧٤ .

(٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب ٣٧٤ .

في بيئة الناقد وعصره بدلا من كيل الاتهام ؟

إن كثيراً من المؤلفات النقدية العربية القديمة لم تكن تتسم بمنهج واضح محدد يسهل على الباحث أن يتلمسه دون إدمان النظر وكد الخاطر ، ولم يكن ذلك كله مسوغا كافيا لاخراج أصحاب تلك الكتب من حلقة النقاد ، ولقد لمس الدكتور محمد زغلول سلام في آراء ابن المعتز ما لمسه الدكتور إحسان عباس في آراء الثعالبي من اضطراب وصعوبة في تحديد المنهج ، فخرج بتعليل منصف لم يعد به الصواب حيث قال : « وليس اضطراب مقاييس ابن المعتز دليلا على ضعف او عجز ، ولكنه ناقد غير متعصب أو جامد ، فهو مع النص الجميل يتذوقه باحساسه الدقيق المرهف ، سواء كان ذلك النص من الشعر المحدث الذي ينتصر له ، ويعد من شعرائه ، او من الشعر القديم النمط »(١) .

اما المأخذ الثاني الذي ذكره الدكتور إحسان وهو عدم التزام الثعالبي بمنهجه القائم على التقسيم البيئي للشعراء بدليل انه خص بيئات مختلفة بقسم واحد او خص بيئات متشابهة بقسمين مختلفين ، والخروج من ذلك بأن التقسيم البيئي لم يكن اساسا للدراسة بقدر ما كان منهجا سهلا في التأليف ، فان فيه من الاجتهاد الشخصي ، وحمل الامور على غير محملها ، ما فيه من التجني الذي كان يمكن للدكتور ان يتجنبه لو انه درس مقدمة الثعالبي لقسم شعراء الشام ورأى اسباب تفضيلهم على شعراء العراق وإفرادهم بقسم خاص .

إن المنهج الاقليمي يمثل اساسا تطبيقيا نقديا في اليتيمة وتتمتها

---

(١) تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع ، ١٢٧ .

ولا يعيب هذا الاساس ان ينظر الثعالبي الى البيئات من وجهة نظره هو ، وان يسوغ هذه النظرة بما يرضي وجهة نظر الدكتور إحسان اولا يرضيها ، فحسبه ان يكون لمس التأثير البيئي ، وعلل الظواهر الادبية بأدلة اهل ثقافة عصره لم تكن لتتيح له ان يقدم اعمق منها .

ان بساطة المقاييس البيئية التي استند اليها موقف الثعالبي لا تسوغ اتهام منهجه بالافتقار الى البواعث النظرية والتطبيقية التي بنى أدلته عليها ، واخضع تفاصيل دراسته لها .

وفي ظني ان هذه البواعث كانت تستحق من الدراسة المستقصية ، والتعمق في التحليل ، وابداء الاعجاب ، اكثر مما استحقته إشارة ابن طباطبا في كتابه « عيار الشعر » الى اثر الطبقة الاجتماعية في الادب من اعجاب الدكتور إحسان نفسه حيث قال : « ان من يلمح أثر الطبقة الاجتماعية في شعر احد الناس لا يعد ناقداً سطحياً يذهب مع التأثر الاول والانطباع السريع » (١) .

اننا لو قبلنا رأى الدكتور في ابن طباطبا - وهو مقبول جداً - فان من حقنا ان نرفض قوله بان الثعالبي لا يعد من النقاد ، مع ان الثعالبي لاحظ أثر البيئة في الأدب بشكل اعم وأوضح واكثر دلالة على الاصالة المنهجية .

ويبدو ان الدكتور احسان عباس كاف نفسه بعد ذلك شططاً فراح يستقرىء الغيب ليخرج بالقول بأن الثعالبي وجد ان التقسيم البيئي كان منهجاً سهلا للتاليف ، فيسلبه بذلك فضيلة السبق الى منهج ظل رائد مؤرخي الادب ونقاده قرونا طوالا بعد الثعالبي ، ولو ان

---

(١) تأريخ النقد الأدبي عند العرب ، ١٤٩ .

الدكتور كلف نفسه عناء دراسة عدد يسير من كتب الثعالبي غير اليتيمة لوجد ان منهج التأليف السهل حقاً لدى الرجل هو المنهج التأريخي القائم على التدرج الزمني ، وانه لم يلتزم بالمنهج الاقليمي الا في « يتيمة الدهر » و « تتمة اليتيمة » . ولقد ألف الثعالبي يتيمته في اول عهده بالتأليف ، فلو صح القول بأنه استسهل منهجها، فلم تخلى عنه في الكتب التي ألفها بعد اليتيمة ولم يعد اليه الا في التتمة التي الفها في اواخر حياته اكمالا لما بدأ به في اليتيمة ؟

ان احكام الاستاذ محي الدين والدكتور احسان عباس جاءت مجافية للصواب ، وذلك متأت من قصور دراستها عن تصور منهج الثعالبي لاقتصارها على البحث في واحد من كتبه الكثيرة أو فصل واحد من احدها .

وبالرغم من كل ذلك فقد وجد الثعالبي بعض الانصاف عند آخرين كالدكتور شكري فيصل الذي عد تفضيله شعراء الشام« أقرب الى الاحساس بالاقليمية منه الى القسمة السياسية »(١) ، والدكتور عمر الدقاق الذي قال ان الثعالبي « ابتدع منهجاً جديداً لم يسبقه اليه احد من قبل ، فقد رأى ان يتناول الشعراء على حسب اقاليمهم ومناطق بلادهم ، وهذا التناول في الحقيقة أقرب الى روح الأدب من تصنيف الشعراء تبعاً لترتيب اسمائهم ، او غير ذلك ، لان صاحب اليتيمة استطاع في كتابه ان يربط الأديب وبيئته ، وذلك ما يجنح اليه كثير من المؤلفين والنقاد في عصرنا هذا »(٢) .

(١) مناهج الدراسة الأدبية ، ١٧٠

(٢) مصادر التراث العربي ، ١٥٦

ولقد أملى الحس الاقليمي على الثعالبي ملاحظات دقيقة عن أثر الطبيعة في الادب ، فتنبه الى أثر التضاريس والمناخ ، والتربة والماء والهواء وما الى ذلك من عناصر الطبيعة المادية في الطبائع والعقول والآداب ، فقال ان اصبهان :« لم تزل مخصوصة من بين البلدان باخراج فضلاء الأدباء وفحولة الكتاب والشعراء »(١) . وسبب ذلك في نظره ما عبر عنه بقوله : « ما اقدره من حسن أثار طيب هوائها وصحة تربتها وعذوبة مائها في طباع اهلها وعقول انشائها »(٢) .

وقد أملى عليه هذا الاحساس بأثر الطبيعة في الطباع ، ان يتمسك برأي الجاحظ في سبب كثرة اللواط في خراسان وما استتبع من حركة شعرية ، وخلاصته ان اهل خراسان كانوا كثيري التنقل في البعوث في مناطق وعرة يصعب عليهم فيها اصطحاب النساء والجواري ، ويسهل اصطحاب الغلمان ، وفضلوهم على النساء ، وان العرب لو عاشوا في مثل ظروفهم لتعشقوا الغلمان ، وكان لهم فيه اشعار ومفاخرات ومدائح وأهاج (٣) .

وهكذا تجمعت الخطوط العريضة لأثر عامل « المكان » في الادب في منهج الثعالبي النقدي ، ولا يغض من قيمة آرائه في هذا الميدان انها وردت متفرقة يعوزها الربط ، فعذره عن ذلك انه كان يتحدث عن الشعراء والادباء ، وان ما ساقه من ملاحظات نقدية كان مرهوناً بورود نصوص ذات سمات اقليمية تستدعي التعليق . ولهذا ايضاً

---

(١) يتيمة الدهر ، ٣ : ٢٩٩ .

(٢) المصدر السابق ، ٣ : ٢٩٩ .

(٣) ثمار القلوب ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

يصح أن نقول : ان منهج الثعالبي يميل الى الناحية التطبيقية المبنية على ملاحظات عملية تجمعت من خلال دراسته لأدباء عصره ، اكثر من كونه منهجاً افتراضياً خاضعاً للتجربة التي قد يصدق عندها أولا يصدق .

لقد لاحظ الثعالبي بواعث نهضة الشعر في بيئات معينة درس أدبها ، وأطنب في الحديث عن حسنات شعرائها ، فلما تصدى لدراسة بيئات أجدبت فيها القرائح تمسك بعلله الاولى ، وافترض كون البيئة المجدبة من الشعر خالية بما تمتعت البيئة الخصبة به من ميزات، من ذلك ملاحظاته العديدة عن بيئة « الشاش » خلال حديثه عن شعرائها ،فقد قال في ترجمة أبي محمد المطراني الشاشي : « شاعر الشاش وحسنتها وواحدها فانها وسائر بلادما وراء النهر لم تخرج مثله الا أباسماعيل عامر بن احمد بعده »(١) ، ثم اسند رأيه ,وضحه بقول الصاحب عند رؤيته ديوان المطراني : « ما ظننت ما وراء النهر يخرج مثله » (٢) .

وقال الثعالبي في ترجمة اسماعيل بن احمد الشاشي : « قد كان يقع التعجب من اخراج الشاش مثل أبي محمد المطراني في حسن شعره وبراعة كلامه ، فلما اخرجت اسماعيل من ألقى اليه القول الفصل زمامه ، وملكه المعنى عنانه كما قيل جرى الوادي فطم على القرى » (٣) .

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ١١٥ .
(٢) المصدر السابق ٤: ١١٦ .
(٣) المصدر السابق ، ٣ : ٣٨٥ .

ونحن ان كنا لانجد في هذه الاقوال تعليلا إقليميا واضحاً للظاهرة، فان علينا ان نبحث عن ذلك في صلب المنهج الذي قام على ان مواطن الشعر الجيد هي البيئات القريبة من خطط العرب. وعند ذلك ستقدر سبب ضعف شعر اهل الشاش الذين نأت بلادهم عن خطط العرب ومواطن الشعر العربي الأصيل

وهكذا يمكننا تحديد الأسس العامة لأثر عامل «المكان» في الادب عند الثعالبي بما يأتي :

١ ـ قرب البيئة أو بعدها عن الجزيرة العربية موطن الشعر العربي الأصيل .

٢ ـ مجاورة البيئة لبيئات أعجمية ونوع علاقتها بتلك البيئات وما ينتجه ذلك من آثار ايجابية او سلبية في الميدان الادبي .

٣ ـ نوع البيئة الطبيعية واثر التكوين الجغرافي والمناخ في طبائع الناس وأذواقهم .

تلك هي الأسس التي علل بها الثعالبي تبريز بيئة على اخرى في الشعر، وجعل يتيمة الدهر ميدانا تطبيقيا لها، على ان الترتيب البيئي لأقسام اليتيمة الاربعة وأبوابها الاربعين لم يكن مقيداً بالتعليل دائما، والعذر في ذلك ان ما تناولته اليتيمة من بيئات خرج بكثرته المفرطة عن حد التعليل، على ان لنا ان نعد تقديم بعض البيئات على بعضها ظاهرة لا تخلو من دلالة نقدية رغم اعتذار الثعالبي عن ذلك بقوله في مقدمته : «واذا أخرت متقدما فعذري فيه ان العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره»(١) فأعاد الى الاذهان بذلك مقولة ابن سلام

---

(١) يتيمة الدهر، ١ : ٢١ .

« وليس تبدئتنا واحداً في الكتاب لحكم له ، ولابد من مبتدأ »(١) ومع ان كلا الرجلين جهداً أن لا ينطبق عليهما حد اعتذارهما الذي قدماه ، فانهما لم يسلما تماما منه ، ولعل لهما العذر في اختلاف المقاييس ، وتفاوت الأذواق ، واختلاف الزمان ، وسعة الموضوع ، حتى اننا نجد ابن سلام يقدم خداش بن زهير والأسود بن يعفر على عمرو بن كلثوم ، ونجد الثعالبي يؤخر ذكر شعراء نيسابور الى آخر القسم الخاص بشعراء خراسان من يتيمة الدهر ، على حين يقدمهم على سائر شعراء خراسان في « تتمة اليتيمة » .

ولابد من ان نشير بعد ذلك الى ان منهج التقسيم البيئي لشعراء اليتيمة كان يلقي ظله أحياناً على كتب الثعالبي الاخرى التي طبق فيها منهج التسلسل الزمني لذكر الشعراء ، فهو لم يكن يعنى بالبيئات حين يتحدث عن القدماء ، فان تحدث عن المحدثين مال الى جمع شعراء كل بيئة في مكان واحد بطريقة تبدو كأنها غير مقصودة لذاتها(٢) ، وذلك دليل على رسوخ المنهج في نفس الثعالبي ، وادراكه ان الشعر القديم شعر بيئة واحدة او بيئات متقاربة لا يتحكم فيه الا عنصر الزمان وحده ، اما الشعر المحدث والعصري فهو شعر متباين متمايز ، مرتبط بدواع بيئية ، يخضع تفسيره لفهمها ، وفهم أثرها فيه ، وفي كل ذلك دليل قاطع على وضوح الخطوط العريضة للمنهج الاقليمي عند الثعالبي .

---

(١) طبقات الشعراء ، ١٥ .

(٢) الباب العاشر من الاعجاز والايجاز ، ١٣٦ . والباب السابع من خاص الخاص ٩٥ .

ليس فيما بين أيدينا من نصوص نقدية جاهلية ما يشير الى عصبية لقديم أو عصبية على محدث ، فقد كان النقد قائماً على الذوق الفطري المستجيب لدواعي التأثر والانفعال المباشر بالشعر نفسه دون إدامة نظر ، وتحليل متتبع ، لقد كانت دواعي الشعر نفسها بسيطة ساذجة قائمة على الاتصال المباشر بالطبيعة والناس ، ولم يكن الشاعر الجاهلي يكد الخاطر - الا فيما ندر - ليقول ، وهو ان فعل ذلك فانما يفعله ليخرج بالصورة التي قد لا يواتيه القول فيها سمحاً مطواعاً بادىء الأمر ، أما من أدمن النظر في تنقيح الشعر من الشعراء الحوليين ، فعذره في ذلك انه من متأخري شعراء الجاهلية زماناً ، ولعل الحوليين ما كانوا مهيأين لقول الطوال من القصائد ، فلما عمدوا اليها لموا شتاتها ، فطال بهم جمعه وتنسيقه ثم كان لابد من تنقيح وصقل يستغرق زمناً ، أما عامة الشعر فكان يصدر عن فطرة لا تعرف التعمل ، وسليقة لم يفسدها منطق فلسفي ، ولم يذهب ببساطتها تعقيد حضاري بعد .

ودواعي النقد صنو لدواعي الشعر ، فكما كان الشاعر يحس فيتأثر فيقول ، كان الناقد يسمع فيتأثر فيقول ، ولعل في ذلك تفسيراً لاضطراب اقوال النقاد الجاهليين ، وعدم ثبات المصطلح النقدي لديهم ، وميلهم الى تعابير بسيطة لا تخرج عن واقع حياتهم الفطرية ، وان يكن الارتجال غالب على كثير من احكام النقاد فذلك لأن الارتجال كان طابع الشعر نفسه (١) .

(١) ذهب الدكتور بدوي طبانة في كتابه « دراسات في نقد الادب العربي » ٥٣، الى ان سبب الارتجال في الاحكام النقدية هو =

ولقد تنبه الاستاذ طه احمد ابراهيم الى هـذه الحقيقـة واحسن عرضها بقوله « وجد النقد الادبي في الجاهلية ، ولكنه وجد هيناً يسيراً ملائماً للشعر العربي نفسه ، فالشعر الجاهلي إحساس محض ،اويكاد ، والنقد كذلك ، فكلاهما قائم على الانفعال والتأثر ، فالشاعر مهتاج بما حوله من الاشياء والحوادث ، والناقد مهتـــاج بوقع الكلام في نفسه » (١) .

وقد كان من مظاهر بساطة الاحكام النقدية الجاهلية انها لم تحاول التمييز بين قديم ومحدث ، لان دواعي هذا التمييز لم تكن قد وجدت طريقها الى اذهان الناس بعد ، فقد كان يهمهم من الشعر أثره في نفوسهم ، وهزه لمشاعرهم ، ويستوي عندهم بعـد ذلك ان كان قائله حاضراً بينهم ، أو كان ممن طواهم الموت قبل سنين .

ولم يختلف الأمر كثيراً في صدر الاسلام ، فقد كان شـعر حسان وعبد الله ابن أبي رواحة والحطيئة وغيرهم يثير الاعجاب كشعر زهير والأعشى والنابغة ، ولم تبتعد الملاحظات النقدية في القرن الاول الهجري عن ابداء الرأي الفردي في الشعر الجاهلي والشعر الاسلامي دون تمييز كبير بينهما رغم نضج تلك الملاحظات واستوائها نواة صالحة للحركة النقدية التي اعقبت هذا القرن .

لقد وجد الخلاف طريقه الى تلك الملاحظات النقدية ، ودعت دواع لتفضيل شعر على شعر ، ولكن مبعثها كان يكمن في تلون

= البيئة الجاهلية المليئة بالاحقاد والمستعرة بالخصام،كان فقدان الامن سبب عدم التفرغ الذي يقتضيه البحث والدراسة .

(٢) تاريخ النقد الادبي عند العرب، ٢٤ .

الادب نفسه بألوان البيئات الادبية الجديدة ، فان « الحجاز استقبل نتاج عمر بن أبي ربيعة هاشاً باشاً راضياً به مصفقاً له كيفما قال وأينما انقلب ، وفي الشام كان الأدب يخدم المسامرة والمداعبات ولخدمة السياسة ، وكان الأدب الحديث هو الذي يسد مسد الآداب القديمة ، اما في العراق فالأمر يختلف ، فقد ادخل الادب الى المختبرات اللغوية والنحوية ، ومن هنا بدأ التمييز والاختيار والنظر في الشعر الذي يخدم هذه الاهداف فتعصب له الرواة »(١) .

لقد كانت مجالس ابن أبي عتيق وسكينة بنت الحسين في الحجاز ، وقصر عبد الملك وبقية الخلفاء في الشام مصادر حركة نقدية لم يكن يهمها من الشعر الا ان يؤدي غرضه الفني ، فقد كان الحجاز بيئة مترفة يميل الناس فيها الى الغزل ، اما الشام فقد كان مقر الخلافة ، ولابد أن يجد المديح وشعر السياسة سوقاً رائجة فيه ، ولهذا دارت الملاحظات النقدية حول هذه الاغراض في البيئتين فان كان ثمة مدارسة للشعر القديم فان حظها لم يكن أوفر من حظ مدارسة المحدث .

اما في العراق فقد اخذت الملاحظات النقدية طابعا جديداً كان نواة لظهور اول مدرسة نقدية منهجية في تأريخ النقد عند العرب ، وهي مدرسة اللغويين الأوائل الذين لم يكن الشعر ميدانهم الرئيس ، ولكنهم طلبوه ليستمدوا منه الشاهد اللغوي والنحوي ، فكان من الطبيعي ان يكون الشعر الجاهلي ميدان طلبهم الاول ، فاشتد حرصهم على التقاطه من افواه الرواة ، فلما أدمنوا سماعه وروايته ألفوه ، وأعجبوا به ، ولكن ذلك لم يمنعهم - اذا ما خلوا الى طبعهم - أن يتذوقوا الشعر المحدث وان يبدوا اعجابهم به ، فهذا ابو عبيدة

(١) النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ، ٨٧ .

معمر بن المثنى يقول للتوزي حين سأله عن شعر الحسين بن مطير : « انه ليقع من شعره الشيء بعد الشيء فيكثر تعجبي من كثرة بدائعه، فاذا لقيته فأعلمه ان شعره من اعجب الشعر إلي » (١) ،وهذا يونس ابن حبيب يفضل قصيدة لمروان بن أبي حفصة على قصيدة للأعشى (٢)، ولكن تيار العلم كان اقوى من تيار الذوق ، فغلبه وملك عليه اقطاره، حتى راح اللغويون يختلقون المعاذير للاضراب عن دراســة الشعر المحدث ، كما يبدو من مثل قول ابي عمرو الشيباني في أبي نواس « لولا ما اخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره ،لانه محكم القول »(٣) .

ولو اننا دققنا النظر فيما ورد في قول ابي عمرو وجدنا انفسنا امام مغالطة عجيبــة لا نعرف لها تعليلا مقبولا ، ذلك ان في الشعر الجاهلي ـ وهو المعين الذي اقتصر احتجاج اللغويين عليه ـ من الرفث اكثر مما في شعر ابي نواس فان كان ابو نواس (محكم القول) بعد ذلك فما الذي حرم الاحتجاج بشعره ؟

لقد كان لعامل الزمان قيمة كبيرة في احكام اللغويين على الشعر، وكانوا يحسبون له حسابه في موازناتهم ، وقد ورد في جواب الاصمعي حين سأله الهلالي عن رأيه في شعر نصيب قوله : « هو في عصرنا هـذا أشعر من عبد بني الحسحاس في عصره » فلما سأله ان يوازن بينهما

(١) طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ١١٤ .
(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ٥٥ .
(٣) طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، ٢٠٢ .

قال : « هما في قرن واحد لان نمطهما واحد ، ولكن ذ ك متقدم في الزمان وهذا محدث »(١) .

ولعل هذه النظرة التي بدأت تترسخ في احكام اللغويين هي التى دفعت ابن مناذر الى ان يقول لأبي عبيده عندما عرض عليه مرثيته التي عارض بها أبا زبيد الطائي : « احكم بين القصيدتين ، واتق الله، ولا تقل ذلك متقادم الزمان وهذا متأخر ، ولكن انظر الى الشعر واحكم لأفصحهما وأجودهما »(٢) ،

لقد بلغ من غلو بعض اللغويين في العصبية على المحدث ان اغفلوا كل العوامل الفنية واهتموا بعامل الزمان وحده ، فذهب ابو عمرو ابن العلاء الى القول : « لو ادرك الاخطل من الجاهلية يوما واحداً ما قدمت عليه جاهلياً ولا اسلامياً »(٣) وذهب الاصمعي الى القول في جرير والفرزدق والاخطل : « هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم اسلاميون »(٤) .

أما ابن الاعرابي فقد كان يقول « ان اشعار هؤلاء المحدثين مثل ابي نواس وغيره ، مثل الريحان يشم يوماً ويذوى فيرمى به، واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً »(٥) ، ولما أنشد شعراً لأبي نؤاس وقيل له أما هـذا من احسن الشعر ؟ قال : بلى

(١) طبقات الشعراء . ابن المعتز ، ١٥٥ .
(٢) المصدر السابق ، ١٢٢ .
(٣) فحولة الشعراء ، ١٣ .
(٤) المصدر السابق ، ١٢ .
(٥) الموشح ، ٢٤٦ .

ولكن القديم أحب إلي (١) .

وروى أبو الحسن الطوسي انه انشد ابن الاعرابي أرجوزة أبي تمام التي مطلعها :

وعاذل عذلته في عذله   فظن أني جاهل من جهله

على أنها لبعض شعراء هذيل ، امره ابن الاعرابي بكتابتها له ، فلما انتهى من كتابتها سأله : أحسنة هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ، فأخبره أنها لأبي تمام ، فما كان من ابن الاعرابي الا ان قال له : خرق خرق (٢) .

ان الرواية الأخيرة تقطع بانحياز اللغويين الى القديم دون تسويغ نقدي ، وكأنما أحس الآمدي بافتقار موقف ابن الاعرابي الى العذر عن تناقضه ، فاعتذر له بقوله : « ولا يدخل ابن الاعرابي في التعصب ولا الظلم ، لان الذي يورده الاعرابي وهو محتذ على غير مثال أحلى في النفوس ، وأشهى الى الاسماع ، وأحق بالرواية والاستجادة مما يورده المحتذي على الأمثلة ، وعذر ابن الاعرابي في هذا واضح »(٣) .

لقد نظر الآمدي بمنظاره هو ، وافترض ان يكون ابن الاعرابي نظر به حين أمر بتخريق قصيدة ابي تمام ، ولو كان الامر كذلك لما سكت ابن الاعرابي وغيره من اللغويين عن قول مثل ما قاله الآمدي ، ولو انهم فعلوا لأعوزهم العذر عن مواقفهم من شعراء آخرين لم يحتذوا على الأمثلة ، وكان شعرهم أشكل بزمانهم وكانوا من الفصاحة

(١) المصدر السابق ، ٢٤٦ .
(٢) اخبار ابي تمام ، ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٣) الموازنة ، ١ : ٢٣ .

بمكان لا يرقى اليه شك ، وكل ذنبهم - في نظر اللغويين - انهم لم يدركوا من الجاهلية « يوما واحداً » .

ولو قبلنا ما اعتذر الآمدي به عن موقف ابن الاعرابي من ارجوزة ابي تمام التي قد يدعي انه احتذى على الامثلة في جزالة لغتها ، فلن نقبل الاعتذار نفسه عن موقف الاصمعي المتناقض في الحكم على بيتين لاسحاق بن ابراهيم الموصلي هما قوله : [من الخفيف] .

هل الى نظرة الى سبيل فيبل الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

فان الاصمعي قال له حين انشده اياهما: هذا والله الديباج الخسرواني ، لمن تنشدني ؟ قال اسحق : انهما لليلتهما. فقال الاصمعي: لاجرم والله ، إن أثر التكلف فيهما ظاهر ؟ (١)

ان بيتي اسحق من بساطة اللفظ ، وسهولة التركيب بمكان لا يمكن ان يدعى معه انه احتذى فيهما على مثال الاعراب ، فلم ادعى الاصمعي وجود التكلف فيهما ان لم يكن متعصبا على المحدث ؟

وليس عجيباً ، بعد ذلك ، ان نجد ابن سلام الذي عرض خلاصة آراء شيوخه من اللغويين في طبقاته ، يتمسك بالجاهليين والاسلاميين ، ولا يعرض لذكر معاصريه بشيء .

---

(١) الوساطة ، ٥٠ وتختلف رواية الآمدي في الموازنة ١ : ٢٤ بما يناسب اعتذاره للأصمعي عن موقفه فقد ذكر ان اسحق قال للاصمعي أولاً ان البيتين لـ « بعض الاعراب » فاستحسنهما ، ثم اخبره انهما له فهجنهما .

وقد ذهب الدكتور بدوي طبانة الى انه « قد تكون العلة واضحة في اسلوب ابن سلام نفسه في طبقات الشعراء ، الذي وجدناه يستعين في تأليفه ، ويستظهر على آرائه ، بآراء العلماء الذين يثق بهم، ويعتمد على آرائهم في شعراء قد قضوا نحبهم ، واصبح تراثهم الشعري ملكاً للعلماء والنقاد ، يقولون فيه ما شاؤوا، اما الشعراء الذين عاصرهم ابن سلام فلم تكن الاقوال فيهم قد تبلورت بعد بحيث يعتمد عليها ، ولعل أولئك العلماء كانوا يخشون مما قد ينالهم من اولئك الشعراء من الهجو المقذع اذا ،رضوا لشعرهم بالنقد والتحليل والاشارة الى مواطن الضعف فيه ، فضنوا بأعراضهم ان يمتهنها الشعراء »(١) .

وقول الدكتور يستند الى مبدأين ، اولهما : ان الاقوال في المحدثين لم تتبلور بعد ، وثانيهما : خوف اللغويين من هجاء من ينقدون شعره من معاصريهم ، وفي المبدأ الاول انتقاص من قيمة نقـــد اللغويين انفسهم ، لانه ذهب الى وصفهم بالعجز عن الحكم على ما لم تتبلور الاقوال فيه بعد .اما المبدأ الثاني ففيـه افتراض مبتسر وهوان اللغويين يقدمون سوء الظن بكل محدث ويخشون مغبة نقدهم، وذلك ما كان يحدث فعـلاً .

ولكن الأمر لم يدم ، فقد بدأت حاجة اللغويين الى الشاهد اللغوي تخف ، واستقر العرب في الامصار ، والفوا المظاهر الحضارية ، ففتح النقاد صدورهم للشعر المحدث ، وكان الجاحظ اول من فعل ذلك ، فقد « أسس ديناً نقدياً جديداً ثار به على اصنام الادب الجاهلي وحطم

---

(١) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية الى القرن الثالث ، ١٥٦ .

أصنام ـ التقديس للماضي »(١) .

لقد فتحت كتب الجاحظ صدرها للمحدث ، ونقدته من وجهة نظر « منصفة » ، وبالرغم من ان الجاحظ رأى ان الشعر بدوي لا حضري ، ورأى ان « الفرق بين المولد والاعرابي ان المولد يقوم بنشاطه وجمع باله الابيات اللاحقة بأشعار اهل البدو ، فاذا امعن انحلت قوته واضطرب كلامه »(٢) ورأى « ان شعراء عامة العرب والاعراب والبدو والحضر اشعر من عامة شعراء الامصار والقرى من المولدة والنابتة ، وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه »(٣) فان مقياسه في كل ذلك خاضع للنظر في أثر المكان دون الزمان في الأدب ، ذلك ان الزمان لم يكن ليصلح مقياسا في نظر الجاحظ ، فهو يرى ان من المولدين الذين فضل عامة العرب عليهم من يصلح لأن يسميه (شاعراً مطبوعا) ، فهو يقول : « والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميري وابو العتاهية وابن أبي عيينة ... الخ وبشار اطبعهم كلهم »(٤) .

اما ابو نواس فقد احتل من نفس الجاحظ مكانة رفيعة أملت عليه ان يقول في قصيدة له : « وابيات ابي نواس على انه مولد شاطر أشعر من شعر مهلهل في اطراق الناس في مجلس كليب »(٥). ثم

(١) نصوص النظرية النقدية ، ١٦ .

(٢) الحيوان ، ٣ : ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ١٣٠ .

(٤) البيان والتبيين ، ١ : ٥٠ .

(٥) الحيوان ، ٣ : ١٢٩ .

يقول فيه « وانت اذا تأملت شعره فضلته . الا أن تعترض عليك فيه العصبية ، او ترى ان اهل البدو أبداً أشعر ، وان المولدين لا يقاربونهم في شيء ، فإن اعترض هذا الباب عليك فانك لاتبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا »(١) .

وهكذا كان الجاحظ اول من تمرد على تزمت اللغويين ، واول من تلمس عوامل الجمال الفني في الشعر المولد دون تحرج ، لا كما زعم نيكلسون في قوله : « كان ابن قتيبة اول ناقد ذي بال صرح بضرورة موازنة القدامى والمحدثين حسب مكانتهم بقطع النظر عن عصرهم »(٢) الا اذا كنا نعد الجاحظ ناقداً ليس ذا بال .

ولقد كان موقف ابن قتيبة يشبه موقف الجاحظ الى حد كبير ، فهو يرى في المحدث جمالاً فنيا لا يمكن لناقد منصف ان يغضي عنه ، ولكنه يرى في القديم أصولاً شعرية لا يحق لمحدث ان يخرج عنها . فهو حين يتناول اقسام القصيدة العربية القديمة الاربعة وهي ذكر الديار والآثار ، ثم النسيب ، ثم وصف الناقة أو البعير والسفر الى الممدوح ، ثم الدخول في المديح ، يقول بعدها « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الاقسام ، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد »(٣) .

وكأنه لم يكتف بتقرير الاقسام على المحدثين ، بل ألزمهم بالمضمون

---

(١) الحيوان ، ٢ : ٢٧

(٢) تاريخ الأدب العباسي ، ٥٩ .

(٣) الشعر والشعراء ، ٧٥ ، ٧٦ .

الفني لكل قسم بقوله : « وليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام . فيقف على منزل عامر ، أو يبكي عند مشيد البنيان ، لان المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر ، والرسم العافي ، أو يرحل على حمار أو بغل ، ويصفهما لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، او يرد على المياه العذاب الجواري لان المتقدمين وردوا على الأواجن والطوامي ، او يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآس والورد لان المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة »(١) .

ولكن ابن قتيبة لما تحدث عن لغة الشعر اشترط على المحدث ان لا يتوعر في الكلام وان يتخير الالفاظ المأنوسة ، وان يبتعد عن وحشي الكلام واللغات الغريبة (٢) .

لقد وقف ابن قتيبة بوجه التطور الطبيعي لمعاني الشعر ، ذلك التطور الذي املاه تطور حياة العرب نفسها ، ونادى به ابو نواس واضرابه ملبين دواعي الحياة الجديدة ، ولكن ابن قتيبة رغم ذلك يحاول ان يقف موقفا نقديا منصفا في الموازنة بين القديم والحديث فيقول : « فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله .

ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في

---

(١) الشعر والشعراء ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ١٠١ .

كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره ... الخ فكل من اتى بحسن من قول او فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله او فاعله . ولا حداثة سنه ، كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم ، او الشريف ، لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »(١) .

ويبدو ان ابن قتيبة أراد بقوله الأخير ان يتخذ موقفا عادلا من مسألة الموازنة بين القديم والحديث ، فأثار موقفه جدلا بين مؤرخي النقد ، حيث ذهب الدكتور مندور الى القول بان « هذه النظرة المجردة ان صحت امام العقل فهي لاتصح امام الواقع كما يبصرنا به تأريخ الادب العربي ، وانما كانت تصح لو ان الشعر العربي استطاع ان يفلت من تأثير الشعر القديم ، ولو ان نزعة ابن هانيء ومدرسته استطاعت ان تغلب فتنجو بالشعر عن التقليد ليظل حياً انسانيا بعيداً عن الصنعة والتجديد الفني ،يقتصر عليهما جيده ، ويسقط الباقي في التصنع المعيب الفاسد ، فأما وقد انتصر مذهب القدماء فمن الواضح لكل ذي بصر بالشعر ان قديم الشعر العربي - اعني الشعر الجاهلي والاموي - خير من الشعر العباسي وما تلاه الى يومنا هذا » (٢) .

وبالرغم من ان صدر هذا الكلام جاء تلخيصاً بارعاً لآراء الاستاذ طه احمد ابراهيم (٣)، فان النتيجة التي خرج بها الدكتور مندور لا

(١) الشعر والشعراء ، ٦٣،٦٢ .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ، ٢٣ .

(٣) عقد الاستاذ طه احمد ابراهيم الباب الخامس من كتابه تاريخ النقد الادبي عند العرب ٨٩-١١٠ لبحث هذه الآراء .

يحسد عليها كثيراً ، ويكفي ان نسوق رأى الدكتور محمدزغلول سلام فيها حيث قال: « ومعارضة مقدور لابن قتيبة ، على ما يبدو فيها من منطقية ، تنطوي على عيبين اساسيين ، اولهما : التعميم وهو قضية منهجية لأنه لا يدل على تقدير دقيق للموقف في الشعر العربى ، فلا يصح في منهج العلم ان يقال ان الشعر القديم جملة جاهليـاً واموياً خير من الشعر الحديث جملة ، او من الشعر العباسي كلهطوال الأربعة قرون التي عاشها الشعر العباسي ، أما العيب أو النقص الثـاني فهو إهماله ذكر اساس للتفضيل ، على أي أساس يقوم حكمه من وجهة نظر الشعر باعتباره فناً انسانياً عاماً يعبر عن المشاعرالانسانيةويصدق في التعبير عنها أم من وجهة نظر اللغويين والتقليديين الذين يرون الشعر رصانة وجزالة وأساليب سليمة من الانحرافات ؟ »(١) .

اما الدكتور بدوي طبانة فقد رجح ان ابن قتيبة« يعرض بمحمد ابن سلام الذي عني بالجاهليين والاسلاميين وجعلهم طبقات واعرض عن فحول عصره »(٢) .

ومهما تكن دوافع لبن قتيبة فان النظرة الاخيرة المنصفـة التي عممها فرضتها عليه طبيعة الشعر المحدث نفسه ، نقد أخـذ المحدث الحضري النزعة يكثر ويحسن وتتحدد ملامحه بحيث لم يعد بوسع ناقد كالجاحظ او ابن قتيبة أن يتجاهله فلمـا جاء ابن المعتز بلغ مذهب (التوفيق بين القديم والمحدث) قمته على يديه .

وقد كان ابن المعتز من تلامذة القديم ، درس على المبرد ، العالم اللغوي الذى لم يمنعه ميله الى القديم عن ابداء الاعجـاب باشعـار

---

(١) تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري ، ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) دراسات في نقد الادب العربي ، ٩٨١ .

المحدثين كأبي نواس وابي حفص البصري(١) ومن ان يقول : «ليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ، ولكن يعطى كل ما يستحق »(٢) ويعلل آراءه بقوله ان اشعار المحدثين « اشكل بالدهر »(٣) .

وكان ابن المعتز نفسه شاعراً محدثاً ملك القديم عليه عقله،وملك المحدث عليه احساسه ومشاعره ، ولعل ذلك هو السر في اضطراب بعض احكامه ، فهو حين يتحدث عن مدرسة البديع المحدثة يحاول ان يسلبها فضيلتها بأن يرد كل فنون البديع الى القرآن الكريم والشعر الجاهلي والاسلامي ، ثم ينعى على المحدثين اسرافهم في استعمال تلك الفنون (٤)، ولكنه يدرس اشعار المحدثين ويبدي اعجابه بها ويفضل كثيرين منهم على كثيرين من القدماء (٥) ، ويعلل سياقته اشعار المحدثين وإضرابه عن اخبار المتقدمين واشعارهم بأن شعر القدماء « قد كثرت رواية الناس له فملوه ، وقد قيل لكل جديد لذة ، والذي يستعمل في زماننا انما هو اشعار المحدثين واخبارهم ، فمن هنا اخذنا من كل خبر عينه ومن كل قلادة حبتها »(٦) .

ولعل ابن المعتز كان يرى في القديم جمالاً لا يراه في المحدث ،

---

(١) طبقات الشعراء ابن المعتز ، ٩٧ ، ٢١٧ .

(٢) الكامل في اللغة والادب ،١ : ٢٩ .

(٣) المصدر السابق ،٢:١ .

(٤) البديع ،١ ، ٣.

(٥) طبقات الشعراء ، ١٠٨ ، ١٥٩ .

(٦) المصدر السابق ، ٨٦ .

ولكن كثرة قراءة القديم كانت في نظره مدعاة للملل ، فلم ير بأساً في ان يريح قارئه بأن يسوق له من هذا المحدث مجاراة لذوق العصر ، ولعل تأليفه في « طبقات الشعراء المحدثين » لون من هذه المجاراة

وهكذا يتضح لنا موقف نقاد القرن الثالث من المعركة بين القديم والحديث ، فقد كان الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز حلقة توفيقية بين مدرسة اللغويين الذين فضلوا القديم اطلاقاً وبين نقاد القرن الرابع الذين كادوا يتفرغون لدراسة المحدث ويضربون عن دراسة القديم.

ولقد كان لظهور النظرة التوفيقية في القرن الثالث ثلاثة اسباب هي :

١ ـ إن اكثر نقاد هذا القرن كانوا من تلامذة القديم ولكنهم لم يلغوا ذوقهم الخاص الذي تلمس عناصر الجمال الفني في المحدث(١).

٢ ـ ان الشعر المحدث استقر وبرزت ملامحه وصار مبعث اعجاب الناس وموضع تقدير الخلفاء وارباب الدولة ، فأصبح السكوت عن الخوض فيه منسوبا الى الجهل لا التجاهل (٢) .

٣ ـ ان الدراسات النقدية اخذت تنفصل عن مدار الدراسات اللغوية ذات العلاقة الوثيقة بالشعر القديم ، فأخذت بجرى ذوقيا الى حد كبير ، ففتح النقاد صدورهم للجمال الفني دون الاهتمام بعامل الزمان .

ولا عجب بعد ذلك ان نجد الكتب المبكرة في الاختيارات من

---

(١) نبه الدكتور احسان عباس الى هذه الناحية في كتابه تأريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٨٩ .

(٢) تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري ، ١٠٩ .

الشعر المحدث تظهر في هذا القرن ، ككتاب « الروضـــة » للمبرد وكتاب « البارع » لهارون بن علي المنجم الى جانب الكتب التي جمعت بين تراجم القدماء وتراجم المحدثين . كالشعر والشعراء لابن قتيبة (١).

وبالرغم من ان القرن الرابع كان يمثل قمة ازدهار الشعر العربي في ثوبه الحضاري الجديد ، وكان يتمخض عن عبقريات شعرية ملأت الدنيا وشغلت الناس، فان تيار التعصب للقديم لم يفقد صداه في كتب النقد ، ولكنه كان متفاوت العمق فيها ، فقد نعى الصولي على المحدثين ما نعاه ابن المعتز عليهم من الاسراف في استعمال فنون البديع التي اقتصد القدماء في استعمالها فكان وقعها في اشعارهم ألطف من وقعها في اشعار المحدثين (٢) . وتابعه الجرجاني على ذلك (٣) وضمن ابو الفرج الاصفهاني بعض احكامه ما يدل على اعجاب شديد بالقديم حيث شبه بعض من اعجب باشعارهم من المحدثين بفحول الجاهليين (٤) .

بيدان لمحات الصولي والاصفهاني والجرجاني لم تكن ركنا رئيساً من أركان مناهجهم ، بدليل ان كتبهم كانت في الصميم من دراسة المحدث نفسه ، ولهذا لا تعد امثال هذه اللمحات التي ترد في كتبهم الادليلا على تلون ثقافاتهم ، وصدى لدراستهم الشعر القديم على اساس انه يمثل التراث الادبي الذي لابد للناقد من دراسته وفهم عناصره ، وليس

(١) توهم الدكتور امجد الطرابلسي ان ابن المعتز كان اسبق النقاد الى العناية بالمحدثين ، نظرة تاريخية في التأليف عند العرب ١٨٣.

(٢) اخبار ابي تمام ٣٨ .

(٣) الوساطة ٣٤ .

(٤) الأغاني ، ١٠ : ٢٧٤ .

كل ذلك عجيباً ، انما العجيب ان يتمسك أديبان من ادباء القرن الرابع المتأخرين بتفضيل الشعر القديم تمسكاً لم يجد اعجابهما بالمحدث كثيراً في الحد منه ، وهذان الأديبان هما ابو بكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان اللذان حاولا ان يعيدا المعركة التي فصل فيها نقاد القرن الثالث الى الحياة ، فذهبا الى القول بأن اشعار القدماء والمخضرمين يجب ان تحظى بنظره خاصة ذلك ان الشاعر القديم والشاعر المخضرم « فتحا للمحدثين باب المعاني فدخلوه ، وانهجوا لهم طريق الابداع فسلكوه (١) وقالا : « ولسنا بقولنا هذا أيدك الله نطعن على المحدثين ولا نبخسهم تجويدهم ولطف تدقيقهم وطريف معانيهم واصابة تشبيههم وصحة استعاراتهم ، الا انا نعلم ان الاوائل من الشعراء رسموا رسوماً تبعها من بعدهم ، وعول عليها من قفا أثرهم ، وقل شعر من اشعارهم يخلو من معان صحيحة ، والفاظ فصيحة ، وتشبيهات مصيبة ، واستعارات عجيبة »(٢) .

ولعل هذا هو ما دعا الدكتور احسان عباس الى القول بأن « كتاب الأشباه والنظائر يمثل عودة الى ابراز روائع الشعر الجاهلي وشعر المخضرمين ، حين وجد المؤلفان ان اقبال الناس على المحدثين قد طغى على كل ما عداه »(٣) .

وأظن ان الدكتور قد غالى قليلا ، فان الرجلين لم يغضيا عن الشعر المحدث إغضاءاً تاماً ، فثمة ملاحظات في (الاشباه والنظائر) تشهد باعجاب المؤلفين بالمحدث ، كتفضيلهما بيتاً لابن المعتز على بيت

(١) الأشباه والنظائر ، ١ : ١ .

(٢) المصدر السابق ، ١ : ٢ .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ١٢٩ .

لعنترة(١)،واعجابهما الشديد بقصيدة لابن الرومي(٢) .

وبالرغم من كل ذلك فان الاتجاه العام في النقد طغى عليه الاعجاب بالشعر المحدث في القرن الرابع ، ووجد من النقاد من يفضله على القديم لاعتبارات فنية كقدامة بن جعفر الذي رأى أن « المعاني لا يجعل القبيح منها حسناً لسبق السابق الى استخراجها كما لا يجعل الحسن قبيحاً للغفلة عن الابتداء »(٣) .

اما ابن طباطبا فناقش الأمر بأسلوبه التحليلي المعهود ، وقال « وستعثر في اشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم ، ولطفوا في تناول اصولها منهم ، ولبسوها على من بعدهم فتكثروا بابداعها ، فسلمت لهم عند ادعائها للطيف سحرهم فيها، وزخرفتهم لمعانيها»(٤).

ولقد وقف الصولي موقفا متشدداً من انصار القديم الذين ناصبوا أبا تمام العداء، وكان من الطبيعي أن يرد ما عابوا على الشاعر مسفهاً دعاواهم ، ومدعياً انهم هاجوا الشاعر لأنهم لم يفهموا مايقوله، اما اشعار القدماء فقد ذللها لهم شيوخهم فاستسهلوا الحديث عنها وهجنوا ما سواها (٥) .

ولا أرى الصولي في تحليله هذا الا متجنيا يدفع الظلم بظلم مثله، فان العلماء الذين قصدهم باتهامه ما كانوا قاصرين ـ كما ادعى ـ

---

(١) الاشباه والنظائر ٢ : ٢ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ١٧١ .

(٣) نقد الشعر ، ٨٨، ٨٩ .

(٤) عيار الشعر ، ٨.

(٥) اخبار أبي تمام ، ١٤ .

عن فهم لغة أبي تمام ، ولكنهم أنكروا عليه تعقيـد المعنى الفلسفي تعقيداً ذهب رونق شعره معه ، وأحاله عمـلا عقليا قريبا الى الجفاف .

على ان الصولي أجاد عرض رأيه في شعر المحدثين بعد ذلك إذ قال في اصحابه : « قلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم الا أجاده ، وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القـدماء بها ، ومعـاني أومأوا اليها ، فأتى بها هؤلاء واحسنوا فيها . وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان، والناس له أكثر استعمالا في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم » (١).

لقد سجل الصولي بقوله هذا موقفا عميق الفهم للعلاقة الفنية بين الابداع الشعري وذوق العصر ومطالبه .

وتابع القاضي الجرجاني الصولي على رأيه في المحدث فقال: «وانما تألف النفس ماجانسها ، وتألف الأقرب فالأقرب اليها » (٢)، وسوغ انتصاره للمحدثين بعد ذلك بقوله ان « يسيرهم احق بالاستكثار ، وصغيرهم أولى بالاكبار ، لأن أحدهم يقف محصوراً بين لفظ قد ضيق مجاله ، وحذف اكثره وقل عدده ، وحظر معظمه ، ومعان قد أخذ عفوها وسبق الى جيدها »(٣) .

الا ان القاضي كثيراً ما يضع القدماء والمحدثين على قدم المساواة في موازناته النقدية ، ويرى ان ما ينعى على المحدثين من اخطاء لا تسلم منه اشعار القدماء (٤) .

---

(١) أخبار ابي تمام ١٧ .

(٢) الوساطة ، ٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، ٥٢ .

(١) المصدر السابق ، ٤ .

لقد شهد القرن الرابع الهجري تسليماً عاماً بقيمـــة المحدث ، وضروة دراسته ، وعقدت الموازنات بين الشعراء المحدثين ، ولكن ذلك التسليم وتلك الموازنات لم تسـلم تماماً من اتخاذ القديم مقياساً يحتذى ، ومفزعاً لحل الخصومات فكان النقاد اذا أرادوا إثبات صفة الحسن للمحدث تلمسوها في النماذج التى لاتخرج من القوالب الشعرية المتوارثة ، ولم يعفوا من ذلك ماعده الشعراء المحدثون ابتكاراً سبقوا اليه ، كفن البديع الذي تلمس ابن المعتز والصولي والجرجاني أصولاً راسخة له في القديم ، اما الخصومة بين انصار أبي تمام والبحتري ، وأما الوساطة بين المتنبي وخصومه ، فقد كان مفزع المختصمين فيهـا هو العمود الشعري الموروث .

لقد بقي الأدب العربي نفسه أسير القواعد القديمة ، ولم يستطع أن ينفذ منها الى قوالب جديدة حقاً ، ولهذا ظل النقاد ـ على إعجابهم بالمحدث ، وافتتانهم بمبتكراته الجزئية ـ يعدونه امتداداً لأصل لابد من الركون اليه في حالتي السخط أو الرضى ، ولكن الشعر العربي في أواخر القرن الرابع ، وفي البيئة الشرقية على وجه التحديد ، بدأ يتخذ طابعاً جديداً ، بعيداً عن الروح الأصيلة للشعر العربي ، فقد أكثر الشعراء من نظم مقطوعات قصيرة النفس يطغى عليهـــا عنصر الاهتمام بالصناعة البديعية ، والكلف الشديد بالزخارف اللفظية، وكان النثر يحتل المكانة التي كان يحتلها الشعر من نفوس الناس في بيئات أدبية أخرى ، وكان ذلك كله نتيجة طبيعية لطغيان الروح الحضارية في البيئة الشرقية التي انفصلت عمليا عن مركز الخلافة في بغداد. ففقدت بذلك علاقتها الوثيقة ببيئات الشعر العربي الاصيل ، وفقد الشـــعر سمته العربية في بلاد فارس عندما لهجت به ألسنة فارسية في بيئة

فارسية ، وكان لابد لهؤلاء الشعراء الذين دخلوا الشعر العربي من اضيق ابوابه من دربة ودراسة ، فأما الشعر الجاهلي والاسلامي فدون بلوغ فهمه وتذوقه صعوبة اللغة وغرابة القالب الشعري وبعد المعاني من روح العصر ، واما الشعر المحدث والعصري ففي الفاظه ومعانيه من السهولة والموافقة لذوق العصر ما يقربه الى افهامهم ، ويستثير اعجابهم وهكذا التزم الشعراء بدراسته والدربة عليه ، فنهجوا نهجه ، وسلكوا سبيله .

وكان لابد للنقد بعد ذلك من أن يصدر عن بواعث تشبه بواعث الشعر نفسه ، فكان أن سمعنا اول صوت يدعو الى نبذ القديم والاقتصار على المحدث والمعاصر ويفضل الشعر المتأخر على المتقدم في الزمان ، وكان هذا الصوت هو صوت الثعالبي الذي اشار اليه نيكلسون بقوله : « واذا كان ابن قتيبة قد اكتفى بالحث على منح الشعراء المحدثين اهتماماً عادلاً ، وأن لا ينظر اليهم تاريخياً أو لغوياً بل فنياً ، فان فريقا من اعاظم نقاد الأدب الذين جاؤا بعده لم يخفوا رأيهم القائل بأن الشعر المحدث يسمو على القديم ، فالثعالبي (ت٤٢٩) يؤكد ان الشعراء الجاهليين قد تفوق عليهم من جاء بعدهم من ناحية الرقة والأناقة في التعبير ، كما ان المعاصرين بزوا الفريقين جميعا »(١) .

ان منهج « اليتيمة » الذي اقتصر على دراسة المحدثين والعصريين من الشعراء دليل على موقف الثعالبي من أثر (الزمان) في الشعر ، ولكن دلالته النقدية لا تكون كبيرة اذا عددناه مقياسا وحيداً لفهم موقف الثعالبي النقدي ، فقد سبقه الى مثل هذا المنهج كثيرون كالمبرد

---

(١) تاريخ الادب العباسي ، ٦ .

في كتابه « الروضة »، وابن المنجم في كتابه « البارع »، وابن المعتز في كتابه « طبقات الشعراء المحدثين »، ولكن العمق الحقيقي لموقف الثعالبي النقدي يتجلى في تعليلاته النقدية لاتخاذه هذا الموقف، كقوله في مقدمة اليتيمة : « وقد سبق مؤلفو الكتب الى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه، لا يشينه الآن الا نبوّ العين من اخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته ، وبقيت محاسن اهل العصر التي معها رواء الحداثة ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد، غير محصورة بكتاب يضم نشرها وينظم شذرها »(١) .

ان المبدأ الذي يقرره الثعالبي هنا يتلخص في تفضيل دراسة شعر اهل العصر ، وهو مبدأ يستند الى اسس فنية هي :

١ ـ ان التعلق بالقديم وتكرار الحديث عنه قروناً طويلة لم يترك مزيداً لمستزيد ، حتى عاد القول فيه ضرباً من العبث الذي لا طائل وراءه ، ولعل في الاشارة الى « اخلاق الجدة » نصاً على ان تقادم العهد بالشعر نفسه مدعاة الى نفور القلب عنه؛ لما هو معروف من أثر ميل الناس الى التجديد الذي يمليه التطور ، وذلك مبدأ قرره القاضي الجرجاني قبل الثعالبي .

٢ ـ ان النقاد لم يتناولوا محاسن اهل العصر بالدراسة فكان ان تطوع الثعالبي لدراستها مسوغاً موقفه بأن هذه المحاسن تتميز من

(١) ١ : ١٧ .

القديم « بروا‌ء الحداثة ولذة الجدة وحلاوة قرب العهد »، وهـذه المصطلحات كلها تؤدي معنى واحداً ، مغزاه ان الشعر المحدث اقرب الى أذواق اهل العصر لألفتهم إياه ، لكن المبدأ الذي أقره الثعالبي في النص الاخير يتميز بطرافة نقدية ، فهو يرى ان الشعر المحـدث والمعاصر ازداد جودة على كثرة النقد ، ولنا ان نستشف من هـذا القول مبدأين نقديين أساسين ، أولهما: ان الشعر في نظره تطبـع وتعلم ، وان ادمان الشاعر تنقيح شعره في اطار التوجيه النقـدي يؤدي الى الجودة ، وبعبارة اخرى ان الشعر صناعة اكثر مما هو طبع، وثانيهما: ان النقد موجه للشعر ، له سلطانه وأثره فيه ،وتلك لمحة لعل الثعالبي أول من تنبه لها ، وأملاها عليه واقع التيار النقدي في عصره ، فقد كان للتمسك بذوق العصر والبيئة أثره في التزام الثعالبي ومن جاراه من النقاد بمقاييس جديدة وجد الشعراء فيها سمة عصرية لم يألفوها في كتب النقد الموروثة ، فعدوها ركناً من اركان الثقافة اللازمـة للشاعر ، واقبلوا عليها بالدرس والتمحيص ، فغدت جزءاً من ثقافتهم العامة التي هي من أهم موجهات الحركة الادبية .

ومن هنا جاء ايمان الثعالبي بازدياد جودة الشعر على كثرة النقد ، ولعلنا قادرون على ان نستشف موقف الثعالبي من العلاقة بين الناقد والاديب من خلال هذا الايمان ، فهو يعد الناقد المثقف ثقافة تستند الى ذوق العصر قادراً على توجيه الاديب ، على ان ذلك لم يكن يعني عنده تخلي الناقد عن التراث الأدبي الذي يعد ركنا من اركان الثقـافة العامة ، بدليل كثرة ما ساقه الثعالبي نفسه في كتبه من النصوص القديمة

مبدياً اعجابه بمناحيها الفنية او مستعرضا آراء النقاد القدماء فيها(١)، بيد انه حين لجأ الى الموازنة النقدية بين العصور الأدبية ، انطلق من مبدأ ذوقي جمالي متمسكا بأثر العامل الزماني في التطور الادبي حيث قال: « كانت أشعار الاسلاميين أرق من اشعار الجاهليين ، واشعار المحدثين ألطف من اشعار المحدثين ، وكانت اشعار العصريين اجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من اشعار سائر المذكورين، لانتهائها الى أبعد غايات الحسن وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف، تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ، ومن حد الشعر الى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار افكارهم ، أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لاقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة »(٢) .

ان الاحكام النقدية التي ينطوي عليها هذا القول قد تبدو غريبة من طبيعة النقد العربي الذي ظل يتمسك بالشعر القديم طوال القرون الاربعة الاولى من عمره ، ويعده مقياساً أعلى يجب الرجوع اليه في كل موازنة نقدية في ميدان اللغة والمعاني والافكار ، ولكن الثعالبي انطلق من وجهة مخالفة لما تعارف عليه النقاد ، فكان ان خرج بمقاييس تخالف مقاييسهم ، فلقد رأى ان يحكم الذوق العصري في موازناته النقدية ، وان ينظر الى الشعر من زاويه الملاءمة لروح العصر ، فخلص الى أن قرب زمان الشاعر أدعى الى كون شعره ألصق بالنفس وأعلق بالقلب ،

---

(١) الاعجاز والايجاز ، الباب العاشر ١٣٦ ، وخاص الخاص ، الباب السابع ٩٥ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١:١٦ ، ١٧ .

فهو حين يرى ان أشعار الاسلاميين (أرق) من اشعار الجاهليين يتخلى عن المقياس التقليدي الذي يرى في الشعر الجاهلي جزالة وفصاحة وفخامة يخلو منها الشعر الاسلامي ، فكان اختلاف المقياس مدعاة لاختلاف الحكم ، وكان تفضيل المتأخر ، إطلاقاً ، نتيجة منطقية يمكن تعميمها في احكام الثعالبي رغم ما يبدو من خطورة الاكتفاء بعامل الزمان وحده .

ولكن الثعالبي تدارك ذلك بأن قرر مبدأ ثانياً يقف الى جانب العامل الزماني في مواقف الحكم ، وهو مبدأ التمسك بالجوانب الفنية، فهو يرى ان أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن وأنظم للطائف البدائع من اشعار سائر سابقيهم لانها جمعت « أتم الالفاظ والمعاني استيفاء لاقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ».

فالشعر عنده لفظ ومعنى وصنعة ، أما اللفظ فأحسنه مارق وحلا واستوفى نصيبه من المحسنات التي أولع بها شعراء العصر ، ولا أدل على ذلك من قوله في مستهل ترجمته لأبي الفتح البستي « صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الانيس البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة » (١) ، فاعجاب الثعالبي هنا منصب على الرشاقة اللفظية التي تمثلها طريقة البستي ويتطلبها ذوق العصر ، أما الجزالة وفصاحة اللغة فهي صفة طبيعية توفرت في الشعر الجاهلي دون أن يقصد إليها ، وتطلّبها النقاد فيما بعد لأنهم درسوا الشعر وسيله الى دراسة اللغة ، أما في القرن الرابع فان الصفة الطبيعية للغة الشعر تتمثل في سهولة الأداء ، ورشاقة الألفاظ ، فاذا

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٠٢ .

ما عمد شاعر الى الجزالة والفخامة فـهو انما يصطنع ذلك اصطناعا ، وقد أشار الثعالبي الى هـــذه الحقيقة في ترجمته لأبي نصر الظريفي الأبيوردي حيث قال : « وكان ابو علي الهلفمي ينادمه ويكرمه فاقترح عليه قصيدة يسلك فيها طريق المتقدمين فخامة وجزالة » (١) ، وأشار الى مثل ذلك في حديثه عن عيوب شعر المتنبي فقال: «واذا كان المتنبي من المحدثين، بل من العصريين ، وجرى على رسـومهم في اخـتيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاطى الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين ، حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين » (٢)

ولعل أوضح هذه الاشارات قوله في وصف شعر عبد الصمد بن بابك : « شاعر شعاره احسان السبك واحكام الرصف وابداع الوصف يشبه كلامه مرة في الجزالة والفصاحة كلام المفلقين من الشعراء المتقدمين ، ويناسب تارة في الرشـاقة والملاحة قول المجيدين من المحدثين والمولدين » (٣) .

وأما المعاني فهي عند الثعالبي مالاءم الطبـع والذوق العصريين ، دون النظر الى مقياس نقدي آخر ، ولهذا فهو لا يـحفل بأن يصـف قصيدة في الاعتذار لابي محـمـد الخازن بقوله: « قصيدة في معناها هي أحسن عندي من اعتذارات النابغة للنعمان ، وابراهيم بن المهدى الى

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ١٣٤ .

(٢) المصدر السابق ، ١ : ١٧٣ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ٣٧٧ .

المأمون وعلي بن الجهم الى المتوكل » (١) .

ولعل النظر في أزمان من ذكرهم الثعالبي من الشعراء يكشف من عنايته باختيار أحسن ما قيل في الاعتذار خلال العصور الأدبية المختلفة ، فكأنه يؤكد بذلك ما ذهب اليه أولا من ان التأخر في الزمان من عوامل جودة معاني الشعر .

وللصنعة بعد ذلك مدلولها الخاص عند الثعالبي ، فهو يرى أن احسن الشعر ما عمد اليه صاحبه بالتثقيف والتنقيح على أن يشفع لذلك طبع سمح وشاعرية متدفقة ، ولابد لمن يتابع احكامه على شعراء اليتيمة من ان يلمس ذلك في قوله في وصف شعر ابي الفتح البستي: « عجيب الصنعة بديع الصيغة »(٢) وقوله في ترجمة بديع الزمان الهمداني : « وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض البديهة ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، وثمرات اللذة ، ومجاراة الخاطر ، ومباراة الطبع للسمع »(٣) . فهو يشير باعجاب شديد الى (صنعة) البستي و (طبع) الهمداني ، ويشير باعجاب اشد الى اجتماع النقيضين في قصيدة اوردها لأبي صالح سهل بن احمد النيسابوري ، فيصفها بأنها : « مطبوعة مصنوعة » (٤) .

ان الاسس التي يرتكز عليها مبدأ الثعالبي في تفضيل الشعر العصري قد تبدو غريبة على المجرى النقدي العربي قبل اواخر القرن ، ولكنها - فيما يبدو - اخذت تطغى على المفاهيم النقدية في البيئة الشرقية

(١) يتيمة الدهر ، ٣ : ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق ، ٤ : ٣٠٢.

(٣) المصدر السابق ، ٤ : ٢٥٧ .

(٤) تتمة اليتيمة ، ٢ : ١١٠

في عصر الثعالبي ، فلم يكن الثعالبي هو الوحيد الذي نادى بهذه الأراء ، فقد نادى بديع الزمان الهمداني بمثلها حيث قال : « المتقدمون أشرف لفظاً واكثر من المعاني حظاً ، والمتأخرون الطف صنعاً وأرق نسجاً »(١) وقال ابو الحسين احمد بن فارس في رسالة له : « ومن ذا حضر على المتأخر مضادة المتقدم ، ولمه تأخذ بقول من قال ما ترك الاول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الاول للآخر ؟ وهل الدنيا الا ازمان ، ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات اوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ، ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟» (٢) .

وبالرغم من ان موقف الهمداني وموقف ابن فارس يشبهان موقف الثعالبي كثيراً من جهة فانهما يخالفانه من جهة ثانية ، فقد رأى الهمداني في القديم ميزة يخلو المحدث منها ، ورأى في المحدث ميزة يخلو القديم منها ، ورأى ابن فارس ان المحدث قد يبز القديم اذا ما حاول مجاراته في طريقته اما الثعالبي فيرى ان الشعر العصري هو اللون الوحيد الذي يتقبله ذوق العصر ، واما القوالب القديمة فلم تعد صالحة أساساً لأن ينسج الشعراء عليها ، ولهذا قصر كتبه كلها على دراسة العصريين ، فان تعداهم فالى المحدثين ، وتعمد ان يقصر كتب اختياراته الشعرية على الشعر المحدث ،كما فعل في كتابيه

(١) مقامات الهمداني ، ١٥ .

(٢) يتيمة الدهر ، ٣ : ٤٠٠ .

« احسن ما سمعت » و « من غاب عنه المطرب » ، وقال في كتاب آخر له قصره على الاختيارات النثرية وهو كتاب « سحر البلاغة » : « تعمدت فيه لذة الجدة ، ورونق الحداثة وملاحة الطراوة ، ولم أشبه بشيء سوى كلام أهل العصر ، اللهم الا قلائد قلائل من الفاظ الجاحظ وابن المعتز تخللت اثناءه ، وتوسطت تضاعيفه »(١).

لقد انفرد الثعالبي من بين معاصريه بتفضيل الشعر العصري اطلاقا دون ان يشترط له قوالب فنية مستنبطة من القديم ؛ لانه رفض القديم أصلا . ولقد وجد صوته صدى عميقا عند اولئك الذين حذوا حذوه في اليتيمة ، فألفوا على غرارها ، ولكن ميدان النقد بعده لم يخل من نقاد يتعلقون بالقديم ، وينتقصون المحدث كأبي العلاء المعري الذي انتقد على المحدثين اخطاءهم اللغوية (٢) وابن رشيق الذي اضطربت آراؤه في هذا الصدد ، فهو يقول مرة : « فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر ، فيتصفح مقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي ، وبين الاسلامي والمخضرم ، وان المحدث الاول فضلا عمن دونه دونهم في المنزلة على أنه اغمض مسلكا ، وأرق حاشية ، فاذا رأى انه ساقه الساقة تحفظ على نفسه ، وعلم من اين يؤتى ، ولم تغرره حلاوة لفظه ، ولا رشاقة معناه . ففي الجاهلية والاسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة ، وسبق الى كل طلاوة ولباقة »(٣) ويقول مرة : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله »(٤).

---

(١) ٤ .

(٢) رسالة الغفران ، ٤٤٨ .

(٣) العمدة ، ١:١١٣ .

(٤) المصدر السابق ، ١ : ٩٠ .

أما ابن شرف القيرواني فيدعو الى التمسك برأي ابن قتيبة الداعي الى العدالة في الحكم دون تقديم الاساس النقدي لتلك العدالة ، فيقول: « وتحفظ عن شيئين ، احدهما : ان يحملك اجلالك القديم المذكور على العجلة باستحسان ما تستمع له ، والثاني : ان يحملك اصغارك المعاصر المشهود على التهاون بمن أنشدت له ، فان ذلك جور في الاحكام، وظلم مع الحكام » (١) .

وهكذا يبقى صوت الثعالبي متميزاً من بقية الاصوات بعمق الايمان بأن الشعر صورة من البيئة المكانية والزمانية ، وبالربط بين العاملين عضويا ، حيث اقام دراسته في اليتيمة على التقسيم البيئي ، وقصر تراجمه فيها على المعاصرين ومن سبقهم قليلا ، فقدم تجربة تطبيقية للمنهج الاقليمي بكل جوانبه الفنية .

لقد كان التقسيم البيئي في اليتيمة مثار جدل بين النقاد ومؤرخي النقد ، اما اهتمامها بأشعار العصريين والمحدثين دون غيرهم فقد أثار ملاحظات عديدة اخرى .

وقد أشار الدكتور أمجد الطرابلسي الى هذه المسألة دون ان يعنى بتحليل الاسس المنهجية لها فقال في وصف اليتيمة : « هذا الكتاب يختلف عن الكتب السابقة بكونه مقصوراً على شعراء عصر معين هو عصر المؤلف اي القرن الرابع الهجري ، وتأليف هذا الكتاب الضخم في ذلك العصر إن دل على شيء فعلى اهتمام الاوساط الادبية آنذاك بالشعر المحدث والشعر المعاصر ، بعد ان كانت انظار المصنفين من قبل

---

(١) رسائل الانتقاد (ضمن رسائل البلغاء) ٣٢٥ ، ونقل العميدي خلاصة هذا الرأي في كتابه « الابأنه عن سرقات المتنبي » ٢٠ .

تتجه اكثر ما تتجه الى العناية بالقدماء قبل سواهم »(١) .

اما الدكتور عمر الدقاق فقد عد لليتيمـــة ميزتين ، اولاهما : منهجها في تقسيم الشعراء على البيئات ، وثانيهما اهتمامهما بالمحدثين والمعاصرين دون غـيرهم وعد عناية الثعالبي بالمحدث ذات دلالة « من حيث الخروج على الطريق الذي اطال المؤلفون المكث في داخله، وهو اقتصارهم على الشعر القديم وحده ، كما يدل على اهتمـام متزايد بنتاج الجيل الجديد من الشعراء » (٢) .

وفي رأيي ان المقياس النقدي الذي خلص الثعالبي اليه من النظر الى القديم والمحدث اقرب الى طبيعة الشعر نفسه ، فطالما نادى النقاد بضرورة العودة الى القديم واتباع رسومه ، فلم يأبه لهم شاعر ، وظل الشعر يفلت شيئا فشيئا من ربقة التقليد الى آفاق فتحها تطورالذوق العربي بفعل عوامل معقـدة ومتشعبة ، فاتسعت الهوة بين النقـــد والادب ، وحاول بعض النقاد ان يتداركوا الأمر بمحاولتهم التوفيق بين القديم والمحدث ، ولكنهم ظلوا على الهامش من عملية التوجيه الفني للحركة الادبية ، فلما نادى الثعالبي برأيه ، ودعا النقاد الى دراسـة الشعر مرتبطا بمكانه وزمانه ، كانت دعوته اصلا دعوة الى أن يكون النقد ألصق بالشعر ، وادعى الى التوجيه الفني للشاعر الذي يجد في مثل هذه الدراسات فهما لانتاجه وتحسسا لذوقه .

وهكذا نبرز الملامح الفنية للمنهج الاقليمي في دراسة الثعالبي النقدية من خلال أسس ترتبط ارتباطا عضويا وتؤدي بمجموعها صورة عميقة

---

(١) نظرة تأريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، ١٨٣

(٢) مصادر التراث العربي ، ١٥٨ ،

الايمان بأثر البيئة بعامليها الزماني والمكاني في التيار الادبي العام .

أثر التيارات الاجتماعية في الأدب

لا يخلو كثير من نظرات الثعالبي النقدية من اساس الالتزام بتحليل بعض الظواهر الأدبية على ضوء العلاقة بين البيئة الاجتماعية والأدب ، ولقد طغى استعمال هذا المقياس على كثير من الاحكام النقدية في كتب الثعالبي حتى كاد يكون أبرز من مقياس النظر الى أثر المكان وأثر الزمان في الأدب .

ولعل السبب في ذلك هو ما كان من اضطراب الوضع الاجتماعي في عصر الثعالبي ، وما آل اليه هذا الاضطراب من نشوء تيارات اجتماعية متناقضة كانت تؤثر في مجرى حياة الأفراد ، وتخضع الطبائع والأذواق والعقول لمجراها المضطرب .

فاذا اضفنا الى ذلك دقة تنبه الثعالبي الى العوامل الخفية ، وبراعته في ذلك ، امكننا ان نفهم السر في تشعب حديثه عن أثر التيارات الاجتماعية .

لقد تحدث الثعالبي عن أثر عامل المكان في الأدب ، وأقام منهج دراسته في اليتيمة وتتمتها على تقسيم الادب على الهيئات على اساس جغرافي .

وتحدث عن أثر عامل الزمان في الادب ، وقصر اليتيمة وتتمتها وكتب الاختيارات على الشعر المحدث والعصري .

وخلص بعد ذلك الى الحديث عن أثر التيارات الاجتماعية المتشعبة في الادب ، فكثرت اشاراته الى أثر التيارات السياسية والطبقية والفكرية والدينية والخلقية في الأدب ، فقدم بذلك الركن الثالث

والأخير من اركان النظرية الاقليمية في النقد .

ولعل أهم اشارات الثعالبي الى أثر الوضع السياسي في الادب هو ما تنبه له من أثر ثقافة الحكام واذواقهم وطبائعهم في توجيه التيار الأدبي ، فلا عجب ان عد كون الحمدانيين وبني ورقاء من العرب المعجبين بالادب عاملا رئيساً - الى جانب عامل المكان - في تبرير شعراء الشام ، وادرج ذلك ضمن الاسباب التي علل بها تقديمه شعر اهل الشام على غيرهم فقال ان شعراء الشـام : « رزقوا ملوكا وامراء من آل حمدان ، وبني ورقاء ، وهم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم الا أديب جواد يحب الشعر ، وينتقد ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ، ويفضل »(١) .

لقد كان الشعر بضاعة مزجاة تنفق لدى من يعرف قدرها ويوفيها مهرها ، وتشح في المواطن التي لاتجد فيها من يحرص على اقتنائها .

لقد رحل الشعراء قديما الى حيث كانوا يجدون اذنا تطرب لما يقولون، ويدا تكافىء على مايقدمون ، رحل الأعشى والنابغة وحسان في الجاهلية ، ورحل جرير والفرزدق وابو نواس والطائيان وشعراء آخرون بعد الاسلام الى بعض ممدوحيهم ، واستوطن بعضهم بلاداً غير بلادهم ، وتطبعوا بطابع مواطنهم الجديدة ، وقالوا ما يتقبله ذوق اهلها ، وكان ذلك كله طلباً للمال والشهرة ، ومنفقة لبضاعة لا تعرف الرواج الا في قصور الملوك والامراء .

ولقد كان بلاط سيف الدولة في الشام منتجع الشعراء والادباء والعلماء وكان منهم المتنبي وابو فراس والسرى الرفاء والصنوبري

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٤،٢٥ .

والخالديان وابن خالويه وابن جني والخوارزمي والفارابي وادباء وعلماء آخرون لم تكن الشام مسقط راس كثيرين منهم ، ولكنهم قصدوها لما عرفوا من تقدير أميرها للعلم والأدب ومكافأة اصحابهما أحسن مكافأة .

على انه لم يكن كل ما يقال مقبولا لدى سيف الدولة ، فقد كان لا يثيب الا على الجيد من الشعر ، لأنه كان ناقداً ذواقة دقيق الحس ، روى الثعالبي انه انتقد على المتنبي قوله في مدحه : [من الطويل]

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائمُ
تمر بك الابطال كلمى هزيمةً   ووجهك وضاح وثغرك باسمُ

فأخذ عليه عدم التئام شطريهما ، وقرن اليهما قول امرىء القيس [من الطويل]

كأني لم اركب جواداً للذة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخالِ
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل   لخيلي كري كرة بعد إجفال

ورأى ان من الافضل استبدال عجزي بيتي المتنبي أحدهما مكان الآخر ، وكذلك عجزى بيتي امرىء القيس ليتحد المعنى وتنسجم الفكرة (١) .

وذكر الثعالبي ان سيف الدولة انتقد على احد الخالدين استعماله لفظة « المنكوح » في قوله : [من الكامل] .

فغدا لنا من جودك المأكولُ والـ   ـمشروب والمنكوح والملبوس

لأن لفظة « المنكوح » ليست مما يخاطب به الملوك (٢) .

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٣٣ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ٣٥ .

إن اميراً يدخل في تفاصيل فنية دقيقة كهذه لحري بأن لا يخاطب إلا بقول أدمن صاحبه تنقيحه وتجويده ، وبذل له من طبعه وجهده ما لا يجد معه العائب منفذاً للطعن ، ليضمن الرضا ،ويفوز بالقبول الذي كان باباً الى اموال الأمير .

لقد آمن الثعالبي بأن « السلطان سوق يجلب اليها ماينفق فيها»(١) وأن لأذواق الملوك أثراً مهماً في تلوين أدب بيئاتهم ، ولهذا افترض ذلك أساساً للتقسيم البيئي أحيانا فأفرد في اليتيمة باباللشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق ، على اختلاف مواطنهم وتنوع بيئاتهم (٢)، فكأنه عد إجتماعهم في بلاط الصاحب لونا من التطبع بطابع بيئي جديد يفرض ذوقه على أدبهم ، ولا عجب فقد كان بلاط الصاحب مدرسة أدبية لها سماتها المميزة المستمدة من ذوق الصاحب الخاص .

وذهب الثعالبي الى مثل هذا عندما أفرد بابا (فيما اخرج من مجموع اشعار اهل العراق وغيرهم في الوزير أبي نصر سابور بن اردشير »(٣) .

ولقد تجاوز الثعالبي في تقسيم بيئات اليتيمة وحدة المكان ،فجمع الشام ومصر والمغرب والاندلس في قسم واحد على ما بين هذه البيئات من اختلاف جغرافي ، وخص بلادفارس وحدها بقسمين مختلفين، فأفرد لشعراء الجبال وفارس وجرجان وطبرستان قسماً ،وافرد لشعراء خراسان وما وراء النهر قسماً آخر على ما بين هذه البيئات من تقارب جغرافي .

---

(١) لطائف المعارف ، ١١٧ .

(٢) يتيمة الدهر ، ٣ : ٣٤٣ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ١٢٩ .

ولقد سبقت الاشارة الى ما أثاره الدكتور احسان عباس من تشكيك في اصالة منهج التقسيم البيئي في اليتيمة حين اشار الى هذا التقسيم الذي عده لونا من الوان أضطراب الأسس الفنية في اليتيمة (١) .

اننا لو قدمنا حسن الظن بمنهج التقسيم في اليتيمة ، وحاولنا تقصي الحقيقة لخرجنا بغير ما خرج به الدكتور عباس ، لقد نظر الثعالبي فرأى ان حكام الشام ومصر والمغرب والاندلس عرب يحكمون شعباً عربياً فكان ذلك مدعاة لجمع بيئاتهم في قسم واحد ، اما في فارس فقد كان البويهيون يخالفون السامانيين والغزنويين قومية وسياسة ، فكان ذلك مدعاة لافراد كل دولة بقسم خاص .

إن نظرات الثعالبي الى اثر الوضع السياسي في الادب قد تكون بسيطة ولكنها لا تفتقر الى الاصالة .

اما في مسألة النظر الى أثر التيارات الطبقية والفكرية الاجتماعية في الادب فقد اتسمت نظرات الثعالبي بالعمق والشمول ، ولعل اهم قضية تحدث فيها هي فن مخاطبة الطبقات الاجتماعية ، وتلك مسألة لم تخل كتب النقد القديمة من الاشارة اليها ، فقد تنبه ابراهيم بن المدبر اليها في مدار حديثه عن مناسبة الكلام لمن هو موجه له إذ قال : « وخاطب كلاً على قدر أبهته وجلاله وعلوه وارتفاعه وتفطنه وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية اقسام »(٢) .

وتابعه قدامة بن جعفر على ذلك عندما أشار الى ان مدائح الرجال « تنقسم اقساماً بحسب الممدوحين من اصناف الناس في الارتفاع

---

(١) تأريخ النقد الادبي عند العرب ، ٣٧٤ .

(٢) الرسالة العذراء (ضمن رسائل البلغاء) ، ٢٢٩ .

والاتضاع ، وضروب الصناعات ، والتبدي والتحضر » (١) .

وظلت المسألة تدور في هذا الفلك في ميدان النقد النظري .

اما في الميدان التطبيقي ، فقد رأينا ابن قتيبة يعيب على الاخطل قوله في عبد الملك بن مروان: [من الطويل] .

وقد جعل الله الخلافة فيهم لأبيض لاعارى الخوان ولاجدب

وعدّه بما لا يجوز ان يمدح خليفة ويمدح به غيره (٢)

ان هذا المعيار النقدي لم يستغرق الكثير من احاديث النقاد العرب ، ذلك ان التفاوت الطبقي الحاد وما يستتبعه من اختلاف مقامات الناس لم يكن من الصور المألوفة في الحياة العربية الجاهلية والاسلامية الأولى ، فلما استأثر الامويون بالحكم اتخذ التفاوت الطبقي شكلاً مميزاً ، وترددت بعض الملاحظات عن اساءة الشعراء التصرف في حضرة الملوك، ونفور قلوب الممدوحين من اقوال لا تلائم مراكزهم الاجتماعية ، ذلك ان هذه الطبقة بدأت تؤمن بأن لها مكانة تميزها من الناس ، وان ما تخاطب به يجب ان يختلف عما يخاطب به الآخرون، فلما جاء العصر العباسي وطغت الروح الفارسية على الحياة العربية ، بلغ الامر بالناس ان رأوا في الملك حقا الهيا يستوجب ضروباً من الخضوع والتذلل لم تكن مألوفة في الحياة العربية،وانعكس ذلك على الشعر والنقد معاً ، فأخذ الشعراء يتخيرون اللفظ والمعنى الملائمين لمثل هذه المواقف ، وأخذ النقاد يتلمسون في الصور الشعرية

---

(١) نقد الشعر ، ٤٨ ،

(٢) الشعر والشعراء ، ٤٨٧ .

القديمة والحديثة معاً عوامل النجاح والفشل في مواقف مدح الملوك كظاهرة فنية ضمن إطار مفهوم مناسبة الكلام لمقتضى الحال .

وما ان حل العصر العباسي الثاني حتى برزت الظاهرة ركناً رئيساً من اركان النقد ، وراح النقـاد يكثرون من الحديث عن سقطات الشعراء في حضرة الملوك ، كحديثهم عن تجـاوز المتنبي في مخاطبة سيف الدولة متأثرين بما فرضته البيئة الجديدة ، ولا عجب ان نجد النقاد الذين عاشوا في البيئة الشرقية اكثر تشديداً على ذلك ، فهذا الصاحب بن عباد ينعي على المتنبي إساءته الادب في إفتتـاحه قصيدة في التسلية بقوله : [من الطويل]

لا يحزن الله الامير فانني لآخذ من حالاته بنصيب

فيقول « لا ادري لم لا يحزن سيف الدولة إذا اخذ المتنبي بنصيب من القلق » (١) ويقـول في مرثية المتنبي لأم سيف الدولة « ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فسـاد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملـكا في أمه بقوله (٢) : [من الوافر]

بعيشك هل سلوت فان قلبي وإن جانبت ارضك غير سال

---

(١) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٥٠ . وقد يكون من المفيد ان اشير الى ان التفعيلة الاولى من بيت المتنبي لحقها خرم امكن ان نعد صدر البيت معه من البحر الكامل لولا أن العجز جاء من الطويل وكذلك بقية القصيدة وهي في الديوان ١ : ٤٩ .

(٢) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ، ٢٥ .

وهــذا القاضي الجرجاني ينقل رأي الصاحب وما اخذه بعض النقاد على المتنبي في قوله في رثاء أخت سيف الدولة : [من البسيط]

وهل سمعت كلاماً لي ألم بها   فقد اطالت وما سلمت عن كثب

وهو قولهم « ما باله يسلم على الحرم ويتشوق الى الامهات، ومن سبقه الى هذا ؟ وإنما يفعل ذلك من يرثي بعض اهله » (١) .

ولقد نقل الثعالبي هذه الآراء متأثراً بالجو النقدي العام وبالروح التي فرضها عليه ارتياده قصور الملوك والامراء والكبراء ، والفته مظاهر الخضوع والتذلل التي يبديها مرتادو تلك القصـور من الادباء والشعراء ، فوقر ذلك في نفسه ، وأضافه الى مقاييسه النقدية ، وكان له آراء عديدة في الموضوع ، منها ما يجري في إطار ما هو مألوف من تسقط اخطاء الشعراء في مواقف مدح الملوك ، كقوله في التعليق على قصيدة المتنبي التي مطلعها [من البسيط]

وا حر قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمي وحالي عنده سقم

بأنها « على براعتها واستقلال اكثر ابياتها بأنفسها تكاد تدخل في باب إساءة الادب بالادب » (٢) .

وكقوله في ترجمة أبي بكر الخوارزمي : « ومن سقطاته المنكره قوله للصاحب من قصيدة : [من الخفيف]

ومهيب كانما اذنب النا   س اليه فهم مغضّون ذلا

وظريف كان في كل فعل   من افاعيله عرائس تجلى

فان الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من اوصاف

---

(١) الوساطة ، ٤٧٦ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٠٨ .

الاحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هـذه اللفظة حتى شبه افاعيله بعرائس تجلى فلو مدح مخنثاً لما زاد » (١) .

إن النظرة الدقيقة التي تنطوي عليها آراء الثعالبي توحي بعمق الاسس البيئية في منهجه في التأليف في النقد وفي غير النقد ، ومن ذلك تعليقه على روايتين حول تذكير عبد الملك بن هلال للخليفة الرشيد « وعقال بن شيبة للخليفة المنصور بما مضى من مدة خلافتهما ، إذ قال : « مثل قول عبد الملك بن هلال للرشيد وعقال بن شيبة للمنصور سوء ادب في مخاطبة الملوك والكبراء لأن فيه نعياً لهم الى انفسهم وإنذاراً اياهم لمجيء آجالهم » (٢) .

ويشبه هـذا ما ذهب اليه في نقد مطلع قصيدة المتنبي في مدح كافور وهو قوله :[من الطويل]

كفى بك داءاً أن ترى الموت شافياً

وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فقد رأى ان « في الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة التي تنفر عنها السوقة فضلا عن الملوك » (٣) .

والحقيقة ان الثعالبي لم يبق دائراً في هـذا الفلك الذي دارت فيه أحاديث النقاد السابقين ، فقد تجاوز تلك الدائرة الضيقة التي اقتصرت على تسقط الاساءات في مخاطبة الطبقات العليا ، ومال الى إخضاع الظاهرة لمعايير المنهج الاقليمي إذ راح يعللها بطريقة غير

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٢٢ .

(٢) ثمار القلوب ، ١٨٨ .

(٣) يتيمة الدهر ، ١ : ١٦٢ .

مألوفة في كتب النقد العربي ، فخالف النقاد جميعاً في تناولهم بعض الظواهر ، فهم حين لاحظوا أن المتنبي يخـاطب الممدوح بالفاظ تستعمل في مواضع الغزل عدوا تجاوزاً ذلك وإسـاءة ، حتى قال القاضي الجرجاني في بيت المتنبي [من الوافر]

اغار من الزجاجة وهي تجري على شفة الامير ابى الحسين

« أساء لأن هذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه ، فأما الامراء والملوك فلا يغار على شفاههما » (١) .

وبالرغم من ان الثعالبي نقل هذا النقد وأشباهه في فصل معايب شعر المتنبي الذي ذكر في مقدمته انه سينقل «ماينعى على أبي الطيب من معايب شعره » فانه حين فرغ من ذلك ، اطلق لذوقه العنان فتناول الأمر من وجهة نظر مخالفة ملاحظاً أثر بيئة المتنبي والعوامل الاجتماعية والنفسية التي دعته الى سلوك هذا المسلك الفني الذي يمكن ان يستقرأ من أكثر من قصيدة من قصائده فجمعها الى محاسن شعره وقدم لها بقوله : « مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق، مع الاحسان والابداع ، وهو مذهب له تفرد به واستكثر من سلوكه اقتداراً منه ، وتبحراً في الالفاظ والمعاني ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجاً لها الى مماثلة الملوك »(٢) .

إن الأمر يقوم عند الثعالبي على ركنين ، اولهما : فني وهو قدرة المتنبي على نقل اللفظ من الميدان الذي ألف استعماله فيه الى ميدان جديد ، وذلك أمر مشترط (بالاقتدار والتبحر في الالفاظ والمعاني) ،

---

(١) الوساطة ، ٣٠٨ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٠٧

وثانيهما : بيشي يمثل القناعة التي حصلت في نفس المتنبي بأنه أعلى مكانة من غيره من الشعراء ، وأقرب الى مماثلة الملوك ، لما تمتلىء به نفسه من طموح ولما رأى من تسنم كثير ممن هم دونه مناصب عالية حرم هو منها ، فلا أقل من ان يرفع نفسه بشعره الى درجة الملوك ، ولعل الظاهرة نفسها برزت لعين الثعالبي في استعمال المتنبي ألفاظ الغزل والنسيب في اوصاف الحرب والجد ، فاقتصر تعليله لها على الناحية الفنية حيث قال : وهو ايضاً مما لم يسبق اليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ، واعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام »(١) .

ولو ان الثعالبي تنبه الى الأثر النفسي في هذه الظاهرة لكان تحليله اقرب الى الدقة ، ذلك ان حياة المتنبي كانت سلسلة متصلة من خوض المعارك ، فمنها ما خاضه مع سيف الدولة لدرء خطر الروم عن الحدود الاسلامية ، حتى جاءت اكثر قصائده في مدح سيف الدولة وصفاً لبلاء الامير في معاركه ، فكان ذلك أروع باب يدخل منه الى قلبه وامواله ، وذلك ما لاحظه الثعالبي في حديثه عن محاسن شعر المتنبي حين رأى ان الشاعر أفاد من اسم ممدوحه ، فأفرد بحثاً في ذلك قدم له بقوله « حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية »(٢) وجمع له شواهد طريفة من ديوان الشاعر .

لقد استقرأ الثعالبي ديوان المتنبي فخرج من ذلك بملاحظات

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٢٠١ .

دقيقة منها ما علله ومنها ما لم يعلله مكتفياً بطبيعة منهجه الاقليمي في تفسير الظواهر الفنية .

وقد لاحظ كثير من مؤرخي النقد دقة نظر الثعالبي في دراسته ديوان المتنبيء وتمييزه الصور التي انفرد بها الشاعر بدواع خاصة ، ومن هؤلاء المؤرخين الدكتور شعيب الذي أشار الى بحث الثعالبي الخاص بمدح سيف الدولة بجنس السيفية (١) ، وعقب على اشارة الثعالبي الى مخاطبة المتنبي الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب بقوله: « واذا كان الثعالبي قد تناول هذه الخاصية من خصائص المتنبي ، فان المشكور له هنا هو محاولة استكشافه اسبابها في نفس المتنبي ، ومحاولة استنباط الاحاسيس والمشاعر التي كانت تساور الشاعر وتعتمل بنفسه حتى دفعته الى مخالفة نهج المداحين ومجانبة طريقهم في المدح والثناء» (٢)

وتحدث الدكتور شعيب عن ملاحظة الثعالبي الاخرى وهي استعمال المتنبي ألفاظ الغزل والنسيب في اوصاف الحرب والجد فقال : «واذاكان النقاد قد توفروا على هذا الديوان توافراً أوقفهم على ما ساقوه من مآخذ في هذا المجال فانا لم نجد من بينهم من ادرك خاصية من خصائص المتنبي الاسلوبية مع انها من الخصائص البارزة التي تفرد بها وأكثر منها ، اللهم الا أبا منصور الثعالبي الذي اهتدى اليها وذكرها في معرض الحديث عن محاسنه ، وذكر انها من محاسنه التي تفرد بها والتي لم يسبق اليها » (٣) .

---

(١) المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ، ١١٥ .

(٢) المصدر السابق ، ١٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ٩٩ ، ١٠٠ .

وحسب الثعالبي بعد ذلك ان يعترف له مؤرخو النقد بسبقه الى استكشاف ملامح فنية دقيقة كهذه في عصر ابتعد فيه النقد عن مدار التحليل النفسي الدقيق .

أما الدكتور محمد مندور فقد أشار الى ملاحظة الثعالبي استعمال المتنبي الفاظ الغزل في المدح ووصف الحـــرب ، وساق ما ورد في اليتيمة حول ذلك ، وعقب عليه بقوله « هذا ما يقوله صاحب اليتيمة والذي لا شك فيه أن له فضل ملاحظة الظاهرة ثم فضل تعليلها ، وفي الامثلة التي يوردها ما يقطع بصحة ما يقـــول ، وأما التعليل فواضح التقص ، وذلك لأنه لا يكفي أن نرى في ذلك مهارة فنية ورغبة من الشاعر في رفع نفسه الى مرتبة ممدوحه ، فتلك ظاهرة اعمق في تاريخ الشاعر وطبيعته النفسية مما ظن الثعالبي ، وأول ما نلفت اليه النظر هو ملاحظة صـاحب اليتيمة نفسه من أن استخدام لغة الحب في المدح والحرب مذهب إنفرد به المتنبي ، وهذا حق لاننا لم نعهد ذلك من شعراء العرب جاهليين كانوا أو اسلاميين وإذن فتفسيره لا يمكن أن نجده إلا في حياة الشاعر وطبيعته النفسية كما قلنا .

والذي نراه في حياة المتنبي وشعره أنه قد اخاص لسيف الدولة المودة ، وان نغمات الحب في مدحه له صادقة ، وأن تلك المودة التي دامت تسع سنوات قد انتهت بأن جعلت استخدام لغة الحب في المدح إحدى خصائص الشاعر ، ثم ان ابا الطيب كان رجل [كذا] قوي الانفعال ، سريع التأثر عنيف الاحساس زخرت نفسه ففاضت ، ولغة الحب من الناحية النفسية هي منفذ كل شعور حاد ، ومن ثم جاء مدحه اشبه بالغزل ، كما جاء حديثه عن الحرب عشقاً ، فالطعن

كالقبل والحرب (كأنها عاشقة للشجاعة) ، واخيراً كان شاعرنا رجلاً طموحاً ، والطموح من طبيعته أن يخلط بين الغـايات والوسائل ، وإذا اجتمعت السذاجة الى الطموح كما حدث عند المتنبي ، لم يكن غريباً أن يحب الرجال الذين راى فيهم وسائل لغايته »(١).

ولو ان الدكتور توخى الحقيقة العلمية لأمعن النظر قبل أن يأخذ على الثعالبي ما اخذه عليه من قصور في التحليل ، ولو انه فعل لتذكر مبدأه الذي قرره في اول كتابه مقرراً به منهجه في الـكتاب وهو قوله : « وإن كنا حريصين على أن لا يستفاد من دعوتنا الى تناول التراث القديم بعقولنا الحديثة أي إسراف باقحام ما لم يخطر بعقول اولئك المؤلفين القدماء من نظرات وآراء » (٢) .

أو ليس من الجدير به بعد ذلك ان لا يفترض في القدماء علم ما لم يعلموا وأن لا يأخذ عليهم تقصيرهم عن الاخذ بمفاهيم نضجت بعد زمانهم بعشرة قرون ؟

لقد كان من الحري بالدكتور أن يعرض الامر كما تنـاولوه بمفاهيمهم ، ولا يورط نفسه في تحليل يغلب عليه الخلط والخطأ كما فعل حين قرر أن مخاطبة المتنبي الممدوح بمثل مخاطبة المحبوب وليدة العلاقة النفسية بين المتنبي وسيف الدولة فحسب ، مع ان الشواهد التي ساقها الثعالبي للمتنبي في هذا الباب ليست جميعاً في سيف الدولة، وإنما كان الاول والثاني منها في مدح كافور ، والثالث في ابن العميد

(١) النقد المنهجي عند العرب ، ٣١١ .

(٢) المصدر السابق ، ٦ .

والرابع في عضد الدولة ، والخامس وحده في سيف الدولة (١) .

فلو صح ما ذهب اليه الدكتور من أن العلة تكمن في اخلاص المتنبي لسيف الدولة فان مدح المتنبي كافوراً وابن العميد وعضد الدولة لا يمكن ان يخضع للتحليل نفسه ، لأن علاقة المتنبي بهؤلاء لم تكن كعلاقته بسيف الدولة . وهكذا يصح لنا أن نقول إن ما ذهب اليه الثعالبي من أن العلة في مخاطبة المتنبي الممدوح بمثل مخاطبة المحبوب تكمن في قدرته الفنية ، وفي عوامل نفسية خاصة ، يعد تحليلاً بارعاً للمسألة لا يدانيه التحليل الخاطىء الذي افتعله الدكتور مندور .

إن تحليل الثعالبي للصور الفنية التي اشرنا اليها من شعر المتنبي كان يقوم على مقياسين ، اولهما فني وهو ما فصلنا القول فيه ، وثانيهما اجتماعي خاضع للمنهج الاقليمي وذلك ما نراه مطبقاً في مواضع كثيره من كتبه ، وهو يرجع اليه في تقويم اقوال أدباء عصره ، فقد نعى على ابن بابك قوله في مدح فخر الدولة [من السريع]

تذكرني انفاسها سحرة | والليل والصبح طليقا رهان
نشوة انفاس الامير الذي | أدرك ما شاء برغم الزمان

بقوله « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم ، لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق ، وقد مر مثل هذا النقد في شعر المتنبي ، وكان ينبغي ان يقول :

نسيم اعمال الامير الذي | أدرك ما شاء برغم الزمان (٢)

---

(٣) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(١) يتيمة الدهر ، ٣ : ٣٨٢ . وفي قوله (لأنه انما يشبه بنفس المعشوق) اضطراب لعل المحقق عجز عن تقويمه .

ولقد حاول الثعالبي أن يطبق مقياسه العصري على أدباء العصور السابقة متجاوزاً بذلك اختلاف الزمان والنـــاس ، فقال في باب الكناية من « النكاح » : « ومما جاء في حسن الكناية عن النكاح في شعر الجاهلية قول الاعشى : [من الطويل]

وفي كل يوم انت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مــالاً وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

القروء ههنا الاطهار ، لان الممدوح لما كان كثير الغزو لم يغش النساء للغيبة عنهن في مغازيه ، أضاع اطهارهن، وقد زعم نقاد الشعر ان هذه الكنـــاية لطيفة دالة على حذق الشاعر بصنعته .
، وعندي أن ضياع اطهار نســـاء الملوك ليس مما يخاطبون به ، وكذلك قول الأخطـل في بني مروان [من البسيط] .

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فانه على حسنه من فضول القول الذي لو رزق فضـل السكوت عنها لحاز الفضيلة ، وما للشاعر وذكر حرم الملوك فضلا عما يجري لهم معهن ؟ » (١) .

ان المعايير الاجتماعية التي طبقها الثعالبي في تحليله للنصوص تمثل ركناً عميق الصلة بمنهجه الاقليمي ، ولهذا فهو لا يتخلى عنها فيميدان التطبيق ، فهو حين يشترط ان لا يورد في اليتيمة الا لب اللب وحبـة القلب ، يستثنى من شرطه ما كان « شعرَ ملك أو أمير أو وزير اورئيس خطير أو إمام من اهل الأدب والعلم خطير ، وانما ينفق ذلك بالانتساب الى

(١) الكناية والتعريض ، ١٠ .

قائله لا بكثرة طائله »(١) .

ولقد سبقه ابن قتيبة الى مثل هذا المعيار حين عدد شروط اختيار الشعر وحفظه فذكر من بينها كون قائله نبيلا (٢) ، وتابعه ابراهيم بن المدبر على ذلك فقال : « الياقوت حسن ، وهو في جيد الحسناء احسن ، وكذلك الشعر الجيد مونق لكنه من أفواه العظماء آنق »(٣).

ويبدو ان سلوك الثعالبي مسلك النقاد الأوائل في هذه المسألة لم يرض الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد الذي عد استثناء الثعالبي من شرطه احد سببين لاتهامه بالعصبية (٤) ولسنا ندري بعد ذلك اهو ينعى على الثعالبي ضعف ما اختاره للملوك والامراء والرؤساء ام ما قاله هو فيهم ؟ فان كان الاول فلا ذنب للثعالبي بعد بسطه العذر واستثنائه من الشرط ، وان كان الثاني فماذا عسى يتوقع من رجل يعيش في القرن الرابع الهجري ويتحدث عن ملوك وامراء ووزراء ورؤساء عصره ؟ لقد قدم الثعالبي الامراء في يتيمته ومدحهم، وقد سبقه المتنبي فقال في معاصريه من الأمراء شعراً بلغ فيه حدود الاسراف في المديح ، وكان المتنبي متكسباً بشعره والثعالبي متكسباً بكتبه ، فماذا يضير الثعالبي ان هو مدح الملوك الذين يهديهم كتبه، أو قدمهم على غيرهم لعلمه انهم يطربون لسماع المديح فيهم ويجزون على ذلك أوفى الجزاء ؟

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٠ .

(٢) الشعر والشعراء ، ٨١ .

(٣) الرسالة العذراء (ضمن رسائل البلغاء) ، ٢٤٢ .

(٤) يتيمة الدهر ، مقدمة المحقق ، ٩، ١٠ .

ان الالتزام الذي فرضه الثعالبي على نفسه بتقديم شعر الطبقات العليا لشرف اصحابها جاه وليد إيمانه برفعة تلك الطبقات ، وأثراً بارزاً للمفاهيم الاجتماعية السائدة في عصره في معاييره النقدية .

وقد يتخلى الثعالبي عن المعايير الفنية في تحديد طبقة الشاعر ، ليخلص الى معايير طبقية أو اجتماعية أو مذهبية ، من ذلك ما وقع في موازناته بين الأدباء كقوله في الميكالي : « هو من ابن العميد عوض ، ومن الصاحب خلف ، ومن الصابي بدل ، ثم اذا تعاطى النظم فكأن عبد الله بن المعتز ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وأبا فراس الحمداني قد نشروا بعد ما قبروا »(١) فيقرنه بذلك الى ادباء ما منهم الا امير او وزير أو من هو قريب من طبقتهم .

وحين تحدث عن أبي الحسين الحسني الهمداني ، وهو احد رؤساء العلوية ، قال انه في الادب والشعر كالرضي والمرتضى الموسويين» (٢) اما الشريف الرضي فهو عنده « اشعر الطالبيين » و « اشعر قريش »(٣) .

ولعل آخر الاسس الاجتماعية التي ارتكز عليها منهج الثعالبي الاقليمي هو النظر الى اثر الاتجاهات الدينية والخلقية في الادب .

ولقد كانت مسألة الدين ذات خطورة في ميدان النقد في صدر الاسلام ، فقد بالغ اولو الأمر اولاً في تطبيق حدود الدين على الشعراء ، ثم ما لبث الحكام والناس ان تخففوا من بعض تلك الحدود ، وبالرغم

---

(١) المصدر السابق ،٤ : ٣٥٥ .

(٢) قال ذلك في ترجمته في تتمة اليتيمة ، ٢ : ٩٦ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٣ : ١٣٦ .

من ان الدين ظل يحظى بتشدد في التطبيق عند طائفة من الناس،فقد خضع لمعالجة مزدوجة عند النقاد الأوائل .

لقد تخفف النقاد اللغويون الاوائل من حراجة مسألة الحرص على حدود الدين في الادب بأن فصلوا بين الدين والادب فصلا عجيباً أشار اليه الدكتور احمد احمد بدوي بقوله : « يصح ان نقول ان الذي وضع مقياس الدين والخلق هم طائفة الحكام ورجال الدين والاخلاق ، اما نقاد الادب من العرب الذين كانوا ينظرون الى الادب من حيث هو ادب فحسب فلم يدخلوا هذا المقياس في حسابهم ، ولم يجعلوا لعقيدة الشاعر او حديثه عن سلوك يخالف الدين والخلق أثراً في الحكم على شعره »(١) ولكن الدكتور لم يعلل هذا الواقع الذي لمسه مع ان آراء النقاد القدامى حملت ملامح خفية يمكن ان نخرج منها بتعليل واضح لهذه الظاهره .

ان السر الذي يكمن وراء هذه الظاهرة هو ازدواج الفكر الاجتماعي نفسه ، فهذا الاصمعي الذي كان لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه هجاء ، ولا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن تمسكا بحدود الدين (٢) ، يتمسك برأي آخر حين يخوض في حديث الادب ، فيذهب الى القول بأن « الشعر نكد بابه الشر فاذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره »(٣) ويقول في موضع آخر « طريق الشعر هو طريق الفحول

(١) اسس النقد الأدبي عند العرب، ٤٠٤ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٣ : ٣٦ .

(٣) الشعر والشعراء، ٣٠٥ .

مثل امرىء القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحيل والهجاء والمديح والتشبيب والنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار . فاذا ادخلته في باب الخير لان » (١) .

لقد عرف الاصمعي للدين حقوقه ، وتحرج من ارتكاب ما نهى الدين عنه ، ولكنه لما طرق باب النقد وجد - كأكثر اللغويين - ان الشعر الجاهلي هو المثل الاعلى للشعر الذي يجب أن يحتذى ، ووجد أن معاني الجاهليين وأخيلتهم لا توافق ما يتطلبه الدين الجديد من بعد عن الشر ، فاضطر الى استبعاد المقياس الديني من نظرته النقدية وما كان منه إلا ان هجن شعر حسان في الاسلام لبعده عن « الشر » الذي هو باب الشعر ، واستبعد ان يكون لبيد من الفحول لأنه كان « رجلا صالحاً » (٢) ، فكأنه أعفى نفسه من المسؤولية الدينية عن تفضيل شعراء الوثنية على شعراء الاسلام حين قرر ان الشعر « نكد بابه الشر » .

والذي يهمنا من ذلك كله أن موقف الاصمعي - رغم كونه محاولة موفقه لتسويغ تفضيل الشعر الجاهلي - اشارة غير مقصودة الى ايمانه بالفصل بين الدين والادب من وجهة نظر خاصة جديرة بالدراسة والتحليل .

إن وجهة نظر الاصمعي تبدو مقبولة في حدود ما قيلت فيه ، ولكنها تبدو غير مقبولة عند التطبيق ، ذلك ان المفاهيم الجاهلية كانت قد صبغت الشعر العربي الذي عرفه الاصمعي وغيره من اللغويين

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ٦٢ .

(٢) فحولة الشعراء ، ١٥ .

واعجبوا به ، فلما جاء الاسلام وحرم على الناس القول في كثير من تلك المفاهيم ، لم يكن بوسع الشعراء أن يتخلوا عنها بسهولة ، ولمس الشعراء الذين آمنوا بالمفاهيم الجديدة أنهم غير قادرين على قول الشعر دون أن يخلوا بها ، فامتنع بعضهم عن قوله كما فعل لبيد مثلا . وسقط الذين حاولوا التوفيق في التكلف والضعف كحسان بن ثابت ، أما اولئك الذين بقوا متمسكين بالمفاهيم الجاهلية في الشعر رغم دخولهم في الاسلام فقد استطاعوا وحدهم أن يقولوا شعراً قوياً كالحطيئة .

ولم نسمع شعراً إسلامياً حقيقياً إلا من الجيل التالي لجيل حسان ورهطه من المخضرمين . لأن الشعراء الذين ولدوا في الاسلام ، ونشأوا نشأة إسلامية قامت اركانها العقلية والعاطفية على المفاهيم الجديدة وحدها كانوا هم وحدهم القادرين على تجاوز الضعف الذي وسم شعر جيل المخضرمين ، ويكفينا بعد ذلك أن نعد ما اظهره النقاد الاوائل والمتأخرون من إعجاب بشعر جريروالاخطل والفرزدق واضرابهم من شعراء العصر الاموي دليلا على صدق ما ذهبنا اليه .

وثمة حقيقة أخرى وهي أن السيطرة الدينية نفسها أخذت تخف شيئاً فشيئاً ، فلم نعد نسمع نقداً يتناول المعانى الخارجة على حدود الدين بالتجريح ، وأمكن أن نسمع ابن ابي عتيق يقول : « لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب ، وعلوق في النفس ، ودرك للحاجة ، ليست لشعر ، وما عصى الله جل وعز بشعر اكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة » (١) . ونسمع بشار بن برد يفضل بعض شعره

---

(١) الأغاني ، ١ : ١٠٨ .

على « سورة الحشر » (١) وأبا العتاهية يفضل قصيدة له على سورة « عم » (٢) ويقبل الناس منهم ذلك ، ويروونه ، ويقدمونهم رغم اقوالهم التي تجرح المشاعر الدينية التي ظلت تمثل جانباً متفاوت العمق في التكوين النفسي الاجتماعي . ولعل هذا التفاوت كان هو السر في اختلاف وجهات نظر النقاد بعد الاصمعي الى المسألة . فهذا ابن قتيبة يعيب على امرىء القيس تصريحه بالزنا والدبيب الى حرم الناس ، مدفوعاً بعوامل فنية قد لا تكون لها علاقة كبيرة بالدين إذ قال : « والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وإن فعلته » (٣) أما ابن المعتز فيكتفي بالتعليق على حادثة بيع مسلم الخاسر قرآناً وشرائه بثمنه طنبوراً بقوله : « إنما فعل ذلك مجوناً ولم يكن ردىء الدين » (٤) فكأنه أراد تبرئه ساحة الشاعر من تهمة ضعف الدين ليخلص الى استثارة الاعجاب بشعره الذي قد يهجنه سوء معتقد صاحبه في نظر الناس .

ولقد حلل ابن طباطبا المسألة ـ كعادته ـ تحليلا دقيقاً ، فاستقصى الاثر النفسي الذي يتركه تحدي النص الادبي للمشاعر التي قد تكون متأصلة في نفوس الناس ، فتمنع عليهم تذوق الجمال الفني فيه ، ولخص ذلك بقوله : « والنفس تسكن الى كل ما وافق هواها ، وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوال تتصرف بها ، فاذا ورد عليها في حالة

---

(١) الاغاني ، ٣ : ٢١١ .

(٢) المصدر السابق ، ٤:٣٤ .

(٣) الشعر والشعراء ، ١٣٦

(٤) طبقات الشعراء ، ٩٩ .

من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب ، فاذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت » (١) .

ان عمق هذ النظرية يتجلى في التعميم الفني للظاهرة ، ذلك أن ابن طباطبا لا يقصر مدلول حديثه على الناحية الدينية وحدها ، بل يتجاوز ذلك الى إطلاق الحكم على كل ما لا ينسجم ومشاعر المتلقي للنص الادبي ، ويعد ذلك ركناً فنياً رئيساً من أركان نجاح النص أو فشله ،

ولعل ابن طباطبا كان الناقد الوحيد الذي عرض الفكرة بهذا المفهوم النقدي قبل الثعالبي ، فلقد ظل النقاد يذهبون الى الفصل المطلق بين الدين والادب ، ولا يلمحون العامل النفسي الذي لمحه ابن طباطبا ، فهذا الصولي يقول في معرض دفاعه عن ابي تمام : « وما ظننت أن كفراً ينقص من شعر ، ولا أن ايماناً يزيد فيه »(٢) ويقول: « ما ضر هؤلاء الاربعة الذين أجمع العلماء على انهم أشعر الناس ، امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهيراً والأعشى كفرهم في شعرهم ، وانما ضرهم في انفسهم ، ولا رأينا جريراً أوالفرزدق يتقدمان الأخطل عند من يقدمهما عليه بايمانه وكفره »(٣)، ولكنه يعود بعد كل ذلك ليقول : « على انه ما ينبغي لجاد ولا مازح ان يلفظ بلسانه ، ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عز وجل»(٤) فكأنه لما تناول الأمر في

(١) عيار الشعر ، ١٥ .

(٢) اخبار ابي تمام ١٧٢ .

(٣) المصدر السابق ، ١٧٤ .

(٤) المصدر السابق ، ١٧٣ .

معرض الحديث عن شعر أبي تمام أستبعد المقياس الديني من احكامه ولكنه أحس ان كلامه قد يستثير مشاعر فئة من الناس فاستدرك ليعفي نفسه مما قد يجره مقياسه عليه من تبعة ، فهو - على أية حال - لم يأت بجديد في الموضوع ، وان توهم الدكتور احسان عباس خلاف ذلك فقال ان الصولي: « قد نبه الى ناحية لم يشر اليها احد قبله - فيما أقدر - وهي ناحية كان بعض الناقدين يتخذ منها منفذاً للطعن على أبي تمام ، وتلك هي المعتقد الديني »(١) . فقد سبقه النقاد الى مثل هذا الرأي في شعر معاصريهم وسابقيهم كما رأينا .

أما القاضي الجرجاني الذي ألف وساطته للدفاع عن المتنبي ، فقد حاول دفع تهمة ضعف العقيدة عن الشاعر عن طريق موازنة ما نعي عليه من شعر يدل على ضعف العقيدة بأشعار السابقين التي قبلها الناس منهم ، وخلص من ذلك الى قوله : « فلو كانت الديانة [عياراً](٢) على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب ان يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد عليه الامة بالكفر ، ولوجب ان يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى واضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من اصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر »(٣) .

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ١٥١ ، .

(٢) في المطبوع (عارا) ولا يستقيم بهذا المعنى ، والتصحيح من يتيمة الدهر ، ١ : ١٨٤ .

(٣) الوساطة ٦٤ .

وبالرغم من منصب قاضي القضاة الذي كان يشغله الجرجاني ، فانه ليس من العسير علينا ان ندرك ان السر يكمن في ان الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كان الأدب مرآة لها في هذا العصر تؤكد ايمان القوم بالفصل بين الادب والدين (١) .

وهكذا يقودنا استقراء مواقف النقاد العرب من مسألة الدين والأدب الى القول بان الدين « بما هو روح لم يؤثر في الأدباء، ولم يؤثر في النقاد »(٢) على ان نستثني من هذا الحكم دراسات اعجاز القرآن ذات الصلة الوثيقة بالبحوث النقدية ، فقدكانت هذه الدراسات تقف موقفاً حازماً من قضية الاخلال بالدين حتى ان الباقلاني عد تصريح امرىء القيس بالدبيب الى حرمات الناس سبباً بارزاً للغض من القيمة الأدبية لمعلقته (٣) .

ولقد اتخذ الثعالبي موقفاً وسطاً في مسألة العلاقة بين الدين والأدب ، فنقل رأي الجرجاني الذي ورد في حديثه عن ضعف العقيدة عند المتنبي ، ولكن الثعالبي أضاف اليه رأياً جديداً حيث قال: «ولكن للاسلام حقه من الاجلال الذي لا يسوغ الاخلال به قولاً ولا فعلا ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره ، وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى وتعرض لمقته في وقته »(٤) .

---

(١) ذهب الدكتور محمود السمرة الى ذلك في كتابه« القاضي الجرجاني الاديب الناقد » ١٦٠ .

(٢) الأسس الجمالية في النقد العربي ، ١٨٧ .

(٣) اعجاز القرآن ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٤) يتيمة الدهر ، ١ : ١٨٤ .

ولقد طبق الثعالبي مقياسه هذا على تراجمه للشعراء ، فأدرج مسألة ضعف العقيدة ضمن مساوىء شعر المتنبي دون ان يلتفت لرأي الجرجاني الذي نقله ، ودون ان يلجأ الى الدفاع عن الشاعر عن طريق موازنة شعره بشعر السابقين ممن ظهر ضعف عقيدته في شعره ، وكان المقياس نفسه رائد الثعالبي في مواضع كثيرة ، فهو حين ينقل قصيدة لعضد الدولة يشير الى احد ابياتها وهو : [من الرمل]

عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر

ويصفه بأنه : « البيت الذي لم يفلح بعده ابداً »(١) .

أما بيتا الخباز البلدي وهما: [من البسيط]

يا قاسم الرزق لم خانتني القسم ما أنت متهم قل لي من اتهم
إن كان نجمي نحساً أنت خالقه فأنت في الحالتين الخصم والحكم

فيقول الثعالبي فيهما : « وهما مما يستغفر منه »(٢) .

وموقف الثعالبي أشد وضوحاً في ترجمته لحيدر الخجندي حيث قال فيه : « واستصفع بقوله: [من السريع] .

ما إن سألت الله مذ أيقنت نفسي ان الذل تحت السؤال

وانما كتبته تعجباً من خرقه وحمقه في الترفع عما يدين به أفضل العالم ، وسيد ولد آدم ، نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ونظيره في الجهل الكثيف ، والعقل السخيف ، الصوفي الذي كان إذا ذكر الله سبحانه ، لا يقول تبارك وتعالى ، ولا عز وجل . فاذا قيل له في ذلك ، انشد: [من الوافر]

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢١٨:٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٢١٣:٢ .

اذا صفت المودة بين قوم ودام إخاؤهم سمج الثناء »(١)

ولقد ساق الثعالبي رأي الاصمعي في ضعف شعر حسان في الاسلام(٢) ورواية تزعم ان النبي موسى عليه السلام لطم ملك الموت لطمة ذهبت بعينه (٣) ورواية تزعم ان التلاقح يقع بين الجن والانس (٤) ولكنه لم ينس ان يستغفر الله بعد كل رواية من هذه الروايات ، او يعلن براءته من عهدة الرواية ، وذهب الى أبعد من هذا فامتنع عن ايراد بعض اشعار من يترجم لهم لانه لمس فيها خروجاً على التعاليم الدينية ، رغب ان يصون كتبه عنه (٥) .

وقد تدعو كل هذه الملامح الى القول بأن الثعالبي رجل متعصب للدين ، يجره الافراط في الحرص عليه الى التفريط بنصوص أدبية قد يكون فيها من عناصر الجمال الفني ما يشفع لها ، ولكن الحقيقة اعمق من المفهوم السطحي الظاهر .

لقد كان الثعالبي مؤمناً عميق الايمان ، ينفر قلبه من كل ماهو خارج على حدود الدين ، ولكنه حين نظر فرأى ان المجتمع يتقبل الواناً من الأدب فيها خروج على الدين بمظاهر شتى ، كشعر الخمر والغزل الفاحش والمجون وما الى ذلك ، لم يتحرج من الاستشهاد في تراجم شعراء اليتيمة بنصوص من هذا اللون ما دام الملوك والأمراء

(١) تتمة اليتيمة ، ٢ : ١١٣ .

(٢) خاص الخاص ، ١٠٢ ، وثمار القلوب ، ٢٢٠ .

(٣) ثمار القلوب ، ٥٣ .

(٤) فقه اللغة ، ١١٨ .

(٥) تتمة اليتيمة ، ١ : ٧٠

والخاصة والعامة معجبين به مقبلين عليه .

لقد افرد الثعالبي للاشعار الماجنة صفحات كثيرة إرضاء لذوق العصر ، فأكثر من سياقة قصائد خليعة للواساني (١) ، وابن سكرة (٢) ، وابن حجاج (٣)، ولعله وفي العذر عن ذلك حيث قال في مقدمة ترجمته لابن حجاج : « ولولا أنّ جد الادب جد وهزله هزل، كما قال ابراهيم بن المهدي،لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد المجون فيمرك بها اذن الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره وتستملح الكبراء بينات طبعه ، وتستخف الكبراء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل الى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة ، غالي مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام »(٤) .

ويمكننا ـ استناداً الى قول الثعالبي هذا ـ أن نحدد الاسس التي استند اليها في تسويغ اعجابه بشعر ابن حجاج ـ رغم ما فيه من سخف وخروج على حدود الخلق والدين ـ بأساسين ، اولهما : فني يتمثل في ابتكار الشاعر القول في معان لم يسبق اليها ، وثانيهما : اجتماعي ، يتمثل في تقبل عظماء الناس شعر المجون والهزل قبولا

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٣٥١ وما بعدها .

(٢) المصدر لسابق ، ٢ : ٣ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ٣٢ .

(٤) المصدر السابق ، ٣:٢١ ، ٣٢ .

حسناً ، ومكافأتهم عليه ، فلقد طغى الاعجاب بهذا اللون من الادب على اذواق الناس طغياناً عجيباً ، كان سببه التفاوت الطبقي الحاد الذي أدى الى تجمع الثروة في ايدي فئة قليلة من الناس تبعثر منه ما تشاء على ملاذها ولهوها الماجن الذي كانت تشهده القصور العابثة، اما الطبقة الفقيرة فقد كانت تعيش حياة قاسية اضطرتها الى احد أمرين : إما الموت جوعاً ، وإما اللجوء الى طرق غير مشروعة غالباً لانتزاع لقمة العيش ، مثل استعمال الحيلة للحصول على المال ، أو بيع ماء الوجه أو العرض في سوق ترتفع فيها اسعار مثل هذه البضاعة .

والشعر صورة للحياة بخيرها وشرها ، فلما صور الحياة الماجنة لأعين اصحابها ، أقبلوا عليه ، وشغفوا به ، وبروايته ، لأنه يمثل مشاعرهم وأحاسيسهم، فلا عجب ان يباع ديوان ابن حجاج «بخمسين ديناراً الى سبعين » (١) وان يقبل الناس على (اليتيمة) التي نقلت نخبة صالحة من قصائد ابن حجاج وغيره فكان ذلك من اسرار رواجها .

ولقد أخذ كثيرون على الثعالبي إسرافه في سياقه قصائد من هذا اللون ، ولعل ابن بسام كان اولهم ، فقد زعم أنه سيصون كتابه عما لم يصن الثعالبي كتابه عنه ، ولكنه لما تحدث عن الواساني مثلا ساق له القصيدة التي ذكرها الثعالبي في يتيمته بعينها (٢) ، ولعل هذه القصيدة هي اشد ما ورد في اليتيمة إقذاعاً وفحشاً .

---

(١) يتيمة الدهر ، ٣ : ٣٥ .

(٢) وردت القصيدة في « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، القسم ٤ المجلد ١ : ٧٠ واليتيمة ١ : ٣٦٥ .

أما بعض اولئك اللذين تولوا تحقيق كتب الثعالبي من المعاصرين ومنحوا أنفسهم حرية حذف ما فيـــه خروج على الخلق والدين كمحقق كتاب « احسن ما سمعت » ومحقق كتاب « سحر البلاغة » فقد ذهبوا مذهباً لا تقرهم الامانة العلمية عليه ، وكان اولى بهم ان يدعوا تحقيق الكتاب الذي لا يرتضون لانفسهم نقل بعض ما جاء فيه لمن هو اشد حرصاً منهم على نقل التراث بأمانة علمية لا تؤثر فيها الاهواء .

لقد كان الثعالبي اشد حرصاً من هؤلاء على الدين والخلق ،ولكنه رأى من الامانة على التراث ان ينقل الصور الادبية الشائعة في عصره متمسكاً بمثل قوله : « ذكر الاعضاء لا يؤثم وإنما الاثم في ذكرها عند شتم الاعراض وقول الرفث في اكل لحوم النـــاس وقذف المحصنات » (١) .

لقد ظل التيار الديني في النقد « يقوى احياناً بعد أن يضعف أمداً طويلا ، فهو يشتد عند نشـــاط الفقهـــاء ودعاة الاخلاق على فترات متباعدة » (٢) ولهذا وجدنا المسألة تتخذ بعد الثعـالبي صوراً مختلفة عند النقاد ، فقد رأى المعري أن « نطق اللسان لا ينبيء عن اعتقاد الانسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، ويحتمل أن يظهر الرجل القول تديناً وانما يجعل ذلك تزيناً » (٣) ، ولكن

(١) ثمار القلوب ٢٢٥ ، وقد سبقه الجاحظ الى مثل هذا القول في « رسالة الجواري والغلمان » ضمن « رسائل البلغاء » ٢ : ٩١،٩٢.

(٢) النقد العربي بين الاستقراء والتأليف ، ٥٤ .

(٣) رسالة الغفران ، ٤١١ .

الحصري القيرواني ذهب الى تجنب سياقه « ما يخرج به قائلـــه في الدين عن اتباع سبل المؤمنين ، فمن اهل الالحاد من يسر حسواً في ارتغاء ،ويطلب ما يشفى به من دائه ويضحك خاصة اودائه ويغر به من ضعفت نحيزته ووهنت غريزته » (١) ونعى على ابن قتيبة مذهبه في استبعاد المقياس الديني من النظرة الى الادب ، وقال : « وليت شعري ما اللذة فيما يضحك منه من هو معرض عنه ، إلا أن يدخل في حد المستهزئين ، وحيز المتلاعبين ، نعوذ بالله من الحور بعد الكور » (٢) .

ونعى ابن شرف القيرواني على إمرىء القيس تصريحه بالزنـا ، فسلك مسلك الباقلاني ، ثم حكم بقوله : «وكل ما يخزي من الشعر فهو من اشد عيوبه » (٣) ، ووصف عبد بنى الحساس بالسواد والحقارة وادعاء الزنا لقوله: (٤) [من الطويل]

واقبلن من اقصى البيوت يعدنني
نواهد لا يعرفن خلقاً سـوائيا

يعدن مريضاً هن هيجن مابه
ألا إن بعض العائدات دوائيا

---

(١) جمع الجواهر ، ٣ ، ٤ .

(٢) المصدر السابق ، ٥ . وقوله نعوذ بالله من الحور بعدالكور معناه (من النقصان بعد الزيادة) . لسان العرب مادة (حور).

(٣) رسائل الانتقاد (ضمن رسائل البلغاء) ، ٢٣٠ .

(٤) المصدر السابق ، ٢٣٠ .

توسدني كفا وتحنو بمعصم
علي وترمي رجلها من ورائيا

اما العميدي فقد خالف رأي الجرجاني والثعالبي في ما نعي على المتنبي من شعر يشم منه ضعف العقيدة ، رغم نقله الكثير من آرائهما فقال في الشاعر متهكماً :

« ولا اطعن ايضاً في دينه ونسبه ، ولا اذمه لاعتقاده ومذهبه ، وكيف يسوغ لي أن اثلبه لالحاده ، او اعيبه لسقوط آبائه واجداده ، وانا اتحقق ان اكثر من يستشهد باشعارهم المشركون والكفار والمنافقون والفجار ، ومنهم اللكن والفصحاء والهجناء والصرحاء ؟ » (١) .

وهكذا يمكننا أن نفهم موقف الثعالبي من مسألة الدين والادب ، فقد كان رأيه واضحاً في ان الاديب لا يحاسب على دينه على ان لا يمس بأقواله العواطف الدينية المتأصلة في نفوس الناس ولعل ذلك يمثل بذور بعض النظريات النقدية الحديثة التي ترى ان الاديب حر في وصف الحياة بجميع بواعثها وآثارها « بشرط أن يثير في نفوسنا عواطف محترمة ولا يخدش القداسة الخلقية او يدنسها » (٢) اما ما ساقه الثعالبي من نصوص تخالف ذلك فقدكان يمثل به ذوق عصره وبيئته .

وهكذا تبرز صورة العوامل الثلاثة الرئيسة التي عدها الثعالبي اسساً مترابطة للبيئة العامة ، وهي : المكان ، والزمان ، والمجتمع.

---

(١) الابانة عن سرقات المتنبي ، ٢٤ .

(٢) اصول النقد الادبي ، ٢٠٨ .

ولقد درس الثعالبي الصور الادبية الشائعة في عصره وبيئته على ضوئها فخرج بصورة واضحة المعالم للمنهج الاقليمي الذي لمحنا بذور كثير من مفاهيمه في آراء النقاد القدامى ، ورأينا تجمع تلك المفاهيم في منهج الثعالبي النقدي وتطبيقه اياها في اول كتاب في تاريخ الادب العربي يدرس الادب على البيئات وهو كتاب « يتيمة الدهر » .

اثر البيئة الخاصة في الادب

عندما نظر الثعالبي الى البيئات الادبية في عصره اتخذ مقاييس فنية مختلفة الاسس لأحكامه على ادب كل بيئة ، ولكنه لما دخل في التفاصيل وجد أن شعراء البيئة الواحدة الذين يعيشون في ظروف متشابهة او متقاربة ليسوا على درجة واحدة من وجوده الشعر وقوته فكان لا بد له من ان يبحث عن العوامل التي تكمن وراء ذلك في حياة كل اديب بصورة خاصة .

ولقد استطاع الثعالبي ان يكشف بعض هـذه العوامل ، ويحللها . ويفسر على ضوئها الكثير من الظواهر الادبية التي لم يكن بامكانه تفسيرها على ضوء تحليل مؤثرات البيئة العامة .

ولقد غالى بعض المعاصرين من النقاد حين ذهبوا الى ان دراسة الظروف الخاصة بالاديب وتحليل اثرها في ادبه منهج نقدي يختلف عن المنهج الاقليمي ، وسموه « المنهج الشخصي » أو « المنهج النفسي » (١).

ولا ارى إلا أن الاديب انسان متفاعل مع البيئة تفاعلا حاداً

---

(١) اصول النقد الادبي ، ٨٣ ، ٩٩ .

لا يمكن تحديد عناصره ، او فصل بعضها من بعض ، ولهذا فان اية دراسة نفسية او شخصية لا بد ان تتعلق بالمنهج الاقليمي باكثر من سبب ، اما مايقال عن تحليل عناصر العبقرية الفردية فان ذلك اشبه بالمنهج الفني واشكل به .

ولقد تنبه الثعالبي الى كثير من المكونات النفسية للاديب ، وتلمس اثرها في ادبه ، ولعل ابرز ما استرعى تنبهه هو انتماء الشاعر الطبقي ، فقدم دراسة الملوك والامراء واعيان الناس على غيرهم في كل بيئة من بيئات اليتيمة، واشار الى ان ادبهم يتميز من غيره بأثر طبيعة حياتهم فيه ، كقوله في تشبيهات ابن المعتز: « يضرب المثل بها في الحسن والجودة ، ويقال اذا رأيت كاف التشبيه في شعر ابن المعتز فقد جاءك الحسن والاحسان ، ولما كان غذي النعمة وربيب الخلافة ، ومنقطع القرين في البراعة ، تهيأ له من حسن التشبيه ما لم يتهيأ لغيره ممن لم يروا ما رآه ، ولم (يستحدثوا ما استحدثه) (١) من نفائس الاشياء وطرائف الآلات ، ولهذا المعنى اعتذر ابن الرومي في قصوره عن شأو ابن المعتز في الاوصاف والتشبيهات » (٢) .

وقوله في تحليل شعر ابي فراس الحمداني : « وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله ابن المعتز . وابو فراس يعد اشعر

---

(١) هكذا في المطبوع واظن الاصل (يستخدموا ما استخدمه) .

(٢) ثمار القلوب ٢٣٧ وساق بعد هذا نماذج عديدة من تشبيهاته التي يبدو فيها أثر انتمائه الطبقي .

عند اهل الصنعة ونقدة الكلام » (١)

إن التشابه الذي يشير اليه الثعالبي بين شعر ابى فراس وشعر ابن المعتز مبني على اساس من فهم اثر بيئة كل منهما في شعره ، ولعل ذلك احد دواعي جمع الثعالبي تراجم ملوك كل بيئة وأمرائها في مكان واحد .

وقد تنبه الثعالبي الى أثر الظروف الشخصية في الأدب ، فجمع تراجم الشعراء الذين تشابهت ظروفهم بعضاً الى بعض ، وعلل ذلك احياناً ، كقوله في تقديم دراسته للمأموني والواثقي « ولما كان أبو طالب المأموني ، وأبو محمد الواثقي من جملة الطارئين على بخارى ، والمقيمين بها ، ومميزين عنهم بشرف المنصب وكرم المنتسب ،وفضل المكتسب ، أفردت لهما بابا يتلو الباب المقصور عليهم جميعاليجاورا هم ويقاربا هم من جهة ، ويفارقاهم ويباعداهم من جهة اخرى »(٢) .

وكأنه اكتفى بهذا التعليل في جمعه تراجم المتشابهين ، فلم يعلل مثلا ، جمعه تراجم القضاة (٣) أو الكتاب (٤) .

على ان جمع تراجم الشعراء المتشابهين في المهنة في مكان واحد لم يكن المظهر الوحيد لتعبير الثعالبي عن إيمانه بأثر البيئة الخاصة في الأدب ، فقد عقد فصولاً في بعض كتبه لتكلم كل انسان من جنس

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٤٨ .

(٢) المصدر السابق، ٤ : ١٦١ .

(٣) المصدر السابق ، ١ : ١١٤ـ١١٧ .

(٤) المصدر السابق ، ٤ : ٣٤٠ـ٣٤١ .

صناعته (١)، ثم كتب كتاباً برأسه في ذلك هو « اللطف واللطائف».

ولقد اشار الثعالبي الى اطلاعه على « ما عمل الجاحظ من باب تكلم كل انسان من جنس صناعته (٢).

ولعله قرأ « صناعات القواد » (٣)، أو الفصل الخاص بذلك من كتاب « البيان والتبيين »(٤)، او قرأهما معا، ولعله استقى الفكرة من كتابات الجاحظ هذه، ولكنه رغم ذلك فاق الجاحظ في تقصيه الفني للظاهرة بأن جمع نصوصاً لأشخاص مختلفي الصناعات في مواضيع شتى ملاحظاً أثر صناعاتهم في الفاظهم ومعانيهم، بينما اقتصر الجاحظ على فكرة واحدة يعبر عنها اشخاص مختلفو الصناعات.

ولعلنا، ان تابعنا بعض ما جاء في احد كتب الثعالبي من هذا اللون من الجمع الفني، مقتنعون بصدق ذلك، وليكن ذلك في كتاب « خاص الخاص» الذي عقد الباب الخامس منه لذلك، وقسمه عدة فصول افرد كل فصل لاقوال اصحاب صناعة معينة، فمن ذلك ما ورد في فصل « المعلمين » : قال ابن مجاهد جرى ذكر علي بن عيسى الوزير وصرفه عن الوزارة بحامد بن العباس عند بعض المعلمين فقال : قد رفعوا مصحفاً ووضعوا طنبوراً ... وقيل لبعضهم : مالسرور ؟ قال

---

(١) التمثيل والمحاضرة، ١٣٠ـ٢٦٦، برد الاكباد، ١٣٢ خاص الخاص، ٦٥ـ٨٣.

(٢) خاص الخاص ٦٥.

(٣) طبع ضمن رسائل الجاحظ ١ :٣٧٩ـ٣٩٣.

(٤) ٢ : ١٧٥ ـ ١٨٥ عقد بابا بعنوان « باب ان يقول كل انسان على قدر خلته وطبعه.

كثرة عدد الصبيان وكثافة حروف الرغفان » . (١)

وقال في « فصل في الادباء والنحويين » : « وصف بعضهم مستذلاً ممتهنا ، فقال : « هو زيد المضروب والعود المركوب . . . وسمع ابو عثمان المازني من بطن رجل قرقرة ، فقال : هي ضرطة مضمرة » (٢) .

وقال في « فصل القراء والمحدثين » ، قال ابن محدث لابيه : يا أبت ، أخبرني فلان عن فلان أنه يبغضني ، فقال : يابني ، فأنت بغيض باسناد » (٣) .

وقال في (فصل الاطباء) « ابو ايوب الطيب ، من دعائه : اللهم اسقنا شربة من حبك تسهل ذنوبنا وسئل بختيشوع ن أشعر الشعراء ؟ فقال : الذي يقول : [من الخفيف]

أحمد قال لي ولم يدر مابي ... أتحب الغداة عتبة حقا ؟

فتنفست ثم قلت : نعم ، حبـ ... ـا جرى في العروق عرقا فعرقا

لو تجسين يا صفية روحي ... لوجدت الفؤاد قرحا تفقا

وانما صار أشعر الناس عنده لذكره العروق والجس والقرح»(٤)

ان الطابع النقدي الذي يمكن أن نستشفه من ملاحظة الثعالبي لأثر المهنة في الادب نابع من احساسه العميق باثر البيئة الخاصة في الأدب ولعل المثال الأخير مما سقناه دليل على إيمان الثعالبي بأثر

---

(١) خاص الخاص ، ٦٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٦٦ .

(٣) المصدر السابق، ٧١ .

(٤) المصدر السابق ، ٧٧ ، ٨٧ .

البيئة الخاصة في تكوين الذوق الفردي الذي يعجب بما جرى عليه الطبع وألفه من الالفاظ الخاصة بصناعته .

ولقد عني الثعالبي بعد ذلك بابراز أثر عامل آخر من عوامل البيئة الخاصة في الادب ، وأفاد من ملاحظته هذا الاثر ، وعني بابرازه في حكمه على بعض النصوص ، فقال في تقديم بيتين لأبي فراس الحمداني « وقوله، وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس (١) ؛[من الكامل]

وكأنما البرك الملاء تحفها   ألوان ذاك الروض والزهر

بسط من الديباج بيض فروزت   أطرافها بفراوز خضر

وقال في ترجمة ابي جعفر الجعفري العطار الحراني : « وصف غلاما ، وشبهه بما هو من جنس صناعته ، فقال : صدغه مسك وخطه عنبر ، وثغره كافور ، وعرفه عود » (٢) .

وثمة ملاحظات أخرى كثيرة تدخل في هذا الباب ضمتها صفحات اليتيمة وتتمتها (٣) .

ولقد حرص الثعالبي على ذكر أحداث مهمة من حياة المشهورين ممن ترجم لهم مبينا أثرها في شعرهم ، كالذي فعله في دراسة ابي فراس الحمداني ، حين رأى مافي رومياته من صدق العاطفة ولوعة

---

(٣) يتمية الدهر ، ١ : ٤٨ .

(١) تتمة اليتيمة ، ١ : ٣ .

(٣) يتيمة الدهر ، ١ : ١٩٩و ٤ : ٢ ٣١ وتتمة اليتيمة ١ : ٢٨و٢ : ٣٢ ، ٣٤ .

الالم . فراح يحلل البواعث ، وخلص الى قوله : « لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، واصابته عين الكمال ، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخنا بخرشنة ثم بقسطنطينية ، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل نجح رقيب من الافات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة ، وفرط الحنين الى أهله واخوانه واحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج ، وقلب شج ، يزداد رقة ولطافة ، وتبكـــي سامعها وتعلق بالحفظ لسلاستها » (١) .

وقد لاحظ الدكتور محمد زغلول سلام طريقة الثعالبي في رد بعض مظاهر عبقرية المتنبي إلى ظروف حياته ونفسيته ، وعلق على ذلك بقوله « والجديد في ترجمته أنه اقامها على أساس منهجي متكامل ، فعرض للصلة بين حياته وشعره ، وما كان بها من أحداث أثرت فيه آثاراً عميقة ، كرغبته الملحة في الولاية ، وسعيه الى ذلك بكل وسيلة ، وبالقوة احيانا ، حتى حبس ، ثم في صلته بسيف الدولة ورضاه بجنابه ، وباقامته الى جواره بما أسعده ، وماجر ذلك على الشاعر والأمير معا من خير ، والاشارة الى الفرق بين ما قال من شعر المديح قبل سيف الدولة وفيه .

وخرج من علاقات شعره بحياته ونفسه ومزاجه وطابعه الذي يبدو في إبائه وكبره وإعراضه عن صغار الناس وصغائر الأمور ، وثورتـه على الدهر واهله ، خرج من هذا كله الى الحديث عن شعره وخصائصه الفنية » (٢) .

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٧٥ .

(٢) تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الى العاشر الهجري ، ٥١

ولقد فعل الثعالبي ذلك كله في دراسته المتنبي ، فاشار الى العوامل الخفية التي كانت تؤثر في شعره في مثل قوله « ما زال في برد صباه الى ان اخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية في رأسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه في الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الاطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك » (١). وقوله : « وكان كثيرا ما يتجشم أسفارا بعيدة أبعد من آماله ، ويمشي في مناكب الارض ، ويطوي المناهل والمراحل ولازاد الا من ضرب الحراب على صفحة المحراب ، ولا مطية الا الخف أو النعل » (٢) واستعان الثعالبي بالتحليل الأول على تعليل بروز غرض الفخر عند المتنبي ، وبالتحليل الثاني على تعليل كثرة وصف المتنبي للاسفار ، ثم تركه ذلك عند استقراره في بلاط سيف الدولة (٣) .

ولعل اشارة الثعالبي بعد ذلك الى حسن نسيب المتنبي بالأعرابيات (٤) معقودة على ما قدم في اخباره من تنقله في بلاد الشام « من باديتها الى حضرها ومن مدرها الى وبرها » (٥) .

ولعل من اطرف إشارات الثعالبي الى أثر البيئة الخاصة في الأدب ما ساقه من حديث عن أثر الالتزام في جودة الانتاج الادبي حيث قال : « وأما الترجيح بين هذين الصدرين - اعني الصاحب والصابي

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ١: ١٣١ .

(٣) المصدر السابق ، ١ : ١٣٢ .

(٤) المصدر السابق ، ١ : ١٩٣ .

(٥) المصدر السابق ، ١٢٨:١ .

في الكتابة ، فقد خاض فيه الخائضون ، وأخب فيه المخبون ، ومن أشفى ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد ، وأبو أسحاق كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالين بون بعيد » (١) . فكأنه عبر بالجملة الاخيرة عن ايمانه بما للالتزام من أثر سيء حتى في إنتاج أديب عبقري كالصابي .

ولابد للباحث - بعد ذلك - من أن يلاحظ المفهوم الدقيق للبيئة المؤثرة في تكوين الأديب النفسي والاجتماعي عند الثعالبي ، فالمبدأ المتبع عنده هو أن ينسب الأديب الى البيئة التي يستوطنها لا التي يولد فيها ، فقد درس المتنبي على ضوء ذلك ضمن شعراء الشام وهو كوفي المولد ، ودرس ابن بامنصور الديلمي ضمن شعراء الشام وهو ديلمى الاصل .

ومنطلق الثعالبي في تعيين بيئة الأديب سليم الأسس ، ذلك أن التكوين النفسي للاديب يتكون من مجموع ما يتلقاه من مؤثرات عبر مراحل حياته كلها ، ولكن ادق المراحل قبولا للتأثر هي مرحلة الصبا والشباب المبكر ، اما ما يتلو ذلك او يسبقه فقبول التأثر فيه ضئيل .

ولعل الثعالبي لاحظ ذلك ، فأشار إلى أن تغير البيئة المتأخر قد يؤدي الى تكوين نفسي جديد ، ولكنه تغيير تطبع لاتغيير طبع ، كما في قوله في ترجمة أبي نصر المهلبي : « شاعر اسفرائيني المولد ، عراقي المنشأ . صحب أعراب البوادي ، وأخذ عنهم ، وتفاصح متشبها بهم » (٢) .

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢) تتمة اليتيمة ، ٢ : ١٠٩ .

فهو يلاحظ ان أبا نصر نشأ في العراق ، وشب على مادرج عليه أهل العراق من لغة المدينة التي يغلب عليها التسهـل في الاعراب والميل الى اللحن، فلما صحب اعراب البادية لم يغلب تطبعه طبعه ، « فتفاصح » لانه تجاوز السن التي كان يمكنه فيها ان يكتسب الفصاحة بمصاحبة الاعراب .

ويبدو أن الثعالبي لمس جانبا اخر من جوانب بيئة الاديب الخاصة وهو انتماء الاديب الى اسرة بعينها ، فقد لاحظ ان كثيراً من الادباء ينتمون الى أسر اشتهر أكثر من واحد منها بالأدب ، وتلك ملاحظة احصائية دقيقة لو تيسرت لها وسائل البحث العلمي الحديثة لكانت مدار تحليل دقيق وبحث مستقص ، ولكن القرن الربع الهجري لم يكن ليسمح باكثر من ملاحظة الظاهرة ، على ان يتوفر عليها عالم مرهف الحس ، كثير الاطلاع ، ولوع بتقصي بواعث العمل الادبي كالثعالبي .

ولقد عبر الثعالبي عن ادراكه لهذه الظاهرة، واحاطته بها،بجمعه تراجم الادباء الذين ينتمون الى عائله واحدة في مكان واحد،كمنصور واحمد ابني كيغلع (١) ، والقاضي ابي القاسم التنوخي وابنـه (٢) وابن لنكك وابنه ، (٣) ومحمد بن الحسين الحاتمي وابنه (٤) ، وابي

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ١٠٥

(٢) المصدر السابق ، ٢ : ٣٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ١٠٨ .

(٤) المصدر السابق ٣:١٥٨ .

الفضل بن العميد وابيه وابنه (١) ورهط من بني المنجم (٢) .

وبعد فان يكن الثعالبي اكتفى بجمع تراجم الأقارب بعضها الى بعض ، وتخلى عن التعليل ، فحسبه انه تنبه الى ظاهرة جديرة بالدراسة والتحليل .

ولقد تناول بعد ذلك أثر المستوى العلمي للاديب في أدبه بالبحث بصورة أعم من الاثر الجزئي الذي لمحه في الالفاظ والمعاني ، ذلك أنه تجاوز هذا الى الحكم على أدب طبقات علمية من المجتمع من خلال النظر الى مجموع أدب المشهورين منها ، مما يمكن أن نعده ركناً من أركان دراسة أثر البيئة العامة في الادب .ولولا أن الثعالبي مال الى تخصيص أكثر احكامه في هذا الباب حتى بدت أقرب الى دراسة أثر البيئة الخاصة في الأدب .

وقد تناول النقاد بحث هذه الظاهرة قبل الثعالبي ، فأشار ابن قتيبة الى تكلف شعر العلماء ورداءة صنعته (٣) ، ورأى الآمدي أن « التجويد في الشعر ليست علته العلم (٤) .

ان نظرة ابن قتيبة والآمدي تبدو صحيحة في حدود التخصيص المنطقي الدقيق ، ذلك أن الشعر العربي نشأ في بيئة بدوية ، واستمد عناصره من الفطرة الانسانية التي لم يكن للحضارة دور في تعقيدها ، ولم يفسد العلم عليها صفاءها ، فلما تغير الزمان بالناس ،واصطبغت

---

(١) يتيمة الدهر ،٣:١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ،٣:٣٩٢ .

(٣) الشعر والشعراء ، ٧٠ .

(٤) الموازنة ، ١ : ٢٤ .

الحياة العربية بصبغة حضارية ، تغلغلت في كل مظاهرها المختلفة ، حاول الشعراء ونقدة الشعر أن يبقوا الشعر بمعزل عن التيار الجديد حفاظا منهم على عموده الموروث الذي لم يستطيعوا بادىء الامر اخضاعه للمفاهيم الجديدة التي لم تتأصل بعد في النفوس ، ولهذا كانت الدعوة الى تهجين شعر العلماء مقبولة ، ذلك أن هؤلاء العلماء اخفقوا في محاولاتهم الاولى ، إما لضعف شاعريتهم ، وإما لزجهم ما ليس من طبيعة الشعر فيه ، ولكن محاولة أبي تمام الناجحة كانت ايذاناً بولادة نمط شعري جديد يمتزج فيه الطبع بالعقل امتزاجا لقي معارضة تقليدية وقبولا حضاريا ، أما على الصعيد الفني فان تجربة ابى تمام رائدة لتجربة تهيأت لها ظروف افضل ، هي تجربة المتنبي التي استمدت من استقرار الروح الحضارية ومن عبقرية الشاعر عناصر النجاح ، فاستطاعت ان تمزج بين العلم والخيال، والتجربة والعاطفة، مزجاً رقيقا تقبله النفس قبولا حسناً يخالف قبولها شعر ابي تمام ، فكان لابد من أن تختلف المقاييس التي وضعها أمثال ابن قتيبة والآمدي ، لاختلاف طبيعـــة العصر ، ولاختلاف طبيعة الشعر . فلا عجب إن رأينا الثعالبي يعجب لنجاح شعر شاعر امي ، فيقول في ترجمة الخباز البلدي :« ومن عجيب شأنـه انه كان أميا وشعره كله ملح وتحف ، وغرر وطرف ، ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن ، أو مثل سائر » (١) ، فهو يحكم ـ من حيث لم يقصد ـ بعمق أثر العلم في جودة الشعر ، ويقرر ذلك في قوله في ترجمة ابي الفرج الاصبهاني : « له شعر يجمع إتقان العلماء واحسان ظرفاء الشعراء » (٢) ولكنه لا يرى ـ رغم ذلك ان يطغى العلم

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢ : ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق ، ٣ : ١١٤ .

على طبيعة الشعر ، لأن ذلك يفسده ، ولهذا قال في ترجمة الجوهري « والجوهري شعر العلماء لاشعر مفلقي الشعراء » (١) وقال مثل ذلك في ترجمة ابي بشر الفارسي الحافظ (٢) .

وقد حاول الثعالبي بعد ذلك ان ينظر الى أدب الطبقات العلمية من خلال هذا المقياس ، فخرج بأحكام اكثر تعميما ، وحكم بجودة شعر الكتاب ورقته (٣) ، مستثنيا منه مالم تدعمه الموهبة الاصيلة (٤) وميز شعر الفقهاء بكثرة ورود المصطلحات والمعاني الفقهية فيه (٥) وجارى استاذه الخوارزمي في الحكم على شعر المؤدبين بأنه غليظ جاس » (٦) .

وهكذا نرى ان الخطوط العريضة للمنهج الاقليمي عند الثعالبي تدور في مدارين متسقين متمازجين خلال دراسته ، يتمثل اولهما في بناء كتاب يتيمة الدهر وتتمتها على التقسيم البيئي ، وهو كما رأينا تقسيم قائم على اساس منهجي لأنه استند الى تعليل ومسوغات سجلها في مقدمة بعض فصوله ، اما المدار الثاني فهو التحليل النقدي لكثير من الظواهر الادبية ، وربطها ببواعث من البيئة العامة أو الخاصة ، وربطها بتلك المؤثرات ربطا نقديا قائما على التحليل النفسي للشكل

---

(١) يتيمة الدهر ، ٤ : ٤٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ٣ : ١٦٤ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ٣٩٦ ، ٤ : ٣٩٤ .

(٤) المصدر السابق ، ٤ : ٤١٧ .

(٥) تتمة اليتيمة ، ٢ : ١٠١ .

(٦) يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٤٢ .

والمضمون، ولهذا فليس من الكثير ان نقول إن المنهج الاقليمي كان نظرية متكاملة عند الثعالبي ، وان بدا أنها بحاجة الى التنسيق الذي تتسم به النظريات الحديثة ، ولكن عذره في ذلك أن اكثر النظريات النقدية القديمة لم تكن دراسة منفصلة عن ميدان التطبيق ، الأمر الذي يوجب على الباحث تتبع المقاييس خلال نصوص مبعثرة في عشرات الكتب أحيانا للخروج بالصورة النهاية للنظرية . ومنهج الثعالبي لا يشذ عن ذلك .

ولقد تفاوت العلماء بعد الثعالبي في تطبيق منهجه في كتب التراجم التي ألفت على قرار يتيمة الدهر ، وكيفما جرى الامر ، فقد وجد المنهج لنفسه طريقا الى كتب النقد وتأريخ الأدب ، ولكنه لم يحظ بما كان يتوقع له من إضافة وتطوير ، ذلك أنه ولد في زمن شاخ فيه النقد العربي ، وتراجع أمام وليد جديد اقتحم ميدانه ولم يترك له بعد عصر الثعالبي الا زاوية ضيقة تلاشت بعد حين ، ذلك الوليد هو علم البلاغة الذي أخذ يحيل تيار النقد الى بحار عقلية يتحكم فيها المنطق بدل الذوق ويطغى فيها الفكر المجرد على الاحساس الفنى ، ذلك ان ميدان الادب نفسه أقفر بعد القرن الرابع من فارس يستثير الحماس ، ويستنفر النقاد ، فعاد الناس الى أدب القدماء يستمدون منه الشواهد لقواعد توضع للمتأدبين ولطلاب علوم اللغة العربية من الأعاجم واشباه الاعاجم من أبناء العربية .

وهكذا انقطع منهج الثعالبي عن مجرى التطوير الذي حظي به الكثير من الدراسات النقدية المبكرة الى أن جاء العصر الحديث ، وتنبه الناقد الفرنسي (هيبوليت ادولف تين ، ١٨٢٨-١٨٩٣ م) الى ماتنبه له الثعالبي قبل ما يقرب من ألف عام ، فوصل ما انقطع من منهجه ،

وأفاد من التطور العلمي الحديث الذي أتاح له أن يستكمل العناصر الفنية والعلمية لنظريته التي عرضها بشكل يلائم طبيعة العصر (١) .

إن نظرية تين قد لاتكون مستمدة من منهج الثعالبي ، ولكنها بالرغم من ذلك صنوها وصورتها المعاصرة ، فان هي استهوتنا وملكت عقولنا ونفوسنا إعجابا ، فان من حق تراث العرابي علينا ان نذكر لواضع لبناتها الأولى فضله ونبرز دوره ، ان شئنا أن لاتكون من الجاحدين.

---

(١) أقام تين دراسته على ثلاثة معايير :هي الجنس والعصر والبيئة وسمي منهجه بالمنهج التأريخي . النقد الادبي ومدارسه الحديثة ، ١: ٢٦ المذاهب النقدية ١٧٥ والنقد الادبي ١٧٤

الفصـــل الثـــانى

المنهــج الفنى

بواعث المنهج واسسه عند الثعالبي

ان الظواهر الأدبية نتاج عوامل معقدة متشعبة لاتخضع بكل جوانبها لقانون واحد ، ولاتتأثر بعامل دون آخر ،فالبيئة العامة عامل مهم في التكوين الفكري والنفسي للاديب ، الا ان تفسير كل الظواهر الأدبية من خــلال المؤثرات البيئية عملية ساذجة أو مفتعلة ، ففي الأدب « ألوان من القوة تسمو على التفسير ، وتتعالى عن القوانين ، وتسمح للذوق أن يدركها من دون ان تبيح للعقل تحليلها وهتك أسرارها »(١) .

ان للمقاييس النقدية الموروثة والمبتكرة قيمتهــا في الدراسات الأدبية ، ولكن للعبقرية الأدبية دورها في الخروج على كل المقاييس في مجال الابداع الفنى المقبول ،ولهذا تظل أوسع الدراسات النقدية شمولا ، وأشدها مرونة عاجزة - بمفاهيم محددة سلفاً - عن أن تحيط بكل الخصائص الفنية للعبقريات الأدبية .

لقد نشــأ النقد الأدبي العربي فطرياً قائماً على الذوق وحده ،

(١) اصول النقد الادبي ، المقدمة ه .

ولعل كثيراً من الأحكام القديمة التي اهتمت بالحكم على أغزل بيت لم تكن ساذجة كما توهم الدكتور عباس(١) ، اذ ان افتقارها الى المنهج النقدي لايعني خلوها من الذوق ، وهو مقياس ظل يفرض ظله على كتب النقد الى وقت متأخر بصورة متفاوتة . ولعل طبقات الشعراء لابن المعتز كان أحفل بالأحكام القائمة على الذوق

وقد لعب الذوق دوره في كتب نقدية بدا أنها ألصق من غيرها بالقواعد المنهجية ، كالموازنة والوساطة ، ويمكننا أن نتصور الى أي مدى يلعب الذوق دوره في مقاييس الآمدي النقدية ان أمعنا النظر في مثل قوله : « وليس الشعر عند أهل العلم به الا حسن التأتي ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الالفاظ في مواضعها وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه ، المستعمل في مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير مفتقرة لمعناه، فان الكلام لايكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف »(٢) .

أما القاضي الجرجاني ، فقد أفرد للذوق مكاناً واضحاً من مقاييسه النقدية بل إنه جعله اساسا لكل المقاييس بقوله : « والشعر لايحبب الى النفوس بالنظر والمحاجة ، ولايحلى في الصدور بالجدال والمقايسة، وانما يعطفها عليه القبول والطلاوة ، ويقربه منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشيء متقناً محكماً ؛ ولايكون مقبولا ، ويكون جيداً

---

(١) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ٤٩ .

(٢) الوساطة ؛ ١٠٠ .

وثيقاً وان لم يكن لطيفاً ، رشيقاً .

وقد يجد الصورة الحسنة ، والخلقة التامة مقلية ممقوتة ، واخرى دونها مستحلاة مومومقة ، ولكل صناعة أهل يرجع اليهم في خصائصها ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه احوالها »(١) .

ان الاساس الفني الذي يرتكز عليه هذا القول هو ذوق الناقد ، ولعل العبارة الاخيرة تقطع بتأثر الجرجاني بمنهج ابن سلام القائم على الاعتماد على الذوق المصقول بالدربة والممارسة .

لقد كان الذوق الشخصي المدرب اساساً لاكثر الدراسات النقدية القديمة، وظل يلعب دوراً بارزاً في الاتجاهات النقدية الحديثة ،ولعل الناقد الفرنسي سانت بيف (١٨٠٤ ـ ١٨٦٩ م) أخذ بجانب الذوق دون غيره عندما وضع الخطوط العامة لنظريته في (النقد المحايد)(٢) ، ولكنه قيد من حيث حاول الاطلاق ، ذلك أن عدم التقيد بأي مذهب معين معناه التقيد المطلق بالذوق الفردي ، وتأثر الناقد الشخصي ، وما يستتبع ذلك من مغالاة أو تهاون في الاحكام النقدية ، ولهذا كثرت الانتقادات الموجهة الى نظريته ، ولعل أقربها الى الدقة ماذهب اليه الاستاذ احمد امين من ان : « الخصومات والصداقات تفقد نقده الصدق والنزاهة ، وانه لاينتهي في نقده للشخص الى حكم نهائي عنه، وعن قيمته الادبية بالمقارنة الى غيره »(٣) .

---

(١) الموازنة ، ١ : ٤٠ .

(٢) تقوم هذه النظرية على ثلاثة أسس هي : الحياد التام في النقد ؛ وعدم التقيد بمذهب معين وعدم الادعاء الفني ، النقد الادبي ٣٣٦ والقاضي الجرجاني الاديب الناقد ١٦٩ .

(٣) النقد الادبي ؛ ٣٤٤ .

ولعل محاولة الدكتور شكري فيصل أجدى على الدراسة النقدية في هذا الميدان ، فقد تناول النظريات النقدية جميعاً وتنخلها ، ليخرج بمنهج جديد سماه « منهج المدارس الادبية » ، اعتمد فيه على نقض النظريات القديمة، والافادة من اسسها الصالحة لبناء منهج جديد(١) .

وبالرغم من ان هذا المنهج المقترح قائم على الافتراض النظري، فاننا نستطيع ان نتلمس بذوراً مبكرة له في منهج الثعالبي النقدي، فقد أحس الرجل بأن إخضاعه الظواهر الادبية لمؤثرات البيئة وحدها يظل ناقصاً مادام الكثير من تلك الظواهر لايخضع بشكل مباشر لتلك المؤثرات ، فوجد نفسه مضطراً الى اللجوء الى مقاييس ذوقية أو فنية أو بلاغية لاتتصل بالمنهج الاقليمي ، وان كانت تدور في فلكه وتتعلق به باسباب قد تبدو واهية في أغلب الاحيان .

ان كثيراً من الاحكام النقدية التي تحفل بها اليتيمة وغير اليتيمة من كتب الثعالبي تدخل ضمن هذا المفهوم ، ولكنها لاتدعو الى الحكم بأن الرجل أغفل الخطوط العامة لمنهجه الاقليمي، بقدر ماتدعو الى الظن بتكامل دراسته النقدية القائمة على الافادة من التتبع العلمي المرتكز على أساس من الثقافة المتعددة الجوانب في ميدان التحليل الادبي الذي عليه مدار الدراسة النقدية .

ولعل أهم ميدان نقدي طغى فيه جانب الذوق والاستقراء الفني على المنهج الاقليمي عنده هو ميدان المعركة النقدية حول المتنبي الذي أفرد له في اليتيمة باباً « يتميز من سائر ابواب الكتاب

---

(١) مناهج الدراسة الادبية ، ٧ ، ٨ .

كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن في شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام »(١) .

فكأنه أحس أن العبقرية الادبية لاتخضع لقوانين نقدية محددة قد تكون مجدية في دراسة اوساط الشعراء الذين تلعب البيئة العامة دوراً كبيراً في تلوين أدبهم ، وذلك مالم يتنبه له الناقد الفرنسي « تين » الذي أخضع الادباء المختلفين لمنهجه الاقليمي الذي غمط العباقرة أمثال « دريدن » و « كيتس » و « شيلي » و « برنونج » حقهم وتجاوز مظاهر عبقريتهم(٢) .

ولقد كان الفصل الخاص بالمتنبي من اليتيمة مثار أحاديث كثير من مؤرخي النقد حتى راح بعضهم يستبعد كون الثعالبي ناقداً لولا أنه « جمع في فصل طويل طائفة من أخبار المتنبي وما أخذ على شعره من مآخذ ، أو روي فيه من محاسن »(٣) .

ونحن لو غضضنا النظر عما في مثل هذا القول من غلو وتجاوز للحقيقة ، ثم نظرنا الى الأمر من زاوية علمية ، استطعنا أن نكشف موقع الثعالبي الحقيقي من المعركة النقدية حول المتنبي ، ومدى إسهامه فيها دون اللجوء الى الغلو والتعميم .

لقد بدأت تلك المعركة في حياة الشاعر نفسه وفي بلاط سيف الدولة . ذلك ان طموحه وتعاليه وكبر نفسه أكسبه أعداء كثيرين لايستهان بخطورة معاداتهم ، كأبي فراس الحمداني ابن عم الامير

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ١٢٧ .

(٢) النقد الادبي ، ٣٧٨ .

(٣) النقد المنهجي عند العرب ، ٣٠٣ .

سيف الدولة ، ومؤدبه ابن خالويه ، وغيرها من لم يهدأ لهم بال الا بمفارقة المتنبي سيف الدولة مغاضباً الى مصر ، وفي مصر ناصبه ابن خنزابة العداء فأغرى ابن وكيع التنيسي بكتابة « المنصف » .

فلما غادر الشاعر مصر هارباً الى العـــراق ، وترفع عن مدح الوزير المهلبي ، تناوله شعراء الوزير بهجائهم ، وألف الحاتمي فيــه الرسالة الموضحة ، ورسالة في سرقاته من أقوال ارسطاطاليس ، وفي فارس كسب عداء الصاحب بن عباد لترفعه عن اجابة دعوته بالرغم من ان الصاحب ضمن له مشاطرته ملكه إن هو قصده(١) فكتب الصاحب رسالته « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » . وقتل الشاعر وقد كتب أكثر من كتاب في عيوب شعره ، وتتبع سقطاته ، ثم ألف القاضي الجرجاني كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ليقرر موقفه من انصار الشاعر المغالين وخصومه الحاقدين بقوله : « وكلا الفريقين إما ظالم له أو للادب فيه ، وكما ان الانتصار جانب من العدل لايسده الاعتذار ، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى من الانتصار ومن لم يفرق بينهما وقعت به الملامة بين تفريط المقصر ، وإسـراف المفرط ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا ، وأقام بين كل حديث فصلا ، وليس يطالب البشر بما ليس في طبـع البشر ، ولايلتمس عند الآدمي إلا ما كان في طبيعة ولد آدم ، واذا كانت الخلقة مبنية على السهو ، وممزوجة بالنسيان ، فاستسقاط من عز حاله حيف ،

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ١٣٨ والصبح المنبي ١٤٥ ، ١٤٦ .

والتحامل على من وجه اليه ظلم »(١) .

وقد لخص الثعالبي في دراسته المتنبي جوانب المعركة النقدية التي ثارت حوله في فارس ، فأشار الى الاسباب الحقيقية لتأليف الصاحب رسالته في الطعن على المتنبي ، وأشار الى أن استصغار المتنبي اياه ، وصدوده عن زيارته أثاره « فاتخذه غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، واحفظهم لها ، واكثرهم استعمالا اياها ، وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته »(٢) .

ثم عمد الى كتاب الوساطة فبين أن القاضي الجرجاني ألفه للرد على كتاب الصاحب « فأحسن وابدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الامد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبحره في الادب ، وعلم العرب ، وتمكنه في جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح »(٣) .

لقد صور الثعالبي موقفه بوضوح من (الكشف) و (الوساطة) باشارته الى ماوراء (الكشف) من دوافع شخصية جرت الى التحامل وتتبع السقطات ، وما في (الوساطة) من « إصابة لشاكلة

---

(١) ٣ ، ٤ .

(٢) يتيمة الدهر ١ : ١٣٨ ونقل البديعي ذلك في الصبح المنبي ، ١٤٥ .

(٣) المصدر السابق ، ٤ : ٤ .

الصواب » فاعلن بذلك عن وقوفه الى جانب أنصار المتنبي بطريقة غير مباشرة .

اما دراسته المتنبي في اليتيمة فقد اقامها على الاستنتاج العقلي اولا ، إذ خلص من ملاحظته لكثرة ما الف من الكتب عن شعر المتنبي الى قوله : « وذلك اول دليل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن اهل زمانه بملك رقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته ، ومازالت الاملاك تهجى وتمدح »(١) .

ثم لخص منهج دراسته بقوله : « وانا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى ومايستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه وعيوبه والاشارة الى غرره ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد الاخذ بطرف من طرف اخباره ، ومتصرفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته »(٢) .

وسجل الثعالبي ثمانية عشر مأخذاً على المتنبي(٣) ، كان جهده فيها جهد الجامع لاجهد الناقد ، إذ انها كلها مما أشار اليه الحاتمي او الصاحب أو الجرجاني ، إلا أن الثعالبي لم يبخل بالتعليل النقدي حيناً ، او بزيادة الشواهد حينا آخر .

ولعل الروح التي سيطرت على دراسة معايب شعر المتنبي هي

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، ١ : ١٢٧ .

(٣) المصدر السابق ، ١٦١ — ١٩٠ .

الروح التعليمية التي لم تزل تدفع الثعالبي الى جمع الآراء وتصنيفها وعرضها دون التدخل فيها قبولا أو رفضا ، ولهذا فان قيمة هذه الدراسة تتمثل في إعطائها صورة تاريخية صادقة لما أخذ النقاد على المتنبي من عيوب وسلم به الجميع .

أما في دراسة محاسن شعر المتنبي فقد سجل احدى وعشرين ملاحظة نقدية متفاوتة في العمق كان له فضل السبق الى استنباطها من ديوان الشاعر(١) ، وقد ادعى الدكتور مندور أن الثعالبي خلط بين « المحاسن » و « الخصائص » فقال : « نراه يعد التشبيب بالاعرابيات من محاسنه مع ان هذا من معانيه التي تدل على اتجاه خاص في ذوق الشاعر الذي يفضل الجمال المطبوع على الجمال المصنوع ، والتشبيب بالاعرابيات يعد شيء [كذا] وتجويد ذلك التشبيب شيء آخر »(٢) .

ان مابين مصطلحي « المحاسن و « الخصائص » من فرق ضئيل لايسوغ كل هذا ، فان « الخصائص » التي ينفرد بها الشاعر وتعجب الناس هي « المحاسن » بعينها ، وقد جاء تشبيب المتنبي بالاعرابيات في زمن غلب فيه الغزل بالجواري والقيان على ماسواه ، فلما خالف

(١) سبق القاضي الجرجاني الثعالبي الى الحديث عن حسن مطالع المتنبي وحسن خروجه وتخلصه في الوساطة ، اما المحاسن التسعة عشر الباقية فكلها مما لم يسبق الثعالبي اليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .

الشاعر المنهـج المبتذل استدر إعجـاب كثيرين ممن نفرت قلوبهم عن ذلك الابتذال ، فعدوا تشبيبه من محاسن شعره لا من خصائصه .

لقد خضعت دراسة الثعالبي للمتنبي في كثير من جوانبها للمنهج الفني في النقد ، وقد عقد الثعالبي دراسات مماثلة لمشهوري أدباء العصر فخص السري الرفاء(١) ، وابا اسحق الصابي(٢) ، وابن العميد(٣)، وبديع الزمان الهمداني(٤) ، بدراسـات مماثلة ، وتنـاول خصائص أدبهم بمقاييسه الفنية التي يتمثل فيها الذوق العصري والثقـافة العميقة التي اكتسبهـا من ادمان النظر في الكتب ، ومشافهة أعيـان ادبـاء العصر ، ومتابعة اذواق الناس واحاسيسهم .

ولنا بعد ذلك ان نستخلص ملامـح ذوق الثعالبي الفني من خلال تلك الدراسات ، ومن الملاحظات النقدية الكثيرة التي تدخل ضمن هذا المفهوم في اليتيمة وغيرها ، متلمسين المقاييس الفنية التي اخضع لها دراسته لهؤلاء الاعـلام و مئات غيرهم من اعيـان القرن الرابـع الهجري .

ولعل ابرز مايطالعنا في هـذا المجال ميل الثعالبي الى التقسـيم الطبقي القائم على المقارنة الفنية التي يعقدها بين ادباء عصره ، فهو يرى مثلا ان ابا محمد طاهر بن الحسين المخزومي « يعدل من اهل

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢ : ١١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ٢ : ٢٤٢ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ١٥٨ .

(٤) المصدر السابق ، ٤ : ٢٥٦ .

العـــراق بابن نباتة وابن بابك ، ومن اهل الجبل بالرستمي »(١) مستمداً حكمه من تشابه الخصائص الفنية لاساليب هؤلاء الادباء الذين يميلون الى بساطة اللفظ ، وعمق المعنى ، ووحدة البيت الذي يقوم معناه بذاته ضمن وحدة القصيدة .

ويشبه ذلك ، من حيث الاساس الفني للمقارنة النقدية ، ماقاله في أبي القاسم الحسين بن علي المغربي الوزير من أنـه « كان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثراً ، ويجاذبه طرفيهما »(٢) وما قاله في ابن دراج القسـطلي من انه « كان بصقـع الاندلس كالمتنبي بصقـع الشـام »(٣) .

أما مقارنته محمد بن أيمن الزهاوي بابي العتاهية(٤) ،والواساني بابن الرومي(٥) ، وأبا أحمد بن أبي بكر الـكاتب بابن بسام(٦) ، فقائمة على ملاحظته تشابه هؤلاء جميعاً في التعلق بغرض شعري معين ، وطغيـانه على بقية أغراضهم ، ذلك أنـه لاحظ تعلق محمد بن أيمن بغرض الزهد فقرنه الى أبي العتاهية ، ولاحظ تعلق الواساني وأبي احمد بغرض الهجاء فقرنهما الى صاحبيهمـا ، ولمـا وجد ابن لنكك

(١) تتمة اليتيمة ، ١ : ٢٠ .
(٢) المصدر السابق ، ١ : ٢٥ .
(٣) يتيمة الدهر ، ٣ : ١٠٤ .
(٤) تتمة اليتيمة ، ١ : ٢٩ .
(٥) يتيمة الدهر ، ١ : ٣٥١ .
(٦) المصدر السابق ، ٤ : ٦٤ .

ينظم المقطوعات دون القصائد قرنه الى ابي الحسين بن فارس بقوله « واقدر أنه في الجبال كهو في العراق »(١) .

وتنبه الثعالبي الى جوانب فنية أخرى فحكم بأن ابا الحسن محمد ابن عبد الواحد القصار « تشبه بابن حجاج وهيهات »(٢) ، ذلك ان ان ابا الحسن أكثر من شعر الهزل والمجون ، ولكنه قصر عن ابن حجاج في جرأته ، وفي اسلوبه السهل الممتنع .

ومن طريف ماجاء في ميدان المقارنة الفنية ملاحظة الثعالبي الخصائص الفنية في بعض النصوص الادبية ، ومقارنتها بخصائص فنية لادب بيئة معينة او شاعر مشهور ، كقوله في قصيدة لابي سعد منصور بن الحسين الآبي انها : « على طريقة اهل الحجاز »(٣) لما لاحظه من جزالة لفظها ، وقوة تركيبها ، ووفرة الالفاظ البدوية فيها ، ويشبه ذلك قوله في قصيدة ، لابي الحسن محمد ابن الشيخ أبي علي « لو قالها البحتري أو أبو فراس الحمداني لما زادا »(٤) لما رآه فيها من قوة الطبع ، ومتانة التركيب ، وعمق الفكرة .

ولقد أفاد الثعالبي كثيراً من تلك المقارنات في الحكم على الشعراء أو تحديد مكانتهم الادبية ، ولكنه لم يكتف بذلك في مواقف الحكم ، فقد اعتمد على بيان الخصائص الفنية للنصوص المدروسة

---

(١) يتمة الدهر ٢ : ٣٤٨ .

(٢) تتمة اليتيمة ، ١ : ١٤ .

(٣) المصدر السابق ، ١ : ١٠٠ .

(٤) المصدر السابق ، ٢ : ١٨ .

مكتفياً بأحكام مبتورة وملاحظات سريعة ، من ذلك قوله في معرض حديثه عن بيتين لابي تمام : « أحسن ماسمعت في استعارة العين للعلا قول ابي تمام يرثي ، وهو من أحسن مراثيه ، ومراثيه أحسن شعره »(١) . وملاحظته اكثار ابن المعتز من التشبيه بالعنين في شعره(٢) وحكمه بأن الشريف الرضي أحسن شعراء عصره في المراثي(٣) ، وأن ابا القاسم الاسكافي « اكتب الناس في السلطانيات فان تعاطى الاخوانيات كان قاصر السعي »(٤) وانه في قوة الكتابة والانحطاط في الشعر كالجاحظ(٥) .

وعبر الثعالبي عن رأيه في مقامات الهمداني بقوله : « ضمنها ماتشتهي الانفس ، وتلذ الاعين ، من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول »(٦) .

ولعل إدمان الثعالبي النظر في أساليب أدباء عصره أتاح له ان يتنخل أشعارهم ، ويرفض نسبة ما كانت سماته الفنية غريبة عن

---

(١) ثمار القلوب ، ٣٢٨ .

(٢) خاص الخاص ، ١٣٢ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٣ : ١٤٩ .

(٤) المصدر السابق ، ٤ : ٩٧ .

(٥) المصدر السابق ، ٤ : ٩٨ .

(٦) المصدر السابق ، ٤ : ٢٥٧ .

أساليبهم ، كرفضه نسبة بيتين للخليع الشامي هما(١) [من السريع]

لو لم تحل ماسميت حالا   وكل ما حال فقد زالا
أنظر الى الظل اذا ماانتهى   يأخذ في النقص إذاطالا

فكأنه لاحظ بعد الروح العلمية الحضارية المهيمنة على معناها عن سمات شعر أهل الشام الفنية .

على ان مثل هذا الرفض لم يخل احياناً من التعليل ، فقد قال في بيتين نسبا الى ابي علي الحسن بن القاضي التنوخي : « وأنا مرتاب فيه لفرط جودته ، وارتفاعه عن طبقته »(٢) ، ذلك انه لاحظ التفاوت الشديد بين اسلوب البيتين الدال على قوة الطبع ووفرة الشاعرية ، وأسلوب ابي علي الذي يغلب عليه جفاف شعر العلماء .

وقد سجل الثعالبي بعض الظواهر الادبية التي طغت في عصره وقبله ، كاشارته الى طغيان شعر الحث على الاضطراب في الاغتراب لالتماس الرزق في معرض حديثه عن ابيات لابي شرحبيل الكندي في هذا المعنى(٣) .

ولنا ان نستشف من بعض احكام الثعالبي شدة اعجابه بالارتجال ونلاحظ تقيده في هذا الاعجاب بقوة النص شكلاً ومضموناً ، ولعلنا لانخطيء اذا قلنا إنه آمن بأن الارتجال الناجح قد تفسده الاطالة في الشعر ولا تفسده في النثر ، فهو حين يسجل اعجابه بالبيت

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ٢ : ٣٤٧ .

(٣) تتمة اليتيمة ، ١ : ٤٠ ، ٤١ .

والبيتين المرتجلين(١) ، واعجابه بالنص النثري الطويل المرتجل(٢) ، يحكم على القصيدة الطويلة المرتجلة بأنها ليست « من نادر الشعر وجيده »(٣) .

وقد تكون الحقائق المستخلصة من مثل هذه الاحكام كبيرة الأهمية في فهم موقف عصر الثعالبي نفسه من مسألة فنية اخرى ، فهي تشير الى ايمان خفي بأن القصيدة الطويلة في نظر اهل العصر تتطلب جهداً وتعملا لايتطلبه النثر الذي ذلله شيوع الحضارة لقرائح الادباء ، اما قول البيت والبيتين فسهل يسور للشاعر سواء أكان شاعراً مطبوعاً ام لم يكنه ، ولعل ذلك يفسر لنا سر شيوع شعر النتف والمقطعات في العراق وفارس في القرن الرابع الهجري وبعده فلا عجب بعد ذلك ان يسجل الثعالبي اعجابه الشديد بالقصيدة الطويلة إن هي سلمت من التكلف والاسفاف ، فيقول في قصيدة طويلة للواساني : « قد احسن في هذه القصيدة غاية الاحسان ، وابان فيها عن مغزاه احسن بيان ، وتصرف فيها واطال ، وامكنه القول فقال ، واذا تخلص الشاعر عند الاطالة والوصف هذا التخلص ، وسلم عما يؤديه الى التكلف والتلصص ، فهو الذي لايدرك غوره ، ولايخاض بحره »(٤)

ووصف محمد بن عبد العزيز السوسي بأنه «احد شياطين الانس»

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢ : ٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ٤ : ٩٧ .

(٣) المصدر السابق ، ٢ : ٧٠ .

(٤) المصدر السابق ، ١ : ٣٦٤ .

لأنه « يقول قصيدة تربي على اربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله في الاديان والمذاهب والصناعات »(١) .

وقد تنبه الجاحظ قبل الثعالبي الى هذه المسألة، الا انه حين اورد قول الكميت « من قال الطوال فهو على قول القصار اقدر » ابدى رأياً فنياً دقيقاً فقال : « هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأي والظن، ولم نجد ذلك عند التحصيل على ما قال »(٢) ، فهو بذلك من حكم نقدي عميق مبعثه الايمان بان من الشعراء من تهيأ ، وهيأت له ظروفه قول الطوال ، ومنهم من تهيأ وهيأت له ظروفه قول القصار، ولا يمكن لأحدهم ان يحسن في الميدانين ، ويسبق في الحلبتين .

وثمة مسائل نقدية أخرى تناولها الثعالبي بالتتبع والتحليل . منها مسألة مطلع القصيدة الذي قال فيه : « حقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبراعة والجودة معنى ، لانه اول مايقرع الاذن ، ويصافح الذهن ، فان كانت حاله على الضد مجة السمع ، وزجه القلب ، ونبت عنه النفس »(٣) فجاء قوله تحليلا دقيقا قائما على دراسة الاثار الحسية والنفسية التي يتركها حسن المطلع أو رداءته ، فكان رأيه اكثر وضوحا ، وأصدق تعميما من رأي ابن طباطبا الذي ساقه

---

(١) يتمه الدهر ، ٣ : ٤٢٧ ووردت أمثال هذه الملاحظات في ١ : ٣٦٥ ، ٢ : ١٤٦ وتتمة اليتيمة ١:٣٠١ .

(٢) الحيوان ، ٣ : ٩٨ .

(٣) يتيمة الدهر ، ١ : ١٦١ .

في المسألة نفسها فقال: « وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير منه، أو يستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء، ووصف اقفار الديار، وتشتت الألاف، ونعي الشباب» (١). وقد تناول أبو هلال العسكري، وابن رشيق المسألة نفسها، فتحدث الأول عن حسن الابتداء في النثر والنظم مستعينا برأي ابن طباطبا (٢) وما زاد الثاني شيئا (٣).

اما المسألة الأخرى التي عرض لها الثعالبي بالتحليل فهي مسألة تفاوت نسج الشعر التي كانت مدار احاديث كثيرين من النقاد، ولعل ابن سلام أقدم من عرض لها في حديثه عن اختلاف شعر النابغة الجعدي والفرزدق (٤)، وتبعه ابن قتيبة الذي أشار الى ان من الشعر المتكلف ما جاء فيه « البيت مقرونا بغير جنسه، ومضموما الى غير لفقه » (٥)، أما ابن طباطبا فقد عد تفاوت النسج من عيوب الشعر، وساق امثلة كثيرة عليه (٦).

واتخذ الصاحب بن عباد تفاوت شعر المتنبي ذريعة لتأليف « الكشف » اذ قال في مقدمته: « وكنت ذاكرت بعض من يتوسم الادب في الاشعار وقائليها والمجودين فيها فسألني عن المتنبي فقلت: إنه بعيد

---

(١) عيار الشعر، ١٢٢.

(٢) الصناعتين، ٤٥١.

(٣) العمدة، ١ : ٢٢٢.

(٤) طبقات الشعراء، ٢٦.

(٥) الشعر والشعراء، ٢٩١.

(٦) عيار الشعر، ٤٠.

المرمى في شعره ، كثير الاصابة في نظمه ، الا انه ربما يأتي بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء ، فرأيته قد هاج وانزعج ، وحمي وتأجج ، وادعى ان شعره مستمر النظام ، متناسب الاقسام ، ولم يرض حتى تحداني ، فقال : ان كان الامر كما زعمت فأثبت في ورقة ما تنكره ، وقيد بالخط ما تذكره » (١)

اما الجرجاني فقد تناول التفاوت في شعر ابي نواس وفي شعر ابي تمام ليجري بعد ذلك موازنة فنية بينهما وبين المتنبي (٢) .

ولقد افاد الثعالبي كثيراً من رأي الجرجاني في مسألة تفاوت شعر المتنبي وأفاد من شواهده وشواهد الصاحب على ذلك ، وعده من مساويء شعر المتنبي مقدما لكل ذلك بقوله : « اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء ، والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الاطراف وتخالف الابيات ، وما اكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر ، والضعيف الساقط ، فبينما هو يصوغ افخر الحلى ، وينظم أعظم عقد ، وينسج أنفس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في ابعاد الاستعارة ، وتعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى الى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج الى الافراط والاحالة والسفسفة والركاكة ، والتهود والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن وكدر صفاءها ، واعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائبين وتحكك بالسنة

(١) ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) الوساطة ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٨٢ .

الطاعنين » (١) .

وبالرغم من أن الثعالبي استعار بعض عبارات الوساطة (٢) للتعبير عن رأيه فان موقفه من المسألة شديد الوضوح ، ولعله لم يخالف هذا الموقف كثيرا عندما قرر في مقدمة اليتيمة ألا يورد الا لب اللب ، ثم استثنى بقوله : « فان وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان ، مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لايتم بدونه ، ولأن ما يتقدمه مفتقر إليه » (٣) فالمبدأ هنا أن يكون الضعيف من أبيات القصيدة غير غالب على الجيد منها بأن لايتجاوز البيت والبيتين ، وذلك تعبير عن إيمان الثعالبي بأن تفاوت النسج ظاهرة تكاد لاتسلم منها قصيدة .

وقد يكون من العبث ان نناقش الشواهد التي ساقها الثعالبي للتدليل على تفاوت شعر المتنبي . أو أن نذهب الى مثل ما ذهب اليه الدكتور شعيب حين عابها جاهلا أو متجاهلا ان لا مسؤولية للثعالبي في اختيارها لانها منقولة إما من « الكشف » (٤) وإما من «الوساطة» (٥) ولكن لنا ان نحاول الافادة من الميزات التي عددها للشعر الجيد وللشعر الرديء في حديثه عن تفاوت الشعر دون أن يقصد الى ذلك، ونوازنها بما ذكره من شروط لنجاح الشعر في مثل قوله في قصيدة

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) ورد بعض هذه العبارات في الوساطة ، ٢٢ .

(٣) ١ : ٢٠ .

(٤) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٥٥ ، ٧٤ .

(٥) الوساطة ، ٨٤ ، ٨٩ .

للمتنبي : « اخترع اكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها » (١) .

ولقد أخضع الثعالبي أكثر شواهده الشعرية والنثرية لمقياس (جدة المعنى وسهولة اللفظ) وعده شرطا لما يتغنى به من الشعر . فقال في وصف ابن حجاج : « لم يركاقتداره على ما يرده من المعاني التي تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ و ذويتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة » (٢) وربما قصد الى المقياس نفسه في تقديم شعر الشريف الرضي بقوله : « يجمع الى السلاسة متانة ، والى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها » (٣) .

ولما كانت طرافة المعنى وسهولة اللفظ مقياسا للشعر الجيد في نظره فقد قرر « جزالة الالفاظ وسلاستها ، وبراعة المعاني ونفاستها » مقياسا للنثر الجيد (٤) .

لقد كان هذا المبدأ الذي ألزم الثعالبي به نفسه في اختياراته الشعرية والنثرية ، عاملا مهما في طغيان الاختيارات ذات المسحة الجمالية ، دون التقيد بشهرة قائل ، أو خطوره غرض ، أوما الى ذلك من امور قد يتجاوز الناقد عناصر الجمال الفني في سبيلها ، ولهذا وجدنا في اختيارات الثعالبي صورا أدبية رائعة قد لاتلفت نظر كثيرين غيره ، وتشهد بايمانه بمبدئه الذي نادى به ، وهو « خير الكلام

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٣: ٣١ .

(٣) المصدر السابق ، ٣ : ١٣٦ .

(٤) المصدر السابق ، ٣ : ١٥٨ .

ما يؤنس مسمعه ، ويؤيس مصنعه » (١) .

وقد وجد الثعالبي أن من الاغراض مالا يصلح للشعر حتى لو تصدى له من رسخت قدمه فيه ، ولهذا ذهب الى القول بأن النظم في باب الخط والبلاغة مما يعجب ولا يطرب فهو يقرر أن الاعجاب شيء وان الطرب شيء آخر ، فقد يثير الاعجاب روعة نظم وطرافة تعبير ، أما الطرب فلا يبعثه الا المعنى الدقيق الذي يمتزج باجزاء النفس ، ويستثير فيها العواطف الانسانية العميقة .

بيد ان الثعالبي لم يطو كشحا عن الاغراض الطريفة التي ابتكرها شعراء عصره ، سواء أعجبت ام اطربت ، ذلك أنه أراد أن يؤرخ للحركة الأدبية بكل جوانبها ، فحرص على أن لاتفوته شاردة أو واردة ، من ذلك إشارته الى وصف أبي الحسن السلامي شعره بشعره (٢) ، وشعر ابن حجاج في المقاذر (٣) ، وإشارته الى (البرذونيات) التي نظمها شعراء الصاحب في برذون أبي عيسى (٤) وإلى (الفيليات) التي نظموها في الفيل الذي غنمه الصاحب بن عباد في وقعة جرجان (٥) .

ولعل لتعلق الناس بالاغراض المبتكرة في عصر الثعالبي أثراً في اختياره قصائد ومقطوعات ليست من جيد الشعر ، ولكنها مبتكرة

---

(١) المبهج ، ٤٥ .
(٢) يتيمة الدهر ، ٢ : ٤٣
(٣) المصدر السابق ، ٣ : ٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، ٣ : ٢١٨ .
(٥) المصدر السابق ، ٣ : ٢٣٣.

الغرض ، ولنا أن نستشف عمق هذا التيار من مثل الرواية التي ساقها الصاحب في حديثه عن ابن العميد فقال : « يحسبك أنه ذكر يوما أستاذنا أبا بكر بن الخياط النحوى فقال : أفادني في نقد الشعر فناً لم يكن عندي ، وذلك انه جاءني يوما باختيارات له ، فكنت أرى المقطوعة بعد الأخرى لاتدخل في مرتضى الشعر ، فأعجب من إيراده لها ، واختياره إياها ، فسألته عنها ، فقال : لم يقل في معناها غيرها ، فاخترتها لانفرادها في بابها » (١) .

على ان الثعالبي أخضع اختياراته لمقاييس فنية اخرى ، منها ما يتعلق بالمضمون الادبي ، ومنها ما يتعلق بالشكل الادبي ، مستقصيا السمات الفنية في كل من الميدانين ، ومحكما فيها معاييره التي استمدها من ذوقه الشخصي الذي هو صورة من عصره ، ومن ثقافته الأدبية الواسعة ، ولعلنا قادرون على تحديد ملامح هذا الذوق من تتبعنا لآراء صاحبه النقدية في هذين الميدانين وفي غيرهما من الميادين النقدية بصورة تفصيلية .

المعايير الفنية للأحكام على المضمون

سبقت الاشارة الى اعجاب الثعالبي بالاغراض الشعرية المبتكرة ، وكثرة إشارته اليها ، ولقد شغل نفسه بعد ذلك بالمعاني المبتكرة منطلقا من منهجه الأساس القائم على تفضيل أشعار أهل العصر ، فاهتم بالمعاني الفنية المبتكرة ، كمدح المذموم وذم الممدوح ، أو مدح الشيء وذمه بعينه ، وراح يجمع فرائد من أقوال الادباء في هذا

---

(١) الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ، ٤٠ ، ٤١ .

الميدان ويضمنها فصول بعض كتبه ، ثم ألف فيها عدة كتب برأسها ، قال في مقدمة احدها : « فأن هذا الكتاب أودعته لمعا من غرر البلغاء ونكت الشعراء في تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، إذ هما غاية البراعة والمقدرة على جزل الكلام في سر البلاغة ، وما أراني سبقت الى مثله في طرائف المؤلفات وبدائع المصنفات » (١) .

ولقد اهتم النقاد ـ قبل الثعالبي ـ بالمعاني المبتكرة ، ففضل ابن المعتز شعر بشار لما تميز به من المعاني المبتكرة (٢) ، وذهب النقاد بعد ابن المعتز مذاهب شتى في تحديد مواقفهم من المعاني المبتكرة، اما الثعالبي فقد عبر عن ذوق حضرى يعجب بالمعاني التي تقتضيها روح العصر وتمليها الحياة الحضارية الجديدة ، ولنا ان نستشف ذلك من نوع اختياراته التي أبدى اعجابه بمعانيها المبتكرة ، كأبيات ابي القاسم الشيظمي التي قدم لها بقوله : « ومن ملح شعره قوله ، ولم اسمع في معناه احسن منه (٣) [من البسيط]

قم فاسقني بين خفق الناي والعود ... ولا تبع طيب مفقود بموجود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشما ... قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا ... نزوج ابن سحاب بنت عنقود

وكبيتي ابي جعفر الاسكافي اللذين قدم لهما بقوله : « وأنشدني لنفسه في معنى تفرد به » (٤) [من الكامل]

---

(١) تحسين القبح وتقبيح الحسن ، ورقة ١ وجه .

(٢) طبقات الشعراء ، ٢٩ .

(٣) يتيمة الدهر ، ١ ١١٨ .

(٤) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٤٦ .

الله أشـــهد والملائك أنـني لعظيـم ما أوليت غير كفور
نفسي وقاؤك لاالقدري بل أرى أن الشعير وقاية الكافور »

وما الى ذلك من قصائد ومقطـوعات أثارت إعـجابه ولمس فيها لذة الجدة ، وطرافة الابتكار (١) .

ولقد استنفد تقصي المعاني المبتكرة الكثير من جـــهد الثعالبي النقدي حتى راح يسجل للشـعراء القدامى والمحدثين ماسبقوا اليه ، وحازوا فضل ابتكاره من معان ، فـذكر أن عدي بن زيد أول من شبه العروسـين بالشمس والقمر (٢) ، وان ابا العلاء السـروى أول من استعار الخطابة للطيـور (٣) ، وأبدى إعجابه بتشبيه ابن الرومي في قوله : (٤) [من الطويل]

مديحي عصا موسى وذلك أنني ضربت به بحـر الندى فتضحضحا

إن مثل هذه الاراء تقودنا الى إدراك موقف الثعالبي من مسألة مهمة شغلت جانبا كبيرا من أحاديث النقاد العرب ، وهي مسألة السرقات الادبية .

ولعل إشارات اوائل النقاد الى سرقات الشعراء لم تكن قائمة على

---

(١) يتيمة الدهـر ، ١ : ١٩٨ ، ٢٨٨ و ٢ : ٣٤٦ ، ٤ : ٣٢ ، ٣٤٧ ، ٣٨٠ ، وتتمة اليتيمة ١ : ٢٠ ، ٢٢ و ٢ : ٣٨ .

(٢) ثمار القلوب ، ٢٩٩ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٤٧ .

(٤) المصدر السابق ، ٥١ والاقتباس ، ورقة ٣٧ ظهر .

أسس فنية ، من ذلك أن الاصمعي تعمد اتهام الفرزدق بالسرقة لما كان من هجاء الشاعر « باهلة » التي ينتسب اليها الناقد (١) .

ولست أستبعد أن يكون بعض النقاد من اللغويين تعمدوا البحث عن المعاني المشتركة بين معاصريهم والجاهليين ليلصقوا تهمة السرقة بالمحدثين للغض من قيمة شعرهم .

ثم كثر الحديث في السرقات ، وقد كان مبعث كثرة أحاديث النقاد ، ووفرة ما ألفوا من كتب فيها (٢) ، هو اهتمامهم بالمعاني المشتركة بين الشعراء (٣) ، اضافة الى رغبة بعض النقاد في المباهات بكثرة محفوظهم من الشعر ، ودقة تنبههم الى المعاني المتشابهة في قصائد الشعراء .

ان بحث أوائل النقاد العرب في السرقات لم يكن « يحتاج الى خبرة فنية وانما يحتاج الى الرواية ، والسماع ، والمشاهدة » (٤) ولكنه اقترن فيما بعد بصورة غير مباشرة ببحث العلاقة بين الألفاظ والمعاني ، فخضع لمقاييس فنية خالصة .

ولعل أول دراسة من هذا النوع هي تلك التي عقدها الجاحظ .

---

(١) وردت إشارات كثيرة للاصمعي الى سرقات الفرزدق في فحولة الشعراء ١٩ ، والموشح ١١١ والعمدة ٢ : ٢٨١ .

(٢) جمع الدكتور جميل سعيد وزميله اسماء عدد منها مع اسماء مؤلفيها في كتابهما « نصوص النظرية النقدية » ٢٤ .

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، الدكتور احسان عباس ، ٧٠ .

(٤) النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ، ٩٢ .

والجاحظ يمثل أقدم مدرسة نقدية تمسكت بالبيان من المعاني دون ان تعير اهمية كبرى للمعاني نفسها ، فهو يرى أن « المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوى والقروى والمدني ، وانما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج » (١) .

فلا عجب ان رأينا الجاحظ يتمسك بوجهة نظره هذه حين يتحدث عن المعاني المشتركة بـــين الشعراء ، فيرى أنه « لايعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيه مصيب وفي معنى غريـــب او في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع إلا وكل من جاء من الشعراء من بعـده أو معه إن هو لم يعد على لفظ فيسرق بعضه او يدعيه بأسره ، فانه لايدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه » (٢) .

على ان ابن قتيبة رفض فكرة كون المعاني « مطروحة في الطريق » فقسم الشعر اربعة اقسام يرتكز تقسيمها على العلاقة بين اللفظ والمعنى، ولهذا كان اهتمامه بالسرقات أشـد من اهتمام الجاحظ ، فأشار إلى كثير من سرقات الشعراء (٣) ، ولعله اول من وسع بحث السـرقات ، فأشار الى حل الكتاب بعض معاني الشعراء في نثرهم (٤) .

وتبعه المبرد الذي كان أول من أشار الى سرقات الشعراء بعض معانيهم من الأقوال البليغة والمأثورة (٥) ولعل ذلك يدل على مدى

(١) الحيوان ، ٣ : ١٣١ .

(٢) الحيوان ، ٣ : ٣١١ .

(٣) الشعر والشعراء ، ٧٣ ، ١٢٩ ، ١٣٤ .

(٤) المصدر السابق ، ٦١٩ .

(٥) الكامل في اللغة والادب ٢ : ٥ ، ١٢ .

اهتمامه بموضوع السرقات ، ولكنه رغم كل ذلك لم يكن اول من فتح باب القول في السرقات كما توهم الدكتور بدوى طبانة ذلك (١) .

لقد بلغ بحث السرقات في أواخر القرن الثالث مرحلة قريبة من النضج ، فراح النقاد يضعون أسسا وقواعد للسرقة الحسنة والسرقة القبيحة ، كالقاعدة التي وضعها يحيى بن علي المنجم بقوله : « وحق من اخذ معنى وقد سبق اليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه ، أو يزيد فيه عليه حتى يستحقه ، فأما إذا قصر عنه فانه مسيء معيب بالسرقة ، مذموم في التقصير » (٢) .

وتجاوز ابن المعتز السرقة الجزئية التي اهتم بها النقاد السابقون في بحثهم عن سرقة معنى بيت او لفظه ، وتناول فن البديع الذى (سرقة) المحدثون من القدماء ، وتوسعوا فيه ، واستكثروا من استعماله ، فكان بذلك أول من تناول السرقة بهذا المفهوم الفنى .

اما ابن طباطبا فقد سمى السرقة (الأخذ) وعرض فيها رأيا فنيا بقوله : « وأذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق اليها ، فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها ، لم يعب ، بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه ويحتاج من سلك هذه السبيل الى الحيلة ، وتدقيق النظر في تناول المعانى ، واستعارتها وتلبيسها حتى تخفى على نقادها ، والبصراء بها ، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق إليها فيستعمل المعاني الماخوذة في غير الجنس الذى تناولها منه ، فاذا وجد معنى لطيفا في

---

(١) دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى القرن الثالث ٢٤٨ .

(٢) الموشح ٢٩٤ .

تشبيب أو غزل ، استعمله في المديح ، وان وجده في المديح استعمله في الهجاء » (١) .

ومن الواضح أن هـــذا الرأي يفتح في ميدان دراسة السرقات ميدانا مبتكرا لمبدأ « التحوير الفني » ، ويعين الشعراء على التخلص من التهمة التي سلطها النقاد على رقابهم طويلا .

لقد وجد ابن طباطبا أن كثيرا من المعاني الشعرية التي يقبل عليها الناس ويعجبون بهـا ، تكاد تكون مكررة طرقها السابقون أو أومأوا اليها ، وأن النقاد تجاوزا الحدود في اقتناص المعاني المتشابهة لاقامة الدليل على تهمة السـرقة ، فراح يدفع هذه اللجاجة بقوله : « والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم . لأنهم قد سبقوا الى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة ، وخلابة ساحرة ، فان أتوا بما يقصر عن معاني اولئـــك ولا يربي عليها لم يتلق القبول ، وكان كالمطرح المملول » (٢) .

وقد تناول الصولي والآمدي السرقات الشعرية بقدر ماتعلق البحث بميدان دراستهما حول ابي تمام والبحتري ، فأشار الصولي الى كتاب في سرقات البحتري من أبي تمام ، ألفه « بعض أهل الادب » ونقل هو بضع صفحات عنه (٣) ، ورد الآمدي على بعض ما اورده الصولي بقوله « استكثر من هذا الباب ، وخلط به ماليس من السرق في

(١) عيار الشعر ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) عيار الشعر ، ٨ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ٧٩ .

شيء » (١) .

ولكن القاضي الجرجاني لم يكتف في دفاعه عن المتنبي برد السرقة عنه ، وانما قرر موقفا نقديا أشبه مايكون بموقف ابن طباطبا (٢) . ثم حصر مصطلحات السرقة التي استقرت في عصره (٣) .

ولعل القاضي الجرجاني كان يرد بموقفه هذا على ادعاءات الحاتمي والصاحب السرقة على المتنبي .

على أن أبا هلال العسكرى قرر موقفا نظريا بعيداً عن ميدان التطبيق ، فكرر ماقاله الجاحظ من أن « المعاني مطروحة في الطريق » وبين أن لامندوحة لقائل عن أخذ معانيه ممن سبقه ، ولكنه أوجب على الذين يأخذون المعاني « أن يكسوها ألفاظا من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم ، ويوردوها في غير حلتها الاولى » (٤) ثم خلص من ذلك الى قوله : « وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ، فليس على أحد فيه عيب إلا من أخذه بلفظه كله ، أو أوخذه فأفسده ، وقصر فيه عمن تقدمه » (٥) .

وذهب الشريف المرتضى الى أنه لايجوز لأحد اتهام الشاعر بالسرقة لأن التوارد غير ممتنع ، وفضل أن يقال إن هذا القول نظير ذاك او شبيهه ، كما لايجوز القول بانفراد الشاعر بمعنى من المعاني ، لأنه لايؤمن

---

(١) الموازنة ، ١ : ٣٠٤ .

(٢) الوساطة ، ٢٤ .

(٣) المصدر السابق ، ١٨٣ .

(٤) الصناعتين ، ٢٠٢ .

(٥) المصدر السابق ، ٢٠٣ .

أن يكون فيما لم يبلغ القائل ولا اتصل به معنى يشبه « فان الخواطر لاتضبط ولا تحصر » (١) .

وعندما أدلى الثعالبي بدلوه في حديث السرقات كان يبدو أن ليس فيه زيادة لمستزيد ، فقد استكمل الموضوع جوانبه العامة ، فبدت اشارته الكثيرة الى سرقة لفظ أو تشبيه أو فن من فنون البديع تكرارا مملا لكثير مما قيل ، على اننا لو أمعنا النظر فلن نعدم الفوز ببذور مبكرة لم يقع تفصيل القول فيها إلا بعد الثعالبي بزمن طويل ، وذلك مما يمكن أن نعده أحد مقاييس الثعالبي النقدية في النظر الى المعاني والحكم عليها .

من ذلك ما يطالعنا من تحريه الدقيق في ميدان تحقيق صحة نسبة النصوص ، فقد رفض نسبة بعض النصوص ، وأبدى شكه في بعضها ، وراح يكشف عن صور من محاولات تزييف نسبة النصوص ، كالذي ذكره في ترجمة السرى الرفاء فقال : « ولما جد السرى في خدمة الأدب ، وانتقل عن تطريز الثياب الى تطريز الكتاب ، فشعر بجودة شعره ، ونابذ الخالديين الموصليين ، وناصبهما العداء وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره ، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر ابي الفتح كشاجم ، وهو إذ ذاك ريحانة أهل الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب ، وكان يدس فيما يكتبه من شعره احسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ، ويغلي سعره ويشنع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ، فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات

---

(١) طيف الخيال ، ١١١ .

ليست في الاصول المشهورة منها ، وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد بن هاشم في مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسي ببغداد أبا نصر سهل بن المرزبان ، وانفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه ، ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدي المذكور ، وأخيه أبي بكر محمد بن هاشم ، ورأيت أبياتا كتبها أبو عثمان لنفسه ، وأخرى كتبها لأخيه ، وهي بأعيانها للسرى بخطه في المجلدة المذكورة لابي نصر » (١) ثم ساق مقطوعتين وردتا في المجلدتين المذكورتين بأعيانهما وقال: « ولست أدري أأنسب هذه الحال الى التوارد أم الى المصالتة ؟ » (٢) .

ان المبادىء التي يستند اليها مثل هذا القول تحمل البذور الاولى لمبادىء التحقيق العلمي الحديث الذى يعتمد على الرجوع إلى الأصول ، ومقارنة النصوص ، باعتباره أساسا عمليا لبلوغ الحقيقة ، والخروج بأصول سليمة النسبة يطمئن اليها المحقق .

لقد ورد في اليتيمة إشارات كثيرة الى ما كان يجري من انتحال الأشعار ، منها ماكان يورده الثعالبي ضمن أحكامه على الشعراء كقوله في أبي طاهر بن الخيزارزي : « كان على انتحاله كثيرا من أشعار اهل عصره ، شاعرا لابأس بكلامه » (٣) ، وقوله في أبي المعلى ماجد بن الصلت المعروف بناقد الكلام اليماني « ورد نيسابور وادعى أكثر مما يحسن ،وأنشد لنفسه شعرا كثيرا » (٤) .

---

(١) يتيمة الدهر ، ٢ : ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ، ٢ : ١١٩ والمصالته سرقة اللفظ والمعنى معاً .

(٣) يتيمة الدهر ، ٤ : ٢٨٣ وفيها ترجمته .

(٤) المصدر السابق ، ٤ : ٤١٢ وفيها ترجمته .

ومنها ماقام على التحقيق المقارن ، فأعوزته الادلة القاطعة ، كقوله حين ساق أبياتا لأبي علي الحسين بن بشر الرملي : « ثم رأيت هذه الابيات في ديوان أبي الفرج بن هندو ، ولست أدري أيهما المنتحل ؟ ولنا من الحديث طيبة » (١) .

وقد سبق الثعالبي الى ملاحظة سرقة المعاني الشعرية من النثر وبالعكس ، بيد أن بحثه في هذين الميدانين كان يقتصر على ملاحظات جزئية تختص بالبيت وبالجملة ، فلما تناول الظاهرة بالدراسة توسع فيها ، وراح يتتبع الأساس الفني باخضاعه أسلوب الأديب كله للتمحيص الفني ، وبيان مدى تأثره بأسلوب أديب آخر ، تأثيره في أساليب أدباء آخرين ، فقدم بذلك نموذجا مبكرا للدراسات الاسلوبية المقارنة ، من ذلك مالاحظه من أن المتنبي كان يمثل مدرسة فنية أثرت في مجرى التيار الأدبي في عصره ، فعقد فصلا لسرقات الصاحب وغيره من نظم المتنبي « واستعانتهم بألفاظه ومعانيه في الترسل » (٢) وعقد فصلا آخر لسرقات الشعراء منه (٣) .

وبالرغم من أن الدراسة في هذين الفصلين لم تتجاوز الاهتمام بالمعنى أو اللفظ المشترك ، فانها تميزت بروح علمية وبنهج مبتكر لعل الثعالبي كان أول السابقين اليه .

ولقد فتح الثعالبي في بحث السرقات بابا توهم بعض المعاصرين

---

(١) تتمة اليتيمة ، ١ : ٣٣ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق ، ١ : ١٤٤ .

أنه من مبتكرات النقاد الغربيين ، وهو باب « السرقة الشخصية » أو « تكرار الشاعر افكاره وعباراته وصوره الشعرية » (١) .

على أن من الحق أن نذكر أن القاضي الجرجاني هو اول من لاحظ هذه الظاهرة ، فأشار في « باب سرقات المتنبي » الى المعاني التي سرقها وكررها في أشعاره ، ونقل الثعالبي عنه بعض شواهده مما استقرأه هو من ديوان الشاعر ، وعقد للظاهرة فصلا برأسه « ما تكرر في شعره من معانيه » (٢) اورد فيه ثمانية وعشرين شاهدا نقل ثمانية منها عن الجرجاني وخرج بالبقية من استقرائه ديوان الشاعر .

وكان يمكن ان نتجاوز كل ذلك ، ونعده نوعا من التوسع في بحث سبق الثعالبي اليه ، لولا انه عقد مثل هذا البحث في دراسة السري الرفاء (٣) ، ومثله لابن حجاج (٤) ، وأكثر من الاشارة الى

---

(١) ذهب الدكتور محمود السمرة في كتابه القاضي الجرجاني الاديب الناقد ٢٠٩ الى ذلك ، ولعله لم يطلع على ماكتبه الثعالبي في هذه المسألة .

(٢) وردت شواهد الجرجاني في الوساطة في الصفحات ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٩٧ ، ٣٢٣ ، ٣٤٣ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ وقد وردت هذه الشواهد في اليتيمة بالتسلسل نفسه في الصفحات ، ١ : ١٥٨ ، ٥٥ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، اما بقية الشواهد فلم أعثر عليها فيما اطلعت عليه من مصادر عدا اليتيمة .

(٣) يتيمة الدهر ، ٢ : ١٣٤ .

(٤) المصدر السابق ، ٣ : ٩٠ .

هذه الظاهرة في تراجمه لغيرهما من الشعراء (١) ، معتمدا على التحليل النفسي للأديب أساسا لايضاح العلل الكامنة وراء الظاهرة .

وقد تناول الدكتور محمد مندور هذه الناحية من دراسة الثعالبي النقدية وأشار الى انها « باب لم يجد له مثيلا عند النقاد ، وهو عظيم الأهمية ، لان تكرار الشاعر لبعض المعاني قد يدل على امتلائه بها ، وانشغاله بأمرها ، حتى لنستطيع [كذا] أن نرى فيها أفكاره الاساسية » (٢) .

إلا ان الدكتور عاد فاستدرك بقوله : « واذن فلهذا التكرار دلالته ، ومع ذلك نرى الثعالبي لايفطن الى شيء من تلك الدلالة ، او على الأقل لايشير الى شيء منها ، وانما يورد الأبيات المتحدة المعنى أو المتقاربة في صمت ، بحيث لاندري ماذا يقصد بذلك . بل لانحس بحكمه على هذا التكرار أهو عيب في الشاعر ام حسنة له ؟ وفي هذا تعزيز لما قلنا عن هذا المؤلف من ضعف الشخصية وفقر التفكير » (٣) .

ثم يتطوع الدكتور بعدذلك لسد نقص الثعالبي ، فيذهب الى ان المعاني التي وردت في اليتيمة مما تكرر في شعر المتنبي نوعان : أولهما : المعاني المشتركة التي اصبحت من تقاليد الشعر ، فهي تتكرر

---

(١) المصدر السابق ، ٢ : ١٩٧ .

(٢) النقد المنهجي عند العرب ، ٣٠٤ .

(٣) المصدر السابق ، ٣٠٦ .

لذلك . وثانيهما المعاني التي تأصلت في نفس الشاعر واتصلت بها ، ومنها مايقوله الشاعر فيروق له معناه فيكرره (١) .

ولابد لنا بعد مغالطة الدكتور وتعمده الانتقاص من الثعالبي من أن نشير الى أن الثعالبي فطن الى مواطن الدكتور أنه غفل عنه ، أما التحليل الذي خرج به الدكتور فلا يعدو أن يكون توسعا في العلل التي ساقها الثعالبي ولم يتنبه هو لها ، فأما المعاني التى ذكر أنها « اصبحت من تقاليد الشعر » فقد أشار الثعالبي اليها عندما قال في بعض معاني المتنبي المكررة : « وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء » (٢) ، وعندما قال في معنى آخر « والاصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نصرت بالرعب » ثم اكثر الناس منه » (٣) أوليس قوله « وتصرفت فيه الشعراء » و « أكثر الناس » تعبيرا أبرع من تعبير الدكتور الذى ظن أنه يسد النقص به ؟

وقد اشار الثعالبي بعد ذلك الى أن بعض المعاني التي كررها المتنبي « من قلائده » (٤) . فعبر بقوله عن كونها من المعاني التي ابتكرها الشاعر ، وتأصلت في نفسه فكررها ، وكان كل ذلك تعبيرا موجزا عما حاول الدكتور أن يطيل الشرح فيه ، مستعينا بالمصلح النقدي الحديث .

---

(١) استغرق هذا التعليل اكثر من ثلاث صفحات من كتابه النقد المنهجي عند العرب ٣٠٦ ـ ٣٠٩ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ١٦٠ .

(٣) المصدر السابق ، ١ : ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ، ١ : ١٥٩ .

والعجب أن يرضى الدكتور لنفسه بأن يقصر دراسته على فصل المتنبي من اليتيمة ، وأن يكتفي بما توهمه فيه من نقص - ولا نقص - ليصدر حكمه على الثعالبي بضعف الشخصية وفقر التفكير ، ولو انه كلف نفسه قراءة فصول اخرى من اليتيمة لتبين مقدار ما في حكمه من تجن مسرف .

لقد عقد الثعالبي بحثا مشابها في دارسة السري الرفاء قال في مقدمته ولا بأس ان أورد بعض ماكرره من معانيه ، فما منها إلا بارع رائع ، وانما كررها إعجابا بها ، واستحسانا لما اخترعه منها» (١) .

ولو ان الدكتور مندور قرأ ذلك ، لكفى نفسه مؤونة كتابة عدة صفحات للتعبير عما عبر عنه الثعالبي بأقل من سطرين ، وليس من المستبعد ان يكون الثعالبي ، بعد ذلك كله ، كتب ترجمة السري الرفاء قبل كتابته ترجمة المتنبي فاستغنى بما قاله في الاول عن قول مثله في الاولى عن قول مثله في الثانية ، ولم يكن يدور في خلده ان بعض مؤرخي النقد سيكتفون بدراسة بعض ما كتبه عن المتنبي في احد كتبه التي تجاوز التسعين كتابا ، ويعدون ذلك ذريعة كافية للحكم على شخصيته ومنهجه وفكره ، متناسين ما يتطلبه مثل هذا الحكم من تتبع دؤوب ، وفهم عميق قد لا يتيمه اعساف الحقائق وتعجل الاحكام (٢) .

---

(١) يتيمة اليتيمة ، ٢ : ١٣٤ .

(٢) اكتفى الاستاذ احمد امين في كتابه «النقد الأدبي» ٤٤٩ بالاشارة الى بحث الثعالبي في تكرير المتنبي بعض معانيه في شعره ، وعد ذلك «ملاحظة لطيفة من الثعالبي» .

بقي أن نذكر أن اشارات الثعالبي الكثيرة الى المعاني المسروقة في أشعار من يترجم لهم لاتصلح أساسا لفهم موقف نقدى جديد ، ذلك أن معظم ماورد منها مبني على أسس يعد الثعالبي مسبوقا اليها .

فان تجاوزنا حديث السرقات عند الثعالبي ، فسيطالعنا في أحكامه على المعاني مقياس بـلاغي يتمثل باعجابـه بابتكار التشـبيه (١) والاستعارة (٢) والكناية (٣) .

لقد كثرت العناية بالتشبيه في القرن الرابع وافردت لدراسته مؤلفات ذكر الثـعالبي بعضها ، مـثل كتاب « روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات » لنصربن يعقوب الذى الف كتاب « ثمار الانس في تشبيهات الفرس » وكتاب « التشبيهات » لابي سعد بن ابي الفرج (٤) ، مما يدل على أن الاهتمام بالصورة الفنية اخذ يسترعى اهتمام النقاد والمشتغلين بالأدب ، حتى بدا أن كثيرا من النقاد لايطلبون من القصيدة الا ان تكون صورا مزدحمة التشبيه يختارونها لروعتها (٥) .

ولقد اظهر الثعالبي اهتماما بالغا بالتشبيه من غير أداة تشبيه ،

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٣٧ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ١٠٨ ، ٢٠٦ ، و ٢ : ١٦١ ، ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ٢ : ١٥٨ ، ٤ : ٣٧ .

(٣) المصدر السابق ، ١ : ٣٥ ، ٢٣٥ ، ٢٦٩ .

(٤) يتيمة الدهر ٣ : ٢٩٦ ، ٤ : ٣٩٠ وتتمة اليتيمة ١ : ١٣ .

(٥) تأريخ النقد الادبي عند العرب ـ الدكتور احسان عباس ـ ١٣١ .

وعقد لذلك فصلا في كتابه « فقه اللغة » (١) وأكثر من إبداء إعجابه بورود أكثر من تشبيه واحد في البيت الواحد، فقال في بيتين للوأواء الدمشقي اعجب بهما: « ومن بدائع تشبيهاته قوله : [من البسيط]

قالت وقد فتكت فينا لواحظها ... كم ذا أما لقتيل الحب من قود

وأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت ... ورداً، وعضت على العناب بالبرد

هذا البيت أحسن فيه وضمنه خمس تشبيهات » (٢) .

وقد عقد الثعالبي في بعض كتبه فصولا لعرض ما اختاره من استعارات القرآن الكريم والحديث الشريف (٢) .

أما الكناية فقد ألف في مختاراته منها كتابا برأسه قال في مقدمته « ثم إن هذا الكتاب خفيف الحجم ، ثقيل الوزن ، صغير الجرم ، كبير الغنم ، في الكنايات عما يستهجن ذكره ، ويستقبح نشره ، ويستحيا من تسميته ، أو يتطير منه ، او يسترفع ويصان عنه ، بالفاظ مقبولة ، تؤدي المعنى وتفصح عن المغزى » (٤) وقال في تقديم احد فصوله « فصل في ضد الكناية : ومعناه تقبيح الحسن ، كما ان معنى الكناية تحسين القبيح » (٥) فدل بذلك على أنه لايتعلق بالصورة

---

(١) ٥٥. ويتيمة الدهر ١ : ١٩٣ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٩١ ، وقال مايشبه ذلك في أبيات لكشاجم في اليتيمة ايضا ، ١ : ٣٠٢ .

(٣) منها مثلا التمثيل والمحاضرة ، ٢٤ .

(٤) الكناية والتعريض ، ١ .

(٥) المصدر السابق ، ٥٥ .

الشكلية لفنون البيان بقدر تعلقه بتوجيه المعنى وأدائه بشكل فني مقبول .

إن هذه المعايير تدعونا الى القول بأن الثعالبي ذهب الى أبعد مما ذهب اليه بعض معاصريه من الاهتمام بالشكل الظاهر المصنوع والاركان البلاغية الجافة ، كأبي هلال العسكري (١) وابن رشيق (٢) .

ويبدو أن الثعالبي تجاوز ذوق عصره في مسألة أخرى ، وهي مسألة تقرير المستوى الفني للعلاقة بين المعنى واللفظ ، فقد رأى ان « البليغ من يحوك الكلام على حسب الأماني ، ويخيط الالفاظ على قدود المعاني » (٣) فأقر مبدأ التناسب بين اللفظ والمعنى ، وكرر مقولة الجاحظ: « إنما الالفاظ على اقدار المعاني فكثيرها لكثيرها ، وقليلها لقليلها ، وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها » (٤) .

إلا أن الثعالبي يقف أحيانا الى جانب الايجاز ويفضله تأثرا بما اطلع عليه من التراث الادبي العربي الذي تمثل الأمثال والأقوال البليغة الموجزة جانبا مهما منه ، فلا عجب ان ألف كتبه « التمثيل والمحاضرة » و « الايجاز والاعجاز » و « خاص الخاص » و « الامثال » و « سجع المنثور » مستمدا مادتها من الاقوال البليغة المأثورة ، وذهب الى القول بان : « من أحسن الكلام الامثال التي يجمع فيها الايجاز

---

(١) الصناعتين ٢٤٥ وما بعدها .

(٢) العمدة ١ : ٢٩٠ وما بعدها .

(٣) العمدة ١ : ١٢٨ .

(٤) الحيوان ٦ : ٨ .

والاصابة ، وخيرها ماتوجد معانيه في كتاب الله تعالى » (١) والى القول بأن : « أبلغ الكلام ماحسن إيجازه وقل مجازه وكثر إعجازه وناسبت صدوره أعجازه » (٢) .

ولعل الثعالبي انطلق من هذا المبدأ حين ذهب الى استحسان الابيات التي تتكدس فيها المعاني ، وراح يفضل مازاد عدد (الحقائق) فيه على غيره ، كما يبدو ذلك من مثل تعقيبه على ابيات لابي العباس محمد بن ابراهيم الباخرزي جاء في آخرها قوله : [من الكامل]

فعليك بالشيخ العميد المرتجى   منصور بن محمد بن كثير

حيث قال: « وذكر اسم أبيه وجده معاً صنعة حسنة في محاسن الشعر ، فاذا اتفق مع ذلك ذكر الكنية فناهيك به ، كما قال الأصمعي الشاعر للشيخ أبي الحسين محمد بن كثير رحمه الله تعالى يوم استوزر ببخارى: [من الكامل]

صدر الوزارة أنت غير كثير   لأبي الحسين محمد بن كثير

فأحسن في الجمع بين الكنية والاسم واسم الاب ، وجنس بذكر كثير وكثير ، فان كان الباخرزي قصر في ذكر الكنية فقد برع في ذكر اسم الجد ، وقول الاصمعي أبرع وأحلى ، ولم أسمع في مثل هذا أشف من قول أبي القاسم الأليماني من قصيدة الى الشيخ الجليل أبي علي محمد بن عيسى الدامغاني ، فانه ذكر بلدة الممدوح وبها كان

(١) الامثال ورقة ١ وجه .

(٢) المبهج ، ٤٤ .

يعرف ، فأتى بالاسم والكنية واسم الاب والبلدة » (١) .

ويشبه ذلك تعقيه على ابيات لأبي بكر عبد الله بن محمد الأسكي ورد فيها قوله: [من الكامل]

فكأن أسياف الغواة تكده ... وكأنه عثمان يوم الدار

حيث قال : « تعجبت من مواردتي اياه بقولي منذ عشرين سنة [من الكامل]

إني بليت بسيد كالدهر اذ ... ينحي بسطوته على الاحرار

فرط الفظاظة والصلابة دأبه ... وأنا لديه بذلة وصغار

فكأنه عمر بن خطاب أذى ... وكأنني عثمان يوم الدار

ولم أشك في أنه لم يسمع بقولي كما لم اسمع بقوله ، وحسبت قولي أمثل وأرجح لجمعي بين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما»(٢).

ولعل اشارة الثعالبي الى إرسال المتنبي الامثال في انصاف الأبيات (٣) ، وإرساله المثالين في مصراعي البيت (٤) ، دليل على تمكن المعيار الكمي في نقده للمعاني .

وبالرغم من كل ذلك فان الثعالبي لم يهمل الناحية الذوقية في غمار اعجابه بكثرة المعاني ، فهو حين ساق بيتي أبي محمد الحسن بن

---

(١) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٣٥ ، وذكر انه اورد هذا النقد في كتابه « سر الصناعة » وساق نموذجا آخر منه في تتمة اليتيمة ، ٢ : ٥٦ و ١٠٨ .

(٢) تتمة اليتيمة ،١:٩٤.

(٣) يتيمة الدهر ، ١ : ٢١٤ .

(٤) المصدر السابق ، ١ : ٢١٧ .

محمد الرقي وهما قوله : [من الطويل]

لقد جل خطبي في التي دق خصرها وأسهر جفني جفنها وهو نائم

إذا كن اصداغ الخدود عقارباً فان ذؤابات الرؤوس الاراقـم

قال : « هذا البيت معيب عندى ، إذ جمع فيه بين العقارب والحيات في الغزل ، والطبع ينفر منها ، ولو كان في الهجاء لكان جيداً ، كما قال ابن الرومي في هجاء قينة : [من الوافر]

فقرطها بعقرب شهرزور إذا غنت وطوقها بأفعى

وذكر عقرب الصدغ مألوف ، ولا سيما إذا كانت فيه صنعة كما قال ابن المعتز : [من الكامل]

وكأن عقرب صدغه احترقت لما دنت من نار وجنتـه

وكما قال السري : [من مجزوء الكامل]

في خـده ورد حمـا ه من القطاف بعقرب

وكما قال الصاحب [من الطويل]

لئن هو لم يكفف عقارب صدغه فقولوا له يسمح بترياق ريقـه

فاذا اقترن به ذكر الحية في بيت واحـد لم يهش له السمع ولم يقبله القلب » (١)

ولنا أن نلاحظ أن الابيات التي أبدى الثعالبي اعجابه بذكر العقرب فيها قائمة جميعا على الطباق بين العقرب وضده ، وهو نار الوجنة في بيت ابن المعتز ، وورد الخد في بيت السري ، وترياق الريق في بيت الصاحب ، وان كلمة العقرب مصحوبة بصورة حسية من جمال المحبوب تخفف وقعها وتلطف معناها ، أما بيت الرقي

---

(١) تتمة اليتيمة ، ١ : ٥٠ .

فيخلو من هاتين الميزتين اللتين ألفهما أدباء العصر وتقبلتهما أذواق الناس .

ويشبه ذلك موقفه من بيت أورده في « أحسن ما سمعت » على أنه أحسن ما سمع في إكرام مطية الضيف وهو (١) [من البسيط]

مطية الضيف عندي مثل صاحبها
لا اكرم الضيف حتي أكرم الفرسا

فلما اورد البيت نفسه في « مرآة المروءات » قال فيه : « ولكني أستحي من قوله مثل صاحبها ولا استحسن المماثلة هذه بل كان ينبغي ان يقول مطية الضيف عندي تلو صاحبها » (٢) .

ان التفاوت بين الاستحسان وضده في هذين الحكمين يقودنا الى فهم جانب من تطور ذوق الثعالبي النقدي ، فقد ألف « أحسن ما سمعت » في حدود سنة ٤٠٣هـ ، والف « مرآة المروءات » بعد سنة ٤٢٠هـ ولعله كان عند تأليف « أحسن ما سمعت » لا يزال واقعا تحت تأثير الثقافة العربية الأصيلة التي استقاها من التراث الأدبي العربي الذي تعد مثل هذه الصورة مألوفة فيه ، اما عند تأليفه « مرآة المروءات » فقد ملك عليه الذوق الحضري لبه ، والذوق الحضري ينفر عن مثل هذا المعنى .

ولقد تحكمت الروح الحضرية نفسها في الحكم الذي عقب به على أبيات لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر ، وهي قوله: [من البسيط]

ياسيداً أفرطت بالعبد سطوته ... ما كل مالك رق مغضب حنق
إعتق وإلا فبع كم ذا تعذبني؟ ... إن العبيد إذا ما عذبوا أبقوا
وثقت مني بأن الحب قيدني ... أجل ، وحقك إني فوق ما تثق

---

(١) ١٠٤ .

(٢) ١٤ .

فقال: « ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعر المتغزلون ولا يرضونه ، وانما يميلون الى مثل ما قال بعض أهل العصر: (١) [من الخفيف]

لي مولي أقسى البرية قد قا ... سيت فيه الهموم والاشواقا
قلت إذ لج في جفائي واحتـ ... ـج عليه فساق نحوي السياقا
أيهـذا المليك رأيك في سو ... ء امتلاكي فلن أروم الفراقا

ولنا ان نخلص من ذلك كله الى القول بأن الثعالبي يقف من معاني الشعر موقفا حضاريا يغلب عليه الاهتمام بالجزئيات والتفاصيل الدقيقة ، ولعل ذلك نتيجة طبيعية لغلبة شعر المقطعات والنتف ، واهتمام الشعراء بالمعاني الدقيقة يودعونها البيت والبيتين ثم يكفون، ولهذا لم نجد بين احكامه النقدية ما وجدناه في كتب سابقية من النقاد الذين عنوا بالنظر في وحدة القصيدة ودراسة أقسامها .

والنقد أولاً وآخرا ظل للحياة الأدبية يستمد أسسه ومناهجه من طبيعتها ويتكيف لها في الوقت الذي يحاول هو تكييفها ، وتلك سنة حكمت طبيعة العلاقة بين النقد والأدب عند العرب على اختلاف العصور .

المعايير الفنية للاحكام على الشكل

اهتم نقاد القرن الرابع اهتماما شديداً بالشكل الفني للنصوص الأدبية ، وتعلقوا كثيراً ببراعة اللفظ ، وجودة السبك ، وحسن التأليف

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ٣١١ .

حتى ذهب الآمدي الى قوله : « وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا ، حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، وذلك مذهب البحتري ، ولهذا قال الناس لشعره ديباجة . ولم يقولوا ذلك في شعر ابي تمام .

واذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة ، ولا سبك جيد ، ولا لفظ حسن ، كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق ، او (نقش)(١) العبير على خد الجارية القبيحة الوجه » (٢) .

اما القاضي الجرجاني فقد اتخذ موقفا يبدو أكثر وضوحاً يتمثل في رفضه الاسلوب المغرق في استعمال المحسنات البديعية إغراقا يخرج به الى التكلف ، وراح ينعى على النقاد تعلقهم بهذا الزخرف بقوله: « وأقل الناس حظاً في هذه الصناعة من اقتصر في اختياره ونفيه ، وفي استجادته واستسقاطه على سلامة الوزن ، واقامة الاعراب ، واداء اللغة ثم كان همه وبغيته أن يجد لفظا مزوقاً ، قد حشي تجنيسا وترصيعا ، وشحن مطابقة وبديعا » (٣) .

والذي اظنه أن الجرجاني لم يتخذ هذا الموقف الا ليتنقص الصاحب ابن عباد الذي كان أحد أساطين المدرسة البديعية وألف الجرجاني « الوساطة » للرد على كتابه « الكشف عن مساويء شعر المتنبي » ،ولهذا يمكن القول إنه لايمثل ايمانه الحقيقي بالمقاييس التي عرضها في قوله

---

(١) هكذا في المطبوع وأرجح أنه (نفث) .

(٢) الموازنة ، ١ : ٤٠٢ .

(٣) الوساطة ٤١٣ .

بدليل أن أسلوبه هو ليس بريئاً من الزخرف الذي عاب على النقاد تعلقهم به .

لقد كان طغيان البديع على الصور الادبية في القرن الرابع أقوى من ان يقف الجرجاني أو غيره بوجهه ، ولهذا شغل النقاد به « واتخذت اكثر دراسات نقد الشعر طابع البحث عن البديع وتقصي انواعه وشواهده » (١) .

على ان الثعالبي كان ـ كما يبدو ـ يمثل الموقف الوسط في هذا الميدان ذلك انه أكثر من الحديث عن فنون البديع ، فأبدى اعجاباً شديداً بالاقتباس حتى ألف فيه كتابه « الاقتباس من القرآن الكريم » وبالسجع الذي ألف فيه كتابه « سجع المنثور » ، وبالجناس الذي ألف فيه كتابه « المتشابه » ، وأكثر من الاشارة الى الطريقة التي اتخذها أبو الفتح البستي في تجنيس قوافيه وسماها « المتشابه » وتابعه عليها عدد من الشعراء (٢) .

ولقد بلغ من اعجاب الثعالبي بهذه الطريقة ان عدها اسلوبا مبتكراً في التجنيس يستحق الاعجاب (٣) ، ولكنه لم يلبث ان حدد موقفه الذوقي منها دون ان يقصد الى ذلك في حديثه عن أبيات لأبي سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني حيث قال : « قال ابو سعد أبياتاً فيه (يعني الميكالي) على سبيل أبي الفتح فيها نهج ، وعلى منواله نسج وبما وقع الي بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عنه طبعه ...

---

(١) تأريخ النقد الآدبي من القرن الخامس الى العاشر ٣٨ .

(٢) يتيمة الدهر ٤ : ٣٤٩ وتتمة اليتيمة ٣ : ٦١ .

(٣) يتيمة الدهر ، ٤ : ٣٠٢ .

الخ » (١) ، فعبر بذلك عن ايمانه بان تجنيس القوافي يقتضي من جهد الشاعر وتعمله مالا يرضى الطبع عنه ، فيبدو فيه أثر التصنع المعيب ، وذلك ما أكده الثعالبي في أكثر من مناسبة ، فقال في حديثه عن شعر أبي جعفر محمد بن موسى بن عمران : « وله شعر كعدد الشعر ، غلب عليه التجنيس حتى كاد يذهب بهاؤه ، ويكدر ماؤه ، وكل كثير عدو للطبيعة » (٢) .

والقول الأخير يوضح موقف الثعالبي المعتدل من المسألة ، إذ قرر ان العيب الحقيقي الذي يجب ان يحسب له الحساب يكمن في اسراف الأدباء في استعمال فنون البديع ، وذلك ما أبدى الثعالبي نفوره منه في أكثر من مناسبة ، كقوله في الحديث عن الجناس : (ومن رديء ما يقع فيه ما يكون كله متشابها لا يتخلله غيره كقوله بعض المتكلفين غرك عزك ، فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك ، فعلك بهذا تهدا » (٣) .

على ان الاكثار من استعمال فنون البديع حاز اعجاب الثعالبي حيثما ورد طبيعيا لايبدو عليه أثر التكلف ، فهو يقول في بيت المتنبي [من البسيط]

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

« ما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما اراه سبق الى مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحتري ثلاث

---

(١) يتيمة الدهر ، ٣:٤١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٤ : ١٥١ .

(٣) المتشابه ، ٢٤ .

مطابقات في قوله: [من البسيط]

وأمة كان قبح الجور يسخطها ... دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة » (١) .

ويشبه ذلك تتبعه لفن « التقسيم » في معرض حديثه عن أبيات لابي القاسم الزاهي هي قوله : [من الطويل]

سفرن بدوراً وانتقبن اهلة ... ومسن غصونا والتفتن جاذرا

واطلعن في الأجياد بالدر انجماً ... جعلن لحبات القلوب ضرائرا

حيث قال : « وانما احتذى في البيت الاول مثال المتنبي في قوله [من الوافر]

بدت قمراً ، ومالت غصن بان ... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وممن نسج على هذا المنوال ، أبو عامر اسماعيل بن أحمد الشاشي فانه قال في قصيدة [من الطويل]

رأيت على اكوارنا كل ماجد ... يرى كل ما يبقى من المال مغرما

ندوم أسيافاً ونعلو قواضيا ... وننقض عقباناً ونطلع أنجما

وقال ابو الحسن الجوهري في الخمر إلا انه قلب التشبيه [من الطويل]

يقولون بغداد التي اشتقت برهة ... دساكرها والعكبري المقيرا

إذا فض عنه الختم فاح بنفسجاً ... وأشرق مصباحاً ونور عصفرا

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ١٥٣ ، ١٥٤ .

ولبعض اهل العصر (١) في غلام مغن (٢) [من الوافر]

فديتك يا اتم الناس حسناً ... واصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسناً ... وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلة تسائل عنــك قلنا ... لها في وصفك العجب العجيبا
رنا ظبياً ، وغنى عندليبا ... ولاح شقائقاً ومشى قضيبا

وهكذا يتضح لنا أن اعجاب الثعالبي بفنون البديع فيما يسوقه من نصوص ، مرهون بجمال الصورة الأدبية شكلا ومضمونا.

على ان الثعالبي يبدي اعجابا متناهيا بالاسلوب السلس ، واللفظ الرشيق متجاهلا خلو النص من المحسنات البديعية أحيانا ، كما يبدو ذلك من مثل قوله في تقديم شعر أبي الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة : « يقول شعرا يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجرى مع الماء لطافة وسلاسة كقوله (٣) (من السريع)

من سره العيد فما سرني ... بل زاد (في) (٤) همي وأشجانـــي
لأنه ذكرني ما مضى ... من عهد أحبابي واخواني

ولعل ميل الثعالبي الى خفة اللفظ وسهولته قاده الى الاعجاب بالبحور القصيرة والمجزوءة التي شاعت في عصره ، وقد ساق نصوصا من هذا

---

(١) نسبها الثعالبي الى نفسه في المبهج ، ٥٣ ونسب البيت الرابع الى نفسه « فقه اللغة » ، ٥٥٧ .

(٢) يتيمة الدهر ، ١ : ٢٤٩ ، ٢٥٠

(٣) المصدر السابق ، ١ : ١١٦ .

(٤) زيادة لاتوجد في المطبوع ، ويقتضيها الوزن .

اللون لبعض من ترجم لهم وصفها بمثل قوله «شعر خفيف الروح» (١) و «أبيات في نهاية خفة الروح» (٢) .

ولقد أشار الثعالبي الى الاساليب الممجوجة الثقيلة التي غلب عليها التصنع ، فذكر أن عملاق بن غيداق « متقعر في كلامه ، كثير الهمر ، قليل الملح » (٣) ووصف أبياتا ذكرت فيها أيام برد العجوز بأنها « شعر مصنوع » (٤) ، ملاحظا تكلف الشاعر ذكر أسماء تلك الايام بطريقة يمجها الذوق وينفر عنها الطبع .

وقد يدخل الثعالبي في تفاصيل دقيقة حول صلاح اللفظ للمعنى الذي يراد التعبير عنه به ، فيقول في بيت لأبي محمد عبد الله بن محمد الدوغابادي هو قوله : [من البسيط]

تبارك الله ما أبهاك من ملك ... في تاج عز بكف الله معقود

زلت قدمه في ذكر الكف فانها لاتضاف الى الله عز اسمه وتعالى عما لم يصف به نفسه ، ولولا انه اضاف اليد الى نفسه ، وان كان تأويلها غير ظاهرها ، لما استجيز قول من قال : يد الله . وقد نعي على ابن نباتة قوله وعيب بذلك [من البسيط]

اذا تمنت تمنت ان تعيش لها ... ياراكب العرش بارك في أمانيها

لانه قال مالم يقل أحد من ركوب العرش ، وانما جاز الاستواء لانه

---

(١) يتيمة الدهر ، ٣: ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٣ ٤١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ٤ ، ٤١١ .

(٤) ثمار القلوب ، ٣١٤ .

جل ذكره وصف به » (١) .

ويشبه ذلك مالمحة من خطأ تاريخي في قول ابي الدرداء الموصلي [من مجزوء الرجز]

دعـوا المراء والجـدل فهـو عثار وزلـل
وصافحوا الكأس عـلى حسن أحاديث الغزل
ما النصب والرقص ومـا يـوم الهرير والجمل

فقال : « لما لم يستقم له في البيت ذكر صفين جعل مكانه يـوم الهرير وانما هي ليلة الهرير من أيام صفين » (٢) .

ان مثل هذه الملاحظات تشير الى رسوخ قدم الثعالبي في ميدان النقد الأدبي الذى يتطلب ثقافة واسعة .

وبعد ، فاننا نستطيع أن نحدد معايير الثعالبي في أحكامه على الالفاظ تحديدا دقيقا من خلال فهمنا لما كان يتقسم نفسه من اعجاب بالاسلوب العربي السمح الأصيل الذي أدمن قراءته ، واعجاب بأساليب ادباء عصره المغرقة في استعمال الزخارف البديعية ، فكان من نتاج ذلك أن اتخذ لنفسه مـوقفا وسطا بين هذا وذاك ، مبديا إعجابه بأساليب ادباء عصره ، على أن لا يطغى عليها الزخرف اللفظي طغيانا يذهب برونقها ، داعـيا الى العودة الى الطبع وما يقتضيه من سهولة اللفظ وبساطة التركيب ، فكان موقفه دعوة الى التوفيق بـين الجديد الذى يرضي ذوق العصر ، والقديم الذى لايبتعد عن طبيعة

(١) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ١ : ٥١ .

الشعر العربي ابتعاداً كبيرا .

الموازنة بين النثر والنظم

كان الشعر شاغل النقاد العرب عبر ثلاثة قرون بعد الاسلام ، وجهوا همهم اليه ، وكادوا يقصرون جهدهم علـى دراسته ، وقلما حظي النثر باهتمام كبير رغم ظهور كتاب عباقرة كعبد الحميد بن يحيى وابن المقفع والجاحظ ، ممن أغنوا التراث العربي بثروة كتابية فنية ضخمة ، كان من الممكن أن تكون مثار حركة نقدية واسعة . إن « الرسالة العذراء » لابن المدبر ، و « البيان والتبيين » للجاحظ و« أدب الكاتب »لابن قتيبة ، وما الى ذلك من كتب نقد النثر (١) قد تمثل نوعا من التوجيه الفني للكاتب ، ولكنها لم ترق الى مابلغته كتب نقد الشعر من دراسات عميقة اعتمدت على النصوص الشعرية مداراً للتحليل الفني ، والتتبع المستقصي للاتجاهات الادبية في الشعر .

ولعل السبب في طغيان نقد الشعر على الدراسات النقدية العربية يكمن في طغيان الشعر نفسـه في الميدان الادبي لزمن طويل ، اما النثر فقد كان وليدا وجد بواعثه الأولى في الحيـاة العقلية الجديدة التي امتزجت فيها تيارات ثقـافية عربية وغير عربية ، وكان لابد من ان يشب هذا الوليـد ويشتد أزره قبل ان يحظى بدراسات نقـدية عميقة ، وقد حدث ذلك فعلا ، ولكنه استغرق القرون الثلاثة الأولى

(١) اشار الدكتور زكي مبارك الى الكتب التي اهتمت بنقد النثر في كتابة « النثر الفني في القرن الرابع الهجري » ١ : ١٨ هامش رقم ١ .

بعد الاسلام . وما إن حل القرن الرابع الهجري حتى كان النثر ينافس الشعر في ميدان فن القول ، بل كاد يطغى على الشعر نفسه في البيئة الشرقية التي كانت دواعي النثر فيها أكثر من دواعي الشعر، لما كان من تشعب شؤون الفكر والسياسة والمجتمع ، وطغيان التيار العقلي على أذواق الناس فيها .

لقد زاد عدد الكتاب في هذه البيئة على عدد الشعراء ، واشتهر كثير من الأدباء بقول الشعر والنثر معا ، كابن العميد ، وابي بكر الخوارزمي ، والصاحب بن عباد ، وبديع الزمان الهمداني ، والثعالبي .

ولعل هؤلاء الكتاب ماكانوا قادريـــن على نظم الشعر لو انهم تصدوا لنظم القصائد الطوال في الاغـراض التي كان يتناولها الشعر العربي القديم ، ولكن الذى يسر الأمر لهم أنهم نظموا الشعر في أغراض لاتتطلب طول النفس ، ولا تستوجب اكـثر من البيتين او الثلاثة مما يتهيأ لاكثر الناس قوله ، والتجويد فيه .

لقد كان الجمع بين الشعر - بنمطه القديم - والنثر الفنى يكاد يكون مستحيلا ، وذلك ماتنبه له النقاد العرب قديما ، واشاروا اليه، وقد نقل ابن المعتز في ترجمة عمرو بن كلثوم العتابـي أقوال بعض العلماء في جمعه بين الشعر والنثر كقول أبي صاعـد : «كان العتابي مجيدا مقتدرا على الشعر ، عذب الكلام وكاتبا جيد الرسائل حاذقا، وقلما يجتمع هذا لأحد» (١) وكقول جعفر المالكي : «ما رأيت كاتبا تقلد الشعر مع الكتابة إلا وجدته ضعيف الشعر غيره» (٢) .

---

(١) طبقات الشعراء ، ٢٦٢ .

(٢)المصدر السابق ، ٢٦٢ .

وقال ابن المعتز نفسه في ترجمة ابي علي البصير : «إن الشعر الذى للكتاب ضعيف جدا ، وكتابة الشعراء ضعيفة جدا ، فاذا اجتمعا في الواحد فهو المنقطع القرين» (١) .

ان رفض هؤلاء العلماء فكرة إمكان الجمع بين الشعر الجيد والنثر الجيد مبني على ما أدركوه من أن طبيعة الشعر الأصيل غير طبيعة النثر ، وأن العوامل التي تساعد على التجويد في الشعر غير العوامل التي تساعد على التجويد في الكتابة الفنية ، وقلما تجتمع هذه العوامل كلها لاحد .

أما في القرن الرابع الهجري ، وفي البيئة الشرقية ، فان الأمر اختلف كثيرا ، لأن الشعر الذي ارتضاه الناس ، وتعارفوا على انه شعر جيد ، لم يكن يتطلب موهبة أصيلة أو جهدا فنيا حقيقيا ، وقد لمس الكتاب ذلك عندما حاولوا النظم ، ولكنهم كانوا يدركون أن الشعر ظل يحظى برضى الحكام وأعطياتهم ويفوز بتذوق الناس واعجابهم اكثر من النثر ، فرأوا ان الوقت قد حان لابداء محاولة جدية يوجهون فيها اذواق الناس ، ومن ضمنهم الحكام ، توجيها جديدا يفوزون هم بثمرته ، ومن هنا وجد مبدأ تفضيل النثر على النظم طريقه الى أحاديثهم وكتبهم . من ذلك مارواه أبو حيان التوحيدى عن ابي عائذ صالح بن علي الكرخي وهو قوله : «النثر أصل الكلام ، والنظم فرعه ، والاصل أشرف من الفرع ، والفرع أنقص

---

(١) طبقات الشعراء ، ٣٩٧ .

من الأصل ، لكن لكل واحد زائنات وشائنات » (١) .

اما المرزوقي فقد فضل النثر على الشعر بحجج بدت أقرب الى طبيعة الموازنة النقدية من حجة ابي حائد المنطقية ، فقال : « إعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء موجبه تأخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب لأمرين ، احدهما : أن ملوكهم قبل الاسلام كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ، ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ، وأفضل آلات الزعامة » ثم قال : « والثاني : أنهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة ، وتوصلوا به الى السوقة كما توصلوا به الى العلية ، وتعرضوا لأعراض الناس » ثم قال : « ومما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الاعجاز من الله تعالى جده ، والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم » ثم خلص من أدلته الى قوله : « ولما كان الامر على مابيناه ، وجب أن يكون النثر ارفع شأنا ، وأعلى سمكا وبناء من النظم ، وأن يكون مزاوله كذلك اعتبارا بسائر الصناعات ومزاوليها » (٢) .

لقد بنى المرزوقي دعوته على ثلاثة اركان ، الأول : تأريخي ، والثاني : اجتماعي ، والثالث : ديني. ولايهمنا كثيرا أن نناقش دقة حججه في هذه الأركان بقدر مايهمنا ان نفهم منها ان تفضيل النثر على النظم قد استقر في نفوس بعض الكتاب في اوائل القرن الخامس استقرارا دفعهم الى البحث عن علل ومسوغات له .

(١) الامتاع والمؤانسة ، ٢ : ١٣٢ .

(٢) شرح ديوان الحماسة ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

ويكاد الثعالبي يمثل الموقف الوسط في المسألة ، فقد لانخطيء اذا قلنا إنه يميل بطبعه الى الشعر ويفضله على النثر ، مستشفين ذلك من مثل قوله : « الشعر عمدة الأدب ، وعلم العرب الذى اختصت به عن سائر الأمم » (١) ومن كتابته فصولا في بعض كتبه لبيان فضل الشعر (٢) ، وطغيان الاختيارات الشعرية على النثرية في كتبه ماعدا كتاب « سحر البلاغة » و « الامثال » و « سجع المنثور » .

إلا انه عندما ألف « نثر النظم وحل العقد » وبنى منهجه على نثر أبيات ديوان « مؤنس الادباء » ، أفرد مقدمته لبيان فضل النثر على النظم تأكيدا لقيمة الكتاب ، وارضاء لذوق خوارزم شاه الذى يبدو أنه كان يميل الى النثر بدليل أنه هو الذى أمره بتأليف الكتاب ورسم له منهجه ، وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب قول الثعالبي : « ولم تزال طبقات الكتاب مرتفعة عن طبقات الشعراء ، فان الكتاب وهم ألسنة الملوك إنما يتراسلون في جباية خراج ، أو سد ثغر ، أو عمارة بلاد ، أو إصلاح فساد ، أو تحريض على جهاد ، او احتجاج على فئة ، او دعاء الى ألفة ، أو نهي عن فرقة ، أو تهنئة بعطية ، أو تعزية في رزية ، أو ماشاكلها من جلائـــل الخطوب ، ومعاظم الشؤون ، التي يحتاجـون فيهـا الى أن يكونوا ذوى آداب كثيرة ، ومعارف مفننة ، وقد وسمتهم خدمة الملوك بشرفها ، وبوأتهم منازل رياستها ، وأخطارهم عالية بحسب علو الخطر مما يفيضون فيه ،

---

(١) يتيمة الدهر ، ١ : ١٦ .

(٢) الاقتباس ورقة ٩٥ ظهر و ٩٦ وجه

ويذهبون إليه ، والشعراء إنما أغراضهم التي يرمون نحوها وغاياتهم التي يجرون اليها ، الديار والآثار ، وذكر الأوطان والحنين الى الاهواء ، والتشبيب بالنساء ، ثم الطلب والاجتداء ، والمديح والهجاء ، ولانخفاض منزلة الشعر تصون عنه الانبياء عليهم السلام ، وترفع عنه الملوك » (١) .

لقد بنى الثعالبي رأيه في تفضيل النثر على أساسين ، اولهما : أن ميدان النثر أشرف وأرفع من ميدان الشعر ، فهو يستعمل في جلائل أعمال الدولة ، وفي المسائل الخطيرة ، على حين يشغل الشعراء أنفسهم بتوافه الاغراض .

والحقيقة ان كثيرا من الاغراض التي خص الثعالبي النثر بها يدخل في نطاق أغراض الشعر ايضا كما أشار الدكتور زكي مبارك (٢) ، ولكنه حين تحدث عن الآداب الكثيرة والمعارف المفننة التي يحتاج الكتاب اليها عرض الحقيقة الكامنة وراء المسألة كلها ، ذلك أن الصراع الحقيقي كان قائما بين التيار الحضاري الذى صبغ الحياة العربية الجديدة وحول انظار أدبائها الى النثر ، وبين الصفاء الروحي الذى عجزت التيارات الثقافية عن أن تفسد عليه نقاءه كله في بعض النفوس ، فظل معينا يرفد ماتبقى من الشعر الأصيل بعوامل الحياة .

اما ماعرضه الدكتور زكي مبارك بقوله : « والشعراء المتفوقون عند العرب هم الشعراء المثقفون الذين استطاعوا ان ينافسوا كبار

---

(١) ٣ .

(٢) النثر الفني في القرن الرابع ١ : ١٩ .

الباحثين من اصحاب المذاهب والأقلام » (١) فهو رأي يكاد يلحقه اختلاف الحجة ، ذلك أن الشعراء الذين استشهد الدكتور باسمائهم كبشار ومسلم بن الوليد وابن المعتز وابن الرومي والبحتري والشريف الرضي والمتنبي ، كانوا شعراء قبل كونهم مثقفين ، ولقد برع هـؤلاء في الشعر حقا ، وكانت ثقافتهم ركناً من أركان نجاح شعرهم ، ولكن ذلك كله لايعني ان الثقافة ركن من اركان نجاح الشعر على وجه التعميم ، فان رفضنا ذلك وجب علينا أن نجد تفسيرا مقبولا لبراعة الشعراء الجاهليين والاسلاميين الذين لانظن أحدا ينكر انهم « شعراء متفوقون » رغم أنهم لم يصيبوا من الثقافة قسطا ذا بال .

ان الثقافة لم تكن عاملا كبيرا في نجاح الشعر العربي منذ نشأته الى اوائل العصر العباسي ، على حين كانت عنصرا رئيسا من عناصر نجاح الكتابة الفنية منذ استواء اسسها على يـد عبد الحميد الى استقرارها على يد ابن العميد ، وهكذا يمكننا ان نحكم بأن ايمان الثعالبي بحاجة الكتاب الى الثقافة كان مبنيا على دراسة عميقة لطبيعة الشعر العربي ، ولطبيعة الكتابة الفنية التي فرضت ظلها على الأدب في عصره .

---

(١) المصدر السابق ، ٢٠١ .

اما الأساس الثاني الذى بنى الثعالبي رأيه عليه فهو اساس تقليدى تعاوره النقاد ، ولاقيمة له من الناحية الفنية ، فان تصون الأنبياء وترفــع الملوك عن قول الشعر ليس دليلاً على هوانه بقدر ماهو دليل على أن الشعر يقتضي تفرغا وجهدا قد لايستطيع توفيره اولئك الذين ملكت العقائد أو مشاغل الدولة عليهم نفوسهم ، على أننا لو أحصينا ماورد من اسماء الشعراء من الملوك والامراء في اليتيمة وحدها لوجدنا ان الثعالبي لم يتحر الدقة في هذا الأساس النقدي .

إننا نرجح أن الثعالبي لم يستعمل طبعه في حكمه ، وانما استمد مقوماته من ثقـافته الواسعة ومقدرته على مدح الشيء وذمه في وقت واحد ، ولكن لابد لنا من أن نعترف بأن تفضيله النثر على النظم كان يمثل رأيا نقديا جـارى به ذوق عصره بـالرغم مما أثاره من جدل نقدى ، فقد حاول ابن رشيق ان ينقضه بقوله: «وكلام العرب نوعان : منظوم ومنثور ، ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ، ومتوسطة ، ورديئة ، فاذا اتفق الطبقتان في القـدرة ، وتساوتا في القيمة ، ولم يكن لاحداهما فضل على الاخرى ، كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية ، لان كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة» ثم شبه اللفظ بالدر ، ورأى انه اذا كان منثوراً «لم ينتفع به في الباب الذى كسب له ، وانتخب من اجله ، وكذلك اللفظ اذا كان منثوراً تبدد في الأسماع ، فاذا اخذه سلك الوزن ، وعقد القافية ، تألفت أشتاته ، وازدوجت فرائده» (١) .

---

(١) العمدة ١٩ ، ٢٧ ، ٤٣ .

ولعلنا نستطيع أن نقول : إن ابن رشيق لم يقدم دليلا مقنعا على صحة ماذهب اليه غير تشبيهه النثر بالدر المنثور والشعر بالدر المنظوم ، وهو تشبيه قائم على خيال لايصلح قاعدة للمحاجة العلمية ، ولهذا فان الدكتور زكي مبارك لم يبعد الصواب حين حكم على رأي ابن رشيق بقوله : « وهذا كلام ضعيف لايتناسب مع عقل مثقف كعقل ابن رشيق » (١) .

وقد ذهب عبد القاهر الجرجاني الى ماذهب اليه ابن رشيق ، ولكنه نقض آراء مناهضي الشعر بأدلة منطقية مقبولة فقال : « أما من زعم أن ذمه له من اجل مايجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل فينبغي أن يذم الكلام كله وان يفضل الخرس على النطق » (٢) وقال « فان زعم أنه إنما كره الوزن لأنه سبب لأن (يغني) (٣) في الشعر ويلتهى به ، فانا اذا كنا لم ندعه الى الشعر من اجل ذلك ، وانما دعوناه الى اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والمنطق الحسن ، والكلام المبين » (٤) أما ماورد في القرآن الكريم من ذم الشعراء فهو يرى انه مخصوص بالشعراء لابالشعر (٥) .

---

(١) النثر الفنى في القرن القرن ١ : ٢٢ .

(٢) دلائل الاعجاز ١ : ٦ .

(٣) هكذا في المطبوع ولعله تصحيف ا (يعنى) .

(٤) دلائل الاعجاز ١ : ١٣ .

(٥) المصدر السابق ، ١ : ١٦ .

وهكذا قدم عبد القاهر الجرجاني الرد الرصين على دعوى خصوم الشعر متسلحا بأسلوبه العلمي الدقيق وبثقافته النقدية العميقة .

ولم يخل ميدان النقد بعد ذلك من نقاد يرون لكل من الشعر والنثر فضلهما ، ويصفون كلاً بما فيه كأبي القاسم الكلاعي الذي أظهر ميلا خاصا الى النثر تعلقا بأقوال سابقية ولكنه لم ينتزع من الشعر فضيلته ، بل خصه بميزاته التي حاول أنصار النثر نزعها عنه تثبيتا لموقفهم ، وتأييدا لدعوتهم التي كان من اسبابها ما أشرنا اليه من محاولتهم رفع قدر بضاعتهم في أعين الناس ، والفوز بعد ذلك بما كان ينعم به الشعراء من حباء أولي الشأن ورضاهم(١) .

وبعد فتلك هي أهم الملامح النقدية التي يمكن ان يخرج الباحث بها مما تبقى من كتب الثعالبي ، وهي ملامح تدل على أن الرجل ناقد متمكن ، يتتبع عوامل الجمال الفني في النصوص الأدبية ويوازن بينها ويخضعها لدراسة منهجية ، قائمة على الذوق الشخصي والثقافة العميقة .

وقد لا نعدو الصواب إذا قلنا إن العوامل التي لعبت دورها في تكوين ذوق الثعالبي الفني عديدة ومتشعبة ، شأنه في ذلك شأن أي ناقد يعيش في عصر تصطرع فيه التيارات الثقافية والادبية ، ويتوزع نفوس الناس

---

(١) احكام صنعة الكلام ، ٢٠٦ .

فيه ميل الى تراث أدبي عربي محدد السمات ، واضح المعالم ، وانحراف بموجات طارئة على الثقافة العربية في مجال العلوم والفنون والأدب حتى يحيط الغموض كثيراً من الحقائق ، ويشوه كثيرا من المعالم ، ويغلب الاضطراب أو التقليد على كثير من الدراسات النقدية .

لقد أخضع الثعالبي دراسته النقدية لمنهج مبتكر واضح ، فأخضع الأدب لدراسة تحليلة قائمة على إعادة الظواهر الأدبية الى بواعث من البيئة العامة او الخاصة بالأديب ، فتجتنب كثيرا من الخلط والغموض في الاحكام ، الا انه لم يقيد نفسه بحدود المنهج الاقليمي وحده ، لانه احس ان النقد يختلف عن بقية العلوم ، فهو لايخضع دائما لحدود منطقية او عقلية ، فأطلق لذوقه العنان ، وكان له في المسائل الفنية الدقيقة أراء تشف عن ذوق غذاه التراث العربي بفصاحته وجزالته وعمقه ، وصقلته المدنية برقتها وحلاوتها وطرافتها .

أما ما الزم الثعالبي نفسه به من أحكام تبدو طارئة على الذوق العربي ، كاهتمامه الشديد بفنون البديع ، وببعض الاغراض المبتكرة التافهة ، فان عذرنا له عن ذلك انه ابن بيئته وعصره ، وانه لابد خاضع لمؤثراتهما ، وحسبه بعد ذلك انه صدق الجهد ، واعمل الفكر ، واحسن العرض ، فوجد لنفسه في صرح النقد الأدبي العربي مكانة عزت على كثيرين من ابناء عصره ، ومن بعدهم ، حتى راح بعضهم يقلدون منهجه ويتبعون طريقته اعترافا منهم بفضله ، وإيثاراً لمنهجه القائم على أسس تقبلها العقول المثقفة التي تؤمن بأن الانسان ابن

بيئته ، وان كل ما يصدر عنه من قول و فعل ، وليد ظروفه ، ونتاج بجرى حياته وما يضطرب في نفسه ، وان الأدب جزء من هذا الكل ، يضطرب لاضطرابه . ويهدأ لهدوئه، فلابد للناقد المثقف من ان يستوعب كل هذا ، ويهتدي في دراسته بهديه ، ليكون تحليله وأحكامه اقرب الى الدقة ، وأدنى الى الصواب .

البـــاب الثالث

أدبــــه

قد يكون الاطلاع على آراء معاصري الثعالبي في أدبه ذا جدوى كبيرة في تحديد منزلته الأدبية ، فلقد صدرت تلك الآراء من أذواق كان على الثعالبي أن يرضيها قبل أي شيء آخر ليكون جديرا بلقب « أديب » .

على انه ينبغي لنا قبل ذلك أن نحاول الاطلاع على رأي الثعالبي نفسه في أدبه من خلال الرواية التي ساقها في أحد كتبه : « قال ابو علي الحاتمي : من عجائب الاتفاقات وغرائبها وبدائعها أن الاعشى من صدور شعراء الجاهلية ، ومسلم بن الوليد من صدور المحدثين ، وأبا الطيب من صدور العصريين ، وقد شلشل الاعشى ، وسلسل مسلم ، وقلقل أبو الطيب ، أما الاعشى فيقول : [من البسيط]

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشل شلول أشول شول

واما مسلم بن الوليد فانه يقول : [من الكامل]

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

واما المتنبي فانه يقول [من الطويل]

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقد بلبل بعض العصريين فقال : [من الكامل]

واذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل » (١)

و « بعض العصريين » هنا هو الثعالبي نفسه (٢) ، فكأنه اذ أورد

---

(١) خاص الخاص ، ١٠٠ .

(٢) نسب البيت اليه في معاهد التنصيص ٤٧٢ وأنوار الربيع في أنواع البديع ٣ : ١٠١ .

لنفسه شعراً الى جانب شعر الاصفى ومسلم والمتنبي ، أراد أن يشير من طرف خفي إلى أنه لايرى نفسه أقل من هؤلاء الفحول بالنسبة لعصره وبيئته ، وفي ذلك بعض الحق لاكله ، فقد عاصره أدباء ضارعوه في ميداني الشعر والنثر وفاقه بعضهم ، كالبستي والهمداني والخوارزمي وقابوس بن وشمكير وغيرهم .

فاذا ماتجاوزنا رأي الثعالبي في نفسه ، ولجأنا الى ماوصل الينا من تراث القرنين الرابع والخامس الهجريين بحثا عن تقويم دقيق لأدبه فسيواجهنا صمت يكاد يكون مطبقا عن قول شيء بحق أدب رجل قدم تقويما لأدب المئات من رجال عصره ، وهكذا كان لابد من اللجوء الى القصائد الاخوانية التي قالها اصدقاؤه فيه ، إذ مما يلاحظ أن هؤلاء الاصدقاء تعمدوا اطراء أدبه اكثر من اطرائهم صفاته الاخرى ، ولعل السبب في ذلك هو أن الرجل لم يكن موسرا يفيض من سعته على أصدقائه ، ولم يكن ذا منصب ينفع به خلانه ، بل كان اديبا كل بضاعته هذا الأدب الذي كرم اصدقاءه ورفع من أقدارهم به ، فلا أقل من أن يردوا جميله بمثله .

وبالرغم من أننا قد لانستطيع أن نخرج بحكم دقيق من هذه القصائد والمقطوعات التي قد تعبر عن ميل قائليها إلى المبالغة أكثر مما تتخذ طابع الدراسة النقدية الرصينة ، فقد يكون من المفيد أن نطلع على بعضها لنتعرف على ماكان يرى في أدب الثعالبي من عاش في الاقل ، اذ ليس من المعقول ان يتعرض الشاعر في قصيدة إخوانية لذكر العيوب أو توجيه الطعن .

من ذلك قول ابي حفص عمرو بن المطوعي (١): [من الطويل]

كلام أبي منصور فيه عذوبة ... ينوب عن الماء الزلال لمن يظما

فنروى متى نروي بدائع نظمه ... ونظما إذا لم نرو يوماً له نظما

وقول الأمير أبي الفضل الميكالي : (٢) [من الخفيف]

وهدي زفت إلى السمع بكرٍ ... تتهادى في حلية وشذورِ

عجب الناس أن بدت من سواد ... في بياض كالمسك في الكافور

نظمت في بلاغة ومعان ... مثل نظم العقود فوق النحور

وقول الشيخ أبي الحسن مسافر بن الحسن : (٣) [من الكامل]

أفدي الامام الأوحد الفرد الذى ... من شاء فرد زمانه فليسمه

لازال منصوراً كما يكنى به ... ولتفتخر روح غدت في جسمه

فغذاء أرواح الورى من كتبه ... والظرف فيهم من لطائف رسمه

وبنظمه عطل الفضائل ألبست ... حلي العرائس مذ غدت في قسمه

وقوله من قصيدة : (٤) [من الكامل]

يامن يحل من المحاسن والعلى ... والمكرمات ذرى السنام السامي

ومن اغتدى ربع الفضائل مشرقاً ... بمكانه وخلا من الاظلام

آدابه في سائر الآداب لل ... بلغاء كالأعياد في الأيام

هذا ماكان من أمر الشعر ، أما ماقيل في كتب التراجم فلا يعدو

(١) تتمة اليتيمة ٢ : ١٣ ، ١٤ .

(٢) زهر الاداب ، ١٣٨ .

(٣) تتمة اليتيمة ، ٢ : ٦٩ .

(٤) خاص الخاص ٢٢٨ .

ماكتبه الباخرزى بحق شيخه حيث وصفه بقوله : « أسد الصناعة في غابة ثعالب ، وتصنيفاته للأنس جوال جوالب ، ، وأسلاته في النطق والكتابة قواض قواضب »(١) ووصفه بأنه : « جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور » (٢) وما اظنه قصد من تشبيهه اياه بالجاحظ الا غزارة المؤلفات وتشابـــه طريقة التأليف عند الرجلين الى حد كبير .

ذلك مايطالعنا به معاصرو الثعالبي من آراء في أدبه ، أما المتأخرون فلم يزيدوا على مثل قولهم : « كان اديباً فاضلا فصيحا بليغا » (٣) أو وصفهم إياه بـ« الأديب الشاعر » (٤) .

ولقد شاءت مصادفة عجيبة ان تحرمنا من حديث رجلين لانشك في أنهما وفيا أدب الثعالبي حقه من الدراسة لما هو معروف عنهما من اهتمـام بدراسة الجوانب الفنية لأدب من يتعرضان لدراسته ، وهما ابن بسام الشنتريني وياقوت الحموى .

اما ابن بسام فقد أشـار في مقدمة « الذخيرة » الى انه سيعرض لدراسة ادباء من المشرق بينهم الثعالبي في القسم الاخير من الكتاب

---

(١) دمية القصر ١ : ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٢ : ٢٢٦ .

(٣) نزهة الالباء في طبقات الادباء ٢٥٠ .

(٤) الوافي بالوفيات ١٥ ـ ١٧ ق٢ ، ٢٦٩ وجه ، ومراة الجنان ٣ : ٥٣ ، وطبقات النحاة واللغويين ٢ : ٢٨٧ ، وشذرات الذهب ٣ ٢٤٦ .

(١) ، وقد طبع من كتاب الذخيرة ثلاثة مجلدات من مجموع ثمانية ليس بينهما المجلد الاخير من القسم الرابع وهو المجلد الذى ضم ترجمة الثعالبي (٢) فضاعت فرصة الاطلاع على ماقاله ابن بسام عدا مانقله ابن خلكان منه (٣) . على ان وصف الكلاعي للنصوص التي رواها ابن بسام للثعالبي قد يكون ذا دلالة عميقة على اعجاب أهل الاندلس بأدب الثعالبي ، اذ قال : « ذكره ابو الحسن بن بسام في كتابه الذخيرة ، وذكر فيه من حر النظام ، وبديع الكلام ، ماينطق البكم ويسمع الصم » (٤) .

أما ياقوت فلا أشك في أنه قدم دراسة مفصله عن الثعالبي وأدبه ، لانه أفاد كثيرا من تراجم اليتيمة ، ونقل بعضها في كتابه « معجم الادباء » .

ولقد وصلت مخطوطة « معجم الادباء » كاملة عدا أماكن قليلة وقع فيها خرم مقداره خمس وستون ورقة أشار إليه محقق الكتاب

---

(١) القسم الاول المجلد الاول ٢٠ .

(٢) اشار المحققون في مقدمة المجلد الاول من القسم الرابع « الصفحة ج » الى ان المخطوط الوحيد لهذا القسم موجود في الرباط وقد جلبوه منها وطبعوه ، أما باقي القسم فلم يشيروا الى مكان وجوده ، ولم أعثر له على أثر في فهارس المخطوطات التي اطلعت عليها .

(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥٠ .

(٤) احكام صنعة الكلام ، ٢٣٢ .

في مكانه (١) ، وكان من العجيب أن تقع ترجمة الثعالبي في هـــذا الخرم (٢) .

لقد بخل القدماء على أدب الثعالبي بدراسة وافية ، وأبت الأقدار إلا أن تبخل علينا بما كان يمكن ان ننتفع به من دراسات .

أما المحدثون فقد اكتفى كثير منهم باللمحة السريعة ، أو الاشارة العابرة ، وذهبوا مذاهب شتى في كيل الاطراء لأدبه دون أن يقدموا دراسة وافية تهتم بالمؤثرات والظواهر ، من ذلك ماقاله العلامة بطرس البستاني : « ولا يخفى ان الثعالبي كان من أشهر ائمة العربية ، بارعاً في سائر الفنون ، كثير الاطلاع ، غزير المادة ، شاعرا ، ناثرا ، أديبا ، رقيق العبارة ، دقيق المعاني كثير النادرة ، وافر الفاكهة » (٣) .

اما الاستاذ جرجي زيدان فوصف الثعالبي بأنه : « خاتمة مترسلي العصر العباسي الثالـــث وأهم ادبائه ونعم الخاتمة » ووصفه بأنه :

---

(١) أشار مرجليوث الى مكانه في طبعته الثانية ٤ : ٢٨٩ ولما نشـر الكتاب في مصر سنة ١٩٣٦ لم يستطع الناشر ان يعثر على مايسد بـــه الخرم فأشار الى مكانه ايضا . الطبعة المصرية من معجم الادباء ، ١٢ : ٥٧ .

(٢) وقع الخرم بين ترجمتي عبد الله بن برى وعبيد الله بن محمد ولما كان تسلسل التراجم قائما على التسلسل الابجدى لأسماء الأدباء فلابد من أن يكون اسم « عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي » بين هذين الاسمين .

(٣) دائرة معارف البستاني ٦ : ٣١٦ .

« شاعر مطبوع » (١) .

واقتصد الاستاذ أحمد امين في حكمه حيث قال عنه : « كان أديبا بليغا في أسلوب أهل زمانه في السجع والاستعارة والتشبيه » (٢)

وذهب الدكتور أبو الفضل ابراهيم الى أن الثعالبي « كان شاعرا صافي الديباجة ، لطيف التخيل خفيف الروح ، شائق اللفظ ، رشيق المعنى ، بعيدا عن التكلف والتعقيد ، كما كان كاتبا متخير اللفظ ، سهل الاسلوب ، مليح التصرف ، رائق الفكر ، صادق الوجدان » (٣) على حين رأى الاستاذ عبد الفتاح الحلو انه كان « يقول الشعر على طريقة المتأدبين والكتاب المترسلين ، فهو يعتبره فنا له أشكاله وقوانينه اكثر منه فنا يعتمد على الالهام وانتفاضة الشعور ، ومن هنا جاء شعره اقرب الى الصنعة ، والصق بالمحسنات اللفظية » (٤) .

وحكم الدكتور ذبيح الله صفا بان الثعالبي « أديب إيران الكبير » وانه « كان استاذا في صناعة النثر المصنوع منه ، والمرسل السلس معا » (٥) ، وذهب المستشرقان « هـ . أ . جب » و « نيكلسون » الى مثل ذلك فعدا بديع الزمان الهمداني والثعالبي أشهر أديبين في عصرهما (٦) .

ويشبه ذلك ماذهب اليه الاستاذ حنا فاخوري حيث قال بحق

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ ـ ٤ : ٥٨٦ .

(٢) ظهر الاسلام ١ : ٢٧٢ .

(٣) ثمار القلوب ـ مقدمة المحقق ـ ٦ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ـ مقدمة المحقق ـ ١٧ .

(٥) تاريخ أدبيات در ايران ٦٤١ .

(٦) المدخل في الادب العربي ٩٣ وتاريخ الادب العباسي ١٤٣ .

الثعالبي: « نبغ في الادب حتى كان من اكبر ادباء عصره » (١) .

ذلك جل مايطالعنا من آراء قيلت في أدب الثعالبي ، وقد رأينا أن اكثرها لايخرج عن محاولة اطراء او لمحة سريعة ينقصها النظر العلمي الجاد .

إننا لو أخضعنا أدب الثعالبي للدراسة العلمية الرصينة ، مستعينين على ذلك بفهم عميق للتيارات الأدبية التي سادت في عصره وبيئته ، لخرجنا بنتائج قد تكون أقرب الى الدقة وادنى الى الصواب .

لقد كان الثعالبي كاتبا يستمد مقومات فنه من أساليب كتاب عصره ومن سبقهم قليلا ، وكان شاعرا طرق أغراض الشعر بأساليب شعراء عصره ومن تقدمهم من المحدثين ، فأدبه صورة صادقة من أدب عصره وبيئته .

على اننا حين ننظر الى أدب الثعالبي من هذه الزاوية ، لانقلل من أهمية العامل الفردى الذى يتمثل في الموهبة الشخصية ، وظروف البيئة الخاصة بالأديب نفسه ، وقد كان أدب الثعالبي تعبيراً عن مزيج متجانس من آثار البيئتين العامة والخاصه ، ولهذا كان من الضرورى أن نحاول الخروج بصورة متكاملة لهاتين البيئتين تمهيداً لفهم خصائص ومزايا قد لانجد لها تعليلا مقبولا الا في بواعث بيئية عميقة .

لقد عاش الثعالبي في شرق فارس ، في النصف الثاني من القرن الرابع والثلث الاول من القرن الخامس الهجرى ، وتنقل بين مدينته نيسابور ومدن خراسان الأخرى ، وزار بلاط السامانيين في بخارى ، وقصر قابوس بن وشمكير في طبرستان وقصر خوارزم شاه في

---

(١) تأريخ الادب العربي ٧٦٥ .

الجرجانية ، وبلاط الغزنويين في غزنة ، ثم عاد بعد طواف طويل ليقضي بقية عمره في نيسابور ، وقد كان حكام الدول التي زارها من الأعاجم الذين حاول بعضهم أو اكثرهم بعث اللغة الفارسية ، ولكنهم كانوا مضطرين للابقاء على اللغة العربية وآدابها ، ولا أدل على ذلك من اجتماع رهط كبير من أدباء العربية وعلمائها ببخارى ايام السامانيين (١) .

وفي ظني ان من اهم اسباب استمرار نشاط الحركة الأدبية العربية في شرق فارس رغم دعوة الامراء الى بعث الآداب الفارسية ، هو كون اللغة العربية قد عاشت على ألسنة القوم أربعة قرون حتى غدت جزءاً من شخصيتهم ، فهي لغة دينهم وسياستهم وأدبهم وتخاطبهم ، فلم يكن بامكان الدعوة الشعوبية ان تنال منها بين ليلة وضحاها ، ولاسيما أن اللغة الفارسية نفسها كانت قد أصابها الاهمال الطويل حتى لم تعد قادرة على ان تقف ندا للغة العربية بحيث أضطر الفردوسي وأمثاله من أدباء الفارسية الأوائل ومن تلاهم الى أن يستعملوا كثيرا من المفردات العربية في ادبهم الفارسي رغم ماكان من تعصبهم على كل ماهو عربي .

فاذا أضفنا الى ذلك ماكان من صلة وثيقة بين أمراء هذه الدول ومقر الخلافة الاسلامية ببغداد ، وماكان يقتضيه ذلك من سفارة

---

(١) ذكر الثعالبي اسماء جماعة منهم في يتيمة الدهر ٤ : ١٠١ .

ومراسلة لابد من استعمال العربية معها (١) ، مع ماكان من أثر الشعور الديني في الابقاء على قدسية اللغة العربية في النفوس ، عرفنا لماذا اضطر الحكام في المشرق الاسلامي الى أن يمدوا ايديهم الى الادب العربي راغبين او مرغمين ، ويحرصوا على ان يحيطوا أنفسهم ويزينوا قصورهم بأدباء العربية حرصا منهم على كسب رضى الناس ، واستكمالا لابهة الملك ، وقد أدرك الأدباء ذلك ، فراحوا ينتجعون من القصور مايجدون فيه رواجا اعظم لبضاعتهم ، وخير دليل على ذلك ماحفل به القسم الرابع من يتيمة الدهر من أخبار نقلة كبار ادباء العربية بين عواصم المشرق الاسلامي انتجاعا للمال والشهرة .

لقد قدر للثعالبي أن يعيش في عصر الصراع بين التيارين العربي والفارسي وأن يكون من أدباء الجيل الذى يمثل أدبه آخر نهضة مرموقة للادب العربي في المشرق الاسلامي .

ولقد احس الثعالبي ـ عندما استكمل اسباب فنه في صدر شبابه ـ أن لاسوق لبضاعته إلا في قصور الأمراء ، فما كان منه إلا أن قصد بخارى ليجد لنفسه مكانا بين مشاهير من ضمتهم من الأدباء ، كالمأموني والواثقي وابي الحسن اللحام وابي محمد بن مطران الشاشي وابي

---

(١) نقل ابو اسحق الصابي صورا من الرسائل التي كانت ترد على بغداد من حكام المشرق منها رسالة السلطان محمود الغزنوى الى الخليفة القادر بالله . الجزء الثامن من تاريخ الصابي المطبوع مع ذيل تجارب الامم للروذراوري ٣٤١ ـ ٣٤٥ .

جعفر بن العباس بن الحسن الوزير وغيرهم (١) ولعله كان يطمح الى ان يبلغ مابلغه بعض الادباء من مناصب الدولة الرفيعة (٢) ، ولكن الحظ لم يحالفه لما كان من اضطراب امور الدولة السامانية ايـــام وجوده في عاصمتها فعاد الى مدينته نيسابور صفر اليدين مما كان يطمح اليه .

ولم يلبث أن عاوده حلمه القديم بالجاه والشهرة ، فما كان منه إلا أن انتجع قصر الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير الزياري ، وكان الامير أديبا (٣) بلغ من حبه الأدب أنه كان يغري من يقصده من سفراء امراء الدول الاخرى بالبقاء عنده بوسائل شتى إن توسم فيهم الموهبة الادبية (٤) .

---

(١) ذكر الثعالبي اسماءهم مع رهط من ادباء بخارى الاخرين وترجم لهم جميعا في يتيمة الدهر ٤ : ١٠١ وما بعدها .

(٢) ذكر الثعالبي أن أبا عبد الله الحسين بن محمد والد ابن العميد تقلد ديوان رسائل الملك نوح بن منصور الساماني « يتيمة الدهر ٣ : ١٥٩ » وأشار الى تقلد كبار الأدباء مناصب عالية في الدولة الغزنوية ، تتمة اليتيمة ٢ : ١١ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) حفلت ترجمته في يتيمة الدهر ٤ : ٥٩ وفي معجم الادباء ٦ : ١٤٣ بقطع من نثره وقدم الدكتور زكي مبارك دراسة وافية عن أدبه في كتابه النثر الفني في القرن الرابع ٢ : ٢٧٧ .

(٤) أشار الثعالبي الى محاولته اغراء ابي عبد الله محمد بن حامد ، وزير خوارزم شاه ومشيره ، بالبقاء عنده حين قصده سفيرا من الجرجانية ، يتيمة الدهر ٤ : ١٤٩ .

ولقد حظي الثعالبي بالقبول عند الامير حين قدم له كتابه « المبهج » الذى أرضى به ذوقه ، فقد كان هذا الأمير مولعا بالأقوال الموجزة البليغة ولعاً مفرطا على عادة أدباء عصره .

أما في الجرجانية عاصمة الدولة الخوارزمية فقد استطاع الثعالبي أن يحظى بمكانة أعلى مما احتله في طبرستان ، ذلك أن الامير أبا العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه كان أديبا ناقدا ذواقة ، قال فيه الثعالبي : « جدد رسوم العلم بعد أن نسجت عليها العنكبوت ، وأحيا أنواع الآداب وقد كادت أن تموت ، فهو يحبها حب المحسن لمن أحسن اليه ، ويحرص عليها حرص النفس على تنفس الهواء ويطلبها طلب طير الماء للماء » (١) .

ولقد نظم الثعالبي أكثر من قصيدة ومقطوعة في مدح خوارزم شاه ، وكتب له كتابه « نثر النظم وحل العقد » وهو الكتاب الثاني الذى قصره على عرض بضاعته الخاصة من الاسلوب الانشائي ، بالشكل الذى اراده الامير منه (٢) ، فكان ذلك دليلا اخر على تأثر أدبه بأذواق من يتصل بهم من الحكام .

ولما اضطربت أمور الدولة الخوارزمية فارقها الثعالبي ، وظن أنه سيجد في غزنة مالم يجده في العواصم التي زارها ، فقد كان الامير يمين الدولة محمود بن ناصر الدين سبكتكين الذى حكم اكثر من ثلاثين سنة رجلا محبا للعلم والأدب ، ذكر عنه انه « كان عاقلا دينا

---

(١) اللطائف والظرائف ، ٣ .

(٢) اشار الثعالبي الى ذلك في مقدمة الكتاب ٢ .

خيرا ، عنده علم ومعرفة . وصنف له كثير من الكتب في فنون العلوم، وقصده العلماء من اقطار البلاد ، وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويحسن اليهم » (١) .

ويبدو أنه كان أنشأ مكتبة ضخمة في غزنة نقل اليها ما استولى عليه من كتب في غزواته (٢) ، وجرى على ذلك من خلفه (٣) ، ولم يكتف بذلك ، فقد كان يطمع في ان يزين بلاطه باعاظم علماء وادباء العصر حتى طلب الى خوارزم شاه ان يرسل إليه من عنده من العلماء كابن سينا والبيروني ، فلبي بعضهم الدعوة ، وامتنع آخرون ، وكان ذلك مدعاة لظن بعض الباحثين ان السلطان كان يعتمد على البطش في استقدام العلماء او اساءته معاملتهم (٤) ، والحقيقة هي ان العلاقة بين السلطان وخوارزم شاه كانت من القوة بحيث تسمح للسلطان أن

---

(١) الكامل في التاريخ ٩ : ٤٠١ .

(٢) ذكر ابن الاثير ان السطان محمود بن سبكتكين فتح الرى سنة ٤١٩ هـ واحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجوم وأخذ من الكتب ماسوى ذلك مائة حمل . الكامل في التاريخ ٩ : ٣٧٢ .

(٣) نقل الامير ابو سهل الحمدوني كتب أبي علي بن سينا الى غزنة من اصبهان عندما فتحها سنة ٤٢٥ هـ . الكامل في التاريخ ٩ : ٤٣٦ .

(٤) المدخل في الادب العربي ٩٧ وتاريخ الادب العباسي ٣٩ وتاريخ الادب في ايران ١١٣ .

يطلب الى الامير مثل هذا الطلب (١) .

لقد كان بلاط السلطان محمود في غزنة مقر حركة علمية وأدبية واسعة ، ولم يكن يغض من اهتمام السلطان بالعلوم والآداب الا انشغاله بامور الجهاد في فتح الهند .

وربما كان من سوء حظ الثعالبي انه لم يكد يستقر في غزنة حتى صادف خروج السلطان الى الغزو ، فاضطر الثعالبي الى اللجوء الى الأمير أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين ، وقد كان الأمير كثير الاهتمام بتاريخ فارس ، ولعله اشار على الثعالبي ان يؤلف له « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » ففعل .

ولما عاد الثعالبي الى نيسابور لم يجد غير صديقه الأمير ابي الفضل الميكالي راعيا ومشجعا ، فمدحه باكثر من قصيدة ، ثم خص الأمير ابا سهل الحمدوني بعد توليه نيسابور بقصائد اخرى .

ولما زار السلطان مسعود نيسابور في طريقه الى بغداد استلهم الثعالبي قريحته ، فمدح السلطان ورجال حاشيته ، وألف كتبا جديدة ، واختصر اخرى واهداها لهم متفننا في كيل المديح لهم في مقدماتها .

لقد كان محور أدب الثعالبي هو ذوق الحكام وما ترتضيه الطبقة العليا من المجتمع ، وذلك هو محور الأدب كله في عصره وبيئته ، ولهذا يكاد الحديث عن سمات أدب الثعالبي يكون صورة

---

(١) كان خوارزم شاه زوج اخت السلطان محمود ، الكامل في التاريخ ، ٩ : ٢٦٤ .

من الحديث عن أدب بيئته ، لولا أنه انفرد بأمور أوجبتها نشأته وشخصيته وأسلوب حياته الخاصة .

لقد كان الثعالبي أديبا موهوبا ، لكنه وقف جل وقته وجهده على تأليف الكتب التي كانت تجد سوقا رائجة لـدى ملوك العصر ورؤسائه ، فحد ذلك كثيرا من نزعه للابداع الفني في ميداني الشعر والنثر ، وقد كان لنشأته اثر كبير في أدبه ، ذلك انه نشأ في عائلة فقيرة لم تتح له ظروفها المادية ان يـدرس على شيوخ كبار يزودونه بما كانوا يزودون به من يتفرغون لتدريسه من ابناء الاسر الغنية ، فحرم مما تلقاه ادباء معاصرون له كابن العميد وابنه ابي الفتح والصاحب بن عباد وغيرهم ، ولكنه رغم ذلك استطاع ان يحصل على قسط من الثقافة بوسائل لم يكن من بينها المال .

وقد استمد الثعالبي بعض مزايا اسلوبه من اسلوب شيخه الخوارزمي وصديقه ابي الفتح البستي وبديع الزمان الهمداني ، فغلب السجع على نثـره ، وغلب الجناس على شعره ، وطغى التأنق على الفاظه ومعانيه

أما ماكان من اشتغاله بالتأديب في صدر حياته ، فقد ترك في أدبه اثرا واضحا يتجلى في الروح التعليمية التي رسمت كثيرا من شعره ونثره بميسمها .

لقد كان أدب الثعالبي صورة حية من أدب عصره وبيئته ، وصورة صادقة لحياته المضطربة ، وسنبني دراستنا على هذين الأساسين مستعينين بالمنهج الاقليمي الذي طبقه الثعالبي على دراسة ادب رجال

عصره في دراسة ادبه هو .

ولما كان الثعالبي كاتبا أشهر منه شاعرا رأينا ان نقدم الحديث عن خصائص نثره على الحديث عن خصائص شعره ، متلمسين بواعث خصائص كلا الفنين في عوامل البيئتين العامة والخاصة ، لان الأدب مرآة حياة الاديب ، وصدى لما يعتمل في نفسه من بواعث لابد من محاولة حصر مايمكن حصره منها لتكون الدراسة أقرب الى روح العلم والحقيقة .

الفصل الاول

نثـــره

خصائصـــه

لابد لنا قبل الخوض في الحديث عن نثر الثعالبي من القاء نظرة سريعة على مراحل تطور خصائص النثر العربي منذ نشوئه حـــتى بلوغه مابلغه على يد جيل الثعالبي من الادباء ٠

ولعل أقدم مايطالعنا من صور النثر الفني العربي لايعدو ماتناقلته الرواة والكتب من أمثال العرب وخطبهم وأسجاع كهانهم في الجاهلية، اما الكتابة الفنية فقد اختلف مؤرخو الادب في تحديد الفترة التي عرفها العرب فيها، فذهب بعضهم الى انه « كان للعرب قبل الاسلام نثر فني يتناسب مع صفاء أذهانهم وسلامة طباعهم ولكنه ضاع لاسباب اهمها شيوع الامية وقلة التدوين وبعد ذلك النثر من الحياة الجديدة

التي جاء بها الاسلام ودونها القرآن » (١) وذهب آخرون الى القول بأن الكتابة الفنية « نشأت في المجتمع العربي عند حاجة الدولة اليها بعد ان تطور شكلها، وتعقدت أمورها وكثرت دواوينها » (٢) ومعنى ذلك أنها نشأت بعد الاسلام بزمن ليس بالقصير .

وتتراوح الآراء بعد ذلك بين هذين الرأيين .

والراجح عندى أن الكتابة الفنية لم تكن موجودة في الجاهلية ، على ان ذلك لايعني عدم وجود الكتـابة في شؤون حياتية قد تكون باللغة الاعتيادية ، فـلابد أن يكون هناك مراسلات من نوع لم يستقم معه التعمد الفني الذى نجده في أشعار العرب مثلا ، ولهذا لم تبهر الكتابة بفنها أحداً ، ولم تحفظ الرواية منها مثل ما حفظت من الشعر الذى بهر الناس بغرابته وسهولة حفظه حتى تناقلته الرواة .

ولما جاء الاسلام ، وخرج العرب من باديتهم ، وسكنوا الامصار ،

---

(١) ذهب الدكتور زكي مبارك الى ذلك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع ١ : ٣٤ وظاهر انه يقصد بـ« النثر الفني » الكتابة الفنية ، لانه أدرى الناس بما لم يضع من صور النثر الجاهلي . ونـحن إن وافقناه على رأيه فلا يمكن أن نقبل أن من أسباب ضيـاع صور الكتابة الفنية عدم موافقتها الحياة الاسلامية الجديدة ، ذلك ان الرواية الاسلامية نقلت صورا شعرية جاهلية لايوافق الكثير منها الحيـاة الاسلامية وارتضت دراسته والاستشهاد به لفهم لغة القران الكريم نفسـه ولا يعقل أن يقبل الحرام شعراً ولا يقبل نثراً .

(٢) تأريخ النقد الادبي من القرن الخامس الى العاشر الهجرى ٢٨٠ .

واستوعبوا ثقافات الامم التي اختلطوا بها ، واتسعت رقعة الدولة اتساعا لم يكن معه بد من التوسع في المراسلات لادارة شؤونها ، اذ دعت الحاجة الى استعمال الكتابة الديوانية ، فشهد هذا اللون من الكتابة الفنية تطورا سريعا ابتعد به عن سمات بذوره البكرة التي شهدنا اثارها في كتب الخلفاء الراشدين ، وكان هذا التطور يجري على ايدى كتاب من العرب والمتعربين لم يلبثوا ان خرجوا بفنهم الى مواضيع أدبية بعد ان خفت حاجة الدواوين اليهم ، فزاحموا الشعر في ميدانه واغراضه ، « وكانت رسائل الوصف والاخوانيات والعتاب والروضيات ورسائل الهجاء والمديح ، بل كانت رسائل الفلسفة والرسائل العلمية والرسائل الخيالية » (١) .

ولاشك ، بعد ذلك ، في ان الكتابة الفنية العربية ولدت عربية خالصة ، في مجتمع عربي متحضر أفاد من تراثه اللغوى والادبي ، واضاف اليه مايلائمه من آثار حضارات الامم التي اختلط بها ، أما أن يقال إن الكتابة الفنية العربية مستمدة من عقول فارسية أو يونانية أو رومية استنادا الى كون عبد الحميد أو ابن المقفع أو الصوليين أو البرامكة من أصول غير عربية فمحض وهم أو افتراء ، ذلك ان هؤلاء الكتاب كتبوا باللغة العربية ، وعاشوا في بيئة عربية حتى نسوا لغتهم القومية ونبذوا كثيرا من اخلاقهم وعاداتهم ورسومهم مما لاترتضيه الحياة العربية الاسلامية التي دخلوها طائعين او كارهين ، أو ولدوا فيها ، فطبعتهم بطابعها ، ولاجدال في أن أثر الجنس أضعف

(١) تاريخ النقد الأدبي من القرن الخامس الى العاشر الهجرى ٣٠ .

من ان يقاوم أثر البيئة في نفس الأديب وشخصيته ، ولهذا كله يمكننا أن نعد أدب هؤلاء الكتاب مظهراً من مظاهر التطور الذى كان لابد من أن تخضع له الكتابة الفنية العربية التى تمتد جذورها الاولى في الحياة الجاهلية وصدر الاسلام الاول .

أن تطور الحياة السياسية الاسلامية كان من أهم بواعث تطور النثر العربي ، حتى تعددت اغراضه وتشعبت فنونه ، وبرز كتاب عظام نالت كتبهم شهرة لم تنلها كثير من دواوين معاصريهم من الشعراء ، وحظيت بعض الرسائل الفنية بما لم تحظ به قصائد معاصريهم من الشهرة والذيوع .

وما إن أشرف القرن الرابع الهجرى حتى كان النثر الفنى يتخذ لنفسه أساليب معينة وسمات مميزة ، فلما انقسمت الدولة الواسعة الى دويلات مستقلة او شبه مستقلة ، واختص الادباء ببيئاتهم لايغادرونها الا لماما ، برزت سمات فنية خاصة بكل بيئة، ولكن النثر العربي ظل خاضعا لقدر مشترك من السمات في بيئاته الأدبية المختلفة ومن تلك السمات العامة : غلبة الالتزام بالسجع ، والتعلق بفنون البديع تعلقا بلغ حد الافراط .

ومن المعروف أن السجع فن عربي قديم استعمله الكهان في نبوءاتهم ، وكان يغلب على خطب العرب وأمثالهم في الجاهلية ، ولعل نزول القرآن الكريم مسجوعا دليل قاطع على تعلق العرب بالسجع

واعجابهم به (١) ، كما أن الأحاديث النبوية الشريفة لم تخل من السجع ، ذلك ان الاحاديث النبوية الشريفة لم تخرج عن اساليب العرب المعهودة ، حتى ذهب بعض النقاد الى القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم « كان يتوخى السجع ، فمنه ماروي عنه عليه السلام من أنه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام ، فقال : اعيذ كما من السامة والهامة وكل عين لامة . وإنما أراد (ملمة) فلانباع الكلمة بأخواتها في الوزن قال (لامة) (٢) .

وقد أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديث أنكر فيه على رجل تشادقه لانكار دية وجبت عليه فقال : « اسجعا كسجع الجاهلية ؟ » فكان قوله عليه السلام مدعاة جدل بين البلاغيين ، حتى ذهب بعضهم الى تحريم استعمال السجع (٣) ، ودفع ذلك آخرون (٤) .

---

(١) ذهب الأشاعرة الى نفي وجود السجع في القرآن الكريم بحجة ان يتبع المعنى فيه اللفظ ، وأن القرآن الكريم لايتبع معناه لفظه . اعجاز القران ،٨٨ .

ولعل الأمر على خلاف مازعموا ، فان السجع لايشترط فيه ماذوكره ، ولم يقل بذلك احد غيرهم ، وكل مايمكن ان يقال هو ان السجع القرآني إن كان لايبدو عليه الافتعال واكراه المعنى على الانقياد للالفاظ فان ذلك دليل على براعة السجع فيه ، لاعلى انتفاء وجوده فيه .

(٢) نقد الشعر ٣٩ .

(٣) المستطرف من كل فن مستظرف ٢ : ٢٤٩ ولسان العرب مادة « سجع » .

(٤) البيان والتبيين ١ : ٢٧٣ .

ولعل هذا الحديث كان ذا أثر في الحد من استعمال السجع في عصر النبوة وبعده قليلا ، اننا لاننكر ماكان من نفور قلوب المسلمين الاوائل من التشبه بالكهان في اسجاعهم (١) ، ومع ذلك لم يخل النثر الاموى من السجع تماما ، وكذلك الامر في العصر العباسي الأول الذى القت الحضارة فيه ظلها على أساليب الكتاب فمالوا الى التأنق والتنميق ، مع ماكان من ابتعاد العرب عن عصر الكهانة وزوال ماكان في النفوس من آثار النفرة من اسجاع الكهان .

ولم يشهد القرنان الثاني والثالث الهجريان افراطا في استعمال السجع ، ولكن ما إن أشرف القرن الثالث على نهايته حتى راح كتاب بغداد وعلى رأسهم وزراء الخليفة المقتدر بالله وكتاب ديوانه يكثرون من استعمال السجع في مراسلاتهم (٢) ، ثم تابعهم كتاب الاطراف والاقاليم على ذلك .

وكان من الطبيعي ان يتقبل كتاب المشرق الاسلامي الاسلوب الجديد قبولا حسنا ، ويتفننوا في استعماله .

---

(١) ذهب آدم متز الى ان قلة السجع في صدر الاسلام جاءت من نفرة العرب من اسجاع الكهان ، تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ٢ : ٤٤٤ .

(٢) نقل ياقوت في ترجمة محمد بن جعفر بن ثوابة نص الرسالة التي كتبها عن المقتدر بالله الى البلدان في وزارة ابن الفرات الثانية « معجم الادباء ٦ : ٤٦٣ » . ويبدو في هذه الرسالة ميل الكاتب الى اصطناع السجع الذى لم يسلم معه من التكلف احيانا .

إن الشعب الفارسي « فنان ذو غريزة زخرفية قوية » (١) ، ولعلنا لانجانب الصواب إذا قلنا إن البيئة الفارسـيـة احدثت في طبائع ابنائها منذ القدم هذا الميل الى التناسق والتشاكل في مظاهر حياتهم كلها ، ولاسيما الفنون الزخرفية التي برعوا في إبداع الطرق الرائعة منها ، ولقد حاولوا أن يجدوا لهذا الميل متنفسا في ميدان الأدب العربي الذى قدر لهم أن يزاولوه بعد دخولهم الاسلام ، فكان لهم في فنون البديع مخرجا اقتصدوا في استعماله أولا ، فلما أفرط كتاب بغداد في استعمال السجع راح الكتاب الفرس يصطنعون من القلم آلة يحوكون بها سجاداً من الكلام المزخرف المطرز بفنون البديع التي غدت رسما من رسوم الكتابة يكاد لايستغنى عنه أحد .

ولعل بروز نجم ابن العميد - شيخ جيل الثعالبي من الكتاب - في التفنن في اصطناع فنون البديع لم يكن من باب المصادفة ، فقد كان فنانا موهوبا روى عنه ابن مسكويه أنه كان « يتناول من مجلسه الذى يخلو فيه بثقاته وأهل أنسته التفاحة ومايجرى مجراها فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها وعليها صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمد لها غيره بالالات المعدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ، ولا تأتى له مثلها » (٢) .

ولئن فاق كتاب المشرق الاســلامي غيرهم في الميل المفرط الى استعمال فنون البديع لقد اتسم أدبهم بسمات أخرى قد لانجانب

---

(١) الادب في ظل بنى بويه ٢٩٩ . نقلا عن تأريخ الفنون الايرانية .
(٢) تجارب الامم ٢ : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

الصواب اذا قلنا إنهم انفردوا بها عن كتاب البيئات الاخرى متأثرين بما كانت تمليه بيئتهم السياسية والاجتماعية والنفسية الخاصة عليهم ، إذ إن من المعروف مثلا ان العلاقة بين الفرس وحكامهم تتسم بالخضوع المطلق الذى يكاد يكون نوعا من العبادة ، وقد فرض ذلك ظله على حياتهم كلها ، وكان من آثاره في نفوسهم ميلهم الى المبالغة في كل شيء ، ونتج عن ذلك شيوع الغلو في أدبهم كالذى نلاحظه في أسلوب ابي بكر الخوارزمي في اغراضه المختلفة (١) ، ومثل ذلك مانلاحظه من شيوع ألقاب التفخيم في مقدمات الرسائل وخواتيمها (٢) .

وقد كان من آثار الروح الفارسية في أدب البيئة الشرقية ميل الكتاب الى الاقوال البليغة الموجزة التي تلائم الذوق المثقف ، وتصدر عن فكر عميق ، هذبه العلم ، وصقلته كثرة مدارسة الحكمة والفلسفة ، وبالرغم من شدة الشبه بين ماكتبه الفرس من هذه الاقوال ، وما حفل به التراث العربي القديم منها فان بين بواعثها فرقا كبيرا ، ذلك ان الامثال العربية صدرت عن عقول مجربة ، بينما كانت أقوال الكتاب الفرس تصدر عن عقول مثقفة .

ومما تميزت به أساليب الكتاب الفرس ترف الألفاظ ورقتها ، والميل الى استعمال الالفاظ السهلة والمعاني الخفيفة ، وتجنب الالفاظ الكزة

---

(١) في الادب العباسي ٧١ ، ٧٣ ، والفن ومذاهبه في النثر العربي ٢٣٥ .

(٢) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ١٩٣ .

الغايظة والتكلف والمعاظلة (١) .

وجر الاهتمام بالصناعة اللفظية الى اهتمام من نوع آخر وهو ولع بعض الكتاب الألاعيب اللفظية التي استغرقت كثيرا من جهودهم ، ولعل بديع الزمان الهمداني كان أبرز القوم في هذا الميدان ، فقد كان يكتب كتبا تقرأ من أولها فتكون كتابا وتقرأ من آخرها فتكون جوابا ، او يكتب كتبا خالية من أحرف معينة ، أو كتبا أول سطورها جميعا حرف معين (٢) ليدل على مهارتـــه ويفوز باعجاب الناس دون اولئك الكتاب العباقرة الذين قدر له أن ينافسهم وأن لايحظى بالشهرة الا اذا تغلب عليهم .

وقد تعددت الأغراض التي تناولها الكتاب الفرس ، ذلك ان الكتابة الفنية خرجت من طوق الرسائل الديوانية منذ عهد بعيد ، واستعملت في مرافق الحياة العامة ، فـــكان لهم رسائل في المديح والهجاء والتهنئة والرثاء والاستعطاف والعتاب وغير ذلك من الاغراض التي اقتصرت قديما على الشعر (٣) .

ان اغراض واساليب النثر الفني الذى ابدعته قرائح الكتاب الفرس في القرن الرابع الهجرى كانت تعبيرا عن الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية التي سادت العصر ، ولهذا اصبح بالامكان فهم

(١) اشار ابو هلال العسكرى الى مثل هذه الشروط في الفصل الذى كتبه فيما يحتاج الكاتـب الى ارتسامه وامتثاله في مكاتباته . الصناعتين ١٦٠ ـ ١٦٦ .

(٢) يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ .

(٣) في الادب العباسي ٧٠ .

جوانب تلك الحياة فهما شاملا عن طريق دراسة هذا التراث الأدبي الضخم الذى حمل سمات البيئة وعبر عن مظاهرها اصدق تعبير .

ويمثل نثر الثعالبي جانبا من هذا التراث ، حتى يكاد الحديث عن خصائص النثر في البيئة الشرقية يكون حديثا عن خصائص نثر الثعالبي نفسه . فبالرغم من ان الرجل ابدع صوراً أدبية خلدت اسمه بين مشاهير كتاب عصره ، فانه لم يكن ليتميز منهم كثيرا أو يخالفهم فيما دأبوا عليه من اساليب تصطنع التأنق في اللفظ ، وتميل الى التعمق في المعنى الحضاري الذى يرضي الذوق المثقف .

لقد عاش الثعالبي في عصر قدر للروح الفارسية فيه ان تنطلق من عقالها بفعل الظروف السياسية التي اتاحت للفرس السيطرة على مقر الخلافة ، ولعل من ابرز مظاهر ذلك الانطلاق في ميدان الأدب ما استنه كبار الكتاب كابن العميد والصاحب بن عباد وقابوس بن وشمكير من التأنق المفرط في الاساليب والميل الى السجع وفنون البديع وتابعهم عليه كتاب المشرق الاسلامي الآخرون كالخوارزمي والهمداني والثعالبي وغيرهم .

لقد عبر الثعالبي عن ميله الى التأنق في الأسلوب ، وغدا السجع ضروريا للبليغ حتى ذهب في وصفه أحد البلغاء الى القول : « البلاغة خالصة لديه ، ومقصورة عليه ومركبة فيه ، ومسخرة لطاعته ، ان مدح سجع ، وان انشى ابدع » (١).

على ان هذا الاعجاب لم يكن يعني عند الثعالبي تعقيد الأسلوب وترعيره ، فقد كان يعجب كثيرا بالاسلوب السهل الواضح الذى يعلق

(١) سجع المنثور ورقة ٢ ظهر .

بالقلب دون عناء ، فيكرر مثل قوله: « أبلغ الكلام مايؤنس مسمعه ويؤيس مصنعه » (١) ومثل قوله « أبلغ الكلام ماحسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وناسبت صدوره أعجازه » (٢) .

ولنا ان نشير بعد ذلك الى ان الثعالبي لم يلتزم بالسجع والمحسنات البديعية التزاما تاما في كل ماكتبه فخالف ما اعتاده بلغاء عصره ، ذلك ان كثيرا من نثره جاء مرسلا يكاد يخلو من المحسنات البديعية كقوله في ترجمة الوائقي : « ومن خبره أنه كان نزع بأهله الى الحضرة ببخارى ، راجياً أن يحل بها محل أقرانه من أولاد الخلفاء وأمثاله ، أو يقلد من أحد عمل البريد والمظالم ببعض الكور مايصلح من حاله ، فلم يحصل من طول الاقامة بها وكثرة الخدمة لأركانها على شيء ، وضاق به الأمر ، فذهب مغاضبا يتوغل بلاد الترك إلى أن ألقى عصاه بحضرة عظيمها نهر أقا خان ، ومازال يعمل لطائف حيله ودقائق خدعه حتى استمكن منه ، واختص به ، وزين له ماكان في نفسه من إزالة الدولة السامانية والاستيلاء على المملكة . . » (٣) .

لقد كان لثقافة الثعالبي الخاصة أثرها في هذه السمة التي خالف بها تيار عصره احيانا ، فقد كان الرجل معجبا بأساليب العرب

---

(١) المبهج ٤٥ ، والتمثيل والمحاضرة ١٥٨ ، ونثر النظم وحل العقد ١٣ .

(٢) المبهج ٤٤ ، والتمثيل والمحاضرة ١٥٨ .

(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٩٢ .

القدامى ، متأثرا الى حد كبير بالاسلوب القرآني (١) وأساليب النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين (٢) ، ونحن لاننكر ماللشعور الديني من اثر في مثل هذا الاتجاه ، ولكن اقبال الثعالبي على دراسة الاسلوب القرآني فاق مايقتضيه الشعور الديني وحده ، ولنا ان نرجع الى مقدمة كتاب« فقه اللغة » لنرى ان القران الكريم كان من اهم العوامل التي تكمن وراء تعلقه باللغة العربية ، وميله الى دراسة علومها وآدابها (٣) .

لقد استطاع الثعالبي أن يوفق في نثره بين تيارين ادبيين متناقضين ، فهو حين يلتزم بالسجع ويزين أسلوبه بالمحسنات البديعية يكاد لايتخلى عن وضوح المعنى وقرب الفكرة وبساطة التعبير (٤) ، فهو يخضع اسلوبه لطابع العصر ولا يتخلى عن أساليب العرب القديمة في الكتابة الفنية ، ولعل ذلك مادعا معاصريه الى الاعجاب باسلوبه والافتتان به الى حد الحرص على اقتناء كتبه وانتساخها حتى تسير في

---

(١) عقد الثعالبي مقدمة كتاب « الاقتباس من القرآن الكريم ، ورقة ١ وجه وما بعدها » للحديث عن انفراد الاسلوب القرآني بخصائص افردته بالاعجاز وميزته من اساليب العرب المعروفة .

(٢) سبقت الاشارة الى كثرة اعتناء الثعالبي بالاختيارات من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين في كتبه المختلفة .

(٣) فقه اللغة ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٤) وصف الدكتور زكي مبارك نثر الثعالبي بانه « يغلب عليه السجع ، ولكنه بريء من التكلف والغموض » . النثر الفني في القرن الرابع الهجرى ٢ : ١٨٠ .

البلاد ، وتطير في الآفاق (١) ، ويتحفظ الناس مافيها ويستحسنونه (٢) .

على ان الثعالبي لم يختص بفن واحد من فنون النثر المعروفة في زمنه ، ولهذا فان وضع اسمه ضمن اسماء مجموعة مختصة من الكتاب قد لايسلم من الخطأ (٣) .

لقد كتب الثعالبي نماذج نثرية متنوعة ضمنها كتبه المختلفة ، وكتبه على كثرتها وتعدد ألوان مادتها لاتخرج عن واحد من ثلاثة مناهج ، أولها منهج جمع الاقوال وتصنيفها وعرضها دون تدخل من المؤلف ، وجل كتبه من هذا النوع ، وثانيها منهج جمع المادة الادبية او العلمية ودراستها واستنباط الحقائق منها باسلوب المؤلف نفسه ، كيتيمة الدهر وغرر اخبار ملوك الفرس واجزاء متناثرة في ثمار القلوب ومرآة المروءات والاقتباس ، وثالثها منهج يعتمد على أسلوب المؤلف نفسه في العرض والمادة جميعا وله من هذا اللون كتاب المبهج ونثر النظم والقسم الثاني من الباب الثالث من كتاب خاص

---

(١) اشار الثعالبي الى شهرة بعض كتبه في مقدمة التمثيل والمحاضرة ٥ ومقدمة يتيمة الدهر ١ : ١٨ .

(٢) تتمة اليتمة ١ : ١٤٤ اشار الى حفظ ابي المحاسن سعد بن محمد ابن منصور رئيس جرجان أكثر كتابه يتيمة الدهر .

(٣) اعلن الدكتور زكي مبارك عن تردده عند اختيار المجموعة التي يضع اسمه معها ثم وضعه ضمن كتاب الآراء والمذاهب. النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى ٢ : ١٧٩ .

الخاص .

ولا اظن أن كتبه التي خضعت للمنهج الأول صالحة لان تكون مادة لدراسة ادبه ، ولهذا سنعرض لدراسة كتبه التي خضعت للمنهج الثاني ولا سيما أسلوبه في تراجم الادباء ، اما الكتب التي خضعت للمنهج الثالث فستكون مدار دراسة مفصلة .

وبالرغم من أن خصائص اسلوب الثعالبي واحدة في جميع ما كتبه ، إلا أن اختلاف الغرض يسوقه أحيانا الى محاولة التغيير ، ولهذا رأيت أن اخص كل لون من الوان نثره بدراسة خاصة على ان أبدأ بمقدمات كتبه التي تمثل لونا مهما من ألوان كتابته الفنية .

اسلوبه في مقدمات كتبه

أحس الثعالبي أن جهده في مادة كثير من كتبه لا يعدو جهد جمع اقوال العظماء والأدباء ، وتصنيفها ، وحسن عرضها ، فوجد أن لابد له من ان يطلق لقلمه العنان في مقدمتها ليظهر براعته هو في التصرف بفنون القول .

وقد شغلت بعض تلك المقدمات صفحات كثيرة من كتبه ، كمقدمة التمثيل والمحاضرة ، ومقدمة فقه اللغة ، ومقدمة الاقتباس من القرآن الكريم ، ولعل كون الذين اهدى لهم هذه الكتب من مشهوري أو مشجعي الحركة الأدبية هو السبب في تأنقه في تدبيج مقدماتها (١) . على

(١) اهدى التمثيل والمحاضرة لقابوس بن وشمكير وفقه اللغة لابي الفضل الميكالي والاقتباس للامير ابي المظفر نصر بن ناصر الدين .

ان مقدماته في كتبه الاخرى - على قصر كثير منها - لاتخلو دائما من جودة لفظ وطرافة معنى .

ولعل أول مايطالعنا في مقدمات الثعالبي تفننه في التحميد الذى يفتتح القول به ، ويبدو أن الثعالبي كان مفتونا بهذا اللون من الفن حتى عقد الباب الاول من كتابه الاقتباس من القرآن الكريم تحت عنوان « التحاميد المقتبسة من القران الكريم » (١) ولعله استحسن منها ماضمنه بعض كتبه فقال في مقدمة التمثيل والمحاضرة : « اما على اثر حمـــد الله الذى هو أول كتابه وآخر دعوى ساكني دار ثوابه » (٢) ، ثم غير اللفظ وابقى المعنى فقال في مقدمة « نســـيم السحر » : « أما بعد حمد الله الذى هو أول القرآن ، وآخر دعوى أهل الجنان » (٣) .

وواضح أن فكرة هذا التحميد قائمة على اقتباس آيتين من القرآن الكريم ، وهما الاية الاولى من فاتحة القرآن الكريم وهي قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » والاية التى وردت في صفة اهل الجنة وهي قوله تعالى : « واخر دعواهم أن الحمد لله » .

وحرص ابو منصور على ان يكون التحميد ذا دلالة على موضوع الكتاب احيانا ، فهو يقول في مقدمة الاقتباس من القرآن الكريم « الحمد لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ، والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والحمد لله رب

(١) ورقة ٦ وجه وما بعدها .

(٢) ٣ .

(٣) تحقيق ابتسام مرهون الصفار ١٣١ .

العالمين حمد الشاكرين على نعمه التي لايبلغ اقصى حمد الحامدين أوائل حدودها ، ومنحه التي لاتؤدي [نهايات] (١) شكر الشاكرن أداني حقوقها » (٢) ويقول في مقدمة « تحفة الوزراء » : « الحمد لله مبدع الاشياء بمتقن نظرته ، ومودعها لطائف حكمته ، ومصرف الأقدار على مشيئته ، ومدبرها بقدرته ، خلق خلقه أغياراً وأخيافا، ورتبهم منازل واصنافا ، وجعل بعضهم لبعض سخريا ، وفضلهم في الرزق فكانوا فقيراً وغنيا ، وأرضى كلا بما قسم ، فسكنوا اليه متبوعا وتبعا ، وشرع لهم في دينه سياسة امرهم واتباعها شرعا ، حتى دانت الرعية لملوكها ووزرائها وقادتها ، وأعطت طوعاً وكرهاً ذليل مقادها ، فانتظم فيهم التدبير وتم ، وجرى عليهم حكم القضاء فحتم » (٣) وكأنه حين أراد أن يفتتح مقدمة « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » لم يجد خيراً من أن يقول : « أما بعد حمد الله ، مدبر الأفلاك في سمائه ، ومستخلف الأملاك في أرضه » (٤) .

وقد يختصر الثعالبي كثيرا في التحميد فيكتفي بمثل قوله : « اما بعد حمد الله استفتاحا والصلاة على نبيه المصطفى غدواً ورواحا » (٥) ثم يدخل بعد ذلك في الحديث عن الكتاب مباشرة .

---

(١) في المخطوط : (بهـا باب) ، ولا يستقيم المعنى مع هـذا التصحيف .

(٢) ورقة ١ وجه .

(٣) ورقة ١ وجه .

(٤) XLVII

(٥) المبهج ٢ ، اللطف واللطائف ورقة ١ وجه .

إن تأنق الثعالبي في اختيار التحميد الملائم لكتبه قد يدعو الى الظن بأن مقدمات بعض كتبه ناقصة او مغيرة لما يلاحظ عليها من خلوها من التحميد (١) .

لقد اهدى الثعالبي جل كتبه الى عظماء عصره ، فما كان منه الا ان جعل من مقدماتها أبوابا لمديحهم ضمانا لرضاهم وتمهيدا لكسب الحظوة عندهم ، وكان أول ما لجأ اليه هو القاب التفخيم على عادة ادباء عصره ، فقال في تقديم كتاب لخوارزم شاه : « ايام مولانا الملك المؤيد العالم العادل المسدد ولي النعم أبي العباس خوارزم شاه ، أدام الله سلطانه ، وحرس عزه ومكانه ، مواقيت الشرف والفضل » (٢) . وقال في تقديم كتاب آخر للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير : « خير من جمع الله له عزة الملك إلى بسطة العلم ، ونور الحكمة، الى نفاذ الحكم وجعله مبرزاً على ملوك العصر ومدبري الارض وولاة الأمر ، بخصائص من العدل وجلائل من الفضل ودقائق من الكرم المحض لايدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يدرك أقلها بالعبارات ، ومحاسن سير تطرسها أسنة الأقلام ، وتدرسها ألسنة الليالي والأيام ، وهذه صفة تغني عن تسمية الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستئثاره على جميع الملوك بها ، ويعلم سامعها ببديهة السماع أنها لمولانا الأمير الأجل شمس المعالي ، أطال

---

(١) خلا كتاب « نثر النظم » و « من غاب عنه المطرب » « سجع المنثور » و « المتشابه » من التحميد .

(٢) نثر النظم ٢ وقال فيه مثل ذلك في مقدمة « الكناية والتعريض » .

الله بقاءه ، ونصر لواءه ، وعليه مقصورة ، وبه آنسة ، وعن غيره نافرة ، إذ هو أدام الله سلطانه ، وحرس عزه ومكانه ، بمعاينة الآثار ، وشهادة الأخبار ، وإجماع الأولياء ، وإصفاق الاعداء ، كافل المجد ، وكافي الخلق ، وواحد الدهر ، وغرة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسنة العالم ، ونكتة الفلك الدائر » (١) .

ولعله أحس أن بين من يهديهم كتبه من العظماء أدباء لا يليق به أن يغفل الاشارة الى فضلهم والاعتذار عن محاولته الظهور أمامهم بمظهر من يدعي أنه يحسن اكثر مما يحسنونه ، ولهذا قال في تقديم كتابه « خاص الخاص » الى الشيخ الاديب ابي الحسن مسافر ابن الحسن : « وإني حين أخدمه بكتبي كمن يهدى الخضاب الى الشباب » (٢) .

وقال في تقديم كتابه « الايجاز والاعجاز » الى القاضي الهروى: « وان كنت في ذلك كمن يهدى الى الشمس نورا أو يزيد في البحر نهرا » (٣) وشبه نفسه حين حمل كتابه « لطائف المعارف » الى خزانة السلطان محمود الغزنوى بمن يحمل كوز ماء اجاج الى بحر عجاج (٤) .

(١) التمثيل والمحاضرة ٣ ، ٤ .

(٢) طبعة السمكرى ٢ .

(٣) طبعة اسكندر آصاف ٨ .

(٤) ٣ .

ولا تخلو بعض كتب الثعالبي الأخرى من مثل هذا التشبيه (١) الذى لعله تعلق به تأثرا بما كان يجرى على ألسنه أهل عصره من مثـــله (٢) .

وقد استعان الثعالبي بالشعر احيانا ليقرر هذا التشبيه الطريف فكرر في مقدمات بعض كتبه بيتي ابي الفتح البستي وهما قوله : (٣)

[من البسيط]

لاتنكرن إذا أهديت نحوك من | علومك الغر أو آدابك النتفـا
فقيم الباغ (٤) قد يهدي لمالكه | برسم خدمته من باغه التحفـا

ولا يتخلى الثعالبي بعد ذلك عن شرح منهج كتابه أو الاشارة اليـه على الأقل ، ولعله يتعمد الاشارة أحيانا الى انه لم يسبق الى جمع

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣ ، وبرد الاكباد في الاعداد ١٠٣ .

(٢) اشار الثعالبي في كتابه « الامثال » ورقة ٧ ظهـر الى ان من أمثال الخاصة قولهم . فلان يسوق الى البحر نهرا، ويهدى الى البـدر نورا، ويزيد في الشمس ضوءا . وذكـر لنفسه ما كـتبه في مقدمة ثمار القلوب .

(٣) استشهد بهما في مقدمة برد الاكباد ١٠٣ ، وساقهما مع بيتين يشبهانهما لابن طباطبا في مقدمة ثمار القلوب ٣ .

(٤) الباغ كلمة فارسية بمعنى المزرعة .

مثله (١) ، رفعا لقيمة الكتاب .

على أن بعض مقدماته حفلت بوصف فنى لقيمة الكتاب كقوله في « الاقتباس من القرآن الكريم » : « وتهيأ الفراغ من هـذا الكتاب الذي لولا ما أتهمه من حسن رأيي فيه ، وأخافه من فتنة إعجابي به ، لقلت إنه كتاب بديع الصنع ، شريف المودع ، جليل الموقع ، هنيء المكرع ، لذيذ المترع ، أنيس المرأى والمستمع ، أنيق المبدأ والمقطع ، مفيد المغزى والمنتجع » (٢) وقوله في مقدمة « من غاب عنه المطرب » : « هذا كتاب يشتمل على محاسن الألفاظ الدعجة ، وبدائع المعاني الأرجة ، ولطائف الأوصاف التي تحكي أنوار الأشجار ، وأنفاس الأسحار ، وغناء الأطيار ، وأجياد الغزلان ، وأطواق الحمام ، وصدور البازات والشهب ، وأجنحة الطواويس الخضر ، وملح الرياض ، وسحر المقل المراض ، وتحرك الخواطر الساكنة ، وتبعث الاشواق الكامنة ، وتسكر بلا شراب ، وتطرب من غير إطراب ، وتهز باطرابها كما هزت الغصن ريح الصبا ، وكما انتفض العصفور بلله القطر ، من نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد » (٣) .

---

(١) قال ذلك في « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » ورقة ١ وجه ، واللطائف والظرائف ، ٣ ، واليواقيت في بعض المواقيت ، ٣ ، وبرد الاكباد في الاعداد ١٠٣ .

(٢) ورقة ١ وجه وظهر .

(٣) ٢٣٠ .

ولعل لانطلاق الثعالبي على سجيته في مثل هذه المقدمات أثـــراً في تأنقه في ألفاظها ومعانيها ، فقد رأينا السجع والتأنـق اللفظي يغلب على مقدمة (الاقتباس) ورأينا التشبيهات الأنيقة تغلب على مقدمة « من غاب عنه المطرب » ، وتلك هي السمات العامة التي تكاد تغلب على اسلوب الثعالبي .

وقد نظفر بمقدمة من مقدمات كتب الثعالبي تغلب عليها العاطفة الصادقة ، وتتدفق معانيها من نفس تفيض بالحب ، لاسيما إذا كان من يهدي اليه الكتاب صديقا قريبا الى قلبه ، من ذلك مانقرأه في مقدمة كتابه « خصائص اللغة » المطبوع باسم « نســـيم السحر » حيث يقول : « إن لقاء الشيخ الأجل الأفضل الأوحد أبي الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمرى نسيم الصبا على كـبد المكروب ، وترياق سم الهموم على قلب المغموم ، وقد طالما ما اشتقته حتى رزقته ، وتمنيته حتى رأيته، واقتبست من نوره ، واغترفت من بحوره ، واستظهرت على كربة الغربة بحسن عشرته، وتداويـــت من جروح الزمان بطيب كرمه ، ووجدته ثمرة الغراب، وزبدة الأحقاب، في آثار يده، وثمار لطفه ، وانعقدت بيننا حـــال في المودة توفي على اللحمة، وجمعت بيننا مخالصة خالصة تقصر عنها الرحم الماسة ، وحـين كاد غراب البين ينعب بـــين محبين ، وأوما الدهر كعادته في تفريق متصافيين، أحببت أن تصحبه تذكرة مني تجدد ذكري بحضرته، وتنوب عني في خدمة مودته ، فألفت له واختصرت هذا الكتاب الكثير

الغنم ، الحقيف الحجم، في خصائص اللغة ، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم » (١) .

أما الميكالي الذى أهداه الثعالبي عددا من كتبه فقد حظي بكثير من الاطراء في مقدمات تلك الكتب ، وقد لانجانب الصواب إذا عددنا بعض تلك المقدمات قطعا فنية في المدح تغلب عليها العاطفة، حتى تكاد تبلغ بها حد الشعر، وان خلت من الوزن والقافية ، وحتى يحس الكاتب بأن الاسلوب النثرى غير قادر على التعبير عما يريد أن يعبر عنه فيستعين بالشعر يرصع به كلامه .

ولعل مقدمة « فقه اللغة » أصدق دليل على ماقلناه ، وهي مقدمة طويلة جدا، نكتفي بعرض فقرات قليلة منها لنتابع جمال هذا الاسلوب السلس الانيق فيها كقوله في وصف الميكالي: « وأيم الله ما من يوم أسعفني الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدني بالاقتباس من نوره ، والاغتراف من (بحره) (٢) ، فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله ، ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالاً على فضائله، وقرأت نسخة الكرم والفضل من ألحاظه ، وانتهبت فرائد الفوائد من ألفاظه ، إلا تذكرت ما أنشدنيه ـ أدام الله تأييده ـ لعلي بن الرومي [من البسيط]

لولا عجائب صنع الله مانبتت   تلك الفضائل في لحم ولا عصب

---

(١) ورقة ١ وجه .

(٢) هكذا في المطبوع واظنها (بحوره) ليستقيم السجع .

وأنشدت فيما بيني وبين نفسي ورددت قول الطائي: [من الوافر]

فلو صورت نفسك لم تزدها على مافيك من كرم الطباع

وثلثت بقول كشاجم : [من الكامل]

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين

وربعت بقول المتنبي [من الوافر]

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه لسان أبي اسحق الصابي حيث قال للصاحب ورثه الله اعمارها كما ورثه في البلاغة أقدارهما : [من السريع]

الله حسبي فيك من كل ما يحوذ العبد بــه المولى

ولا تـــزل ترفل في نعمة أنت بها من غيرك الأولى

وما أنسى لاأنسى أيامي عنده بفيروزآباد إحدى قراه برستاق جوين سقاها الله ما يحكي أخلاق صاحبها من سيل القطر فانها كانت بطلعته البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية، وألفاظه اللؤلؤية، مع جلائل إنعامه المذكورة ، ودقائق إكرامه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن أقواله وأفعاله التي (يعبأ بها) (١) الواصفون ، أنموذجات (٢) من الجنة التي وعد المتقون » (٣) .

تكاد مقدمات كتب الثعالبي لاتحمل غير ما ذكرناه شيئا سوى وصف

---

(١) هكذا في المطبوع واظن صوابها (يعيا بها) .

(٢) « انموذج » فارسي معرب بمعنى المثل من الشيء .

(٣) فقـه اللغة ٨ ، ٩ .

لمادة الكتاب أو تعداد لأبوابه ، أو تقديم نقدي لمادته كما في مقدمة يتيمة الدهر مثلا ، وذلك كله لايصلح مادة لدراسة اسلوبه الادبي ، على انه قد يختتم مقدماته بالدعاء لمن يهدي الكتاب له ، فينتخب لذلك أرق تعبير وأطرف معنى ، من ذلك ماقاله بعد تعداد أبواب كتاب « ثمار القلوب » الذي أهداه للامـــير أبي الفضل الميكالي: « جعلها الله تعالى أبواباً مفتوحة للأمير السيد الى أمنيته ، وعرفه من بركاتها ما يربي على عدد سطورها بل حروفها برحمته » (١) .

وتكاد تتفق كتب الثعالبي جميعا في خلوها من الخاتمة ، ولعله كان يقول كل ما عنده في المقدمة فاذا ماانتهى من الكتاب لم يجد زيادة تقال .

ولا اشك ـ وانا اختتم الحديث عن مقدمات الثعالبي ـ في أنه لم يكن مولعا كثيرا بالتغيير فيها، فلقد غلب التشابه عليها حتى غدا بامكان القارىء المتتبع أن يقبل او يرفض نسبة الكتاب الى الثعالبي بمجرد النظر في مقدمته ، فأسلوبه في التحميد ، والالقاب التي يمنحها من يهدي اليه الكتاب ، ووصف منهج الكتاب ومادته يكاد يكون واحدا في جميع كتبه ، ومع ذلك فان من الحق ان نقول إن مقدمات كتب الثعالبي تتسم عامة بأناقة التعبير ورشاقة اللفظ وجمال المعاني ، رغم شحة التجديد ، وندرة الابتكار .

---

(١) ٨ .

يميل أسلوب الثعالبي في عرض مادة كتبه العامة الى بساطة التعبير ، وعدم التأنق في اختيار الألفاظ ، وقلة اصطناع المحسنات اللفظية إلا فيما ندر ، وفي مواضع معينة يقتضي المعنى فيها رقة اللفظ وجماله ، اما فيما عدا ذلك فيكاد الأسلوب العلمي يكون هو الغالب على التعبير . من ذلك قوله في كتاب مرآة المروءات: « الطعام قوام الأبدان ومادة الحياة ، ولابد منه على كل الاحوال ، وكلما كان أنظف طبخاً، وأحسن لوناً، وأزكى رائحة، وأطيب طعماً، كان الطبع اليه أميل ، والهضم أجود ، والغذاء أكثر ، والقوة أبلغ ، والقدرة على أمور الدنيا والدين أكمل ، فمن المروءة تنظيفه وتحسينه وتجويده وتطييبه ، كيف لا ، والله عز ذكره يقول : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ وقال أيضا عزوجل : كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا » (١) .

على ان خلو هذه القطعة من المحسنات اللفظية لايعني خلوها إطلاقا من الأساس الفنى المتمثل في بساطة العرض ، وسهولة اللفظ ، والاستطراد الذى يستمد بواعثه من ثقافة الكاتب العميقة المتشعبة، وقدرته على الافادة من معارف مختلفة في موضوع واحد .

ولقد حظي كتاب « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » بأوفى نصيب من عناية الثعالبي الفنية ، فلقد عرض مادته العامة بأسلوب

---

(١) ١٠ .

واضح يتوخى فيه سهولة اللفظ ، وبساطة الفكرة ، ومحاولة تقريرها من طريق الاستشهاد بالأقوال المأثورة والشعر والحجة المنطقية ، من ذلك قوله في حديثه عن « كيد النساء » : « يضرب به المثل في كل زمـــان ومكان ، قال بعض السلف : إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان، لأن الله تعالى يقول : إن كيـد الشيطان كان ضعيفا . وقال : إن كيدكن عظيم . فان قيل إن هذا الكلام لم يحكه الله عن نفسة وإنما حكاه عن غيره حيث قال : إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم قيل قد صدقتم ، والصفة على ماذكرتم ، إلا ان الكلام لو كان منكراً لأنكره الله تعالى ، ولـو كان معيباً لعابه تعالى ، وقد حكاه الله تعالى ، ولم يعبه ، وجعلـــه قرآنا ، وعظمه بذلك ، والمعنى مما لاينكر في العقـل ، ولا في اللغة ولا في الكلام اذا كانه على هذه الصفة ، فهو إذا كانه هو المنشيء له .

ومما قيل في كيد النساء : [من الخفيف]

كادني المازني عند أبي العبـــاس والفضل ما علمت كريم
شبها بالنساء في كـــل أمر إن كيد النساء كيـد عظيم

وقال يحيى بن علي المنجم (١) [من الخفيف :]

رب يوم عاشرته فتقضـــى بعد حمد عن آخر مذموم
بالقومي لضعفه ولكـيد مثل كيد النساء منه عظيم »

ويكاد اسلوب الثعالبي في كتابه « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم »

---

(١) ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

يشبه ماعرضنا له من اسلوبه في « مرآة المروءات » و « ثمار القلوب »، إلا أنه يميل أحيانا، وفي مواضع خاصة منه، الى التأنق في الالفاظ ، وربما كان السبب في ذلك هو أن مادة الكتاب تدور حول أخبار ملوك الفرس القدماء ، واكثر هذه الاخبار مستمد من أساطير متوارثة أساسها الخيال لا الواقع ، فكان من المناسب في نظر الثعالبي أن يعرض كل ذلك بأسلوب منمق يشغل العقل عن إنكار الخوارق بما يتملكه من إعجاب القلب ، وتلك طريقة قديمة لجأ اليها كهنة العرب في الجاهلية حين نمقوا كلاما كان وقعه في القلوب اشد من أن يتيح للعقول فرصة للانكار .

ومن ألوان هذا التنميق مانقرأه في قصة حياة اسفندياذ التي أحس الثعالبي ان العقل لايصدقها فقال في تقديمها : « هذه القصة الى منتهاها من بقية قصة رستم (١) مما لايقبله العقل ، ولا يصدقه الرأى ، ولكني أوثر أن لايخلو كتابي هذا منها مع شهرتها ، وتداول الناس إياها ، وميلهم إليها ، واستطابة الملوك عجائبها » (٢) .

وقد ساق الثعالبي هذه القصة كلها ، فعمد الى أسلوب انيق ، والفاظ منمقه موشاة بالسجع وفنون البديع ، من ذلك وصفه ماوقع لاسفندياذ في منزل الساحرة حيث قال : « ثم إنه رأى ربعاً خصباً ، وروضاً وغديراً ، وأشجاراً كأن الحور أعارتها قدودها ، وكستها

---

(١) تقع قصة حياة اسفندياذ ضمن قصة حياة رستم .

(٢) ٣٠١ .

برودها ، فنزل في ظل شجرة ملتفة الاغصان بالورق على غدير كأن ماءه إذا صافحته الريح تشنيج ذيل القرطق الأزرق ، وشكل فرسه ، وافترش غاشيته ، وبسط سفرته ، وحل زكرته ، وأخـذ الطنبور فنقره ، واستنطق وتره ، وغنى غناء معناه : إلى متى تترامى المفاوز والجبال بي ، وتنبو الاوطان والاوطار عني ، حتى متى خوض الحروب ومعاناة الخطوب ؟ وأين السرور بوجوه الحسان ومغازلة الغزلان ؟ وإن الذى أنزلني هذا المكان الذى يحكي الجنان قادر أن يقر عيني بجارية وسيمة جسيمة ، تسرني بطلعتها ، وتؤنسني بمساعدتها . وذلك بمرأى ومسمع من الساحرة . فقالت : قد وقع الأسد في الحبالة ، وجاءتني الغنيمة ، فلم تلبث أن برزت في صورة جارية كأنها فلقة قمر على برج فضة ، وعليها من الحلي والحلل مايروق ويشوق »(١) .

ولعل تتبع مثل هذه الصور الفنية يكشف عن ميل المؤلف الى محاولة إبراز جوانب الاسطورة بشكل مسرحي قد يكون للخيال الشعبي فيه دور الخلق وللمؤلف دور التهذيب والاداء الفني المتمثل في سلاسة التعبير ، ورشاقة السجع ، وقرب الاستعارة ، وجمال التشبيه .

إن صور الأسلوب الفنى التي قد نظفر بها من عرض الثعالبي لمادة كتبه قد تكون قليلة قياسا الى عدد تلك الكتب ، ولكنها ـ رغم قلتها ـ تشف عن قدرة فائقة على تناول الفكرة وتقليبها على وجوهها ، ومناقشتها ، والاستعانة على تثبيتها بأدلة وشواهد مستمدة من من هذا التراث الضخم الذي نلمح آثاره واضحة في ثقافة الرجل

---

(١) ٣١٣ ، ٣١٤ .

العميقة ، ثم عرض ذلك كله بأسلوب يتراوح بين صرامة العلم ورقة الادب، تبعا لطبيعة الفكرة واتجاه الموضوع . فما أصدق الباخرزي حين قرن اسم شيخه الى اسم الجاحظ منتبها الى تشابه أسلوب الرجلين في تناول مادة كتبهما ، وتقارب طريقتيهما في التأليف .

وتمثل التراجم التي كتبها الثعالبي لأدباء عصره جانبا خاصا من مادة كتبه ، وهو جانب ينفرد بسمات فنية خاصة ، ذلك انه توخى في تراجمه أن يذكر لكل أديب أحسن ماعنده . ولعله أحس بأنه إنما يؤرخ لأدباء حملوا لواء الشعر والنثر أكثر من قرن من الزمان ، وأن عليه ، وقد تصدى للحديث عنهم ، أن يسخر كل مافي وسعه من براعة الأسلوب وحسن العرض وقوة التعبير ليناسب كلامه طبيعة الميدان الذي يتحدث فيه .

ولعل ابرز مظاهر تأنق الثعالبي في تراجمه هو غلبة السجع الذي كاد يلتزمه التزاما في حديثه عن المشاهير من الأدباء ، كقوله في ترجمة سيف الدولة : « كان بنو حمدان أوجههم وايديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وكان - رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه - غرة الزمان ، وعماد الاسلام ، ومن به سداد الثغور ، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها، وتنزع لباسها ، وتفل أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها ، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الاسلام الآثار ، وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ،

وعط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء » (١) .

على انه قد يتخلى عن الالتزام بالسجع الى الالتزام بصور بلاغية أخرى ، فيكثر من التشبيه والاستعارة والمترادفات، كقوله في ترجمة المتنبي: « نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب اليه ، المشهور به ، إذ هو الذى جذب بضبعه، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه » (٢) .

وقد يجنح الثعالبي احيانا الى المبالغة مدفوعا باعجابه الخاص بالأديب الذى يترجم له، او بالشهرة التي طارت له بين الناس ، وحين يلجأ الى ذلك يكثر من السجع القصير بصورة خاصة ، من ذلك قوله في ترجمة السرى الرفاء: « السرى وما أدرك ما السرى ، صاحب سر الشعر ، والجامع بين نظم عقود الدر ، والنفث في عقد السحر ، لله دره ، ما أعذب بحره وأصفى قطره ، وأعجب أمره » (٣) .

وقد يميل أحيانا إلى الاستشهاد بجيد الشعر لاثبات ما يريد أن يصف به من يترجم له ، كقوله في ترجمة الخالديين: « هما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ، ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان، وكانا في التساوي

---

(١) يتيمة الدهر ١ : ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ١ : ١٢٦ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ١١٧ .

والتشابك ، والتشاكل والتشارك كما قال أبو تمام : [من المتقارب]

رضيعي لبان شريكي عنان   عتيقي رهان حليفي صفاء

بل كما قال البحتري : [من الكامل]

كالفرقدين إذا تأمل ناظر   لم يعل موضع فرقد عن فرقد (١)

ويرق حديث الثعالبي حين يتصدى لوصف أدب بعض من يترجم لهم ، حتى يكاد وصفه نفسه يكون شعرا رقيقا، كقوله في وصف شعر ابن نباتة السعدي : « وشعره - مع قرب لفظه - بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام، كقطع الروض غب المطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر ، وبدائع أحسن من مطالع الأنوار ، وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الأسحار، وشكوى الأحباب » (٢) .

وتتلاحق الصور الفنية أحيانا في مثل قوله في وصف أدب أبي الفرج الببغاء: « له كلام ، بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام » (٣) .

على انه يتخلى عن كثير من هذه الرقة حين يتحدث عن الرؤساء والعظماء من الادباء ، اذ تعاوده الرغبة في منح الألقاب الفخمة ، حتى تتكرر الالقاب ذاتها في اكثر من ترجمة ، ونستطيع أن نلحظ هذا التشابه بين قوله في ترجمة ابن العميد: « عين المشرق، ولسان

---

(١) يتيمة الدهر ٢ : ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ٣٨٠ .

(٣) المصدر السابق ١ : ٢٥٢ وهو هنا يستعير بيتا من الشعر فيدرجه في اثناء نثره .

الجيل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر في الكتابة، وجميع أدوات الرياسة، وآلات الوزارة »(١) ، وقوله في ترجمة الصاحب بن عباد: « هو صدر المشرق، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان ، ومن لاحرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق » (٢) .

وقوله في قابوس بن وشمكير : « خاتم الملوك وغرة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان ، ومن جمع الله له الى عزة الملك بسطة العلم ، والى فضل الحكمة نفاذ الحكم » (٣) .

وحين يتحدث الثعالبي عن اصدقائه من الادباء، أو من هو قريب الى قلبه منهم، يتخلى عن هذا الاطراء المنمق ليخلص الى ترجمة تتجلى فيها حرارة العاطفة، فيعمد الى اللفظ القريب، والاسلوب الذى إن لم يكن خلواً من التنميق فهو برىء من التكلف وحشد الألقاب ، من ذلك قوله في ترجمة ابي الفضل الميكالي : « يزيد على الأسلاف والاخلاف من آل ميكال زيادة الشمس على البدر ، ومكانه منهم مكان الواسطة من العقد ، لأنه يشاركهم في جميع محاسنهم ومناقبهم وخصائصهم، وينفرد عنهم بمزية الأدب الذى هو ابن بجدته ، وابو عذرته ، واخو جلته ، وما على ظهرها اليوم أحسن منه كتابة، وأتم بلاغة » (٤) .

---

(١) يتيمة الدهر ٣ : ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ٣ : ١٩٢ .

(٣) المصدر السابق ٤ : ٥٩ .

(٤) المصدر السابق ٤ : ٣٥٤ .

وقد يسوق الثعالبي بعض أخبار من يترجم لهم إذا انتهى من وصف حالهم وأدبهم فيتخلى عن التأنق المفرط جملة ، ويعرض الأخبار باسلوب أدنى الى اسلوبه في عرض مادة كتاب « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » فيستوفي الحادثة عرضا وتفصيلا غير مبال بالسجع أو الجناس أو التشبيه، الا ما جاء منه عفو الخاطر، أو مجاراة للسياق كالذى نلاحظه من مثل روايته التي أوردها في ترجمه القاضي التنوخي وهي قوله : « ويحكى انه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ، ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة ، والتبسط في القصف والخلاعة ، وهم ابن قريعة ، وابن معروف ، والقاضي التنوخي ، وغيرهم ، وما منهم الا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبي ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع، وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى مادونها مملوءاً شرابا قطربلياً او عكبريا ، فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تتشرب اكثره ، ويرش بها بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم » (١) .

---

(١) يتيمة الدهر ٢ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ولم اعثر للبرم على معنى يتفق والسياق عدا ماذكره محقق اليتيمة في هامشه من انه نوع من الثياب . واظنه تحريف (المبرم) وذكر في لسان العرب (مادة برم) على انه « جنس من الثياب » .

وتتراوح تراجم الثعالبي طولا وقصرا بحسب شهرة الأديب او علاقته به ، على انه من الملاحظ أنه يميل الى الايجاز في اكثرها ، ذلك انه أراد ان يكون كتابه « يتيمة الدهر » في الادب لا في التراجم ، ولهذا وردت مئات التراجم قصيرة لايزيد ما ورد فيها على سطر واحد ،ولعل تراجم « تتمة اليتيمة » جاءت اشد ايجازا من تراجم اليتيمة ، لعلو سنه عند تأليفها ، ولكن هذا الايجاز لم يمنع الثعالبي من الالتزام بما كان ألزم نفسه به في اليتيمة من التأنق في اللفظ ، والتنميق في العرض ، وذلك واقع في كثير من تراجمه في التتمة كقوله في ترجمة ابي علي الحسن بن ابي الطيب الباخرزي : « فتى كثر الله فضائله ، وحسن شمائله ، فالوجه جميل تصونه نعمة صالحة ، والخلق عظيم تزينه آداب راجحة ، والنثر بليغ تضمنه امثال بارعة ، والنظم بديع كله أحاسن لامعة » (١) .

لقد جهد الثعالبي لتكون تراجمه قطعاً فنية رائعة ، ووفق التوفيق كله ، إلا ان ذلك كله لايعفيه من مسؤولية تشابه كثير من تراجمه المختصرة تشابها يمكن معه إبدال بعضها ببعض دون أن يخل ذلك بشيء من مادة الكتاب ، إلا أننا قد نلتمس له العذر من ذلك في كثرة الادباء الذين ترجم لهم ، وكون أغلبهم من المغمورين وذلك مايجب ان نضعه في قياسنا عند الحكم على تراجم اليتيمة وتتمتها .

---

(١) ٢ : ٣٧ .

أتحف الثعالبي المكتبة العربية بعدد وفير من الكتب وصل بعضها الينا ، وضاع الكثير ، وبين وصل الينا كتابان أفردهما لجمع ما جادت به قريحته من نثر فني في أبواب مختلفة ، وهما كتابا « المبهج » و « نثر النظم وحل العقد » وقسم صغير من كتاب ثالث ، هو القسم الثاني من الباب الثالث من كتاب « خاص الخاص » (١) ولعل بين ما ضاع من كتبه عددا ضم صوراً أخرى لانعرف الآن عنها شيئا يذكر .

وقد لعبت المصادفة دورا محمودا في الابقاء على ما ذكرنا من كتب بالذات ، فقد يسرت لنا سبيل الاطلاع على نماذج من أسلوب الثعالبي الانشائي في مراحل متفاوتة من عمره ، ذلك انه كتب « المبهج » وهو في حدود الاربعين من عمره ، وكتب « نثر النظم وحل العقد » وهو في حدود الخمسين ، وكتب « خاص الخاص » بعد ان جاوز السبعين .

أما « المبهج » فقد ألفه للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير الزيارى الأديب الشاعر الذى قال ياقوت فيه : « كان فاضلا أديبا مترسلا شاعرا ظريفا ، وله رسائل بأيدى الناس يتداولونها، وكان بينه وبين الصاحب بن عباد مكاتبة » (٢) وتناقلت الرواة ابيات شعر

(١) لايتجاوز هذا القسم أربع صفحات وقعت بين صفحتي ٤٥ ، ٤٨ .

(٢) معجم الادباء ٦ : ١٤٤ .

قلائل له (١) ، ولكن نثره حظي باهتمام أشد ، ولعل رسائله التي ضمنها كتابه « كمال البلاغة »(٢) تمثل جانبا من هذا النثر الذي أثار اعجاب من ترجموا له ، وأولهم الثعالبي ولكن يبدو أن الرسائل لم تكن هي الفن الوحيد الذي برز فيه ، فقد كان ولوعا بانشاء الاقوال التي تجري مجرى الامثال (٣) ، فهو يتأنق في تدبيجها ، ويبالغ في تنميقها ، حتى كأنه « ينحت الكلام كما ينحت المثال الصخر ليخلق منه غرائب التماثيل » (٤) .

وقد أحس الثعالبي انه لابد له ان يرضي ذوق الامير بأول كتاب يقدمه له ، فعمد الى قريحته يستحثها ، وكان نتاج ذلك مجموع أقواله التي قدم لها بقوله : « فهذا كتاب عولت فيه على خواطري لادفاتري ، وعلى معقولي لاعلى منقولي لاعلى فكري لاعلى ذكري ، وجلوته في معرض المبتدع المخترع ، لا المبتذل المفترع » (٥) .

ويبدو أن النسخة التي وصلت الينا من هذا الكتاب هي غير النسخة التي أهداها للامير ، فهو يقول في مقدمتها : « وقد كنت حين وردت حضرة الأمير شمس المعالي خدمت به مجلسه حرسه الله تعالى ،

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٦١ ومعجم الادباء ٦ : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) طبع بمصر سنة ١٣٤١ هـ .

(٣) نقل له الثعالبي مجموعة صالحة منها في كتابيه يتيمة الدهر ٤ : ٥٩ وسحر البلاغة ١٨٣ .

(٤) النثر الفني في القرن الرابع الهجري ٢ : ٢٨٠ .

(٥) المبهج ٢ .

وأنسه ، فجمع عليه يديه ، وشغل به لحظه ، وأعطاه حقه ، ووفاه مهره ، ثم زودت فيه على الأيام ونقصت ، وغيرت فيه وبدلت ، فأنشأته نشأة أخرى ، وسبكته ثانية بعد أولى ، وبلغت بكلماته القليلة الأشكال، ألفاً تجري مجرى الأمثال، العزيزة المثال » (١) .

وهذا نص واضح على أن النسخة الثانية تختلف عن الأولى في أمرين ، أولهما : ماأجراه المؤلف من تنقيح أقوال النسخة الأولى ، وثانيهما : ما أضافه اليها من أقوال حتى بلغت ألف قول ، وعلى هذا فقد يكون من الخطأ أن نعد النسخة الأخيرة ـ وهي التي وصلت الينا ـ صورة لأسلوب الثعالبي في المرحلة الأولى من حياته الأدبية ، ذلك اننا نجهل التأريخ الذي كتب النسخة الثانية فيه ، ولكن ذلك لايعني أننا سننظر اليها على أنها كتاب مستقل بذاته ، لاننا لانشك في أن النسخة الثانية من كتاب « المبهج » ظلت تحمل سمات النسخة الأولى ، ولولا ذلك لما تخلى الثعالبي عن تسميتها باسم آخر ، ونشرها على أنها كتاب جديد .

يقع « المبهج » ـ على الصورة التي وصل بها الينا ـ في واحد وسبعين بابا يتراوح عدد الأقوال في كل منها بين أربعة اقوال (٢) وسبعين قولا (٣) ، وهي تمثل جميعا لوناً من الخطرات الأدبية في

(١) المبهج ٢ .

(٢) وهو عدد اقوال الباب الحادي والعشرين (في ذكر الشوق) المبهج ٢٢ .

(٣) وهو عدد اقوال الباب الخمسين (في ذم الدنيا وشكوى الدهر) المبهج ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

مواضيع دينية وسياسية واجتماعية ووجدانية ، وتكاد هذه المواضيع التي عقد الثعالبي عليها أبواب أكثر كتبه التي يجمع مادتها من أقوال الادباء ، ولهذا نقد ألحق بعض أقواله التي وردت في « المبهج » في كثير من كتبه اللاحقة .

ولقد أفرد الثعالبي الأبواب الستة الاولى من كتابه للدينيات ، والابواب العشرة التالية للملوك وسياستهم ، والابواب السبعة التالية للاخوانيات ، ثم تنقل في الأبواب الأخرى بين أغراض متفرقة .

ولعل أوضح ما يتسم به أسلوب « المبهج » ، على اختلاف مواضيع أبوابه، هو هذا الالتزام المفرط بالسجع والطباق والجناس ، وقد تفنن الثعالبي في استعمال أنواع الجناس حتى إنه لم يجد بأسا في أن يقتطع أجزاء متناثرة من الكتاب ، دون تعيين ، ويلحقها بكتاب « المتشابه » الذي درس فيه انواع الجناس (١) .

والحق أننا لو فتحنا الكتاب ، وتركنا للمصادفة تعيين اية صفحة منه ، وقرأنا ما فيها ، لما أمكننا ان نجد قولا واحداً يخلو من طباق او جناس او سجع ، ولا بأس في ان ننقل بابا صغيرا من أبواب الكتاب لنتابع استعمال المؤلف للفنون البديعية فيه ، وليكن الباب الثالث والعشرين مثلا وعنوانه « في ذكر شرار الاخوان » فسنجده يقول فيه : « شر الاخوان من إذا حضر أثنى ومدح ، وإذا غاب عاب وقدح ، شر الاخوان من ظاهره موافق ، وباطنه منافق ، خير

(١) المتشابه ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

الاخوان من يلقى أخاه باليمين ، ويحله محل النفيس الثمين ، وشرهم من يزنه بالميزان الخفيف ويقومه بالثمن الطفيف ، من كرمت خصاله وجب وصاله ، ومن كثر هجره وجب هجره ، إحذر من لايرى فوقه سواه ، وينكر أن أحداً ساواه ، ثمر المذاق مر المذاق » (١) .

مما تقدم فلاحظ طباق المقابلة بين « إذا حضر اثنى ومدح » و « إذا غاب عاب وقدح » وبين « ظاهره موافق » و « باطنه منافق » ، والجناس بين « مدح » و « قدح » و « غاب » و « عاب » و « موافق » و « منافق » و « اليمين » و « الثمين » ، و « الخفيف » و « الطفيف » ، و « خصاله » و « وصاله » و « هُجره » و « هَجره » و « سواه » و « ساواه » و « المذاق » و « المذاق » ، والسجع بين الفواصل « مدح » و « قدح » و « موافق » و « منافق » ، و « اليمين » و « الثمين » و « الخفيف » و « الطفيف » و « سواه » و « ساواه » .

ان حشد هذه المحسنات البديعية بهذه الطريقة لايدع للقارىء فرصة ملاحظة طرافة المعاني وجمالها ، ولكن الثعالبي لم يخل كتابه من معنى دقيق أو تشبيه طريف أو استعارة قريبة ، فمن معانيه قوله : « من ساس الناس فليكن وجهه جهماً ، ولحظه سهما وقلبه شهما » (٢) وقوله « إذا اضطررت إلى الاساءة فكن فيها مقتدياً

---

(١) المبهج ٢٣ ، و « المذاق » من مذق الود أي لم يخلصه . لسان العرب ، مادة (مذق) .

(٢) المبهج ١٥ .

لا مبتدياً ، ومتبعاً لا متبوعاً » (١) .

ومن تشبيهاته الدقيقة قوله : « مثل الصديقين كاليدين ، والعين تستعين بالعين » (٢) وقوله « خاصية الأصفر المدور المنقوش تصير الصخر كالعهن المنفوش » (٣) .

ومن استعاراته الطريفة قوله : « من لم تقرأ صحيفة النشاط في عينيه فأطو بساط الانبساط لديه » (٤) وقوله « الهوى مركب لذيذ يهوى براكبه في مهاوى المهالك ، إن لم يمسك عنانه بيد العقل » (٥) .

ويتعلق الثعالبي أحيانا بالمبالغة ، ولكن منهج الكتاب القائم على الأقوال الموجزة حد كثيراً من هذا التعلق الذي قد يبدو ظاهرا في مثل قوله « الرئيس من يملأ العيون جماله ، والقلوب كماله ، والأيدي نواله » (٦) وقوله « قلب الصب مصب لسوط العذاب ، وحطب لنار العقاب » (٧) .

وقد رصع الثعالبي بعض أبواب « المبهج » بأبيات من شعره تلائم

---

(١) المبهج ٣٥ .

(٢) المبهج ١٩ .

(٣) المبهج ٢٨ .

(٤) المبهج ٢١ .

(٥) المبهج ٢٨ .

(٦) المبهج ١٧ .

(٧) المبهج ٥٠ .

المعاني التي يعقد عليها الباب ، ومع انه وفى بشرطه فلم يهب الكتاب بشيء من نثر غيره أو شعره ، إلا انه أورد بيتين لأبي فراس الحمداني في باب (الخطابة والخطباء) (١) .

على أن ترصيع الروائع النثرية بالشعر لم يكن مما سبق الثعالبي إليه ، ذلك ان هذه الطريقة غلبت على كتاب القرن الرابع الذين كانوا « يلجأون الى القريض في المواطن التي لايحسن فيها غير القريض » (٢) .

إن كتاب « المبهج » صورة من صور التأنق الفني التي أبدعها الثعالبي ليجاري بها ذوق من أهداه اياه ، وليصب فيه خلاصة فنه الذي وجهته تيارات العصر التي يبرز من بينها تأثره الشديد باسلوب شيخه أبي بكر الخوارزمي وصديقه بديع الزمان الهمداني اللذين كانا مولعين بالاقوال البليغة الموجزة (٣) .

اما « نثر النظم وحل العقد » فقد ألفه الثعالبي للامير ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه في الجرجانية حين زاره سنة ٤٠٣ هـ ، اي حين تجاوز الخمسين من عمره بقليل ، ويبدو أن الأمير كان مولعا بالعلوم أكثر من ولعه بالآداب ، فقد ضم بلاطه

---

(١) المبهج ٤٧ ونص المؤلف على نسبة البيتين .

(٢) النثر الفني في القرن الرابع الهجري ١ : ٢٦ .

(٣) نقل لهما الثعالبي من هذا اللون عدة صفحات في يتيمة الدهر ٤ : ١٩٤ ـ ١٩٨ و ٤ : ٢٩٠ ـ ٢٩٢ .

أمثال ابن سينا والبيروني من أكابر علماء العصر ، ولعله كان يميل، بسبب ذلك، الى النثر أكثر من ميله إلى الشعر ، لان النثر أقرب الى طبيعة العلم من الشعر ، وقد أكد الثعالبي ذلك في مقدمة هذا الكتاب حيث أشار إلى أن الكتاب « يحتاجون الى أن يكونوا ذوي آداب كثيرة ومعارف مفننة » (١) .

وهكذا أشار الأمير على الثعالبي أن ينثر ماورد من نظم في مختار الشعر المترجم بـ « مؤنس الادباء » (٢) فما كان منه إلا أن اقبل على المقطوعات والقصائد المختارة ينثر نظمها على شكل رسائل أو فصول أدبية ، ويتفنن في جعل اسم خوارزم شاه مدار حديثه في اكثرها (٣) .

والثعالبي مسبوق إلى هذا الفن الذي تضج في عصره حتى إن ابا هلال العسكري ذكر أربعة أنواع منه حصرها بقوله « والمحلول من الشعر على أربعة أضرب ، فضرب منها يكون بادخال لفظة بين ألفاظه ، وضرب ينحلّ بتأخير لفظه منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم ، وضرب منه ينحل على هذا الوجه ولا يحسن ولا

---

(١) نثر النظم ٣ .

(٢) المصدر السابق ٢ وأظن أن « مؤنس الادباء » من جمع الثعالبي نفسه رغم عدم إشارة المؤرخين إليه ، ذلك ان ترتيب موضوعاته والمادة الشعرية فيه يشبهان ما يرد عادة في كتب الثعالبي الاخرى .

(٣) تجنب ذكر اسم خوارزم شاه في المواضع التي لايليق ذكره فيها مثل (باب الهجاء) وأشباهه .

يستقيم ، وضرب تكسو ما تحله من المعاني الفاظاً من عندك ، وهذا ارفع درجاتك » (١) على ان ابن رشيق عد نثر النظم من « أجل السرقات » (٢) فأشار الى قلة قيمة هذا الفن في نظره .

والراجح عندي أن المسألة تتعلق أساسا بزاوية النظر الى العمل الفني في الأدب شكلاً ومضموناً ، إذ لابـــد لمن يهتم بالمعنى، ويعده أساس العمل الفني، من أن ينظر الى نثر النظم أو نظم النثر على انه عمل يقل في مستواه الفني عن إنشاء النثر او النظم ابتداء ، وذلك ما ذهب اليه أبو هلال العسكري حيث قال : « ان حل المنظوم ، ونظم المحلول ، اسهل من ابتدائهما ، لان المعاني إذا [حللت] (٣) منظوما ، أو نظمت منثورا ، حاضرة بين يديك ، تزيد فيها شيئا فينحل ، او تنقص منها شيئا فينتظم ، وإذا اردت ابتداء الكلام وجدت المعاني غائبة عنك ، فتحتاج الى فكر يحضركها » (٤) .

ولعل أبا هلال اقترب جدا من الحقيقة لولا انه تعسف في إغفال ما للفظ من قيمة في التعبير عن المعنى ، وفاته أن كثيرا من الصور الشعرية والنثرية الرائعة قد لاتعدو أن تكون تكرارا لمعان مطروقة ولكنها اكتسبت شهرتها من براعة اللفظ الجديـد ، وحسن الاداء ،

---

(١) الصناعتين ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) العمدة ٢: ٢٩٣ .

(٣) في المطبوع (حلت) ولعلها خطأ ناسخ أو محقق .

(٤) الصناعتين ٢٢٢ .

والتفنن في العرض .

على ان ذلك كله لايقلل من قيمة المعانـي المبتكرة اختراعا او افتراعا او تركيبا ، إذ إن العمل الأدبي وحدة مترابطة ، ولا يمكن الفصل القاطع بين الفاظه ومعانيه لأن كلا القرينين يستمد روعته الفنية من ذاته أولا ، ومن قرينه ثانيا ، فان فسـد اللفظ لم يشفع له براعة المعنى، كما لايشفع للمعنى الفاسد براعة اللفظ .

وبالرغم من كل ذلك فان الثعالبي استطاع ان يجعل من كتابه « نثر النظم » قطعة فنية تتجلى فيها براعته الانشائية في حل القصائد والمقطوعات .

ويبدو أنه أراد أن يلتزم بمعاني الأشعار التي يحلها التزاما لايخرج معه إلى اضافة معان جديدة إلا فيما ندر ، حتى في الحـــالات التي يجمع فيها اكثر من مقطوعة واحدة في معان متشابهة، فهو حينذاك ينشيء الحل على أساس تناول المعاني الجزئية التي وردت في كل منها بترتيبها ، من ذلك ماورده في حل قول الشاعر : [من الطويل]

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شجرات

وقول الشاعر : [من الطويل]

إذا أنت لادنيـا لديك تفيدنا ولا أنت ذو دين نرجيك للدين

وكنت صديقاً لاترجى لنائل عملنا صديقاً في مثالك من طين

وقول منصور الفقيه [من المجتث]

إذا بـخلـــت بـــبرى ولم أنل منـــك رفـــدا

وأنـــت مثـــلي عبـــد   فقيـــم أعبـــد عبـــدا

فقال : « إذا لم تلبسني الشجرة ظلها ، ولم تؤتني أكلها ، فسلط الله على أصلها قاضبا ، وأتاح لفرعها حاطبا ، وإذا كنت لاترجى للجدوى ، ولا ينتفع بك في أمور الدين والدنيا ، فما أنت إلا روح في محال ، بل تمثال من صلصال ، وإذا لم أنل منك الجاه والرفد فأنت عبـد مثلي ، ولست أعبد العبد والسلام » (١) .

ويتراوح حل الثعالبي بعد ذلك بين نثر القطعة الواحدة بمفردها ، أو نثر عدة قطع متشابهة في معناها العام مرة واحدة .

وقد لايخرج نثر الثعالبي بعض الابيات عن إضافة كلمة أو مرادف ، كما في حله بيتي ابي الفتح البستي : [من الطويل]

بنفسي من أهدى إلي كتابه   فأهدى لي الدنيا مع الدين في درج

كتاب معانيه خلال سطوره   لآلي في درج كواكب في بـرج

وهو قوله : « بنفسي من أهدى إلي نفيس كتـابه ، وأتحفني بأنيس خطابه ، فكأنما أهدى لي الدنيا والدين في درج . ولآلىء الحسن في درج ، وكواكب السعد في برج » (٢) .

وقد يكتفي بتغيير اللفظ ، مع المحافظة على المعنى والأسلوب ، كما في حله بيتي ابي تمام [من البسيط]

---

(١) نثر النظم ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ٦ .

النـــار والعار والمكروه والعطب

والقيد والصلب والمران (٣) والخشب

أحـــلى وأعذب من سيب تجود به

ولن تجـود به يـاكلب ياكلـــب

حيث قال : « الشر والضـــر ، والعري والعر ، والعار والعوار ، والشنار والنار ، والبـــلاء واللأواء ، والحبس والتعس ، والنحس والوبال ، والداء العضال ، ولضرب الظلم على حرقة الفرقة ، وصفع الذل على كربة الغربة ، أشهى وأحلى من عطاء تجود به كفاك ، وحسبك ماقلت وكفاك، ياكلب المساوىء والمقابح ، وياخنزيـر المخازي والفضائح » (٢) .

وقد يمخض الثعالبي الأبيـات الشـعرية ليخرج بزبدة معناها ، ويعرضه بأسلوب بعيد عن أسلوب الشاعر ، كما فعـل في حل قول الشاعر : [من الطويل]

أطال لك الله السلامة والبقا   وزادك في الدنيا علواً ومرتقى

بعثت رسولي وهو حامل رقعتي   فرأيك فيما قلت أمس موفقا

فقال : يلقى الشيخ أطال الله بقاه ، وأدام في المعالي ارتقاه ، برقعتي من هو رسولي ، في تحصيل سولي ، فرأيه في إعادة ظني مصدقا ، وصرفه بالنجاح موفقا ، إن شاء الله ؟ » (٣) .

---

(١) المران الرماح الصلبة اللدنة، لسان العرب مادة (مرن) .

(٢) نثر النظم ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) نثر النظم ٣٢ .

ولعل أروع ماورد من إيجاز في الكتاب كلــه هو نثر الثعالبي قصيدتين طويلتين ، أولاهما لأبي الفتح البستي ، وثانيتهما لأبي عبد الله الضرير الأبيوردى . فقد أفاد من كون القصيدتــين في الأمثال ، فأوجز معنى كل بيت من أبياتهما بقول يجرى مجرى المثل إما من انشائه وإما من محفوظه ، وراعى أن يكون المثل أقل ألفاظا من البيت الذي يرد في معناه ، ولعل الذي يسر له ذلك هو أن القصيدتين اعتمدتا على نظم الامثال في معانيهما بصورة أساسية (١) .

وتتجــلى مقدرة الثعالبي الفنية في نثره الذي تعمد الاطالة فيه بصورة أوضح مما تبدو عليه في المواطن التي فضل فيها الاختصار ، فهو يلجأ عند الاطالة الى تعبيره الخاص ، وخياله الادبي ، كما في حله بيتي أبي بكر الخوارزمي [من المجتث]

ولي قميــص رقيــق ... تقــده الأوهـــام
وجبــة لا تســـاوي ... تصحيفهـا والســلام

حيث يقول : كرم مولاي أدام الله عـزه لايرضى لي في هذا الشتـاء العبوس القمطرير ، والبرد الكاشر لي عن ناب الزمهرير ، بأن أغدو وأروح في ثياب أخلاق ، كهواء رقيق وسراب رقراق ، والقميص لم يبق منه إلا الاسم ، وصار يقده الوهم ، والجبة أصبح البلى حليفها وأليفها ، فهي لاتساوي تصحيفها ، والعمـامة إذا هــب عليها نسيم الهواء ، كادت تنتظم في سلك الهباء ، فان كسوتني خلعـة تحسن في

---

(١) وردت قصيدة البستي بين صفحتي ١٢٧ ، ١٣٢ وقصيدة ابي عبد الله الأبيوردى بين صفحتي ١٣٢ و ١٣٥ من الكتاب .

العيون كسوتك خاصة تحسن في الأذان والقلوب إن شاء الله » (١) .

وقد يقدم لنثره بمقدمة فنية تمهد لفكرة البيت كما فعل في نثره لأبيات أبان بن عبد الحميد في عرض حاجة على الفضل بن يحيى البرمكي فقال : « لولا أن من معروف السرسوم والعادات ، وصف الانسان نفسه للملوك والسادات ، وذكره مافيه من الفضيلة ، عند ابتغاء الوسيلة ، لما تمدح يوسف الصديق بن إسرائيل بن يعقوب بن الذبيح اسحاق بن الخليل ابراهيم عليهم أفضل الصلاة والتسليم حين قال للعزيز : اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم . وهذه مقدمة للاعتذار إلى الامير أطال الله بقاءه من مدح نفسي لحضرته ، عند عرضها على خدمته » (٢) ، ثم بدأ بنثر أبيات الشاعر .

ولا أظننا بحاجة بعد هذا الى سياقة أمثلة على ما اصطنعه الثعالبي في نثره من سجع وجناس وطباق ومحسنات بديعية ومعنوية أخرى ، فلعل فيما سقناه من أمثلة ما يغني عن ذلك ، بيد أن من الحق أن نذكر أن تعلق الثعالبي بالمحسنات البديعية في « نثر النظم وحل العقد » يبدو أخف كثيرا مما كان عليه في « المبهج » ، وربما كان السبب في ذلك اختلاف طبيعتي الكتابين ، فقد أراد الثعالبي للمبهج ان يكون كتابا في الامثال الموجزة البليغة التي يسهل حفظها عادة مع السجع والجناس ، اما حين كتب نثر النظم فانه وجد المعاني حاضرة لديه ، وان نثرها يقتضي منه ان يبقى دائرا في فلكها ، فأعفى نفسه

(١) نثر النظم ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ١٣ .

احيانا من قيود البديع ليفرع لاستيفاء المعنى واداء الفكرة، ومع كل ذلك فان كتاب « نثر النظم وحل العقد » يبقى شاهدا على قدرة الثعالبي على اكساء المعاني برودا جديدة من الالفاظ ، مطرزة بفنون من وشي الكلام وزخارف التعبير الفني .

على اننا لو شئنا أن نطلع على مرحلة نضج أسلوب الثعالبي فما لنا إلا أن ندرس القسم الثاني من الباب الثالث من كتاب « خاص الخاص » (١) وهو قسم قال في تقديمه « فيما اخترعته وابتدعته على على أفعل من كذا في رسائل وفنون متفننة مقصورة عليها » (٢) وقد أبدع فيه ما شاء على قصر ما ساقه وقلته .

ولعل أول ما يطالعنا في أسلوب هذا القسم هو تلك المبالغة التي تظل مستساغة إذا تنبهنا الى أن الاساس الذي بني عليه القسم كله يستوجب المبالغة ويقتضي التهويل ، وهو بناء القول على « افعل من كذا » إضافة الى ما سبقت الاشـــارة اليه من طبيعة التيار الادبي والنفسي في البيئة الشرقية في عصر الثعالبي .

ويخفف من مبالغة الثعالبي كثيراً تأنقه في اختيار اللفظ ، وعنايته بتناسق المعاني حتى بدت جمله آخذاً بعضها برقاب بعض دون أدنى تكلف في مثل قوله : « كلام سيدنا أحسن من الدر الأزهر ، والياقوت الأحمر ، وأذكى من المسك الأصهب ، والعنبر الأشهب ، فلا

---

(١) سبقت الاشارة الى أنه ألفه بعد سنة ٤٢٠ هـ حين جاوز عمره السبعين .

(٢) خاص الخاص ٤٥ .

فض الله فمه ، وأجرى بتدبير الأقاليم قلمه » (١) .

ويلعب عمق الخيال وطرافة الصور دورهما في جمال الأداء الفني في مثل قوله : « يومنا أبرد من تسبيح العجوز ، وأذان المخنث، وتشيخ الصبي ، ورقص الأعرج ، وأنا بالانفراد عنك أوحش من عين تضاجعه عجوز ، ومن حمار أعمى على معلف خال ، فأحب أن أتأنس بقربك » (٢)

ولعلنا نقف مدهوشين عند قراءة فصل كتبه في إهداء الشراب الى صديق فقال: « إهداء الشراب من رسوم الأحباب ، لأنه كيمياء الأنس ، ومفتاح مسرة القلب ، ولقد خدمت مجلس سيدي بشراب أحسن من ذكره ، وألطف من روحه ، وأصفى من وده ، وأرق من لفظه ، وأذكى من عرفه ، وأعذب من خلقه ، وأطيب من قربه ، فليشرب على وجه عشيقه، في دار صديقه » (٣) .

لقد فات الثعالبي في غمرة انشغاله بتتابع المعاني ، وتأنقه في طريقة عرضها أنه طرح كثيراً من أصول اللباقه التي تقتضيها الحياة الاجتماعية في عصره ، وغير عصره ، اذ من غير المعقول أن تفضل صفات الشراب على ذكر الصديق وروحه ووده ولفظه وعرفه وخلقه وقربه ، فكيف إذا صدر ذلك من صديق بحق صديق ؟ إن الاعتذار للثعالبي عن هذه الفرطة قد يكون دفعاً لخطأ بخطأ مثله .

---

(١) خاص الخاص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق ٤٦ .

(٣) المصدر السابق ٤٧ .

ومن الحق أن نشير الى عيب فني آخر يلاحظ في فصول هذا القسم وهو تشتت الصور الفنية أحيانا ، كما في مثل قوله : « ذكر مولاي أني وفلان بن فلان متنافران ، وما أدري لم قال ذلك ونحن آلف من الجسم والروح ، والناي والعود ، ومن المسك والعنبر ، ومن أبي بكر وعمر ؟ » (١) فما أبعد المدى بين صور تآلف الجسم والروح ، وتآلف الناي والعود والمسك والعنبر ، وتآلف ابي بكر وعمر .

إن متابعة هذه الصور المتنافرة تقتضي من السامع القفز بين تحليل العلاقة المعنوية في الصورة الاولى ، وتحليل العلاقة الحسية في الصورتين الثانية والثالثة ، وتحليل العلاقة الشخصية والاجتماعية عن طريق الرجوع الى الحصيلة الثقافية التاريخية في الصورة الرابعة ، وذلك جهد كان يمكن للثعالبي أن يوفره على قارئه لو انه بذل عناية اكثر باختيار الصور المنسجمة التي يطمئن إليها الخيال ، وتقبلها النفس بأدنى مشقة، ومن أقصر سبيل .

على اننا قد نوفق الى حسن الاعتذار للثعالبي عن ذلك إذا أخذنا طبيعة التيار الأدبي في عصره وبيئته بنظر الاعتبار ، فقد كان جل هم الأدباء أن يحشدوا ما امكن من الصور التي قد يفوتهم تناسقها في احايين كثيرة ، ولنا ان نطلع على مقامات الهمداني لنجد مصداق هذا القول .

وتبقى فصول الثعالبي القليلة التي وردت في كتاب « خاص الخاص »

---

(١) خاص الخاص ٤٧ .

- رغم ما يؤخذ عليها - تمثل أعلى مرحلة بلغها أسلوبه من عمق الخيال وقوة التعبير ، ولعل لبلوغه الرابعة والسبعين من عمره عند كتابتها أثراً في نضج أسلوبه واستواء فنه وعمق أفكاره .

تلك هي أهم خصائص أسلوب الثعالبي الانشائي فيما عثرنا عليه من نصوص ، اما الاغراض التي طرقها في هذا اللون من نثره فكثيرة ومتنوعة ، إلا أن الحديث عنها يبدو قليل الجدوى عاريا عن الاسس العلمية للدراسة الادبية ، ذلك ان كتاب « المبهج » والقسم الثاني من الباب الثالث من كتاب « خاص الخاص » كتبا اصلا في الأمثال والأقوال الموجزة البليغة التي لا يمكن اخضاعها لدراسة نقدية قائمة على تحليل دقيق لمعاناة الاديب ومدى ما وفق اليه من التعبير ، رغم امكان جمعها بمجاميع موحدة الهدف والغرض ، ذلك ان هذا اللون النثري الذي تدبجه أقلام كبار الكتاب يعبر عن روح تعليمية تتفنن في كتابة أو انتقاء ما يصلح للادباء والمتأدبين اكثر مما يعبر عن تجربة إنسانية متفاعلة في نفس الاديب (١) ، فهو صورة لقدرتهم على التعبير

---

(١) يكاد منهج الثعالبي في تأليف كثير من كتبه يشي برغبته في جمع الاقوال التي ينتفع منها الادباء والمتأدبون تحت ابواب وفصول موزعة على الاغراض الادبية العامة وقد صرح الثعالبي بهذا في مقدمة كتابه سحر البلاغة ٥ ، ٦ .

الفني المستمد من تجارب موزعة في النفس ، أو ثقافة عقلية او اجتماعية هيأت لها الموهبة الأصيلة سبيل القول البليغ .

أما « نثر النظم وحل العقد » فلا فضل للثعالبي في اختيار اغراضه ، فهو مقيد باغراض ما نثر من شعر ، ولهذا فانه لايمثل تجاربه الشخصية بقدر ما يمثل مقدرته على القول ضمن إطار محدد سلفا .

ولعلنا نتساءل بعد كل ما تحدثنا به عن خصائص واغراض نثر الثعالبي ، ألم يكن للرجل رسائل إخوانية وهو ابن عصر احتلت فيه الرسائل الاخوانية مكانا بارزا في الميدان الادبي ؟ ولا بد من ان يكون الجواب بالايجاب قطعاً ، فثمة إشارات صريحة إلى أنه كتب رسائل إخوانية منها ما أشار هو اليه من مكاتبة جرت بينه وبين المؤمل بن خليل البستي (١) ، ومنها ما أشار الباخرزى اليه من كتب إخوانية جرت بن الثعالبي وأبيه (٢) ، ولكن ما تركته الايام من كتب الثعالبي ومن تراث القرنين الرابع والخامس الهجريين لا يسعف

---

(١) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٥ .

(٢) قال في ترجمته بعد أن تحدث عن علاقة الثعالبي بوالده : « وكم حملت كتبا تدور بينهما في الاخوانيات وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات » « دمية القصر » ٢ : ٢٢٦ .

بنص واحد من تلك الرسائل عدا ما ساقه السيد أحمد الهاشمي في كتابه « جواهر الادب في أدبيات وإنشاء لغة العرب » إذ روى أحد عشر نصا على انها رسائل للثعالبي (١) ، وقد تبين لي بعد دراستها أنها نصوص مختارة من كتاب « سحر البلاغة » (٢) الذي عقده الثعالبي على جمع اقوال لادباء العصر ، وقد وردت النصوص بدون نسبة الى اصحابها كبقية نصوص « سحر البلاغة » ، فتوهم السيد احمد الهاشمي أنها للثعالبي ، ولو انه قرأ مقدمة الكتاب لعرف أنه في الاختيارات ، وأنه ليس من انشاء الثعالبي ، وتجنب هذا الوهم (٣) .

---

(١) قدم لكل نص بقوله : « وكتب ابو منصور الثعالبي » في الصفحات ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٦ ، ١١١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٣ .

(٢) وردت هذه القطع حسب تسلسلها المذكور في الهامش السابق في الصفحات ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ٦٩ ، ٩١ « ووردت هذه القطعة في يتيمة الدهر ٣ : ٢٥١ منسوبة الى الصاحب بن عباد » ، ١٠١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) طبعت مجموعتان من كتب الثعالبي تحت اسم « اربع رسائل للثعالبي » و « رسائل الثعالبي » وواضح ان المقصود بكلمة « رسائل » هنا هو « المؤلفات » وليس الرسائل الادبية .

وما يدرينا لعل فيما ضاع من آثار الثعالبي صورا اخرى لأسلوبه الانشائي تصلح مادة لدراسة أدق وأشمل ، ولكننا سنبقى عاجزين عن تلك الدراسة الوافية إلى أن نعثر على تلك النصوص ، وذلك رهين بالزمن وحده (١) .

(١) ثمة ما يدعونا الى الظن بأن كتاب « السياسة » المذكور في المتشابه ، ٢١ وكتاب « المفرق » المذكور في اللطائف والظرائف ٦٤ من إنشائه وهما ضمن كتبه المفقودة .

الفصـــل الثـــاني

شعره

خصائصه :

كان الشعر العربي في الجاهلية صورة تكاد تكون وحيدة للتعبير من الانفعالات والأحاسيس التي تضطرب في نفس الشاعر الذي كان يتخذ لغته اليومية وسيلة للتعبير الشعري .

وظل الشاعر العربي رهين باديته لا يفارقها الا لماما ، فظلت لغته بمنجاة من التطور الحاد . والواقع ان ما وصل الينا من الشعر الجاهلي لم يجاوز زمنه قرنين قبل الهجرة النبوية ، وهذا زمن لا يسمح لنا بملاحظة التطور اللغوى في الشعر ملاحظة دقيقة بالرغم من انه كان يتخذ مجراه الطبيعي على الألسن بشكل غير محسوس .

ونزل القرآن الكريم بلغة عربية كانت قد بلغت مرحلة من النضج لا يمكن ان نعدها أعلى مرحلة من مراحل التطور ، ذلك ان اللغات جميعا تخضع لقوانين النشوء والارتقاء ، ولكن نزول القرآن الكريم

كان حدثا ضخما أثر في مجرى التطور اللغوي للسان العربي .

ولما دخل الاعاجم في الاسلام كان عليهم أن يتعلموا اللسان العربي تعلما ليفهموا القرآن الكريم ، فأخضع العلماء اللغة لقواعد استنبطوها ومدوا قياسها ، ودونوا ما درسوه ، فكان ذلك إيذانا ببدء ازدواج لغوي ، فقد اتخذت اللغة اليومية مجرى تطوريا حادا بفعل اختلاط القوميات والالسن ، اما لغة القرآن التي تناولتها الدراسات اللغوية فقد ظلت بعيدة من تطور اللغة اليومية .

وكانت دراسة الشعر العربي وسيلة من وسائل تعلم اللغة القرآنية ، وكان الاعاجم ادخل في تلك الدراسة من العرب ، ولكنهم رغم كل ذلك لم يستطيعوا أن يتقمصوا طبيعة الشعر العربي الاصيل لبعدهم عن البيئة العربية الأصيلة التي جادت به . أما ظهور شعراء كبار من أصول فارسية كبشار وأبي نواس فانه لا يناقض ما ذهبنا اليه ، ذلك ان هؤلاء الشعراء ولدوا ونشأوا في البيئة العربية الحضرية الجديدة ، فكانوا كأبناء العربية لسانا وفكرا وعاطفة وتعبيرا حتى أمكن أن نقول إنهم عرب بالرغم من أصولهم الفارسية . اما ما يقال عن أثر العصبية الفارسية في دعوة أبي نواس الى نبذ بعض التقاليد الشعرية العربية الموروثة ، وما يبنى على ذلك من حكم بتعصبه للفارسية على العربية فانه وهم مصدره عدم التنبه الى البواعث الاجتماعية والفكرية لهذه

الدعوة (١) ، إن الأمر كله يقوم على محض مصادفة ، فلو لم يدعُ ابو نواس الى ما دعا اليه لدعا إليه غيره من ابناء البيئة العربية الجديدة متأثراً بالدوافع نفسها ، ولا يمنع ذلك ان يكون الداعية الجديدة عربيا من اصل عربي .

لقد ظل الشعر العربي الاصيل مرتبطا بباديته(٢) ، اما البيئات الحضرية فانها تطلبت شعرا يلائم الطبيعة الاجتماعية الحضرية الجديد ولقد كانت بلاد فارس وخراسان بيئة حضرية بعيدة عن البادية ، بعيدة عن مركزي الخلافة الاسلاميين ، فكان لذلك كله أثر في ابتعاد شعرائها عن أساليب واغراض شعراء العراق والشام .

لقد كان الشعر العربي في البيئة الشرقية في القرن الرابع الهجري يمثل نمطا خاصا يغلب على أساليبه مايغلب على أساليب الكتاب من زخرفة لفظية ، وتعلق مفرط بفنون البديع ، وبعد عن الروح العربية التي ظلت تسم شعر أهل الحجاز والشام بميسمها الخاص .

لقد لمس البغداديون في شعر ابي الحسن الباخرزى «برودة» انكروها عليه وعزوها الى كونه من العجم ، فلما طال المقام بالرجل في بغداد ، وانتقل الى الكرخ وسكنها ، وخالط فضلاءها وسوقتها ، وتخلق باخلاقهم ، واقتبس من اصطلاحاتهم ، وكتب شعراً بعد ذلك ، استحسنه

---

(١) اشار الدكتور محمود غناوى الزهيرى الى ان ثورة ابي نواس لم تكن تتصل بالناحية السياسية من قريب او بعيد ، انما هي استجابة او تلبية لنداء الطبيعة ، ورجوع الى التراث القديم من الميول والعادات . الأدب في ظل بني بويه ، ٦٣ .

(٢) النقد الادبي ، ٤١٩ .

البغداديون وقالوا :« تغير شعره ، ورق طبعه » (١)

ان السر في اختلاف شعر الباخرزى يكمن في تغير الظروف البيئية لا تغير الجنس ، فان الرجل ظل أعجمي الاصل في الحالتين ، ولكن تغير بيئته أدى الى تغير شعره ، وتلك سنة تسري على الشعر كله كما سرت على شعر الباخرزى .

على ان الامر لا يقف عند ملاحظة « بروده » الشعر أو « حرارته » ، إذ إنه أعمق من هذا بكثير ، ذلك ان الشاعر العربي في البيئة الشرقية في القرن الرابع لم يكن ابن بادية توحي له خشونة حياتها ، وانبساط أرضها ، وامتداد سمائها ، بقوة اللفظ ، وعمق المعنى ، وطول الأناة . بل هو ابن بيئة كثرت خيراتها ، وتدفقت ينابيعها ، واخضر أديمها ، وكثرت جبالها ووديانها ، فلا عجب ان أوحت له بلين اللفظ ، والتأنق في الأسلوب ، وبالمعاني الخفيفة التي لا تتطلب طول نفس .

لقد اختلف حديث البدوي عن مظاهر الطبيعة عن حديث الفارسي ، وظل هذا الاختلاف قائما حتى في حديثهما عن مظاهر الطبيعة المتشابهة ، من ذلك ما اشار اليه الدكتور محمود غناوى الزهيرى من ان العربي يرى في المطر رحمة وغيثا في بيئة صحراوية جافة ، بينما يرى الفارسي في المطر نقمة تعيقه عن مآربه في بيئة تتفجر فيها الينابيع ، وتجرى فوقها الانهار (٢) .

فاذا ما نظرنا الى آثار العوامل الطبيعية والاجتماعية والزمانية

---

(١) معجم الادباء ، ٥ ، ١٢٤ .

(٢) الادب في ظل بني بويه ، ٩٤ ، ٩٥ .

في الشعر سهل علينا أن نفهم لماذا ابتعدت اساليب شعراء البيئة الشرقية في القرن الرابع عن أساليب الشعر العربي القديم .

على ان اثر البيئة الشرقية لم يقتصر على أساليب الشعر وحدها ، بل تعداها الى الاغراض ، اذ مال الشعراء الى التوسع في تناول بعض الاغراض ، كالغزل الماجن ، والغزل بالمذكر ، والخمريات (١) . وضمنوها مقطعات قصيرة النفس ، بدا أنها اصلح ما تكون لنظم المعاني الجديدة التي لم تخل من الاهتمام بوصف أمور لا يستوجب وصفها أكثر من البيت والبيتين ، ولعل ابن رشيق تنبه الى ذلك حين اشار الى ان المقطعات أليق من الطوال في مواقف فنية معينة (٢) . إن من يتصفح القسم الرابع من « يتيمة الدهر » لايمكنه أن يتجاهل مدى ابتعاد شعراء خراسان وما وراء النهر عن الروح الشعرية العربية في الالفاظ والمعاني ، والاساليب والاغراض ، ولكن ذلك كله لا يعني سوى ان هذا الشعر كان أليق بالزمان والمكان ، وأصدق في التعبير عن خلجات القوم في حدود قدرتهم على التعبير بلسان مصدره الكتب لا الفطرة .

ولقد جرب الثعالبي حظه في قول الشعر في تلك البيئة الفارسية التي استمد ثقافته منها ، وتاثر بأساليب شعرائها ، فما كان له إلا أن يقول في حدود ما قاله سابقوه ومعاصروه ، وما كان له إلا أن يستلهم ما استلهموه من بواعثها المادية والروحية والثقافية .

وقد كان الشعر عند الثعالبي تعبيرا عن خلجات نفسه أكثر منه

(١) تيارات ثقافية بين العرب والفرس ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

(٢) العمدة ١ : ١٨٦ ، ١٨٧

وسيلة للكسب ، أو لاظهار المقدرة الأدبيه ، ولعله لمس أن موهبته الشعرية لا تسعفه كما تسعف كبار شعراء عصره الذين أتاح لهم شعرهم مكانة رفيعة ، وكسبا وفيرا ، كالمأموني والواثقي ، وأن مقدرته في ميدان التأليف تغنيه عن منافسة الشعراء ، فلاعجب ان كثرت احاديثه التي تنم عن إيمانه بأن الكسب بالشعر غمة يرفعها الله عمن يرضى عنه (٢) ، وأن اخفى نسبة كثير من شعره في بعض كتبه الى نفسه ، في حين نسبها الى نفسه في كتب أخرى او نسبها اليه غيره (١) ، ومع كل ذلك فقد غلب عليه ميله الى الجمع والتصنيف فكان أن جمع شعره

---

(١) تتمة اليتيمة ٢ ، ٥٥ و ١٠٦ .

(٢) نسب ابياتا الى «بعض أهل العصر» في «ثمار القلوب» ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦ ونسب الابيات التي وردت في هذا الصفحات الى نفسه في كتبه «المبهج» ٥٣ و «من غاب عنه المطرب» ٢٦٩ ، و «لطائف المعارف» ١٨٩ و «خاص الخاص» ٢٢٣ . ونسب ابياتا الى «بعض اهل العصر» في يتيمة الدهر ١ : ٤٤٣ ، ٣ : ٢٩٠ نسبت الاولى اليه في «انوار الربيع في انواع البديع» ، ٥ : ١٢٥ ونسبت الثانية اليه في « اليميني » ورقة ٦٣ ظهر . وامثال هذا في كتبه كثيرا ، وقد ضاع ذلك علي فرصة التاكد من صحة نسبة مقطوعات كثيرة نسبها الى « بعض اهل العصر » في كتبه ، ولم اعثر على نسبتها الصحيحة .

في مجلدة ذكر تلميذه الباخرزي أنه رآها، ونقل منها (١)، وقد ضاعت هذه المجلدة فيما ضاع من كتب الثعالبي، ولعل الايام تكشف عن مكان وجود نسخة منها فتتيح للباحثين أن يطلعوا على جوانب جديدة من شعره، وان كنت آمن أن ما تجمع لدي منه يغني عن المفقود في ميدان الدراسة والتقويم.

إن ما استطعت جمعه مما تبقى من شعر الثعالبي الصحيح النسبة إليه يبلغ أربعة وستين وخمسمائة بيت ضمنها ثماني وسبعين ومائة قطعة، بينها احدى عشر قصيدة فحسب، والبقية بأجمعها مقطوعات منها تسع وتسعون قطعة قوام كل منها بيتان، على أن من حقنا أن لا نستبعد كون مجموعة من هذه المقطوعات هي قصائد طويلة في

(١) دمية القصر ٢، ٢٢٦. واشار ياقوت في معجم الادباء ٣ : ٢١٩ في ترجمة الحسن بن المظفر النيسابوري الى أن الحسن كتب ذيلا لتتمة اليتيمة أورد في آخره من نثره ونظمه، وأنه «سلك طريق أبي منصور الثعالبي رحمه الله فيما أورده من شعره في آخر كتابه «تتمة اليتيمة»». والواقع ان كتاب «تتمة اليتيمة» المطبوع ينتهي بترجمة يقدم لها الثعالبي بقوله: «وهذه خاتمة الخاتمة» تتمة اليتيمة، ٢ : ١١٥. فلا يخرج الأمر عن أحد وجهين: إما وقوع ياقوت أو الحسن النيسابوري في الوهم وإما نقصان مخطوط «تتمة اليتيمة» الذي اعتمده محقق النسخة المطبوعة، والوجه الاول أرجح عندي، فلعل الوهم متأت من الخلط بين «تتمة اليتيمة» و «خاص الخاص» الذي ختمه الثعالبي فعلا بنخبة صالحة من شعره.

الاصـل ، ولكنها لم تصل الينـا كاملة ، فقد أشار الثعالبي في تقديم بعضها الى انها أبيات من قصيدة ولكنه لم يثبت منها الا البيتين أو الثلاثة (١) .

ويغلب على هذه القصائد والمقطعات ما غلب على شعر البيئة والعصر من كلف بالزخرف اللفظي ، وتعمد اصطناع المحسنات البديعة ، فكان شعر الثعالبي أشبه ما يكون بنثره من هذه الجهة ، بل لقد زاد عليه أحيانا ، وقد لا أغلو إذا قلت إنه تورط أحياناً فيما أنكره على بعض المتكلفين من تعمد استعمال الجناس (٢) ، فقد تعمد استعماله في مثل قوله (٣) : [من المتقارب]

أطـال الاله بقـاء الأمير وتوفيقـه ثم تأييـده
ففي كل يوم باقباله يرى عبده عنده عيده

ولعل الجناس كان أكثر ما يستهوى الثعالبي من فنون البديع ، فقد غلب على شعره ، حتى إنه جرب حظه في تقليد صديقه وشيخه أبي الفتح البستي في المتشابه فقال (٤) : [من البسيط]

قولوا لعثمان في أوقات طيبته إذا تبسم عن در وياقـوت
إنى أراك تبيع الناس قوتهم ففيم تمنع عني القوت يا قوتي

(١) المتشابه ٢٤ ، ثمار القلوب ٣٥ و ٣٩٩ .
(٢) المتشابه ٢٤ .
(٣) خاص الخاص ٢٤٠ .
(٤) احسن ما سمعت ١٢٦ ، ١٢٧ .

وقال (١) : [من مجزوء الكامل]

واهاً لغزنه إذا غدت　　للملك والاسلام دارا

من كعبة قد أصبحت　　للمجد والعليا مدارا

في صدرها الملك الذي　　قطب السعود عليه دارا

ولا يخلو شعر الثعالبي من الطباق ، ولكنه اقتصد في استعماله إلى حد يبدو وروده معه طبيعياً كما في قوله (٢) : [من الطويل]

وحيدت يا من للمعالي قيامه　　وللفضل والافضال فينا قعوده

وقوله (٣) : [من الكامل]

كم في ضمير الغيب من أسرار

تهدي (٤) اليسار إلى ذوي الاعسار

وانعكس كلف الثعالبي بالسجع في نثره على شعره، فرصع بعض أبياته كما في قوله (٥) : [من المتقارب]

وانسي مريض وهمي عريض　　وطرفي غضيض وعظمي مهيض

ومثل ذلك ما نلاحظه من انعكاس آثار الحياة السياسية

---

(١) نهاية الارب ١ : ٣٦٥ .

(٢) خاص الخاص ٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق ٣٤٥ وثمار القلوب ٦٨١ .

(٤) في ثمار القلوب « يهدى » .

(٥) خاص الخاص ٢٤٤ .

والاجتماعية في كلف الثعالبي بالمبالغة والتهويل في مثل قوله في مدح الامير أبي الفضل الميكالي (١) : [من المجتث]

يا كعبة المعالي ... وقبلة الآمال
وغرة الجمال ... وصورة الكمال
وطالع الاقبال ... وعارض الافضال
وآفة الأموال ... بدر بني ميكال
كم لك من مقال ... أصفى من الزلال
أحلى من السلسال ... أبهى من اللآلي
أزكى من الغوالي ... أمضى من العوالي
أقضى من النصال ... أضوأ من الهلال
أسرى من الخيال ... أبقى من الجبال
فاسلم على الليالي ... ودم بخير حال

ويبدو تأثر الثعالبي بصديقه بديع الزمان الهمداني في بعض الألاعيب اللفظية التي أودعها بعض أبياته كقوله (٢) : [من المتقارب]

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٦ وردت ضمن مجموعة من القصائد منسوبة الى « من وصف بلاغة الميكالي في النثر وبراعته في النظم » وأولى قصائد هذه المجموعة منسوبة الى الثعالبي نفسه في زهر الآداب ١ : ١٣٧ ووفيات الاعيان ٢ : ٣٥٠ .

(٢) برد الاكباد ١٣٥ ، اللطف واللطائف ورقة ٤ وجه .

كتبت وشينات حالي جلبـ ن علي بمن جل عن مشبهِ
فشوقي إليه وشكري له وشعري فيـه وشغلي بهِ

وقوله (١) : [من الكامل]

رمضان أرمضني فأمرضني بصا دات على عدد الطباع الاربعه
صوم وصفراء تجرعني الردى وصبابة وصدود من قلبي معه

ويشبه ذلك ما تعمده الثعالبي من جمع عدة تشبيهات في البيت الواحد في مثل قوله (٢) : [من المتقارب]

وفيك لنـا فتن أربـع تسلّ علينا سيوف الخوارج
لحاظ الظباء وطوق الحما م ومشي القباج(٣)وزي التدارج

وكان لابد للبيئة الفارسية التي عاش الثعالبي فيها من ان تؤثر في ألفاظ شعره ومعانيه ، فكثر استعماله الالفاظ الفارسية وذلك كاستعماله كلمة (بست) في قوله (٤) : [من الوافر]

عشقت الجـود جداً فهو طبعك وبست تراب بست فهي ربعك

(١) برد الاكباد ١٣٥ .

(٢) فقه اللغة ٥٥٧ وثمار القلوب ٤٩٠ و ٦٢٤ .

(٣) ورد البيت في ثمار القلوب ٤٩٠ بتقديم « مشي القباج » على « طوق الحمام » .

(٤) لطائف المعارف ٢٠٦ والبوس التقبيل وهو فارسي معرب ، لسان العرب مادة « بوس » .

واستعمال كلمة (الرساتيق) و (الجواليق) في قوله (١) :
[من الهزج]

إذا ما نقل الدهقا ن غلات الرساتيقِ
فكم من نعمة بيضا ء في سود الجواليقِ

وذهب إلى بناء بعض معانيه على تقليب معاني لفظة فارسية فقال (٢) : [من الطويل]

ما المرء إلا بمقلوب اسمه رجل
بالفارسية فافهم أيها الرجلُ
فان يكن خاليا مما رمزت به
بضم ميم اسمه قد جاءه الاجلُ

وواضح ان معنى هذين البيتين يقوم أساسا على فهم ما يقابل كلمة « رجل » بالفارسية . وهو « مرد » . ومقلوبه « درم » ، ولا معنى لهذه الكلمة بالفارسية إلا ان تكون مخففة من كلمة « درهم » وهي فارسية معربة (٣) ، اما « مُرد » بضم الميم فتعني « الميت »

ويبدو أثر مهنة التأديب في بعض شعر الثعالبي واضحا في تقديمه

---

(١) المبهج ٢٩ والتمثيل والمحاضرة ١٩٥ ، والرستاق لخراسان كالسواد للعراق ، فقه اللغة ، ٤٧ . والجواليق جمع جوالق ، وعاء من الاوعية معروف ، معرب . لسان العرب ، مادة (جلق) .

(٢) المبهج ٢٨ .

(٣) فقه اللغة ٤٥٢ .

لبعض معانيه بمقدمة مفتعلة لا قيمة لها من الناحية الفنية ولكنها تشي بروح التعليم القائمة على التمهيد للحقائق بما يهيء الاذهان لقبولها . كما في قوله (١) : [من السريع]

يا واصف الكأس بتشبيهها دونك وصفا عالي القدر
كأن عين الشمس قد أفرغت في قالب صيغ من «البدر» (٢)

وقوله (٣) : [من الطويل]

ودونك بيتاً قد تحلت به النهى
كما يتحلى معصم بسواره
إذا لم يكن في منزل المرء حرة
تدبره ضاعت مصالح داره

على ان ثقافة الثعالبي المتشعبة وجدت طريقها الى بعض أشعاره فاستمد منها بعض معانيه كما فعل حين أفاد من معلوماته الدينية والتاريخية فقال في عتاب الميكالي (٤) : [من السريع]

يا سيداً بالمكرمات ارتدى وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجري على مقتضى مودة طال عليها المدى

(١) المبهج ٥٢ ، من غاب عنه المطرب ٢٨١ ، خاص الخاص ٢٣٢ .
(٢) في من غاب عنه المطرب (الدر) .
(٣) مرآة المروءات ٢٣ .
(٤) دمية القصر ٢ : ٢٢٦ ، حياة الحيوان ٢٠٣ ، روضات الجنات ٤٤٣ ، معاهد التنصيص ٤٧١ .

إن غبت لم أطلب فهذا سليـ ـمان بن داوود نبي الهدى
تفقد الطير على شغله فقال : مالي لا أرى الهدهدا ؟

وأفاد من مصطلحات المحدّثين في قوله (١) : [من الطويل]

سقطت لحيني في الفراش لزمته
أضم إلى قلبي جناح مهيض
وما مرض بي غير حبي وإنما
أدلّس فيكم عاشقاً بمريض

واستعمل بعض مصطلحات الصوفية في قوله في ابي سليمان الخطابي (٢) [من البسيط]

أبا سليمان سر في الارض أو فأقم
فأنت عندي ، دنا مثواك أو شطنا
ما أنت غيري فأخشى أن أفارقه
قربت روحك بل روحي فأنت أنا

ولم يعف شعره حتى من ألفاظ ومعاني مفسري الأحلام كما في قوله في التفاح (٣) : [من المنسرح]

يا حبذا حسنها ورؤياها وحبذا في الثمار بجناها

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٢٨ .
(٢) خزانة الادب ١ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
(٣) من غاب عنه المطرب ٢٥٢ .

تفاحة في الكرى توافقني وفي انتباهي قصرت أهواها
لأنها في المنام همة من يأمل مالا ويبتغي جاهاً
وهي بهذي الأوصاف ممتعة تريح روحي بطيب رياها

وكما نثر الثعالبي مختار الشعر المترجم بـ « مؤنس الأدباء » نظم بعض الأقوال البليغة المشهورة كقول الصاحب بن عباد « الخراج خراج دواؤه في أدائه » حيث قال (١) : [من المجتث]

قد قلت قولا سديداً يروي العطاش بمائه
إن الخراج خراج دواؤه في أدائه

وقد يقول الثعالبي شعره باقتراح ممدوحيه أو أصدقائه على عادة شعراء عصره فيبدو التكلف واضحا على ما يقول (٢) :

وتتراوح معاني الثعالبي قوة وضعفاً بحسب الغرض الذي يطرقه أو مدى اهتمامه بالصناعة اللفظية ، فهو حين يختتم كتابه « خاص الخاص » بأبيات شعرية لا يعبأ بأن يقول (٣) : [من الكامل]

تم الكتاب بدولة الشيخ الذي
قد صار تاج علاه فوق الفرقد

---

(١) المبهج ٢٩ ، اللطائف والظرائف ٣٠ ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ٢٥ وجه . اللطف واللطائف ورقة ٤ وجه .
(٢) احسن ما سمعت ١٢٦ ، خاص الخاص ، ٢٣٠ .
(٣) ٢٤٦ .

بدر الصدور مسافر ركن العلا
والمكرمات وكيمياء السؤدد
والحمد لله العظيم جلاله
ثم الصلاة على النبي محمد

ولم يرتفع عن مثل هذا الأسلوب الركيك حين تعمد استعمال المتشابه في قوله (١) : [من الكامل]

لا كان في عيني مجال للسنه وجعلت مرضي طعمة للالسنه
إن ذقت طعم العيش بعدك ساعة ورأيت يوم البين إلا كالسنه

ولكن شعر الثعالبي في الأغراض الجليلة لا يخلو من معان دقيقة تتهيأ له كقوله في الشكوى (٢) : [من السريع]

أما ترى الدهر وأيامه
(في العمر مثل)(٣) النار في الشيح
تمر كالريح وما في يدي
من مرها شيء سوى الريح

وقوله في وصف الربيع (٤) : [من الطويل]

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٢٧ ومعاهد التنصيص ٤٧١ .
(٢) الامثال ، ورقة ١٠ وجه ، خاص الخاص ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) في الامثال (تمر مثل) .
(٤) المبهج ٥٥ ، احسن ما سمعت ٦٦ ، من غاب عنه المطرب ، ٢٣٧ .

أظن (ربيع العام)(١) قد جاء تاجراً
ففي الشمس بزازاً وفي الريح عطارا
وما العيش إلا أن تواجه وجهه
وتقضي بين الوشي والمسك أوطارا

وقد بلغ من اعجاب معاصري الثعالبي ببعض معانيه ان ضمنوا كتبهم في الاختيارات ابياتاً له ، كالذي فعله أبو سعد بن أبى الفرج حين ضمن كتابه « التشبيهات » بيتين للثعالبي هما قوله (٢) : [من البسيط]

أنظر إلى البدر في أسر الكسوف بدا
مستسلماً لقضاء الله والقدر
كأنه وجه معشوق أدل على
عشاقه فابتلاه الله بالشعر

ولنا ان نلاحظ بعد ذلك ان الثعالبي كان يؤثر البحور الطويلة فقد وجدت له ضمن ما عثرت عليه من شعره واحداً وعشرين ومائة بيت من الكامل ، ومائة بيت من الطويل ، وتسعة وستين بيتاً من البسيط ، وأربعين بيتاً من السريع ، وخمسة وأربعين بيتاً من الوافر وأربعين بيتاً من المتقارب ، وثلاثين بيتاً من الخفيف ، واثنين وعشرين بيتاً من مجزوء الكامل ، وأحد عشر بيتاً من مجزوء الرمل ،

(١) في المبهج واحسن ما سمعت (الربيع الآن) .
٢) تتمة اليتيمة ١ ، ١٣ .

وسبعة أبيات من المقتضب ، وثلاثة أبيات من مخلع البسيط ، وبيتين من مجزوء الوافر .

ولعل منشأ هذا الميل إلى البحور الطويلة عند الثعالبي هو عدم تمكنه من البحور القصيرة التي شاعت في عصره ، إذ أنها تتطلب مهارة فنية ، وجهداً عنيفاً لم يكن الثعالبي كثير التفرغ له .

أما قوافيه فقد كان يؤثر فيها السهولة ، ولم يكن يكلف نفسه شططاً بركوب الصعب منها ، ولعل الغالب على ما نظم من شعر قافية الراء ، واللام ، والميم ، والدال . ولم أجد له ضمن ما عثرت عليه من شعره بيتاً واحداً قافيته ثاء ، أو خاء ، أو ذال ، أو صاد ، أو طاء ، أو غين .

لقد كان الثعالبي شاعراً موهوباً ولكن انشغاله بالتأليف حد من موهبته كثيراً ، وان لم يمنعه من أن يعبر عن خلجات نفسه بشعر يستوعب صدى أحاسيسه ويستثير الاعجاب رغم عجزه عن رفع منزلة صاحبه الى مصاف كبار الشعراء .

أغراضه :

استمد الثعالبي معاني شعره واخيلته والفاظه مما كان يتلقاه من مؤثرات بيئته السياسية والاجتماعية والطبيعية ، ولعل أثر هذه البيئة يبدو اشد وضوحا في اغراضه الشعرية ، فقد تناول فيهاظروف بيئته جميعا ، فكان من نتاج تأثره بالظروف السياسية شعره في

التهنئة بالفتوح وماكتبه في تأريخ وفاة بعض ملوك عصره ، وكان من نتاج تأثره بالظروف الاجتماعية ماكتبه في الاخوانيات وفي وصف سوء الحالة الاقتصادية في شكواه ، اما البيئة الطبيعية فقد أوحت اليه بوصف مظاهرها المختلفة .

ولقد ضمن الثعالبي شعره الكثير مما كان يختلج في نفسه من احاسيس وانفعالات حتى غلبت عليه المناجاة الوجدانية في الغزل والشكوى والخمريات .

ولعل من ابرز السمات الغريبة التى نلمحها في اغراض شعر الثعالبي مزجه بين غرضين مختلفين في البيت الواحد أو البيتين من شعره ، حتى يكاد الباحث لايعرف الغرض الحقيقي الذى نظم الشعر من أجله ، كقوله وقد مزج بين الغزل والشكوى (١) :
[من البسيط]

ريق الحبيب كريق المزن والعنب
أذاقني ثمـــرات اللهو والطرب
وقد سرقت من الأيام صفوتها
فكيف أهرب منها وهى في طلبي

وقوله وقد مزج بين الوصف والخمريات والاخوانيات والغزل(٢)

---

(١) خاص الخاص ٢٢٣ وثمار القلوب ٦٥٦ .
(٢) من غاب عنه المطرب ٢٥٧ ، خاص الخاص ٢٣٦ ، دمية القصر ٢ : ٢٢٨ ، أنوار الربيع ١ : ١٧٣ معاهد التنصيص ٧١ .

[من الخفيف]

هــذه ليــلة لها بهجة الطا
ووس حسناً ، واللون لون الغداف (١)
رقـد الدهر فانتبهنـا وسارقـ
ناه حظاً من السرور الصافي
بمدام صــاف وخل مصـاف
وحبيب واف وسعــد مــوافي

والثعالبي مسبوق الى مثل هذا المزج الفني بين الأغراض ، وفيما ساقه من أشعار معاصريه في اليتيمة وتتمتها أمثله كثيرة على ذلك ولعله شاركهم في الاحساس بأن هذا المزج يلائم الميل العام الى جمع الصور والألوان العديدة في العمل الفني الواحد .

لقد أفرد الثعالبي لأغراض الشعر المختلفة عدداً متفاوتا من القصائد والمقطوعات ، ولكن أغراض المديح والوصف والغزل بالغلمان والاخوانيات والخمريات والشكوى حظيت بأوفى نصيب من شعره وأما القليل المتبقي فقد نظمه في الحكمة ، ونظم الأمثال ، والزهد ، والرثاء .

وتتفاوت طريقته في تناول كل من هذه الأغراض ، ويختلف

---

(١) ورد العجز في خاص الخاص وأنوار الربيع بهــذه الصورة « حسنا ، ولونها للغداف » .

أسلوبه ، وسنتناول في المباحث التالية كل غرض من الأغراض التي نظم فيها بدراسة موجزة متلمسين الخصائص والاتجاهات من خلال النصوص التي بين أيدينا من شعره .

١ — المديح :

لم يكن الثعالبي من المتكسبين بالشعر ، وقد سبقت الاشارة الى أنه لم يكن يحسن أن يقول كما يقول الشعراء المتكسبون ، ولا سيما أولئك الطارئون على خراسان وما وراء النهر من العراق ، وانه استغنى عن منافستهم بمقدرته على التأليف ، ولكنه رغم ذلك كله جرب حظه في المديح الذي كان مدار قول الشعراء وميدان التنافس في إظهار المقدرة الأدبية ، ولعله كان يطمع في الحصول على بعض ما كان يغدقه الأمراء ورجال حاشيتهم من أموال طائلة على من يرتضون مديحه ، وقد روى الثعالبي أن الامير السعيد نصر بن احمد الساماني كافأ الشاعر أبا الحسين محمد بن المرادى بثلاثة آلاف درهم على ثلاثة أبيات شعر قالها في مدحه . وقال له ، لو زدت لزدناك (١) .

ولقد جرب الثعالبي حظه في ازجاء المديح إلى من اهداهم كتبه من الامراء والوزراء واعيان العصر ، ولم يخرج في مديحه عن أساليب شعراء العصر الذين مالوا في مديحهم الى « معاني التذلل والتضاؤل امام الممدوح » (٢) لما كان من اثر الروح الفارسية في

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٧٥ .

(٢) تأريخ النقد الادبي من القرن الخامس الى العاشر الهجري ٣١.

طباعهم . من ذلك قوله في الأمير ابي الفضل الميكالي (١) : [من الكامل]

لا زال مجدك للسماء رسيلا
وعلو مجدك بالخلود كفيلا

يا غرة الزمن البهيم اذا غدا
أهل العلا لزمانهم تحجيلا

يا زائراً مدت سحائب طوله
ظلا علي من الجمال ظليلا

وأتت بصوب جواهر من لفظه
حتي انتظمن لمفرقي إكليلا

بأبي وغير أبي هلالٌ نوره
يستعجل التسبيح والتهليلا

نقشت حوافر طرفه في عرصتي
نقشا محوت رسومه تقبيلا

ولو استطعت فرشت مسقط خطوه
بعيون (٢) عين لا ترى التكحيلا

ونثرت روحي بعد ما ملكت يدي
وخررت بين يدي هواه قتيلا

---

(١) زهر الآداب ٣١٢ . ومعنى البيت الثاني مضطرب .

(٢) هكذا في الاصل ولعل صوابها « بجفون » .

ولم تسلم معاني مديحه من المبالغة والتهويل ، ولا سيما إذا كان الممدوح عظيم المنزلة ، كقوله في السلطان محمود عندما فتح سجستان سنة ٣٩٢هـ (١) : [من السريع]

يا خاتم الملك ويا قاهر ال ... أملاك بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح ... للارض مستولٍ على النجح
راياته تنطق بالنصر بل ... تكاد تملي كتب الفتح
كم أثر في الدين أثرته ... يقصر عنه أثر الصبح
وكم علاً للمجد شيدتها ... تثني عليها ألسن المدح
فأسعد بأيامك واستغرق الـ ... أعداء بالكبح وبالذبح
ودم رفيعاً عالي القدح ... بمتنع الملك من القدح

وقوله في السلطان مسعود (٢) : [من البسيط]

دع الاساطير والانباء ناحية ... وعاين الملك المنصور مسعودا
ترَ الاكابر طراً والملوك معاً ... ورستما وسليمان بن داودا

وقوله فيه ايضا (٣) : [من الكامل]

نثرت عليك سعودها الافلاك ... وعنت لغرة وجهك الاملاك

---

(١) الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ في ثمار القلوب ٣٥ . والقصيدة كلها في اليميني ورقة ١٢٤ وجه .
(٢) خاص الخاص ٢٣٧ .
(٣) خاص الخاص ٢٣٧ وتتمة اليتيمة ١ : ١١٤ .

زُوِّجت بالدنيا لانك كفؤها فاسعد بها وليهنك الاملاك
والارض دارك والورى لك أعبد والبدر نعلك والسماء شراك

وقوله في الامير ابي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه (١) :
[من الطويل]

أقــول لمولانا خوارزم شـاه لا
تزل بنداك الغمر للناس مالكا
هل المجد الا خلة من خلالكا
أو البدر إلا نقطة من جمالكا
جمعت المعالي والمحاسن كلها
وقاك إله الناس عين كمالكا

ولعل مديحه لاصدقائه كان أصدق عاطفة ، ولهذا فهو يتخلى فيه عن كثير من هذا التهويل ويميل الى الالفاظ الرقيقة والمعاني النفسية كقوله في مدح القـاضي ابى الحسن المؤمل بن خليل بن احمـد البستي (٢) : من [مجزوء الخفيف]

يا زمانا نعيمـــه لم يعرج على يدي
كنسيم معقـــــد وشعـــاع مجســـدِ
طيبه كالكرى يلـ ـم بجفن المسهدِ
أو كخلق المؤمل بـ ـن خليل بن احمدِ

(١) ثمار القلوب ٣٢٨ .
(٢) تتمة اليتيمة ٢ : ٧٦ .

ويرق مدح الثعالبي لمن ترتفع الكلفة بينه وبينهم من العظماء كالامير خوارزم شاه الذي كان يقربه كثيراً ويكرمه حتى انه كان يدعوه ويقربه الى مجالس شربه ، ولهذا مدحه بمثل قوله (١) : [من السريع]

وسائل عن دمعي السائل ... وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والارض في ناظري ... أضيق منها كُفة الحابل
بليت والله بمملوكة ... في مقلتيها ملكا بابل
أو سيف مأمون بن مأمون الـ ... قرم الهمام الملك العادل
فان لحاني عاذل في الهوى ... يوما فما العاذل بالعادل

وكان لصداقة الثعالبي العميقة مع أبي الفضل الميكالي أثرها في المدائح التي أرسلها فيه ، وقد لا أغلو إذا قلت إن أكثر ما قاله الثعالبي فيه كان أقرب إلى شعر الاخوانيات منه إلى المديح المتكلف وكان الامير لا يبخل على صديقه بشيء ، وقد أهداه فرسا فدبج الثعالبي فيه مدحة لعلها أجمل ما كتبه في غرض المديح وهي قوله (٢) : [من الكامل]

---

(١) ثمار القلوب ٢٣٣ ودمية القصر ٢ : ٢٢٧ ومعاهد التنصيص ٤٧١ .

(٢) خاص الخاص ٢٣٨ ، دمية القصر ٢ : ٢٢٩ ، زهر الآداب ١٣٧ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ ومعاهد التنصوص ٤٧٢ ، والبيت الثاني في الدمية ومعاهد التنصيص فقط .

يا واهب الطرف الجواد كأنما

قد أنعلوه بالرياح الأربع

كالجاحم المشبوب أو كالهاطل الـ

ـمصبوب أو (كالباشق المتسرع(١))

(لا شيء أسرع منه الا خاطري

في شكر نائلك اللطيف الموقع (٢))

ولو انني أنصفت في (اكرامه)

لجلال مهديه (الكريم الالمعي (٤))

(اقضمته) (٥) حب (الفؤاد)(٦) لحبه

وجعلت (مربطه) (٧) سواد المدمع

---

(١) في الدمية « كالباسق المتفرع » .

(٢) ورد البيت في خاص الخاص ووفيات الاعيان بهذا الشكل .

لا شعر اسير منه إلا الشعر في

شكري لنائلك اللطيف الموقع

(٣) في خاص الخاص « إجلاله » .

(٤) في خاص الخاص « الهمام الاروع » .

(٥) في خاص الخاص « انظمته » .

(٦) في جميع المصادر « القلوب » عدا خاص الخاص .

(٧) في خاص الخاص « مربضة » .

(وخلعت ثم قطعت غير (مضيق)(١)

برد الشباب لجلّته والبرقع (٢))

ومما يلفت النظر أن الثعالبي لم يتعلق كثيراً بالمعاني التقليدية في المديح ، كالكرم والشجاعة والسؤدد وشرف المنتسب ، بل كان يدخل إلى قلوب ممدوحيه من حيث يحبون ، فهو يمدح السلطان محمود بقوة الرأي وبعد الفطنة في قوله (٣) : [من الكامل]

كتب الامير كتائب في المعركة

والرأي منـــه طبيب داء المملكـــه

فاذا رمى بالظن خطبـاً مشكـــلا

أضحت ستور الغيب عنـه مهتكه

ويمدح الامير أبا الفضل الميكالي ببلاغته وروعة شعره ونثره فيقول فيه (٤) : [من المنسرح]

سبحان ربي تبـارك الله مـا

أشبـــه بعض الكلام بالعســـل

(١) في زهر الآداب ووفيات الاعيان « مضيع » .

(٢) ورد البيت الاخير قبل سابقه في دمية القصر .

(٣) تحفة الوزراء ٥٤ .

(٤) احسن ما سمعت ٤٥ ، يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٦ دون نسبة .

و (الدر)(١) والسحر والرقى وابنه الـ

كرم وحلي (الحسان)(٢) والحلل

مثل كلام الامير سيدنا

نظماً ونثراً يسير كالمثل

ومن طريف ما لاحظته في مديح الثعالبي ميله الى مديح عدة أشخاص في البيت والبيتين ، ولعله عبر بذلك عن رغبته في تراكم المعاني في القول الوجيز ، واتخذه وسيلة لارضاء عدة ممدوحين بأدنى مشقة ، فمن ذلك قوله (٣) : [من الطويل]

سقى الله أياما أشبه حسنها

وقد كنت في روض من العيش ناضر

بشعر ابن معتز وخط ابن مقلة

ودولة مسعود وخلق مسافر

وقد سبقت الاشارة الى ان الثعالبي اهدى نسخ بعض كتبه الى أشخاص مختلفين متوخيا أكبر فائدة ممكنة من الكتاب الواحد ، وقد فعل مثل ذلك ببعض قصائده ، فمدح بها أكثر من ممدوح واحد من ذلك انه نظم بيتين مدح بهما الامير خوارزم شاه وهما قوله (٤) : [من البسيط]

---

(١) في اليتيمة (والمسك)

(٢) في أحسن ما سمعت (اللسان)

(٣) خاص الخاص ٢٣٧ وتتمة اليتيمة ٢ : ٧٠

(٤) أحسن ما سمعت ٩٣ ، ٩٤ واللطائف والطرائف ٣٢ ,

وقصر ملك نرى كل الجمال به

وأسعد الدهر تبدو من جوانبه

كأنما جنة الفردوس قد نزلت

إلى خوارزم تعجيلا لصاحبه

ثم مدح بالبيتين السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وغير فيهما فقال (١) : [من البسيط]

يا دار ملك نرى كل الجمال بها

وأسعد الدهر تبدو من جوانبها

كأنما جنة الفردوس (قد)(٢) نزلت

في أرض غزنة تعجيلا لصاحبها

وقد روى الثعالبي لنفسه بيتي شعر هما قوله (٣) : [من السريع]

إني أرى ألفاظك الغرّا   عطلت (الياقوت)(٤) والدرا

لك الكلام الحر يا من غدا   معروفه يستعبد الحرا

وذكر في « من غاب عنه المطرب » انهما في ابي عبد الله محمد ابن حامد الحامدي ، في حين ذكرهما في « يتيمة الدهر » ضمن مجموعة قصائد ومقطعات في مدح الامير ابي الفضل الميكالي ، وغير مستبعد ان يكون قالهما اولا في مدح الميكالي ، فلما زار الجرجانية

---

(١) لطائف المعارف ٢٠٨ ونهاية الارب ١ : ٣٦٥

(٢) في لطائف المعارف (اذ)

(٣) يتيمة الدهر ٤ : ٣٥٦ دون نسبة ، من غاب عنه المطرب ، ٢٣٣

(٤) في « من غاب عنه المطرب » « الكافور »

كررهما في مدح الحامدى مستفيداً من خلوهما من اسم الممدوح ،

وقد كان بعض مديح الثعالبي تسجيلا لبعض الحوادث التـاريخية الهامة ، كقصيدته في مدح الامير ابي المظفر نصر بن سبكتكين حين قبض على المنتصر وارسله الى غزنة (١) ، وقصيدته التي نظمها في مديح السلطان محمود حين فتح سجستان سنة ٣٩٣ هـ (٢) وقصيدته التي نظمها في مدح قابوس بن وشكمير حين عاد الى مقر ملكه (٣) .

ولعل حائيته التي أرخ فيها لهلاك تسعة املاك خلال سنتين متتاليتين (٤) أقرب الى الروح التاريخية مما ذكرنا ، ولكنها أبعد عن غرض المديح من حيث الاساس الفني .

٢ - الوصف :

كان لجمال البيئة الطبيعية أثره العميق في وصف شعراء خراسان ذلك ان معظم أرض خراسان « تمتاز بجودة التربة ، وعذوبة الماء وطيب الثمر . وتقع أكثر مدنها في أراض سهلة بعيدة عن الجبال » (٥) .

---

(١) اليميني ورقة ١٠٤ ظهر

(٢) اليميني ورقة ١٣٤ وجه

(٣) اليميني ورقة ١٣٣ وجه

(٤) لطائف المعارف ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

(٥) صورة الارض ٣٧٣ .

وامتازت نيسابور من بين مدن خراسان بأنها صحيحة الهواء معتدلة الجو كثيرة المتنزهات (١) .

وقد انعكس جمال البيئة في شعر الشعراء ، فوصفوا الطبيعة التي خلبت ألبابهم بمناظرها ، ووصفوا تقلبات الجو في الصيف والشتاء (٢) وان خالفوا الطريقة العربية المألوفة في النظر الى هذه المظاهر ، ذلك ان تأثير مظاهر الطبيعة في مجرى حياتهم كان يختلف عنه في مجرى حياة اهل البادية .

واحتل الوصف مكانا بارزاً من شعر الثعالبي ، ولعل لكثرة نقلته أثرها في شمول وصفه صوراً متعددة لبيئات مختلفة ، فقد وصف اختلاف هواء جرجان بقوله (٣) : [من الطويل]

ألا رب يوم لي بجرجان أرعن
ضحكت له من خرقه أتعجبُ

وأخشى على نفسي اختلاف هوائه
وما للفتى مما قضى الله مهربُ

وما خير يوم أخرق متلون
ببرد وحر بعده يتلهبُ

ووصف برد خوارزم بقوله (٤) : [من البسيط]

---

(١) المسالك والممالك ٤٤٥

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ٣٢٢ .

(٣) لطائف المعارف ١٨٩ وثمار القلوب ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

(٤) لطائف المعارف ٢٢٧ وخاص الخاص ٢٤١ ، ٢٤٢

لله برد خوارزم اذا كلبت

أنيابه وكست أبداننا الرعدا

فالشمس محجوبة والريح مدمية

جلود قوم أضاعوا الصبر والجلدا

والماء مستحجر والكلب منجحر

والزمهرير يسوق الصر والصردا

فلو تقبل معشوقا بخالسة

رأيت فاك على فيه وقد جمدا

ولقد حظي فصل الربيع من وصف الثعالبي بأكثر من قطعة رقيقة ، فقد بهره ربيع خراسان بما كان يبعثة في الطبيعة من حيوية وجمال أخاذ ، فتفتقت قريحته عن مثل قوله (١) : [من الطويل]

الغيم بين (ممسك)(٢) ومعصفر

والماء بين مصندل ومعنبر

والروض بين مدملج ومتوج

والورد بين مدرهم ومدنر

(والارض قد برزت لنا في اخضر

في اصفر في ابيض في احمر (٣))

---

(١) خاص الخاص ٢٣٣ والمبهج ٥٦

(٢) في خاص الخاص « مجسد »

(٣) في المبهج :

والارض قد لبست قميصا اخضرا

تختال فيه بطيلسان احمر

لتروقنا (ببدائع وطرائف (١))

من حسن منظرها وطيب المخبر

سبحان محيي الارض بعد مماتها

وكذاك يحيي الخلق يوم المحشر

وبالرغم من اننا قد لا نفوز بقطع كثيرة من هذا النمط فيما وصل الينا من شعر الثعالبي فان من حقنا ان نسلم بأن التعبير الفنى فيها بلغ الغاية من المزج الرائع بين الاشكال والالوان . حتى بدت الابيات بما نقلته من صور متقابلة متشابكة متماسكة قطعة من السجاد رائعة النقوش والالوان .

ولا يضارع هذه القطعة في شعر الثعالبي غير قطع قليلة ، منها قوله في وصف « البشنقان » وهو احد متنزهات نيسابور (٢) :
[من الطويل]

ولما نزلنا البشنقان (التي) (٣) غدت

وراحت بجنات النعيم تشبه

---

(١) في المبهج « بطرائف ولطائف »

(٢) المبهج ٥٦ ، من غاب عنه المطرب ٢٣٨ . خاص الخاص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) في « من غاب عنه المطرب » و « المبهج » (الذي)

وقد برزت اشجارها في ملابس

ربيعية (حازت) (١) مدى (الحسن) (٢) كله

وعارَضنا ماء يروق مصندلٌ

وواجهنا ورد يشــوق موجّـه

وقهقه رعد في السماء (مفرد) (٣)

وفي الارض ابريق المدام يقهقـه

وغنى مغني العندليب كأنما

يجاوبه في (حلقه) (٤) مزهر له

تنزه سمعي ما أراد وناظري

وقلبي مع الاحزان لا يتنزه

وبالرغم من الايقاع الحزين الذي ختم الثعالبي أبياته به ، فانه استطاع ان يرسم لوحة فنية ألوانها الكلمات ، واستطاع أن يجعل من مقطوعته صورة حية ، يكاد القارىء يحس انه يعيشها مع الشاعر ، لما اتسمت به من دقة الوصف ، وجمال عرض الصور التي استطاع الثعالبي ان يمنح الجماد فيها حركة وحيوية تخلب اللب ، وتبعث على التأمل ، وتلك هي مهمة الشعر الحي .

---

(١) في المصدرين السابقين (تحوى)

(٢) فى المصدرين السابقين (الانس)

(٣) في المصدرين السابقين (مقهقهة)

(٤) في المبهج (خلقه)

وان يكن الثعالبي برع في وصف الربيع ، وما كان يحدثه قدوم هذا الفصل من التغيير الرائع في الطبيعة ، فان فصل الشتاء البارد الطويل في خراسان قد استدر قريحته بشعر يبدو أقرب الى أن يكون لونا من الشكوى من مظاهره القاسية ، من ذلك قوله (١) : [من الرمل]

نحن في شتوتنا في قلق　　وتمادي شفق في فرق
ليس يخلو يومنا والليل من　　لثق أو زلق أو دمق

وكما أوحى الشتاء الى الثعالبي بهذه الشكوى ، فان الصيف بحره الملتهب اوحى اليه ان يقول (٢) : [من الخفيف]

رب يـــوم هـــواؤه يتلظـــى
فيحاكي فؤاد صـــب متيـــم
قلت إذ (صكّ) (٣) حره حر وجهي
ربنا اصـــرف عنا عـــذاب جهنم

ولم تكن الطبيعة وحدها ميدان وصف الثعالبي ، فقد جارى شعراء عصره في وصف موضوعات جديدة « جعلت شعرهم اقرب ما يكون الى التنوع والتجديد في المعاني » (٤) .

---

(١) اللطائف والظرائف ٨٧ .
(٢) الاقتباس ورقة ١٩ وجه ، احسن ما سمعت ٧٤ من غاب عنه المطرب ٨٨ ، اللطائف والظرائف ٨٨ .
(٣) في من غاب عنه المطرب واللطائف والظرائف (صار) .
(٤) تأريخ النقد الأدبي من القرن الخامس الى العاشر الهجري ٣١ .

إن الموضوعات الحضارية الجديدة التي شغل بها شعر الوصف لم تكن مألوفة في الشعر العربي القديم ، ولعل ذلك لا يسوغ وصفها بانها « اشياء تافهة » (١) لان الشاعر لا يمكن ان يصف إلا ما يتعلق بحياته وما تقع عليه حواسه ، فان ترك ذلك الى غيره حباً بالتقليد فحسب ، فتلك هي التفاهة التي لا يتقبلها العمل الفني الأصيل .

لقد كانت موضوعات وصف شعراء القرن الرابع الهجري أقرب الى لون حياتهم وحضارتهم ، فقد وصفوا الفواكه والغناء والحمامات والبرك والمتنزهات وما الى ذلك من أمور يحق لنا ان نقول إنهم أبدعوا فيها ، لأنهم لم يجروا على نمط ، ولم يحتذوا على مثال .

ولم يخرج الثعالبي عن سنة العصر فوصف التفاح بقوله (٢) :

[من البسيط]

تفاح غزنة نفاع ونفاح … كأنه الشهد والريحان والراحُ

(أحبه لصفات حازها قمر … في وجهه أبداً) (٣) وردو تفاحُ

ووصف الحمام بقوله (٤) : [من الوافر]

وحمـام له حر النعيم … ولكن شابهُ برد النعيم

---

(١) وصفت موضوعات شعر الوصف بذلك في « الشعر العربي في خراسان وما وراء النهر في القرن الرابع الهجري » ١٩٨ .

(٢) لطائف المعارف ٢٠٩ . آثار البلاد واخبار العباد ٢٩ .

(٣) في لطائف المعارف « وماؤه بادكار الريق من قمر في خده ابدا » .

(٤) المبهج ٥٤ ، احسن ما سمعت ٩٧ ، اللطائف والظرائف ٢٣ .

رأيت به ثواباً في (عقاب) (١) وزرت به نعيماً في الجحيم

ووصف الندّ بقوله (٢) : [من الهزج]

وندّ ما لـه نـد تعاطيه من السنّه
إذا ما جاور النـار حكى رائحة الجنـه

ووصف بركة بقوله (٣) : [من المتقارب]

أيا طيب عيشي أرى بركة
(تشوق) (٤) إلى روضها ماءها
إذا أنت واجهتها في الدجى
حسبت الكواكب حصباءها

وقد ظل وصف الثعالبي يدور بين مثل هذه الموضوعات التي استهوت شعراء بيئته، وملأت عليهم نفوسهم ، فكان وصفه بذلك صدى لأثر البيئة الطبيعية والاجتماعية الحضارية في نفسه ومشاعره .

٣ ـ الغزل

لقد تفشى الغزل بالغلمان في العصر العباسي لما كان من اختلاط العرب بالفرس ، واقتباسهم بعض رسومهم وعاداتهم ، ولعل الثعالبي قدم العذر المقبول من ذلك حين تمسك برأي الجاحظ في سبب

(١) في احسن ما سمعت والمبهج « عذاب » .
(٢) المبهج ٥٤ .
(٣) احسن ما سمعت ٩٧ .
(٤) هكذا في المطبوع ولعلها « تسوق » .

تفشي الميل الى الغلمان عند اهل خراسان (١) .

وقد افتتح الشعراء العباسيون الاوائل باب القول في هذا الغرض، فلما برزت الشخصية الاجتماعية الفارسية راح « أكثر الشعراء يطرقون هذا الباب ، ويفيضون فيه في تحفظ حينا ، وفي استهتار احيانا ، كأبي تمام والبحتري والصنوبري وكشاجم وأبي الفتح البستي وابن حجاج وابن سكرة والقاضي التنوخي والثعالبي وأبي فراس والصابي » (٢) .

ولقد كان للثعالبي ولع خاص بالغزل بالغلمان ، حتى إنه ذهب الى جمع أقوال الشعراء في الغزل بغلمان مختلفي الصناعات والأحوال والاوصاف في كتابه « الغلمان » ، واكثر من ايراد نماذج من الغزل بالغلمان في كتب اختياراته ، فقد اورد في كتابه « احسن ما سمعت » مثلا ، نماذج استغرقت ثلاثا وعشرين صفحة في الغزل بالغلمان (٣) ، في حين لم تستغرق نماذجه في الغزل بالنساء أكثر من عشر صفحات (٤) .

وكما تفنن الثعالبي في اختياراته ، تفنن في الغزل بغلمان مختلفي الصناعات ، فتغزل بغلام خباز بقوله (٥) : [من البسيط]

---

(١) ثمار القلوب ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

(٢) ظهر الاسلام ١ : ١٣٩ .

(٣) ١١٥ ـ ١٣٨ .

(٤) ١٠٥ ـ ١١٥ .

(٥) احسن ما سمعت ١٢٦ ، خاص الخاص ٢٣٠ .

برأس سكة عمار لنـــا قمر

من وجه عثمان يا طوبى لجيرته

إذ قوت أجســـامهم مما يبيعهم

وقوت أرواحهم من حسن صورته

وتغزل بغلام شاعر فقال (١) : [من الطويل]

فديـــت غزالاً راقني در شعره

كما شاقني في نطقه در ثغره

إذا ما غدا للشعر يغري بنظمه

غـدوت لعقـد الدمع أغري بنثره

ووالله مـا أدري أسحر جفونـــه

تملك قلب الصب أم سحر شعره

وتغزل الثعالبي بغلمان ذوي صفات مختلفة كقوله في غلام هندي (٢) :

[من الرجز]

هـذا غزال الهند في الغزلان

كمثل عـود الهنـد في العيدان

وجه بديع الحسن في الغلمان

مركب من ملـح الخيلان

مصـور مـن حـدق الحسان

كأنـــه في نـاظر الانسـان

---

(١) خاص الخاص ٢٤٢ .

(٢) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ١٢ وجـــه ، خاص الخاص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

إنسانِ عين الحسن في الزمانِ

وقوله في غلام سمين (١) : [من الخفيف]

هل سبيل الى عناق كما عا
نقت عند الفراق يوم الوداع
شادناً فاتناً سميناً جسيماً
ملء عيني وملء قلبي وباعي

وقوله في غلام مسافر (٢) : [من الوافر]

فديت مسافراً ركب الفيافي
وأثر في محاسنه السفار
فمسك ورد خديه السوافي
وعنبر مسك صدغيه الغبار

وما من شك في أن طبيعة هذا الغرض تقود الى التركيز على المعاني الحسية من وصف جمال المحبوب بصورة تبدو كأنها أقرب إلى الوصف منها الى الغزل الممتزج بأجزاء النفس ، وذلك ما نلاحظه في مثل قوله (٣) : [من الخفيف]

لك صدغ كأنه قلب فرعو
ن ووجه كأنه يد موسى
وفم قد أتى ببرهان عيسى

(١) احسن ما سمعت ١٥٨ .

(٢) احسن ما سمعت ١٣٠ ، من غاب عنه المطرب ٢٧٧ ، خاص الخاص ٢٣٠ ، حياة الحيوان ٢٠٣ .

(٣) المبهج ٤٨ دون نسبة .

(فهو كالطيب منه يحيي النفوسا) ( )

ولا نعدم بعد ذلك أبياتا من شعر الثعالبي في الغزل بالنساء تتسم بالعمق والعاطفة الرقيقة أكثر مما يتسم به غزله بالغلمان من ذلك قوله : (٢) [من مجزوء الرجز]

قلبي وجـــداً مشـــتعل | عـلى الهمـــوم مشـتمل
وقـــد كستني في الهوى | ملابس الصـــب الغزل
إنســـانة فـتـــانة | بدر الدجى منهـــا خجل
إذا زنـت عيني بهـــا | فبـالدمــــوع تـغتســـل

ومن اشف ما عثرت عليه من غزل الثعالبي قوله (٣) : [من البسيط]

لما بعثت فلم تسعـــف مطالبتي
وأمعنت نـار شوقي في تلهبهـــا
ولم أجـد حيلة تبقي على رمقـي
قبلت عين رسولي إذ رآك بهـــا

اما غزل الثعالبي بالجواري فهو صورة من غزله بالغلمان ، إذ تعمد فيه وصف الجمال الحسي كقوله (٤) : [من الكامل]

(١) في ثمار القلوب (فهو بالطيب منة يحيى النفوسا)

(٢) يتيمة الدهر ٣ : ٣٩٠ من غاب عنه المطرب ٢٧١ خاص الخاص ٢٤٩ تتمة اليتيمة ١ : ٩٥ .

(٣) وفيات الاعيان ٢ : ٣٥١ الوافي بالوفيات ١٥ ـ ١٧ ق ٢ : ٢٧٠ وجه .

(٤) احسن ماسمعت ١٠٩ ، من غاب عنه المطرب ٢٧٣ .

ثغر كلماح البرق حسن بـريقه

يشفي غليـــل المستهـــام ربويقه

قـد بت الثمه وأرتشف الـــى

(من دره) (١) وعقيقه ورحيقه

ولعل النماذج التي سقناها شواهد على أن الثعالبي تأنق كثيرا في ألفاظه في الغزل ، واهتم برقة التعبير تأثرا بطبيعة الغرض ، ومجاراة للذوق السائد .

٤ـ الاخوانيات

يمثل شعر الاخوانيات ضرورة من ضرورات الحياة الاجتمـاعية الحضرية ، ولهذا يمكن أن نعده من الاغراض الجديدة في الشعر العربى الذي كان منشؤه في حياة بدوية ، يكاد الانسان يعيش منفرداً فيها .

أما في القرن الرابع الهجري ، فقـد أوغل الـــناس في الحياة الاجتمـاعية الحضرية ، وكان لذلك أثره في ازدهـار هذا الغرض ، وطغيانه على الكثير من الاغراض التقليدية ، ولنا ان نتتبع ما ساقه الثعالبي في يتيمة الدهر منه لنرى مبلغ التنويع والتجديد فيه .

وقد سبقت الاشارة الى عمق علاقة الثعـالبي برهـط من اصدقائه على رأسهم الامير ابو الفضل الميكالي الذي تبادل مع الثعالبي قصائـــد ومقطعات اخوانية ، (٢) وقد دبج الثعالبي في الميكالي عدة قطع في المديح ، ولكن العلاقة بينهما كانت أمتن من علاقة شاعر بممدوح ،

(١) في احسن ما سمعت « من ثغره » .

(٢) زهر الاداب ، ١٣٨ ، ٣١٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٩٥٥ .

لقد عاتب الثعالبي أبا الفضل معاتبة الصديق حين انقطع عنه فلم يتفقده (١) .

وقد دار بين الثعالبي واصدقائه ما كان يدور بين شعراء العصر من مواضيع الاخوانيات ، من ذلك أنه كتب مهنئا أحد أصدقائه بالزواج بقوله (٢) : [من المنسرح]

قد لبس الدهر حسن (زهرته) (٣)
مذ زوج المشتري بزهرته
وفي أقتران السعدين ما فيه من
إشراق وجه العلى ونضرته
فالطرف مستأنس بقرته
والقلب يطوى على مسرته

وكتب الى أحد أصدقائه مع هدية أرسلها له وهي سكر وشمع قوله (٤) : [من المتقارب]

بعثت إلى سيدي سكراً
حلاوته في قرار الصدور
وشمعاً يمزق ثوب الدجى
ويلبس جيرانه ثوب نور

---

(١) دمية القصر ٢ : ٢٢٦ ، حياة الحيوان ٢٠٣ ، روضات الجنات ٤١٣ ، معاهد التنصيص ٤٧١ .

(٢) أحسن ما سمعت ١٧٩ .

(٣) هكذا في المطبوع واظنها تحريف « بزته » أو « زهوته » .

(٤) احسن ما سمعت ١٨٣ .

وكتب في دعوة صديق الى مجلس أنس : (١) [من الوافر]

كتبت إليك من سكر السرور
وكاسات تدور على بدور
وماء الورد يهطل من سحاب الـ
بخور على السوالف والنحور
وعين الدهر قد نامت فقامت
لنا سوق الملاهي والسرور
وقد قاد الغلام اليك طرفي
(فرأيك لاعدمتك في الحضور ؟) (٢)

ومن اخوانياته قوله في عتاب صديق (٣) : [من مجزوء الكامل]

إن غبت عنك شكوتني … وإذا وصلت هجرتني
وتظل لي مستوطئاً … فإذا حضرت حجبتني

وترق بعض اخوانياته حتى تبدو أقرب إلى طبيعة الغزل ، من ذلك قوله (٤) : [من السريع]

عندي إنسان ولكنه
أكبر لي من (كل) (٥) إنسان

---

(١) المبهج ٥٢ ، المتشابه ٢٤ الابيات ١ ، ٢ ، ٤

(٢) في المبهج « كرجع الطرف فامنن بالحضور »

(٣) من غاب عنه المطرب ٢٨٨ ، تتمة اليتيمة ١ : ١٩

(٤) من غاب عنه عنه المطرب ٢٦٧ ، خاص الخاص ٤٣ .

(٥) في خاص الخاص « ألف »

لقـــاؤه اشهى من البارد الـ

ـعذب إلى غصان عطشان

فاقترنا عنـــدي أفـــديكما

فـــأنتما راحـــي وريحانـــي

ويدخل بعض ما كتبه الثعالبي من ألغاز شعرية في باب الاخوانيات كالذي كتبه الى صديقه أبي نصر سهل بن المرزبان محاجيا (١) : [من الرجز]

حـاجيت شمس العلم في ذا العصر

نـــديم مولانـا الأمـــير نصر

مـا حــــاجة لأهل كل عصر

في كل مــــا دار وكل قطر

ليست ترى إلا بعيـــد العصـر

فكتب ابن المرزبان جوابه بقوله : [من الرجز]

يـا بحـــر آداب بغـــير جزر

وحظـــه في العلم غـير نـــزر

حزرت مـــا قلت وكان حزري

إن الذي عنيـــت دهن البزر

بعصـــره ذو قـــوة وأزر

---

(١) يتيمة الدهر ٤ : ٣٩٤ ، وفيـات الاعيان ٢ : ٣٥١ ويشبه ذلك قوله في اللغز بهجرة الفرصاد في « اللطف واللطائف » ورقة ٧ وجه .

٥- الخمريات

لعل شعر الخمر من أعرق أغراض الشعر العربي واطولها عمرا ، اما انقطاع الشعراء في صدر الاسلام عنه فما كان الا انقطاع تأدب لا انقطاع تجربة ، وما كان للتحريم الديني أن يشغل الناس جميعا عن تعاطي الخمر رغم انقطاعهم عن وصفها في شعرهم ، ولكنهم لما تخففوا من السيطرة الدينية قليلا لم يتحرجوا من وصفها في العصر الاموي ، فلما حل العصر العباسي كاد شعر الخمريات يداني شعر المديح كثرة ، ويفوقه جودة . ذلك ان مجالس الخمر كانت تعقد في دور الخلفاء ووزرائهم وكبار رجال حاشيتهم ، وكان لتلك المجالس آداب ورسوم استهوت الشعراء ، وما أقرب طبيعة الخمر الى طبيعة الشعر ، إذ إن في كليهما خروجا عن طوق العقل وقيوده الى عالم لا يعترف بما يقيد الانسان نفسه به من قيود اجتماعية مقبولة أو مرذولة ، هذا الى ان طغيان الروح الفارسية على الحياة الاجتماعية العربية ، وتمسك الناس بتقاليدها ، كان ذا أثر في توسع الشعراء في وصف الخمر ، فقد وقر في نفوس الفرس من ديـاناتهم القديمة أن « شرب الخمر بين يدي آلهتهم يعد نوعا من العبادة ، ووسيلة من وسائل التقرب والتزلف إليهم » (١) .

ولقد نظم الثعالبي عدة مقطوعات في الخمريات ، على ان قلة تلك المقطوعات قد لاتدل على زهد الرجل في الخمر بقدر ما قد تدل

(١) الادب في ظل بني بويه ٢٥٨

على ضياع قسم كبير من شعره في الخمريات ، ذلك ان ما وصل الينا منه يدل على تعلق صاحبه بالخمر تعلقا غريبا، فهو يصفها ويحث على شربها في مثل قوله (١) : [من مجزوء الرمل]

ومدام قد كفانا ... شغل إشعال المسارج
لو دنت منا القماري ... لاكتست ريش التدارج
فاشربنه فهو للغمـ ... ـة والغماء فارج
وهو ريق من فم الدنـ ... ـيا إلى ثغرك خارج

وهو يؤكد فكرة طرد الخمرة للهم والغم في اكثر خمرياته كما في قوله (٢) : [من الطويل]

وليل كعين الظبي (غيرت) (٣) لونه
براح كعين الديك بل هو ألمعُ
فلما مزجت (الروح) (٤) مني براحها
ترحل عني الهم والغم أجمعُ

ويكثر مزج الثعالبي وصف الخمر بوصف الليل أو وصف الطبيعة على عادة شعراء عصره الذين كانت الطبيعة تخلب ألبابهم قبل الخمر نفسها . من ذلك قوله (٥) : [من السريع]

---

(١) خاص الخاص ٢٣٢

(٢) خاص الخاص ٢٣٦ ، ثمار القلوب ٤١٠

(٣) في خاص الخاص « غير »

(٤) في خاص الخاص « الراح »

(٥) ثمار القلوب ٤١٠ دون نسبة ، دمية القصر ٢ : ٢٢٨ انوار الربيع ٣ : ١٣٤

طالع يومي غير منحوس

(فأسقني) (١) يا طارد البوس

(كأساً) (٢) كعين الديك في روضة

كأنها حلة طاووس

اما الروح الدينية التي لمحناها في نقد الثعالبي فانه يتخلى عنها جملة مستجيبا لاغراء الخمر ومتأثرا بتيار العصر فيقول (٣) : [من مجزوء الخفيف]

هات في غرة المحر م عين المحرم

واسقني الكأس قد أشـ ـبهها في توهمي

بنسيم معقد في هواء مجسم

٦ـ الشكوى

لقد كان لاضطراب الاحوال السياسية والاجتماعية أثره في شيوع شعر الشكوى في العصر العباسي بصورة عامة ، وقد كانت البيئة الشرقية مسرحا لحوادث وأحداث مرة أثرت في مجرى حياة الناس كثيرا ، فقد كان للصراع بين السامانيين والأتراك ، والصراع بين الغزنويين والسامانيين ، وبين الغزنويين والمتمردين عليهم، آثاره السيئة في الحياة العامة ، وكان لجشع الحكام ـ فوق ذلك ـ ولظلم

---

(١) في دمية القصر « فسقني »

(٢) في انوار الربيع « خمرا »

(٣) المبهج ٥٢

الولاة والعمال آثار سيئة اخرى .

وقد عاش الثعالبي في هذه الظروف ، وقاسى ما يقاسيه النـاس من شر الاحداث، فدعا الى الابتعاد عن الانغماس في شؤون الدنيا، وعن التعلق بوعودها بقوله (١) : [من الطويل]

تسلَّ عن الدنيـــا ولا تخطبنهـا
ولا تنكحن قتالة من تنـاكح
فليس يفي مرجوّهـا بمخوفهـــا
ومكروهها إما تدبرت راجـــح
لقد قال فيهـا الواصفون فأكثروا
وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف ، قصاراها زعاف ، ومركب
شهي إذا استلذذته فهو جـــامح
وشخص جميل يعجب النـاس حسنه
ولكن له أسرار ســـوء قبـائح

لقد عاش الثعالبي فقيرا محرومـا . ولهذا أودع شعره الامه مما عاناه من الفقر ، فشكا شكوى المحروم الذي لايعرف سببا لحرمانه فيلجأ بشكواه الى الله ويقول (٢) : [من الوافر]

إليك المشتكى لا منك ربـــي
وأنت (لنائبات) (٣) الدهر حسبي

---

(١) اللطائف والظرائف ، ٦ .

(٢) أحسن ما سمعت ٢٥ ، خاص الخاص ٢٤٥

(٣) في خاص الخاص « لحادثات »

ثروي غلقي وترم حالي
وتؤمن روعتي وتزيل كربي

إن من بين العوامل التي تكمن وراء هذه الشكوى خصاصة وحرمانا صورهما الثعالبي بمثل قوله (١) : [من الوافر]

ثلاث قد منيت (بهن أضحت) (٢)
لنار القلب مني كالأثافي
ديون أنقضت ظهري وجور
من الأيام شاب له غدافي
وفقدان الكفاف وأي عيش
لمن يمنى بفقدان الكفاف

وقوله مستعملا طريقة المتشابه (٣) : [من الوافر]

تراني لست أحسن نظم لفظ
يزين جليله المعنى الدقيق
ولكن لا أدق بنات فكري
إذا ما قيل قد فنيَ الدقيقُ

ولعله لم يكن يميل الى الظهور بمظهر المحتاج بالرغم من كل ما قاله في الشكوى من الفقر ، وقد نلمح ذلك من مثل قوله (٤) : [من الكامل]

---

(١) برد الاكباد ١٢٤ ، ١٢٥ ، دمية القصر ٢ : ٢٣٠ ، معاهد التنصيص ٤٧٣

(٢) في برد الاكباد « بها فأضحت »

(٣) خاص الخاص ٢٤٠

(٤) مرآة المروءات ٣١

بي فاقة غطيتها بتجمل وتحمل وتمحل وتستر

فالحال ظاهرها مروءة موسر لكن باطنها خصاصة معسر

لقد حاول الثعالبي أن يتخلص من وهدة الفقر الذي نشأ فيه، فجد وسعى وما كاد يريش جناحه حتى أصابت المجاعة نيسابور سنة ٤٠١ هـ ،فشردته عنها فقيرا معدما من جديد ، ولم يجد من يلومه على ذلك غير الزمان الذي أبى عليه إلا ان يتجرع غصص الغربة والفقر والحرمان، فشكا من الدهر بمثل قوله (١) : [من الطويل]

أقول لدهري وهو يخفض رتبتي

ويبخي على مالي ويخلف تأميلي

أيا حجرا صلداً منيت ببخله

فلا هو يوريني ولا هو يوري لي

وقوله (٢) : [من البسيط]

أقول والقلب مكدود بأحزان

والصبر أبعد مما بين أجفاني

حتى متى أنا يدمي العض أنملتي

غيظاً على زمن قد رام إزماني

في كل يوم أراني في نوائبه

كأنني إصبعي والدهر أسناني

---

(١) خاص الخاص ٢٤٥

(٢) المبهج ٤١ ، اللطائف والظرائف ٩ ، خاص الخاص ٢٤٣ ، ٢٤٤.

وحين عاود الثعالبي نيسابور بعد أن فارقها زمنا طويلا كان لديه ما يصلح به حاله ، ويعينه على مواجهة مصاعب الحياة ، فاقتنى ضيعة درت عليه ما كان يكفيه ، وظن أن الزمان أقبل عليه بعد طول إدبار ، فشكر الله على نعمته (١) [من الكامل]

يارب أنت وهبتها لي نعمة
أضحت تعين على الزمان بيرها
ووهبت منها نعمة ، لا تلهني
يا رب أنت بسكرها عن شكرها

ولكن مالبث خراج الضيعة أن أرهقه ونغص عليه عيشه ، ذلك ان الخراج كان يجبى مرتين في السنة في خراسان (٢) ، ولعله كان يستنزف كل ما تدره الضياع من غلة، ولهذا شكا الثعالبي من ثقله (٣) ، ومن اضطراب امور ضيعته ، فقال في وصف رقعة أرسلها اليه وكيله على ضيعته (٤) [من الكامل]

يارقعة طويت على حيات
وعقارب كدرن ماء حياتي

---

(١) اللطائف والظرائف ٣٠
(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ٢٩٥
(٣) المبهج ٢٩ ، اللطائف والظرائف ٣٠ ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ٢٥ وجه ، اللطف واللطائف ورقة ٤ وجه .
(٤) اللطائف والظرائف ٣٠ ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن ورقة ٢٤ ظهر

ما أنت إلا من تباريح الجوى
وسفاتج الأحزان والحسرات
وكأن أحرفك الكريهة أعين
لرواقب أو ألسن لوشاة

ولعله اضطر إلى بيع مملوكه ليسد بثمنه اختلال امور ضيعته ، فكان ذلك مصدرا جديدا لشكواه حيث قال وابدع ما شاء (١) :
[من الكامل]

يا دهر حسبك ، قد أطلت نحوبي
وتركتني في موطني كغريب
وسلبتني ثوب السرور بجامع
ما بين وصفي خادم وحبيب
فالشعر مني والدموع لآلىء
من نظم طبعي عاشق وأديب
قد غاب عن ربعي هلال مقمر
في أفق تربيتي وفي تأديبي
فالآن يطلع في سوى داري ولا
ينفك فيه القلب رهن نحيب
نَدٌ نفيس عند غيري فائح
وأراه من عجني ومن تركيبي
وثمين عقد عند غيري لائح
وأراه من نظمي ومن ترتيبي

(١) خاص الخاص ٢٤٤ ، ٢٤٥

ولم تكن الحياة المادية مصدر شكوى الثعالبي الوحيد ، فقد احتلت آلامه النفسية التي كان مبعثها حياته المضطربة مكانا بارزا من شكواه ، وقد بلغ الثعالبي الثمانين من العمر ، ولعل علو السن آلمه وآذاه فاكثر من التحسر على ايام الشباب في مثل قوله (١) : [من الطويل]

سقى الله أياماً لنا لسن رجعاً
وسقياً لأيام الشبيبة من عصر
ليالي أعطيت البطالة مقودي
تمر الليالي والشهور ولا أدرى

وشكا من علو السن وكبر العمر في مثل قوله (٢) : [من البسيط]

أبلى جديدي هذان الجديدان
والشأن في أن هذا الشيب ينعاني
كأنما اعتم رأسي منه بالجبل الـ
ـراسي ، فأوهمني ثقلاً وأوهاني

لقد سيطر الروح الحزين ، والألم العميق ، على شكوى الثعالبي ، وكاد يغلب على أغراضه الاخرى ، حتى إنه لما وصف متنزه البشنقان (٣) ، وانتقل بين مناظره الخلابة ختم وصفه بآهة عميقة هي قوله :

---

(١) من غاب عنه المطرب ٢٦٩

(٢) المبهج ٢٨

(٣) تحدثت عن هذه القصيدة واثبت ابياتها مع تخريجها في غرض « الوصف »

تنزه سمعي ما أراد ونـــاظري

وقلبي مـــع الأحزان لا يتنزه

٧ ـ الحكمة

حفلت حياة الثعالبي بتجـارب كثيرة املت عليه الكثير من شعر الشكوى ، ولعل شعره في الحكمة يمثل الصورة الثانية للتعبير من خلاصة تلك التجارب ، الا ان ما قاله في هذا الغرض قد يكون دليلا على قلة محصوله من الثقافة الفلسفية ، او تأثره بطبيعتها التي تملي على الشعراء عادة تضمين أشعارهم تجاربهم على هيأة حكمه لا تعنى بالتفاصيل بقدر ما تعنى بالنتـائج ، ولعل الثعالبي استغنى بمـا ساقه من اقواله في الحكم في كتاب « المبهج » عن نظمها شعرا ايمانا منه بان النثر ألصق بالحكمة من الشعر .

ومهما يكن الامر فقد شاع شعر الحكم والامثال في عصر الثعالبي ، وتعلق الناس به وبروايته ، حتى إن الثعالبي افرد أبوابا عديدة من كتبه له ، بيد أن مـا عثرت عليه من شعر للثعالبي نفسه في الحكمة لا يعدو عدة مقطوعات لا تتسم بعمق التجربة ، ولا تدل على قوة الشاعرية ، كقوله (١) : [من الطويل]

إذا المرء أعيته المروءة ناشـــئا

فمطلبها كهلاً عليـــه ثقيـــل

وقوله (٢) : [من الكامل]

(١) مرآة المروءات ٢٦

(٢) المبهج ٣٨

هـذا عذارك بالمشيب مطرز
فقبول عذرك في التصابي معوز
ولقد علمت وما علمت توهماً
أن المشيب بهدم عمرك يرمز

ومن أطرف ما عثرت عليه من شعر الثعالبي نظمه القصة المشهورة التي وقعت بين كسرى والدهقان وهو قوله (١) : [من الطويل]

لقد قال دهقان لكسرى بن هرمز
ونكت في التجويد فيه وأحسنا
لقد غرسوا حتى أكلنا وإننا
لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

٨ـ الرثاء

لايعدو ما عثرت عليه من شعر الثعالبي في الرثاء أربع مقطوعات لعله قال غيرها فضاعت ضمن ما ضاع من شعره ، ولهذا لم يعد بوسعنا الحكم على رثائه إلا من خلال هذا القليل الذي وصل إلينا منه ، ويبدو من مجموعه أن الثعالبي كان يؤثر فيه الأسلوب الفخم والمعاني المفتعلة التي تتسم بالمبالغة والتهويل ، مما يثير الشك في صدق العاطفة التي دفعته اليه ، من ذلك قوله في رثاء السلطان محمود الغزنوي (٢) : [من الخفيف]

(١) اللطف والطائف ورقة ٧ وجه
(٢) تتمة اليتيمة ١ : ١١٧

عجباً من تماسك الأفلاك

ومساغ الزلال في الأحناك

وثبات الجبال بعد زوال الـ

طود ذي الطول مالك الأملاك

فلسان الزمان شاك وطرف الـ

ـدهر باك والرزء في الملك (ناك) (١)

ومن عجب ان يرثي الثعالبي الصاحب بن عباد دون ان تكون له به علاقة ، ولكن يبدو انه لما ساق ما قاله الشعراء في رثاء الصاحب رغب ان يشاركهم في ميدان ابدعوا فيه فقال (٢) : [من الهزج]

ألا يا غرة العليا	ألا (يا نكتة) (٣) الدنيا
وشمس الأرض فرد الدهـ	ـر عين السؤدد اليمنى
أما استحيا أبو يحيى (٤)	لفض المهجة الكبرى ؟
لئن ختمت بك الدنيا	لقد فتحت بك الأخرى

ولم يتخل الثعالبي عن هذه المبالغة حتى في رثائه اصدقائه كقوله في رثاء حمد بن محمد الخطابي : (٥) [من الخفيف]

---

(١) هكذا في المطبوع ولعله اسم فاعل من النكاية

(٢) يتيمة الدهر ٣ : ٢٩٠ ، دون نسبة ، اليميني ورقة ٩٣ وجه منسوبة الى الثعالبي .

(٣) في اليتيمة (نكبة) ولا يستقيم المعنى بها

(٤) كنية ملك الموت « ثمار القلوب » ٢٤٦

(٥) معجم الادباء ٢ : ٨٦

أنظروا كيف تخمد الأنوار
أنظروا كيف تسقط الأقمارُ
أنظروا هكذا تزول الرواسي
هكذا في الثرى تغيض البحارُ

ولعل أرق ما عثرت عليه من رثاء الثعالبي قوله في تعزية خوارزم شاه عن أحد ابنائه : (١) [من مخلع البسيط]

قل للمليك الأجل قدرا	لازلت بدراً تحل صدرا
إني أعزيك عن عزيز	كان لريب الزمان عذرا
وكان طهراً فصار أجرا	وكان ظهراً فصار ذخرا

إن ما بين أيدينا من رثاء الثعالبي لا ينم عن ميل الرجل الى المواقف الحزينة ، ولعل فيما ضاع منه صوراً أخرى لا نستطيع أن نصدر حكما دقيقا على رثائه قبل العثور عليها .

وبعد فليس لنا ونحن نجيل النظر في شعر الثعالبي إلا أن نلمس آثار موهبة شعرية إن تكن روح التقليد أضعفتها فان آثارها تلوح في هذا القليل الذي انطلقت فيه عواطفه . وحلق خياله ، فأتاح له منزلة شعرية إن تكن لم ترفعه الى مصاف عظماء شعراء بيئته فانها سمت به الى مصاف الشعراء المعدودين الذين ارتفعوا بشعرهم عن مرتبة كثيرين من اوساط الشعراء ومغموريهم ممن شهدت اليتيمة وغيرها بتفاهة كثير مما كانوا يقولونه من شعر .

وحسبنا بعد ذلك أن نقول إن الثعالبي عاش في جيل كان يشهد انقراض

(١) أحسن ما سمعت ١٨٤

الشعر العربي في فـارس على أيدي أمراء من الأعاجم نجحوا في محاولتهم احياء آداب فـارس القديمة ، فكان من الطبيعي ان لايلقى الشعر العربي من التشجيع ما يدفع أصحابه الى إجادة القول وتنقيحه ، والسمو بالقريحة الى أعلى ما يمكن ان تسمو اليه لو انها صادفت عصرا غير العصر ، وبيئة غير البيئة .

بقي أن نؤكد القول بان دراسة نثر الثعالبي وشعره تبقى ناقصة ما لم نعثر على النصوص الضائعة منه لنستطيع ان نكتشف جوانب جديدة قد لا يكشف عنها ما سلم من شعره ونثره من يد الضياع ، وتلك مسألة مرهونة بالزمن وحده .

خلاصة البحث

تناولت في هـــذه الرسالة دراسة حياة الثعالبي ونقده وأدبه .

وقد اتضح لي ان ما قدمته كتب التراجم القديمة من تفاصيل عن حياة الرجل يكاد لا يعين الباحث على فهم جوانب حيـــاته ، فأكثر تلك الكتب يكتفي بالاشارة إلى سنتي ولادته ووفاته ، فان تعدى ذلك فالى اشارة عابرة ضمن عبارات موجزة يغلب عليها الاطراء ، وتفتقر الى التفاصيل ، ولعل اضراب معاصري الثعـــالبي عن تقديم تفاصيل وافية عن حياته كان السبب في قصور كتب التراجم المتأخرة عن التوسع في دراسته ، اما المراجع الحديثة فقد اكتفى الكثير منها بترديد ما قيل بعبارات حديثة ، ومال بعضها الى الدخول في تفاصيل لم يستند اصحابها فيها الى مصادر موثوق بها ، فوقعوا في اوهام صححت الكثير منها في دراستي مستنداً الى أدلة لا أظن الشك يتطرق اليهـا لأن مصادرها كانت كتب الثعالبي نفسه .

ولما كان أكثر هذه الكتب لا يزال مخطوطاً وموزعاً بين مكتبات الدنيا ، فقد اضطررت الى جمع ما امكن الوصول اليـــه منها او تصويره او استنساخه .

ودرست كتبه التي تجمعت لدي بين مطبوع ومخطوط ، فهالني أن أجد حقائق كثيرة كان بامكان الباحثين ان يفيدوا منها في تقديم ترجمة وافية خالية مما وقع بعضهم فيه من أوهام وأخطاء ، كالذي زعموه من ان الثعالبي كان « فراء » يشتغل بخياطة جلود الثعالب ، مع ان الثعالبي نفسه يشير الى انها مهنة أبيه لا مهنته ، وكالذي توهموه من اتصاله بالصاحب بن عباد مستندين الى وهم ناسخ في مقدمة احد كتبه ، مع ان كل الحقائق تشير الى انه لم يتصل بالصاحب . وكالذي ذهبوا اليه من انه قضى حياته كلها في نيسابور مع ان في كتبه اشارات عديدة الى كثرة تنقله في البلدان .

لقد امدتني كتب الثعالبي بتفاصيل وافية عن حياته ، فلما جمعت اليها النزر الذي خرجت به من كتب التراجم استطعت ان اخرج بترجمة مفصلة له لم يسبقني أحد الى جمع شتلتها وتأليف متناثر حوادثها من قدماء ومحدثين ، ويمكن تلخيص ما خرجت به من كل ذلك بالقول بأن الثعالبي هو ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري ، ولد بمدينة نيسابور سنة ٣٥٠هـ وقضى صدر حياته فيها طالباً للعلم ثم مؤدباً للصبيان ، فلما استكمل ثقافته رحل الى بخارى انتجاعا للشهرة والمال ، ولكن اضطراب أمور السامانيين أيام زيارته عاصمتهم لم يتح له تحقيق ما اراد . فرجع عنها صفر اليدين الا مما افاده من صلته بأعيان أدبائها ومن طرأ عليها من أدباء الآفاق .

وتفرغ في نيسابور للكتابة اضخم كتبه « يتيمة الدهر » ليهديه

الى احد الوزراء ، ولما غلب الغزنويون على خراسان استقبل الثعالبي أمير نيسابور الجديد أبا المظفر نصر بن ناصر الدين بكتابين ألفهما له . وبعدة قصائد مدحه ومدح أخاه السلطان محمود بن ناصر الدين الغزنوي بها . ثم استغل عودة الامير شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى دار ملكه بعد ان حرم منه تسع سنوات ، فقصده مادحا ومهنئا واهداه كتابه « المبهج » فحباه الامير بعطائه . ولكن الثعالبي لم يلبث ان عاد الى نيسابور موفوراً ليتفرغ الى تأليف عدة كتب يهدي بعضها للامير ابي المظفر ، وبعضها لصاحب الجيش ، وغيرهما من علية القوم .

ثم حل عام القحط سنة ٤٠١هـ فغادر الثعالبي نيسابور هاربا الى اسفرائين حيث اعاد كتابة يتيمة الدهر . وألف التمثيل والمحاضرة الذي حمله معه الى جرجان ليهديه الى الامير شمس المعالي في زيارته الثانية له ، وفي جرجان وردت عليه دعوة الامير أبي العباس مأمون ابن مأمون خوارزم شاه لزيارة الجرجانية ، فقصدها ليقضي فيها عدة سنوات . ويؤلف باسم خوارزم شاه ووزيره ابي عبد الله محمد بن حامد بضعة كتب ، ويمدحهما بعدة قصائد ، ولم يفزعه عن الجرجانية الا اضطراب احوالها وما تكشف الاضطراب عنه من مقتل الامير .

وكانت وجهة الثعالبي هذه المرة غزنة عاصمة الدولة الغزنوية الفتية . وقد نزل الثعالبي فيها على ممدوحه القديم الامير أبي المظفر الذي قدمه الى اخيه السلطان ليقدم له كتابه « لطائف المعارف » ولعل خروج السلطان بعد ذلك من غزنة في بعض غزواته اضطـــر

الثعالبي الى الانقطاع الى الامير ، وقد اهداه بعض كتبه وبينها كتابه « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » ، وقضى في غزنة خمس سنوات ثم غادرها على اثر وفاة الأمير أبي المظفر الى نيسابور ، وفي طريقه نزل بهراة على القاضي ابي احمد منصور بن محمد الهروي واهداه كتابه « الايجاز والاعجاز » وكان وصوله نيسابور بعد سنة ٤١٢هـ ولعله لم يفارقها الا سنة ٤٢٠هـ الى ضيعة له ليتفرغ لتأليف كتابه « فقه اللغة » بأمر الامير أبي الفضل الميكالي صديقه القديم ، فلما أتمه عاود نيسابور التي طرقها السلطان مسعود بن محمود الغزنوي سنة ٤٢٤هـ في طريقه الى بغداد ، فما كان من الثعالبي الا ان اتصل برجال حاشيته واهدى بعضهم عدداً من كتبه الجديدة او القديمة التي اعاد تأليفها او اختصرها لهم ، ولما عاد السلطان الى غزنة ثانياً عنانه عن قصد بغداد لما استجد في عاصمة ملكه من الاضطراب تفرغ الثعالبي لتنقيح كتابه « تتمة اليتيمة » الذي قدم مسودته الى احد رجال حاشية السلطان حين أعجله السفر ، ولعله ألف كتبا اخرى في السنوات الخمس الاخيرة من عمره عدا تتمـــة اليتيمة لانعرف عنها شيئا ، ثم وافته المنية في نيسابور سنة ٤٢٩هـ

ولست ادعي انني احطت بدقائق حياة الثعالبي كلها مما تبقى من كتبه . فقد بقيت فجوات لم اعثر على تفاصيل موثوق بها تسدها . ولا سيما الفترة الواقعة بين عودته الى نيسابور من غزنة سنة ٤١٢هـ ومغادرته نيسابور الى ضيعته سنة ٤٢٠هـ ، فافترضت انه بقي في نيسابور نفسها ، وتركت الدخول في تفاصيل قد لا أسلم معها من

ركوب الوهم غير المستند الى الدليل ، آملا ان تكشف الايام عن بعض ما هو في حكم المفقود من كتبه اليوم ، لتستكمل صورة حياته أدق تفاصيلها .

وبالرغم من ذلك فانني استطعت ان انفي ما قيل من اتصاله بالصاحب بن عباد بأدلة قاطعة . وان اثبت خطل الرأي القائل بأنه قضى حياته في نيسابور بما سقته من اخبار نقلته الكثيرة .

أما فيما يتعلق بدراسة ثقافة الثعالبي فقد بحثت في مصادرها فتبين لي انه لم يتخصص بالتلمذة على اساتذة معينين ما عدا أبا بكر الخوارزمي ، فقدرت ان تكون ثقافته ذاتية اعتمد فيها على مدارسة الكتب المختلفة ، واستعنت على اثبات ذلك بدليلين ، اولهما عدم تخصص الثعالبي بفرع من فروع المعرفة ، فهو اديب ولغوي ومؤرخ وشاعر وكاتب ، فلو انه تخصص بالدراسة على شيخ معين لظهر اثر تخصصه في انتاجه ، وثانيهما : كثرة النصوص التي يشير الثعالبي فيها الى حبه الكتب وبحثه عن نوادرها . ومع ذلك فانني لمست انه لم يدع فرصة تفلت من بين يديه ، فقد اتصل ببديع الزمان الهمداني عندما طرأ على نيسابور وافاد منه كثيراً ، كما افاد من ابي الفتح البستي عند وروده على نيسابور ، ولم يزل الثعالبي عالما ومتعلما حتى انه صرح بافادته من العلماء الذين طرأوا على نيسابور بصحبة السلطان مسعود سنة ٤٢٤هـ وعمره اربع وسبعون سنة آنذاك .

اما تلاميذه فقد ذكرت عددا منهم مستنداً الى ما ورد من تصريح بعضهم بالتلمذة عليه ، كالباخرزي والبيهقي ، والى ما ورد

في اسانيد رواية بعض كتبه من اسماء رجال رووا تلك الكتب عنه مباشره كأبي نصر محمد بن الفضل بن محمد السرخسي وابي محمد الحسين بن محمد بن احمد النيسابورى ، وابي محمد اسماعيل بن محمد النيسابوري ، وما ذكره ياقوت من قراءة يعقوب بن احمد بن محمد كتاب « يتيمة الدهر » على الثعالبي .

وقد افدت كثيرا من المصادر والمراجع وفهارس المكتبات ودور الكتب التي ذكرت مؤلفات الثعالبي ، واستخرجت ما صحت نسبته اليه عندي ، ثم صححت اخطاء كثيرة وقعت في قوائم الكتب المنسوبة اليه فأشرت الى ان بعض كتبه حملت اكثر من اسم واحد فظنها بعض الباحثين كتبا مختلفة . وسقت أدلة قاطعة على خطأ نسبة بعض الكتب اليه ذاكرا اسماء مؤلفيها الحقيقيين سواء كانت مذكورة له . ام مخطوطة وعليها اسمه ، او مطبوعة ومنسوبة اليه ، فمما ذكر له وهو ليس له كتاب « الجواهر الحسان » لعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ، والكشف والبيان لابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبي ، ومما كتب عليه اسم الثعالبي من المخطوطات وهو ليس له : « درر الحكم » و « طرائف الطرف » و « الشكوى والعتاب » ، ومما طبع باسمه وهو ليس له : كتاب « الفرائد والقلائد » لابي الحسين الاهوازي ، و « مكارم الاخلاق » وهو مختصر « الفرائد والقلائد » السابق ذكره ، ثم اضفت الى ذلك ما ذكرته دائرة المعارف الاسلامية من ان المطبوع بعنوان « مؤنس الوحيد » المنسوب الى الثعالبي ما هو إلا قطعة من « محاضرات الادباء » للراغب الاصفهاني .

وفصلت في مسألة الاختلاف على نسبة كتابين اليه همـا : « المنتحل » و « غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم » حيث تبين لي ان الكتاب الاول قد الفه مشاركة مع ابي الفضل الميكالي ، وان الكتاب الثاني له وليس لأبي منصور الحسين بن محمد المرغني الثعالبي كما زعم بروكلمان وجرجي زيدان .

وقد قدمت قائمة وافية بكل ما ذكره القدماء والمحدثون من كتب الثعالبي ، واضفت ما لم يذكروه . فقد عثرت على اسماء كتب ذكرها الثعالبي لنفسه في كتبه الاخرى وشرح مناهج بعضها ولم يتنبه احد الى كل ذلك .

وقد ادرجت في قائمتي اسماء الكتب بحسب قدم تأريخ تأليفها بقدر ما سمحت المعلومات التي توفرت لدي توخيا لفهم تطور فن التأليف عند الثعالبي ثم ذكرت تحت اسم كل كتاب ما يتعلق به من معلومات ، واكتفيت بذكر كلمة « مفقود » بالنسبة لما لم اعثر على مخطوط له او مطبوع منه ، اما المخطوط فقد ذكرت اماكن وجود نسخه وارقامها ، واشرت الى عدد طبعات المطبوع وتواريخها واسماء محققيها مع اشارة الى ما فات بعضهم من الاطلاع على مخطوطات ذات شأن كان بامكانهم ان يفيدوا منها الخروج بتحقيق ادق . ثم تناولت كل كتاب مطبوع او مخطوط بدراسة موجزة لمنهجه ومادته وعدد اخراجاته واسم من اهداه اليه ، وختمت كل ذلك بتقويم للكتاب .

وقدمت بعد قائمة مؤلفات الثعالبي دراسة موجزة عن اسبـاب

وفرة مؤلفاته ودراسة لملامح منهجه العام في التأليف . وختمت الفصل بتقويم لمؤلفاته من وجهات نظر مختلفة .

اما نقد الثعالبي فقد افردت له دراسة مطولة عمدت في مقدمتها الى ايجاز مراحل تطور النقد العربي منذ العصر الجاهلي الى عصر الثعالبي مع التركيز على الاتجاهات التي برزت في آراء الثعالبي بصورة خاصة .

وقد تبين لي ان آراء الثعالبي النقدية تخضع لمنهجين بارزين ، أولهما منهج اقليمي كان للثعالبي فضل السبق الى تطبيقه اول مرة في تاريخ النقد الادبي في كتابين من كتبه هما « يتيمة الدهر » و « تتمة اليتيمة » ثم الافادة منه في كثير من احكامه النقدية المتناثرة في كتبه الاخرى ، وقد اتضح لي ان المنهج الاقليمي عند الثعالبي يرتكز على مقاييس مختلفة أهمها ملاحظته اثر المكان واثر الزمان واثر الهيئات السياسية والطبقية والفكرية والدينية في الادب مع ملاحظة اثر بيئة الاديب الخاصة في ادبه ، فافردت لكل مقياس بحثا مستقلا ملاحظا انها مقاييس متداخلة متناسقة ضمن اطـــار المنهج الاقليمي في النقد .

وقد لاحظت ان كثيرا من مؤرخي النقد المعاصرين ينكرون ان الثعالبي ابتكر هذا المنهج النقدي ، بل ان بعضهم ذهب الى ما هو ابعد من هذا ، فأنكر كون الثعالبي ناقداً ، وقد تأكدت من ان السر الذي يكمن وراء هذه الاحكام هو ان اصحابها اقتصروا على دراسة كتاب واحد من كتب الثعالبي الكثيرة ، وهو « يتيمة الدهر »

بل ان بعضهم اكتفى بدراسة فصل واحد من اليتيمة وهو الفصل الخاص بالمتنبي ، وبنى حكمه عليه ، وواضح ان مثل هذه الدراسات لا يمكن ان تسمح لاصحابها بفهم آراء الثعـــالبي النقدية على حقيقتها .

أما اولئك الذين اعترفوا للثعـــالبي بسبقه الى التنبه الى المنهج الاقليمي فهم بين منكر لقيمة آرائه النقدية متشبث بالادعاء بأن الثعالبي اتخذه وسيلة سهلة لحصر اسماء شعراء كل بيئة ، وبين منتقص للاسس العلمية التي قام عليها المنهج ومقاييسه .

وقـد درست آراء كل من الفريقـين ، ورددت الحجـة بالحجـة مستعينا بالنصوص الصريحة التي قدمها الثعالبي لدراسة بعض البيئات الادبية ، وباشاراته الكثيرة الى العوامل التي تكمن وراء ضعف شعر البيئة او جودته ، ثم قدمت له العذر عن بعض المقاييس التي توهم بعض الباحثين انها مختلة ، فأوضحت ما غمض منها ورددت ضعف بعضها الى ما كان يسود عصر الثعالبي من تيارات ثقافية محدودة لم تسمح له ان يتعداها الى ما هو اعمق منها بكثير . وتبين لي من كل ذلك ان الثعالبي ابتكر المنهج الاقليمي في النقد قبل الناقد الفرنسي هيبوليت ادولف تين بعشرة قرون ، وان من حق تراثنا العربي علينا ان نعترف للثعالبي بقيمة ابتكاره .

اما المنهج الثاني الذي خضعت له آراء الثعالبي النقدية فقد كان منهجا فنيا يعتمد على ذوق الناقد الفني ويستمد جذوره من التيارات النقدية السائدة في عصره ، وقد اوضحت اسباب لجوء الثعالبي الى

المنهج الفني رغم كونه صاحب منهج مبتكر في النقد ، ثم أشرت الى ما اثير حول بعض أحكامه الذوقية في كتب تاريخ النقد الحديثة من تشكيك ، ولا سيما ما قيل عن آرائه في المتنبي ، وقد رددت بعض الطعن الذي وجه الى ما ورد من آراء ذوقية في اليتيمة بأن نبهت الى انها ليست آراء الثعالبي أصلا وانما هي آراء منقولة عن « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي » للصاحب بن عباد ، او « الوساطة » للجرجاني ، او غيرهما ، وان من الاولى ان لا يحاسب الثعالبي على آراء غيره .

أما ما أخذه عليه بعض الباحثين من قصور بعض احكامه عن التعليل النقدي فقد بينت انه تعسف لا يسوغه الا قصور اولئك الباحثين ، ذلك انهم لم يقرأوا « يتيمة الدهر » كلها واكتفوا بقراءة الفصل الخاص بالمتنبي ، ولو انهم صبروا على قراءة ما تبقى من اليتيمة لوجدوا ما بحثوا عنه من تعليل للظواهر نفسها ، ولكفوا انفسهم مؤونة كتابة التعليل المطلوب تبرعا منهم لسد النقص وما من نقص .

وقد تناولت بعد ذلك مقاييس الثعالبي الذوقية بالدراسة ، فتتبعت احكامه على المعاني ، وتفضيله المبتكر منها ، وانكاره المكرر والمسروق ، وتعلقه بفنون البيان من تشبيه واستعارة وكناية ، ثم درست احكامه الذوقية على الالفاظ ، وما كان يفضله فيها من السهولة واللين ، ويحبذه في العبارة من حسن السبك ، وأوضحت انه كان يتعشق الزخرفة اللفظية على عادة ادباء ونقاد بيئته ، ثم ختمت

ذلك بالحديث عن تفضيله النثر على النظم ، وما أثاره هذا الرأي من جدل نقدي بعده .

وخلصت من الحديث عن نقده الى الحديث عن ادبه ، فمهدت لذلك بتمهيد اوضحت فيه معالم منزلته بين أدباء عصره وبيئته ، وسردت ما ورد من اقوال القدماء والمحدثين في أدبه .

ثم اخضعت العوامل المؤثرة فيه لدراسة نقدية مستمدة من المنهج الاقليمي الذي ابتكره هو . فتتبعت العوامل السياسية والاجتماعية والدينية والشخصية التى اثرت في ادبه ، ثم تناولت نثره بدراسة مستقلة فبينت خصائصه الفنية في الالفاظ والمعاني وتناولت اسلوبه في مقدمات كتبه ومتونها بالدراسة ، واتبعت ذلك دراسة اخرى لاسلوبه الانشائى في كتبه التي عقدها لعرض بضاعته الادبية الخاصة .

وقد استطعت ان اثبت بأدلة واضحة ان ما نقله احد الباحثين المحدثين من قطع ادبية على انها رسائل للثعالبي ما هي الا مختارات من كتاب سحر البلاغة الذي ضم اقوالا جمعها الثعالبي من ثمار قرائح معاصريه من الادباء .

ولما تعرضت لدراسة شعر الثعالبى لم اجد ديوانا مطبوعا او مخطوطا له فاضطررت الى جمع ما تبقى من شعره من مصادر شتى اهمها كتبه . وعنيت بتخريجه واثبات اختلاف رواياته ، والتثبت من سلامة نسبته اليه ، ثم اخضعت هذا المجموع الشعري لدراسة تناولت فيها ألفاظه واساليبه ومعانيه واخيلته وقوافيه واوزانه ، ثم

افردت لكل غرض من اغراضه بحثا درست فيه خصائصه معتمدا على سياقة النصوص وتحليلها .

ذلك هو ما تناولته بالبحث في دراستي هذه ، واری ان من الامانة العلمية ان اقول ان ما هو في حكم المفقود اليوم من كتب الثعالبي سيبقى معوزا للخروج بدراسة ادق لحياته ونقده وادبه ، وحسبي بعد ذلك انني خرجت بما تبقى من كتبه ، وعشرات المصادر والمراجع غيرها ، بما يمكن ان يُخرج به منها لتقديم دراسة وافية ان كنت لا ادعي لها الكمال فانني ارجو ان تكون قاربته اذ الكمال لله وحده ، ومنه السداد والتوفيق .

المصادر والمراجع (*)

الابانة عن سرقات المتنبي - العميدى (٤٣٣ هـ) تحقيق ابراهيم الدسوقي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ م .

أبو الطيب المتنبي وماله وما عليه - (مستل من اليتيمة) ، الثعالبي ، تحقيق محمد علي عطية ، القاهرة ١٩١٥ م .

(نسخة اخرى) - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ م .

آثار البلاد واخبار العباد - القزويني (٦٨٢ هـ) ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

أثر القرآن في تطور النقد الأدبي - الدكتور محمد زغلول سلام ، مصر ، ١٩٥٢ م .

أجناس التجنيس - الثعالبي ، (مخطوط) ضمن مجموع خطي برقم (٣٦٣) في مكتبة الاسكوريال .

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - المقدسي المعروف بالبشاري (نحو ٣٨٠ هـ) ليدن ١٩٠٦ م (أوفسيت) .

(*) لم أدرج المصادر والمراجع التي لم ارجع اليها الا مرة او مرتين خلال البحث ضمن هذه القائمة

أحسن ما سمعت ـ الثعالبي تصحيح محمد افندي صادق عنبر . مطبعة
الجمهور ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
احكام صنعة الكلام ـ الكلاعي (من اعلام القرن السادس الهجري)
تحقيق محمد رضوان ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
أخبار أبي تمام ـ الصولي ، (٣٣٥ هـ) تحقيق خليل محمود وآخرين ،
المكتب التجاري ، بيروت ، (دون تأريخ) .
الأدب في ظل بني بويه ـ الدكتور محمود غناوي الزهيرى ، مطبعة
الامانة ، مصر ، ١٩٤٩ م .
أدبـــاء العرب في الاعصر العباسية ـ بطرس البستاني ، دار صادر
للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٨ م .
الأسس الجمالية في النقد العربي ـ عز الدين اسماعيل ، مصر ،
١٩٥٥ م .
أسس النقد الأدبي عند العرب ـ الدكتور احمد احمد بدوى ، مطبعة
نهضة مصر ، ط ٣ ، ١٩٦٤ م .
الأشباه والنظائر ـ الخالديان ، أبو بكر محمد (٣٨٠) وأبو عثمان
سعيد (٣٩١) ابنا هاشم ـ تحقيق الدكتور سيد محمد يوسف ،
مطبعة لجنــة التــأليف والترجمة والنشر ، الجزء الاول ، ١٩٥٨ م
والجزء الثاني ١٩٦٥ م .
الأشباه والنظائر ـ المنسوب الى الثعــالبي ، (مخطوط) مصور بمعهد
احياء المخطوطات العربية برقم (ولي الدين ٥٢) .
أصول النقد الأدبي ـ الاستاذ احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ،

ط ٧ ، ١٩٦٤ م .
الأضداد في اللغة - محمد حسين آل ياسين - رسالة ماجستير ، على الالة الطابعة ، بغداد ١٩٧٣ م .
إعجاز القرآن - الباقلاني ، (٤٠٣ هـ) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر ١٩٥١ م .
الاعجاز والايجاز - الثعالبي ، تصحيح اسكندر آصاف ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧ م .
الاعلام - خير الدين الزركلي ، مطبعة كوستا توماس ، القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٩ م .
الأغاني - الاصفهاني (٣٥٦ هـ) دار الكتب المصرية .
الاقتباس من القرآن الكريم - الثعالبي ، (مخطوط) بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية مصورة عن نسخة (سليم آغا ١١٢) .
اكتفاء القنوع بما هو مطبوع - جمعه ادورد فنديك ، صححه السيد محمد البيلاوى ، مطبعة الهلال القاهرة ، ١٨٩٦ م .
الامتاع والمؤانسة - التوحيدي ، (بعد ٤٠٠ هـ) تصحيح وشرح احمد امين واحمد الزين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .
الأمثال - الثعالبي (مخطوط) بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ، مصورة عن نسخة (خزنه ١١٥٠) .
الأمثال (المسمى بالفرائد والقلائد) - منسوب الى الثعالبي ، البابي الحلبي ، مصر ١٣٢٧ هـ .

الانساب - السمعاني (٥٦٢ هـ) تصحيح الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلى ، العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ط ١ ، ١٣٨٣ هـ .

أنوار الربيع في انواع البديع - ابن معصوم المدني (١١٢٠ هـ) تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٦٩ م .

الايجاز والاعجاز - الثعالبي - مجموعة (خمس رسائل) الجوائب ، القسطنطينية ، ١٣٠١ هـ .

بدائع البدائة - علي بن ظافر الازدي (٦١٣ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ، ١٩٥٧ م .

البداية والنهاية في التأريخ - ابو الفداء اسماعيل بن كثير (٧٧٤ هـ) السعادة ، مصر (دون تأريخ) .

البديع - عبد الله بن المعتز (٢٩٦ هـ) تحقيق اغناطيوس كراتشوفسكي ، دار الحكمة دمشق ، (دون تأريخ) .

بديع القرآن - ابن ابي الاصبع المصري (٦٣٥ هـ) تحقيق حفني محمد شرف ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٥٧ م .

برد الاكباد في الاعداد - الثعالبي - ضمن مجموعة « خمس رسائل » مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ١٣٠١ هـ .

بلاغة الكتاب في العصر العباسي - الدكتور محمد نبيه حجاب ، مصر ، ١٩٦٥ م .

البيان والتبيين - الجاحظ (٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٤٨ م .

تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
تاريخ الادب العباسي - رينولد أ . نيكلسون (قسم من كتابه تأريخ الادب العربي) ، ترجمة الدكتور صفاء خلوصي ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٧ م .
تاريخ الأدب العربي - حنا فاخوري ، ط ٢ ، المطبعة البوليسية ، ١٩٥٣م .
تأريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي - ادوارد جرانڤيل براون ، ترجمة الدكتور ابراهيم امين الشواربي ، مطبعه السعادة ، مصر ، ١٩٥٤م .
تأريخ البيهقي - البيهقي (٤٧٠ ﻫ) ، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأة ، مطبعة الانجلو مصرية ، ١٩٥٦م .
تأريخ الثعالبي ، (مخطوط) برقم (٩٥١ / ث ع ت) في مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي بالموصل .
تأريخ النقد الادبي الى القرن الرابع الهجري - الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٤ م .
تأريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري - طه احمد ابراهيم دار الحكمة ، بيروت (دون تأريخ) .
تأريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر ، من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري - الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧١ م .

تأريخ النقد الادبي من القرن الخامس الى العاشر الهجري ـ الدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر (دون تأريخ) .
تتمة اليتيمة ـ الثعالبي ، تحقيق عباس اقبال ، مطبعة فردين ، طهران ، ١٣٥٣ هـ .
تجارب الامم ـ مسكويه (٤٢١ هـ) مطبعة التمدن ، مصر ، ١٩١٥ م .
تحسين القبيح وتقبيح الحسن ـ الثعالبي ، (مخطوط) مصور في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (فيض الله ٢١٣٣) .
تحفة الوزراء ـ الثعالبي ، (مخطوط) مصور بمكتبة الجامعة المركزية ببغداد برقم (أ ح ١٤٦) عن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس (٤٨٢) .
تراجم الشعراء ـ منسوب الى الثعالبي ، (مخطوط) مصور في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (٢٢٨١) .
التمثيل والمحاضرة ـ تحقيق محمد عبد الفتاح الحلو ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٥ م .
(نسخة اخرى) ـ منتخبات منه ، ضمن مجموعة (اربع رسائل) الجوائب ، القسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ .
تيارات ثقافية بين العرب والفرس ـ الدكتور احمد محمد الحوفي ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٦٨ م .
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي ، تحقيق الدكتور ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، ١٩٦٥ م .
جمع الجواهر ـ الحصري القيرواني (٤٥٣ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، البابي الحلبي ، ط ١ ، ١٩٥٣ م .

جواهر الادب في أدبيات وانشاء لغة العرب ـ احمد الهاشمي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٧ م .

جولة في دور الكتب الامريكية ـ كوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥١ م .

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ آدم متز ، نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، بيروت ١٩٦٧ م .

حلبة الكميت ـ النواجي (٨٥٩ هـ) المكتبة العلامية ، مصر ، ١٩٣٨ م .

حياة الحيوان الكبرى ـ الدميرى (٨٠٨ هـ) دار الطباعة ، مصر ، ١٣٩٢ هـ .

الحيوان ـ الجاحظ (٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٨ م .

خاص الخاص ـ الثعالبي ، تصحيح الشيخ محمود السمكرى ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٦ هـ .

(نسخة اخرى) ـ تقديم حسن الامين ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي ـ عماد الدين الاصبهاني (٥٩٧ هـ) ، تحقيق محمد بهجة الاثرى والدكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥ ، ١٩٦٤ م .

خصائص اللغة ـ الثعالبي ، (مخطوط) مصور بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة الظاهرية (٢٠٦) .

دائرة المعارف الاسلامية ـ مترجمة ، مراجعة وزارة المعارف العمومية، مصر ، ١٩٣٣ م .
دائرة معارف البستاني ـ بطرس البستاني ، مطبعة المعارف ، بيروت ١٨٨٢ م .
دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث ـ الدكتور بدوى طبانة مطبعة الانجلو مصرية ، ط ٤ ، ١٩٦٥ م .
درر الحكم ـ منسوب الى الثعالبي (مخطوط) بدار الكتب المصرية برقم (٥١٠٧ أدب) .
دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) ، تحقيق محمد بن تاويت ، المطبعة المهدية ، تطوان (دون تأريخ) .
دمية القصر وعصرة اهل العصر ـ الباخرزى (٤٦٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ومطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧١ م .
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ـ ابن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ) تحقيق لجنة برئاسة الدكتور طه حسين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م .
ذيل كتاب تجارب الامم ـ الروذراورى (٤٨٨ هـ) تصحيح امندروز ، مصر ، ١٣٣٤ هـ .
رسائل البلغاء ـ اختيار وتصنيف محمد كرد علي ، ط ٤ ، مصر ١٩٥٤ م .
رسائل الجاحظ (٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية مصر ، ١٩٦٤ م .

الرسالة الحاتمية - ابو علي الحاتمي (٣٨٨ هـ) ، القسطنطينية ،
١٣٠٢ هـ .

رسالة الغفران - ابو العلاء المعري (٤٤٩ هـ) تحقيق الدكتورة
بنت الشاطيء ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٢ م .

روضات الجنات - الخوانساري (١٣١٣ هـ) ، تصحيح محمد علي
الروضاتي ايران ، طبعة حجرية ، ١٣٦٧ هـ .

زهر الاداب - الحصري (٤٥٣ هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي ،
البابي الحلبي مصر ، ١٣٧٢ هـ .

سجع المنثور - الثعالبي (مخطوط) مصور بمعهد احياء المخطوطات
بجامعة الدول العربية برقم (احمد الثالث ٢٣٣٧) .

السجع واطوار استعماله في أدب العرب - عبد الستار فوزي ،
بغداد ، ١٩٦٦ م .

سحر البلاغة وسر البراعة - الثعالبي ، تحقيق احمد عبيد ، ط ١ ،
مطبعة الترقي (دون تأريخ) .

سر الأدب في مجاري كلام العرب - الثعالبي ، (طبع مع السامي
في الاسامي للميداني) طبعة حجرية ، ايران ١٨٥٨ م .

شذرات الذهب - العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ) مكتبة القدسي ،
القاهرة ١٣٥٠ هـ .

شرح الحماسة - المرزوقي (٤٢١ هـ) نشره احمد امين وعبد السلام
هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٥١ م .

شرح ديوان المتنبي - الواحدي (٤٦٨ هـ) تحقيق فريدرخ ديتريصي ،
برلين ١٨٩١ م .

شرح ديوان المتنبي - منسوب الى العكبرى (٦١٦ هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٦ م .

الشعر العربي في خراسان وما وراء النهر في القرن الرابع الهجري - بلقيس عبد الله الحميدى ، رسالة ماجستير على الآلة الطابعة ، بغداد ، ١٩٧٢ م .

الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينورى (٢٧٦ هـ) تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦ م .

الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والاصحاب - منسوب الى الثعالبي (مخطوط) بدار الكتب المصرية برقم (١٦٧٣ أدب) .

صبح الاعشى في صناعة الانشا - القلقشندى (٨٢١ هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ، كوستاتوماس وشركاه (دون تأريخ) .

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي - البديعي الدمشقي (١٠٧٣ هـ) تحقيق مصطفى السقا واخرين ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م .

صفحات عن ايران - صادق نشأة ومصطفى حجازي ، مطبعة مخيمر ، مصر ، ١٩٦٠ م .

الصناعتين - ابو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم ،البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٧١ م .

صورة الارض - محمد بن حوقل (٣٦٧ هـ) دار مكتبة الحياة ببيروت (دون تأريخ)

طبقات الشافعية الكبرى - السبكي (٧٧١ هـ) البابي الحلبي مصر ، ١٩٦٥ م .

طبقات الشعراء ـ ابن سلام الجمحي (٢٣١ هـ) تحقيق يوسف هل
مطبعة بريل ، ليدن ١٩١٦ م .

طبقات الشعراء ـ ابن المعتز (٢٩٦ هـ) تحقيق عبد الستار احمد
فراج ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م .

طبقات النحـاة واللغويين ـ ابن قاضي شهبة الاسدي (٨٥١ هـ) ،
(مخطوط) مصور عن نسخة الظاهرية في مكتبة الجامعة المركزية
ببغداد برقم (م خ ٠١٢٤) .

طرائف الطرف ـ منسوب الى الثعالبي (مخطوط) مصور بمعهد احياء
المخطوطات بجامعة الدول العربية عن نسخة (كوبريللي ١٣٣٦) .

طيف الخيـال ـ الشريف المرتضى (٤٣٦ هـ) تحقيق الدكتور
صلاح خالص ، دار المعرفة بغداد ١٩٥٧ م .

ظهر الاسلام ـ احمد امين ، مكتبة النهضة ، مصر ، ١٩٤٥ م .

العبر في خبر من غبر ـ الحافظ الذهبي (٧٤٨ هـ) الكويت ، ١٩٦١ م .

علم التأريخ عند المسلمين ـ فرانتس روزنثال ، ترجمة الدكتور صالح
احمد العلي ، المثنى ، بغداد ، ١٩٦٣ م ،

العمدة ـ ابن رشيق (٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد ، السعادة ، مصر ، ١٩٥٥ م .

عيار الشعر ـ ابن طباطبا (٣٢٢ هـ) تحقيق الدكتور طه الحاجري
والدكتور محمد زغلول سلام ، شركة فن الطباعة ، مصر
١٩٥٦ م .

غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ـ الثعالبي ، تحيق هـ . زوتنبرك ،

باريس ١٩٠٠ م (بالأوفسيت) طهران ، ١٩٦٣ م .

فحولة الشعراء ـ الاصمعي (٢١٣ هـ .) تحقيق ش . توري ، تقديم صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧١ م .

الفرائد والقلائد ـ منسوب الى الثعالبي ، دمشق ١٣٠١ هـ . ، على هامش نثر النظم (بالاوفسيت) دار صعب بيروت ١٩٧١ م ، ضمن مجموعة (رسائل الثعالبي) .

فقه اللغة وسر العربية ـ الثعالبي ، المطبعة التجارية ، مصر ١٩٥٩ م .

الفن ومذاهبه في النثر العربي ـ الدكتور شوقي ضيف . دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ م .

فهرس الخزانة التيمورية ـ احمد تيمور باشا ، دار الكتب مصر ، ١٩٤٨ م .

فهرس الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانه الخديوية ـ احمد الميهي ومحمد الببلاوى ، العثمانية ١٣٠٧ هـ .

فهرس الكتب الموجودة بالدار لغاية آخر شهر مايو سنة ١٩٢٦ م ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٢٧ م .

فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية الى ١٩٥٢ م ـ القاهرة ، ١٩٥٢ م .

فهرس المخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٥٥ م ، فؤاد سيد ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦١ م .

فهرس المخطوطات المصورة ـ فؤاد سيد ، معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ١٩٥٤ م .

فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس ـ عبد الحفيظ منصور ، دار الفتح ، بيروت ١٩٦٩ م .

فهرسة ما رواه عن شيوخه ـ ابن خليفة الاشبيلي (٥٠٥ هـ .) باشراف زهير فتح الله ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ م .

فوات الوفيات ـ محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤ هـ .) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، السعادة ، مصر ، ١٩٥١ م .

في الادب العباسي ـ الدكتور محمد مهدي البصير ، ط ٣ ، النجف الاشرف ، ١٩٧٠ م .

قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٩٦٢ ـ محمد جمال الشوربجي دار الكتب ، مصر ١٩٦٣ م .

القاضي الجرجاني الاديب الناقد ـ الدكتور محمود السمرة ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

قواعد الشعر ـ ثعلب (٢٩١ هـ) ، تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

الكامل في التأريخ ـ . . ابن الاثير (٦٣٠ هـ .) دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ م .

الكامل في اللغة والادب ـ المبرد (٢٨٥ هـ .) تحقيق الدكتور ابو الفضل ابراهيم ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة (١٩٥٢ هـ .) ، (بالاوفسيت) ، طهران ١٣٧٨ هـ .

الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ـ الصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ .)

تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، المعارف ، بغداد ،
١٩٦٥ م .
الكنى والالقاب ـ الشيخ عباس القمي ، النجف الاشرف ، ١٣٧٦ هـ .
الكناية والتعريض ـ الثعالبي ، مصر ١٣٢٦ هـ . ، (بالاوفسيت) دار
صعب ، بيروت ، ١٩٧١ م . ضمن مجموعة (رسائل الثعالبي) .
كنوز الاجداد ـ محمد كرد علي ، الترقي ، دمشق ، ١٩٥٠ م .
لباب الاداب ـ الثعالبي ، (مخطوط) مكتبة الدراسات العليا بجامعة
بغداد ، برقم (١٢١٧)
اللباب في تهذيب الانساب ـ ابو الحسن علي بن محمد بن الاثير
(٦٣٠ هـ .) المثنى ، بغداد
لسان العرب ـ ابن منظور (٧١١ هـ .) دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
لطائف المعارف ـ الثعالبي ، تحقيق ابراهيم الابياري وحسن
كامل الصيرفي ، البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٠ م .
اللطائف والظرائف ـ أبو نصر المقدسي (معاصر للثعالبي) وهو
الكتاب الحاصل من جمع كتابين للثعالبي هما (الظرائف واللطائف)
و (اليواقيت والمواقيت) في كتاب واحد ، المطبعة الوهبية ،
مصر ١٢٩٦ هـ .
اللطف واللطائف ـ الثعالبي ، (مخطوط) في مكتبة الاسكوريال
ضمن مجموع برقم (٣٦٣) .
المبهج ـ الثعالبي ، مطبعة النجاح ، مصر ١٩٠٤ م .
(نسخة اخرى) ـ (منتخبات منه) ، مجموعة (اربع رسائل)
الجوائب ، القسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ .

(نسخة اخرى) - (مخطوط) بمكتبة الاوقاف العامة بالموصل برقم $\frac{١٠}{٨}$ حسن باشا .

المتشابه - الثعالبي ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، مجلة ، كلية الاداب ، العدد العاشر ، نيسان ١٩٦٧ م ، ص ٦ - ٢٣ .

المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث - الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٤ م .

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الاثير (٦٣٧ هـ) تحقيق احمد محمد الحوفي وبدوي طبانة ، نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٩ م .

محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء - الراغب الاصفهاني (٥٠٢ هـ) دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ م .

المختار من المخطوطات العربية في الاستانة - الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد بيروت ، (دون تأريخ) .

المختصر في أخبار البشر - عماد الدين ابو الفدا صاحب حماة (٧٣٢ هـ) دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (دون تأريخ) .

مخطوطات جامعة الرياض - يحيى ساعاتي وزميلاه ، ١٩٧٣ م .

مخطوطات الموصل - الدكتور داود الجلبي ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٠٧ م .

المدخل في الادب العربي - هـ . أ . جب ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ، ١٩٦٩ م .

المذاهب النقدية ـ الدكتور ماهر حسن فهمي ، مكتبة النهضة ، مصر ، ١٩٦٢ م .

مرآة الجنان ـ اليافعي (٧٦٨ هـ) ، دار المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٨ هـ .

مرآة المروءات ـ الثعالبي ، على نفقة احمد افندي ، الترقي ، مصر ١٨٩٨ م .

المراجع العربية والمعربة ـ عبد الجبار عبد الرحمن ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ١٩٧٠ م .

المزهر في علوم اللغة ـ جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) ، البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٨ م .

المسالك والممالك ـ الاصطخري ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦١ م .

المستطرف في كل فن مستظرف ـ الابشيهي (٨٥٠ هـ) المشهد الحسيني ، مصر ١٣٦٨ هـ .

مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والادب ـ الدكتور عمر الدقاق ، حلب ، ١٩٦٨ م .

معاهد التنصيص ـ عبد الرحيم العباسي (٩٦٣ هـ) تحقيق ابراهيم الدسوقي ، دار الطباعة مصر ، ١٢٧٤ هـ .

المعاجم العربية في العلوم والفنون واللغات ـ نزار محمد علي قاسم ، منشورات المكتبة المركزية بغداد ، ١٩٦٨ م .

معجم الادباء ـ ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) تحقيق مرجليوث ، هندية بالموسكي ، مصر ١٩٢٣ م . طبعة مصرية ، عيسى البابي

الحلبي ، مصر ، ١٩٣٦ م .

معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التأريخ الاسلامي - زامباور ، أخرجه الدكتور زكي محمد حسن وحسن احمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، ١٩٥١ م .

معجم البلدان - ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ م .

معجم المطبوعات العربية والمصرية - يوسف اليان سركيس ، مطبعة سركيس ، القاهرة ، ١٩٢٨ م .

مكارم الاخلاق - منسوب الى الثعالبي ، بعناية الاب لويس شيخو ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، العدد الاول ، صفحة ٢٨ ـ ٣١ ، بيروت ١٩٠٠ م .

مفتاح السعادة - طاش كبرى زادة (٩٦٨ هـ) تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور ، مطبعة الاستقلال ، مصر ١٩٦٨ م .

مقامات الهمداني - بديع الزمان الهمداني (٣٩٨ هـ) شرح الشيخ محمد عبده ، الكاثوليكية ١٩٥٧ م .

من غاب عنه المطرب - الثعالبي ، (ضمن مجموعة التحفة البهية - الرسالة الثامنة عشرة) الجوائب ، القسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ .

مناهج التأليف عند العلماء العرب ـ قسم الادب ـ الدكتور مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

مناهج الدراسة الادبية في الأدب العربي - الدكتور شكري فيصل ،

مطبعة دار الهنا ، مصر ، ١٩٥٣ م .
المنتحل ـ الثعالبي ، تصحيح احمد ابو علي ، التجارية ، الاسكندرية ، ١٩٠١ م .
المنتخب من سنن العرب ـ الثعالبي (مخطوط) مصور بمعهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوط بمكتبة فيض الله برقم (٢١٢٣) .
الموازنة ـ الامدي (٣٧٠ هـ) تحقيق الدكتور احمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ ، ١٩٦٥ م .
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ـ المرزباني (٣٨٤ هـ) جمعية نشر الكتب العربية ، مصر ، ١٣٤٣ هـ .
مؤنس الوحيد ـ منسوب الى الثعالبي ، غوستاف فليغل ، انطون شميد ، فينا ، ١٨٢٩ م .
النثر الفني في القرن الرابع الهجري ـ الدكتور زكي مبارك ، السعادة ، مصر ، ١٩٥٧ م .
نثر النظم ـ الثعالبي ، دمشق ١٣٠١ م (بالاوفسيت) دار صعب بيروت ١٩٧١ م ضمن مجموعة (رسائل الثعالبي) .
نزهة الالباء في طبقات الادباء ـ الانباري (٥٥٧ هـ) تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ م .
نسيم السحر ـ الثعالبي ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مستل من العدد الاول من سلسلة الكتاب (دون تاريخ) .
(نسخة اخرى) ـ تحقيق الدكتورة ابتسام مرهون الصفار ، مجلة المورد ، العددان الاول والثاني المجلد الاول ١٩٧١ م ، ص ١٢٧ ـ ١٤٢ .

نظرات جديدة في تأريخ الادب ـ احمد لواساني ، بيروت ١٩٧١ م .
نظرات تأريخية في حركة التـأليف عند العرب ـ الدكتور امجد الطرابلسي ، حلب ١٩٦٦ م .
النقد الادبي ـ احمد امين ، مكتبة النهضة ، مصر ١٩٦٣ م .
النقد الادبي ومدارسه الحديثة ـ ستانلي هايمن ، ترجمة الدكتور احسـان عباس والدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، ١٩٥٨ م .
نقد الشعر ـ قدامـة بن جعفر (٣٣٧ هـ.) تحقيق محمد عيسى منون ، المطبعة المليحية ١٩٣٤ م .
النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ـ الدكتور داود سلوم ، بغداد ، ١٩٧٠ م .
النقد المنهجي عند العرب ـ الدكتور محمد مندور ، دار نهضة مصر ، (دون تأريخ) .
هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادي ، ١٩٥١ م (بالاوفسيت) طهران ١٣٨٧ هـ. .
الوافي بالوفيات ـ خليل بن ايبك الصفدي (٧٦٤ هـ.) (مخطوط) بمكتبة الجامعة المركزية ببغداد / برقم م ٩٢٠ / ص ف و
الوسـاطة بين المتنبي وخصومه ـ الجرجـاني (٣٩٢ هـ.) تحقيق ابو الفضل ابراهيم وعلي محمـد البجاوي ـ البـابي الحلبي ، مصر ١٩٦٦ م .

وفيات الاعيان - ابن خلكان (٦٨١ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، النهضة ، مصر ١٩٤٨ م .
يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر - الثعالبي ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، السعادة مصر ١٣٧٥ هـ .
اليميني - العتبي (٤٢١ هـ) مخطوط مصور بمكتبة الجامعة المركزية ببغداد برقم م خ / ٢٨ عن نسخة م . ى مالتكومنشدنيا ، بروسيا .

المراجع الاجنبية

Ges Hichte Der Arabischen Litteratur, B. I. Von Kar Brockeimann-Leiden; 1945.

« تاريخ آداب اللغة العربية - كارل بروكلمان ، ليدن ، ١٩٤٥ »

Katav Apbckvx pykonvcen Vhctmtyta Hapo bb A 3-VV ockba 1960.

« فهرس المخطوطات العربية ، بمعهد شعوب آسـيا ، العـلوم الاكاديمية ، موسكو ١٩٦٠ م .

Taines Notes on England-Translateb With An Introdution By Bdvard Hyams-London-Thames & Hudsou

« ملاحظات تين حول انكلترا ، ترجمة وتقديم ادوارد هيامز ، لندن »

تاريخ أدبيات در ايران - دكتور ذبيح الله صفا ، تهران ١٣٣٨

« تاريخ الادب في ايران »

شاهنامة ثعالبي در شرح احوال سلاطين ايران - بقلم ابو منصور عبد الملك ابن اسماعيل الثعالبي ، ترجمة محمود هدايت - جايخانة مجلس تهران ، ١٣٢٨ هـ .

« تاريخ ملوك الثعالبي في شرح احوال سلاطين ايران » .

المجــلات

مجلة كلية الاداب ، العدد ١٤ المجلد الثاني ٩٧٠ - ١٩٧١ م .

الاديب . ابريل ١٩٦٧ م .

لغة العرب - العدد ٦ و ١٠ لسنة ١٩٢٨ والعدد ٢ لسنة ١٩٢٩ م .

المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء ١٢ سنة ٢٧ والمجلد ٥ ، ٦ لسنة ١٩٤٥ م والمجلد ٢٤ لسنة ١٩٤٨ م .

فهرس الاعلام

ابتسام مرهون الصفار ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٣٩٧
ابراهيم الابياري ، ٥ ، ٤٤ ، ٦٩ ١١٠ ، ١٢٨
ابراهيم السامرائي (الدكتور) ٧٩
ابراهيم بن المدبر ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٢
ابراهيم بن المهدي ، ٢٤٧ ، ٢٨٠
ابن ابي الاصبع ، ١٧ ، ٧١ ، ٧٩
ابن ابي البغل ، ٧٢
ابن ابي عتيق ، ٢٢٤ ، ٢٧٣
ابن ابي عيينة ٢٣٠
الابيوردي ١٦١
ابن الاثير (المؤرخ - ابو الحسن علي بن محمد) ١١ ، ٣٤ ، ٤١
احسان عباس (الدكتور) ، ١٠ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٧ ، ٢٧٦ ، ٣٠٢ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧
احمد بن ابراهيم الاصبهاني (ابو طاهر) ، ٧٨
احمد احمد بدوي ، ٢٧١

احمد بن اسحق الجرمقي (ابو الحسن) ، ٣٧٠
ابو احمد بن ابي بكر الكاتب ، ٣١١
احمد امين ، ٦ ، ٥٥ ، ١١٥ ، ١٣٠ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢١٢ ،
٣٠٣ ، ٣٣٦ ، ٣٧٣

احمد الحق (ابو موسى) ٨٩
احمد الهايب ٢٠٦
احمد عبد الله الجادر ، ٣
احمد عبيد ، ٦٩ ، ٨٣
احمد بن علي الميكالي (ابو نصر) ، ٢٤
احمد بن علي بن الحسين الثعالبي ١٨
احمد بن فارس ، ١٣٠ ، ٢٤٩ ، ٣١٢
احمد بن كيغلغ ، ٢٩٤
احمد لواساني ١٩
احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري (ابو اسحق) ،
١٥٨ ، ٥٠٤

احمد بن محمد (الوزير ابو نصر) ، ٤٦
احمد الهاشمي ، ٤٣٦
احمد ينالتكين
الاحوص (عبد الله بن محمد) ، ٢٦
الاخطل ٢٢٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
آدم متز ، ٦ ، ٣٨٨
ادوارد براون ، ١١٠

ادوارد فنديل ، ١٤٦
ارسطا طاليس ، ٣٠٦
اسحق بن ابراهيم الموصلي ، ٢٢٨
اسفندياذ ، ٤٩
اسكندر اصاف ، ١٢٢ ، ٤٠٠
اسماعيل بن احمد الشاشي ، ٢١ ، ٣٤٨
اسماعيل بن احمد الشجري (ابو القاسم) ٢٠
اسماعيل باشا البغدادي ، ٦٩ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢
اسماعيل بن حماد الجوهري ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩٧ ، ٣٤٨
اسماعيل بن محمد الدهان (ابو محمد) ، ٢٧
اسماعيل بن محمد النيسابوري (ابو محمد) ، ٦٤ ، ٥٠٤
اسماعيل بن نوح الساماني (المنتصر) ٣٥
الاسود بن يعفر ، ٢٢١
الاصمعي (عبد الملك بن قريب) ٦٢ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٣٢٥
الاصمعي (الشاعر) ٣٤٠
الاعشى (ميمون بن قيس) ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
ابن الاعرابي (محمد بن زياد) ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
امجد الطرابلسي ، ٩٣ ، ٢٣٧ ، ٢٥١
الآمدي (الحسن بن بشر) ٩ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨ ، ٣٤٥

أمروء القيس ، ٢٥٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣
امين بك الجليلي ، ١٠٨
امية بن ابي الصلت ، ١٩٦
امية بن حرثان ، ١٩٦
ابن الانباري (عبد الرحمن بن محمد) ١٥ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٦٧
الاهوازي = محمد بن الحسين
ايلك خان ، ٣٦
ابو ايوب الطبيب ٢٨٩
الباخرزي (علي بن الحسن) ٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ٤٨ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦١ ، ٩٠ ، ١٤٩ ، ١٨٦ ، ٣٧٠ ، ٤١١ ، ٤٣٥ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ، ٥٠٣
والد الباخرزي (ابو علي الحسن بن ابي الطيب) ٤١٦
البارع الهروي ١٦١
الباقلاني (القاضي ابو بكر محمد بن الطيب) ، ١٨٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣
ابن بامنصور الديلمي ، ٢٩٣
البحتري (الوليد بن عبيد الطائي) ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ، ٤١٣ ، ٤٧٦
بختيشوع ، ٢٨٩
بدوي طبانة ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٣٢٦
بديع الزمان الهمداني (احمد بن الحسين) ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ١٧٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨١ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣ ، ٤٤٨ ، ٥٠٣

البديعي (يوسف بن احمد) ٣٠٧
بروكلمان (كارل) ٦٠١ ، ٨٨، ١٢٧ ، ١٤٨، ١٧٤ ، ٥٠٤
برونبخ (الشاعر الانجليزي) ٣٠٥
ابن بسام الشنتريني (علي بن بسام) ١٤ ، ١٥ ، ٦٢، ٦٧ ، ٦٨،
٧٣ ، ٩٠، ٩٤، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٢٨١،
٣١١، ٣٧٠، ٣٧١
البستي (علي بن محمد) ٣٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٢، ٧٤،
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦، ٢٤٦، ٢٤٨ ، ٣٤٦ ، ٣٦٨، ٣٨١، ٤٠١
٤٢٧ ، ٤٢٩، ٤٤٦ ، ٤٧٦ ، ٥٠٣
بشار بن برد ، ٢٣٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٣، ٣٢٨، ٤٤٠
ابو بشر الفارسي الحافظ ٢٩٧
بشر بن المعتمر، ١٨٠
بطرس البستاني ٣٧٢
البغدادي = اسماعيل باشا البغدادي
بغراخان ايلك ، ٣٠
ابو بكر بن الخياط النحوي ، ٣٢٢
ابو بكر بن العربي (الوزير) ٦٧
البيروني ، ٣٩ ، ٤١ ، ٣٧٩، ٤٢٤
البيهقي (محمد بن الحسين ابو الفضل) ٦٤ ، ٥٠٣
ابو تمام (حبيب بن اوس الطائي) ،٧٣، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٦ ، ٣١٣، ٣١٨ ، ٣٢٨ ،
٣٤٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ ، ٤٢٧ ، ٤٧٦

التوحيدي = ابو حيان التوحيدي
التوزي (عبد الله بن محمد) ، ٢٢٥
يتن = هيبوليت امولف يتن
ثعلب (احمد بن يحيى) ١٨١
الجاحظ (عمرو بن بحر) ٥٧ ، ٥٩ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨،
١٨٠ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦
٢٥٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩
٣٥٢ ، ٣٧٠ ، ٤١١ ، ٤٧٥
الجرجاني = القاضي الجرجاني
جرجس منش (الخوري) ١٤٥
جرجي زيدان ، ٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٥
١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٧٢ ، ٥٠٤
جرير (بن عطية بن الخطفى) ٢٣٦ ، ٢٥٤ ، ٢٧٩ ، ٢٧٥
ابو جعفر الاسكافي ، ٣٢٣
ابو جعفر الجعفري العطار الحراني ، ٢٩٠
ابو جعفر بن العباس بن الحسن الوزير ٣٧٧
جعفر المالكي ، ٣٥٣
جميل سعيد ، ٣٢٥
ابن جني ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٢٥٥
الجوهري = اسماعيل بن حماد الجوهري
الحاتمي (محمد بن الحسين) ، ١٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٦٧

ابن الحاتمي = علي بن محمد بن الحسين
حاجي خليفة ، ٦٩ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٦١
الحافظ الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد) ٤٩
حامد بن العباس (الوزير) ٢٨٨
ابن حجاج (الحسن بن احمد) ، ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ٤٧٦
حريث بن مخفض ١٩٦
حسان بن ثابت ، ١٩٦ ، ٢٢٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩
الحسن (رض) ٣٨٧
الحسن بن ابراهيم الصيمري (ابو الفتح) ٤٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٤٠٣
الحسن بن احمد البروجردي (ابو محمد) ٢٧
الحسن بن احمد الفارسي (ابو علي) ، ٣٧
ابو الحسن الأغاجي ، ٢٠
حسن الأمين ١٣٨
ابو الحسن الحسني الهمداني ، ٢٧٠
ابو الحسن السلامي ٣٢١
ابو الحسن الطوسي ٢٢٧
الحسن بن علي المغربي (ابو القاسم) ٣١١
حسن كامل الصيرفي ، ٥ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ١١٠
ابو الحسن اللحام ، ٩٥ ، ٣٧٦
الحسن بن المظفر النيسابوري ، ١٤٦ ، ٤٤٥

الحسن بن محمد الرقي (ابو محمد) ، ٣٤
الحسن بن المؤمل الحربي (ابو محمد) ٤٤
الحسين (رض) ، ٣٨٧
ابو الحسين فائق الخاصة (امير جيوش نيسابور) ٢٩
ابو الحسين الاهوازي = محمد بن الحسين
الحسين بن بشر الرملي (ابو علي) ، ٣٣٢
الحسين بن محمد (ابو عبد الله ـ والد ابن العميد) ٢٩٥ ، ٣٧٧
الحسين بن محمد بن احمد النيسابوري (ابو محمد) ٦٤ ، ٧٨ ، ٥٠٤
الحسين بن محمد المرغين ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ٥٠٥
الحسين بن مطير ، ٢٢٥
الحصري القيرواني (ابراهيم بن علي) ٨ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٢٨٣
الحطيئة (جرول بن أوس) ٢٢٣ ، ٢٧٣
ابو حفص البصري ، ٢٣٥
حماد الراوية ، ٢٠٢
حماد بن الزبرقان ، ٢٠١
حماد عجرد ، ٢٠١
حمزة بن حسن الاصفهاني ، ٢٠٤
حنا فاخوري ، ٩٤ ، ٣٧٣
الحوفي (احمد محمد) ١٩
ابو حيان التوحيدي (علي بن محمد) ١٩٥ ، ٣٥٤

حيدر الخجندي ، ٢٧٨
الخالدي (ابو عثمان سعيد بن هاشم) ٢٦٢
الخالديان (ابو عثمان سعيد بن هاشم)
(ابو بكر محمد بن هاشم) ٧٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٥ ، ٣٣٠ ،
٣٣١ ، ٤١٢

ابن خالوية (ابو عبد الله الحسين) ٢٥٥ ، ٣٠٦
الخباز البلدي (ابو بكر محمد بن احمد بن حمدان) ٢٧٨ ، ٢٩٧
خداش بن زهير ، ٢٢١
الخطابي (ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم) ٢٢ ، ٤٥٢ ، ٤٩٥
ابن خلكان ، ٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٩٠ ،
٩١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ، ٣٧١
الخليع الشامي (ابو عبد الله) ٣١٤
ابن خليفة ، ٦٤

خوارزم شاه (ابو العباس مأمون بن مأمون) ، ٣٩ ، ٨٩ ، ٩٧
٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ٣٥٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧
٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٦
٤٩٦ ، ٥٠١

ابن خوارزم شاه (مأمون بن مأمون بن مأمون) ٤٠ ، ١١١
الخوارزمي (ابو بكر محمد بن العباس) ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٦٠ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ١١٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٩٧ ،
٣٥٣ ، ٣٦٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٥٠٣

داوود الجلبي ، ١٠٨
ابن دراج القسطلي (ابو عمر احمد بن محمد) ، ٣١١
ابو الدرداء الموصلي ، ٣٥١
دريدن ، ٣٠٥
الدميري ، ١٦ ، ٤٩
دي يونغ ، ١١٠
ذبيح الله صفا (الدكتور) ، ٣٧٣
الراغب الاصفهاني ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٥٠٤
رزوق فرج رزوق (الدكتور) ١٥٦
رستم بن زال ، ٤٠٩ ، ٤٦١
الرستمي (محمد بن محمد بن الحسن) ، ٣١١
رشيد الدحداح (الكنت) ١٢٨
ابن رشيق (ابو علي الحسن) ، ٩ ، ١٩٨ ، ٢٥٠ ، ٣١٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٩ ، ٤٢٥ ، ٤٤٣
الرقاشي ، ١٠٢
الرماني ، ١٨٤
الرذراوري (ظهير الدين ابو شجاع محمد بن الحسين) ، ١١ ، ٣٧٦
ابن الرومي (علي بن العباس) ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٣٩ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٤٢ ، ٣٥٨ ، ٤٠٤
زامباور ، ٣٦
ابو زبيد الطائي ، ٢٢٦
زرادشت ، ٢٠٠

الزركلي (خير الدين) ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩
زكي مبارك (الدكتور) ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥
الشيخ الزهري ، ١٢٨
زهير بن ابي سلمى ، ٢٢٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
زوتنبرك ، ٤٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨
زياد الاعجم ، ١٩٧
سابورين أروشير (ابو نصر) ، ٢٥٦
سانت بيف ، ٣٠٣
سباشي ، ٣٦
السبكي ٩٢ ، ١٤٤ ، ١٥٩
سحيم عبد بن الحسحاس ، ٢٢٥ ، ٢٧٣
السري الرفاء (بن احمد الكندي) ٩٥ ، ٢٥٤ ، ٣١٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٤١٢
سعاد سليم ، ١١
ابو سعد بن ابي الفرج ، ٣٣٧ ، ٤٥٥
سعد بن علي الحظيري (ابو المعالي) ٩٠
سعد بن محمد بن منصور (ابو المحاسن) ، ٣٨ ، ٦٣ ، ٣٩٥
سعد بن المهذب مماتي ، ١٧٣
سعيد بن احمد البريدي (ابو منصور) ، ٣٠
ابو سعيد السكري ، ١٨١

ابو سعيد بن مهدي بن ابي سعيد السمناني ، ١٢٧
ابن سكرة (ابو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد) ، ٢٨٠
٤٨٦
ابن السكيت ، ٦٢
سكينة بنت الحسين ، ٢٢٤
سلامة بن بحر (ابو الفرج) ٣٤٩
سلم الخاسر ، ٢٧٤
ابو سلمة بن يحيى الكاتب ، ٤٥
سليمان بن داوود (ع) ٤٦١
ابن سنان الخفاجي (عبد الله بن محمد) ، ١٨٥
سهل بن احمد النيسابوري (ابو صالح) ٢٤٨
ابو سهل الحمدوني ، ٣٧، ٤٥ ، ٤٦ ، ٨٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٤٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
سهل بن المرزبان (ابو نصر) ٢٨ ، ٥٨ ، ٣٣١ ، ٤٨٣
سيبويه (عمرو بن عثمان) ٦٢
السيد الحميري ٢٣٠
السيرافي ، ٦٢
سيف الدولة الحمداني ٢٠٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٤١١ ،
٤١٢

ابن سيمجور (ابو القاسم) ٣٥
ابن سينا ، ٣٩ ، ٢٧٩ ، ٤٢٤
السيوطي (جلال الدين) ١٣١
الشافعي ، ٢١ ، ٢٢
ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر) ٢٥ ، ٦٩ ، ٧٠
ابو شرحبيل الكندي ، ٣١٤
ابن شرف القيرواني ، ٢٥١ ، ٢٨٣
الشريف الرضي ١٨٩ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٢٥٨
الشريف المرتضى ٢٧٠ ، ٣٢٩
شكري فيصل (الدكتور) ١٠ ، ١٨٦ ، ٢١٧ ، ٣٠٤
شمس المعالي = قابوس بن وشمكير
شيلي (**الشاعر الانجليزي**) ٣٠٥
الصابوني ١٤٦
الصابي (ابو اسحق ابراهيم بن هلال) ٥٩ ، ٧٢ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ، ٢٧٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣٧٦ ، ٤٠٥ ، ٤٧٦
الصاحب بن عباد (ابو القاسم اسماعيل) ٢٦ ، ٤٢ ، ٩٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٨٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٤٩٥ ، ٥٠٠ ، ٥٠٣
صادق نشأة ١٩
ابو صاعد ٣٥٣
صالح بن علي الكرخي (ابو عائذ) ٣٥٤ ، ٣٥٥

الصعلوكي (ابو سهل محمد بن سليمان) ٢٢
الصفدي (خليل بن ايبك) ١٥ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩
٨٤ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٦
١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١
١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٧

صلاح الدين المنجد ١٦٣
الصنوبري ٢٥٤ ، ٤٧٦
الصولي (محمد بن يحيى) ٩ ، ٥٩ ، ١٧٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٣٧
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣٢٨

طاش كبرى زادة (احمد بن مصطفى) ٨٢ ، ١٦٢
ابن طاهر ٧٢
طاهر بن الحسين المخزومي (ابو محمد) ٣١٠
ابو طاهر بن الخبز أرزي ٣٣١
ابن طباطبا ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢٣٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٤٠١

طه احمد ابراهيم ١٧٩ ، ١٨٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣
طه حسين (الدكتور) ٩٣
ظفر بن عبد الله الهروي (ابو روح) ٢٩
عامر بن احمد الشاشي (ابو اسماعيل) ٢١٩
العباس الأرخسي ٢١
عباس اقبال ٣٩ ، ٨٩ ، ١٤٥

عبد بني الحسحاس = سحيم
عبد الجبار عبد الرحمن ٨٦
عبد الحميد بن يحيى الكاتب ٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٨٥
عبد الرحمن بن دوست ٥٠
عبد الرحمن شعيب (الدكتور) ٢٦٤ ، ٣١٩
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزازي الثعالبي ١٨ ، ١٥٨ ، ٥٠٤
عبد الرحيم العباسي ٤٩
عبد الرزاق المناوي ١٣٣
عبد الصمد بن بابك ٢٤٧ ، ٢٦٧ ، ٣١١
عبد الفتاح محمد الحلو ٦٩ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ٣٧٣
عبد القاهر الجرجاني ١٨٥ ، ١٨٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١
عبد الكريم النهشلي ١٩٨
عبد اللطيف بن محيي الدين الدمشقي ١٢٣
عبد الله بن احمد المهزمي (ابو هفان) ١٨٠
عبد الله بن بري ٣٧٢
عبد الله بن ابي رواحة ٢٢٣
عبد الله بن الزبعرى ٢٧٦
ابو عبد الله الضرير الابيوردي ٤٢٩
عبد الله بن محمد الاسكي (ابو بكر) ٣٤١
عبد الله بن محمد البستي (ابو بكر) ٢٩
عبد الله بن محمد الدوغابادي (ابو محمد) ٣٥٠

عبد الله بن محمد العبد لكاني (ابو محمد) ٢٧
عبد الله بن المعتز ٩ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٠١
٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣١١ ، ٣١٣
٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٤٢ ، ٢٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٤٦٦
عبد الله بن المقفع ٣٥٢ ، ٣٨٥
عبد الملك بن مروان ٢٥٨
عبد الملك بن هلال ٢٦١
عبد الواحد بن الحريش الاصفهاني (ابو القاسم) ٤٦
عبيد الله بن احمد الميكالي = الميكالي
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٢٧٠
عبيد الله بن محمد ٣٧٢
ابو عبيدة = معمر بن المثنى
العتابي (كلثوم بن عمرو) ٣٥٣
ابو العتاهية ٢٣٠ ، ٢٧٤ ، ٣١١
العتبي (محمد بن عبد الجبار) ١١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦
عثمان بن عفان (رض) ٣٤١
ابو عثمان المازني (بكر بن محمد) ٢٨٩
عدنان الهروي ٢٢
عدي بن زيد ١٩٧ ، ٣٢٤
العزيز (ملك مصر) ٢٣٠
عضد الدولة ٢٦٧ ، ٢٧٨

عقال بن شبية ٢٦١
ابو العلاء السروي ٣٢٤
ابو العلاء المعري ١٠٩ ، ١٧٣ ، ١٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٢
علي بن احمد الجوهري (ابو الحسن) ٢٩
ابو علي البلغمي ٢٤٧
علي بن الجهم ٧٢ ، ٢٤٨
علي جواد الطاهر (الدكتور) ١٩٥
علي بن الحسين الرخجي ١٥٤ ، ١٦٤
علي بن الحسن القهستاني (الشيخ ابو بكر) ٦٠
علي بن زيد البيهقي ٧٠ ، ٩٠
ابو علي بن سيمجور ٣٣
علي بن الصغاني (ابو الحسن) ١٦٣
علي بن ظافر الازدي ١٨ ، ٦٤
علي بن عيسى الكرجي (ابو الحسن) ٤٢
علي بن عيسى الوزير ٢٨٨
ابو علي الكناني ١٦٠
علي بن محمد بن الحسين الحاتمي = ابن الحاتمي
علي بن محمد بن خلف الهمداني (ابو سعد) ٣٤٦
العماد الاصفهاني ٩٠ ، ١٦١
ابن العماد الحنبلي (عبد الحي) ٤٩
عمر بن الخطاب (رض) ٣٤٨
عمر الخيام ١٦١

عمر الدقاق ٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٣
عمر بن ابي ربيعة ٢٢٤ ، ٢٧٣
عمر رضا كحالة ٨٨
عمر بن علي المطوعي (ابو حفص) ٢٧ ، ٣٦٩
ابو عمرو الشيباني ٢٢٥
ابو عمرو بن العلاء ٢٢٦
عمرو بن كلثوم ٢٢١
عملاق بن غيداق العثماني ٣٨ ، ٣٥٠
ابو العميثل ١٨١
ابن العميد (ابو الفضل محمد بن الحسين) ٢٦ ، ٧٣ ، ١٨٥
٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢
٤١٣
ابن ابن العميد (علي بن محمد) ٢٩٥ ، ٣٨١
ابو ابن العميد (الحسين بن محمد) ٢٩٥
العميدي (محمد بن احمد) ٢٥١ ، ٢٨٤
عنترة بن شداد ١٧٥ ، ٢٢٩
عون بن الحسين الهمذاني ٦٠
ابو عيسى (صاحب البرذون) ٣٢١
عيسى بن وطيس (كاتب المستنصر) ٣٤٣
غانم بن محمد الاصفهاني (ابو القاسم) ١٤٤

فائق الخاصة = ابو الحسن (امير جيش نيسابور)
الفارابي ٢٥٥
فالتون ١٢٣
فخر الدولة ٢٦٧
فخر الدين الرازي (الامام محمد) ١٢٣
ابو الفدا ٤٨
الفراء ١٨١
ابن الفرات (الوزير) ٣٨٨
ابو فراس الحمداني ٧٢، ٩٥، ٢٥٤، ٢٧٠، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٥، ٣١٢، ٤٧٦
فرانتس روزنثال ١١٥
ابو الفرج الاصفهاني ٢٢٧، ٢٩٦
ابو الفرج بن هندو ٣٣٢
الفردوسي ٤١
الفرزدق ٢٢٦، ٢٥٤، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣١٧، ٣٢٥
ابو الفضل ابراهيم (محمد) ١٠، ١٣١، ٣٧٣
الفضل بن عبيد الله الميكالي ٧٥
الفضل بن علي (ابو العباس) ٣٧
الفضل بن محمد (ابو بشر) ٣٤
الفضل بن يحيى البرمكي ٤٣٠
قابوس بن وشمكير (شمس المعالي) ، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٧٧

٨٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،
٤٦٨ ، ٥٠١

القادر بالله (الخليفة) ٣٧٦
ابو القاسم الاسكافي ٣١٣
ابو القاسم الأليماني ٣٤٠
ابو القاسم الزاهي ٣٤٨
ابو القاسم الشيظمي ٣٢٣
القاضي التنوخي (علي بن محمد) ٢٩٤ ، ٤١٥ ، ٤٧٦
ابن القاضي التنوخي (المحسن بن علي) ٢٩٤ ، ٣١٤
القاضي الجرجاني ٩ ، ٥٩ ، ٩٧ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ،
٢٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦

القاضي ابو الحسن (المؤمل بن خليل بن احمد) ٤٣ ، ٤٣٥
ابن قاضي شهبة ١٥ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠٠ ،
١١٣ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٧

القاضي الفاضل ١٠٣
القاضي الهروي (ابو احمد منصور بن محمد الازدي) ٤٣ ، ٥٤ ،
١٢١ ، ١٢٢ ، ٤٠٠ ، ٥٠٢

ابن قتيبة (ابو مسلم محمد الدينوري) ٩ ، ٥٧ ، ١٨١ ، ١٩٧
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١
٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٦
٣٥٢

قدامة بن جعفر ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥٧
ابن قريعة (القاضي) ٤١٥
القلقشندي ١٠٩ ، ١٢٦

كافور الاخشيدي ٢٦١ ، ٢٦٦
كامل سعيد ١١
ابن كثير ٤٩ ، ٥٥
كسرى بن هرمز ٤٩٤
كشاجم (ابو الفتح) ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٤٠٥ ، ٤٧٦
كعب بن زهير ٢٧٦
الكلاعي ٩ ، ١٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١
١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٤
١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٣٦١ ، ٣٧١

كلثوم بن عمرو = العتابي
كليب ٢٣٠
كمال الجراح ١١
الكميت ٣١٦
كيتس (الشاعر الانجليزي) ٣٠٥

كيومرث ١١٨
لبيد بن ربيعة العامري ٢٧٢ ، ٢٧٣
ابن لنكك (ابو الحسن محمد بن محمد) ١١٧ ، ٢٩٤ ، ٣١١
ابن ابن لنكك (ابراهيم بن محمد) ٢٩٤
لويس شيخو (الاب) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٨
ليون شعيا ١١
ماجد بن ابي الصلت (ابو المعلى) ٣٣١
المازني = ابو عثمان المازني
الماسرجسي (ابو الحسن محمد بن علي) ٢٢
المأمون (الخليفة) ٢٤٨
المأموني (ابو طالب عبد السلام بن الحسين) ٢٩ ، ٣٠ ، ٢٨٧ ، ٣٧٦ ، ٤٤٤
المبرد (محمد بن يزيد) ٥٩ ، ٦٢ ، ٩١ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٣٢٦
المتنبي (ابو الطيب احمد بن الحسين) ٥٧ ، ٧٢ ، ٩٥ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤٠٥ ، ٤١٢

٥٠٧ ، ٥٠٨

المتوكل (الخليفة) ٢٤٨

ابن مجاهد ٢٨٨

مجتبى مينوي ١١٦

محمد (ص) ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٧ ، ٢٧٨ ، ٣٣٥ ، ٣٥٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٤

محمد بن ابراهيم الباخرزي (ابو العباس) ٣٤٠

محمد بن احمد الافريقي المتيم (ابو الحسن) ٣١

محمد بن احمد الدنباوندي (ابو الفتح) ٤٣

محمد بن اسحق البجاثي ٦٢ ، ٩١

محمد امين بن عابدين ٩٧

محمد امين بن فضل الله المحبي ١٣٣

محمد بن ايمن الزهاوي ٣١١

محمد بدر الدين النعساني ١٢٨

محمد بك ابو شادي ١٣١

محمد بن بكر الثعالبي (ابو بكر) ١٧

محمد بن جعفر بن ثوابة ٣٨٨

محمد بن حامد (ابو عبد الله وزير خوارزم شاه) ٤٠ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٣٧٧ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٠١

محمد بن الحسن البصري (ابو يعلى) ٦٢

محمد بن الحسن الصوري (ابو يعلى) ٤٥

محمد حسن آل ياسين ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١

محمد بن الحسين الاهوازي (ابو الحسين) ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٥٠٤

محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، ٣٧ ، ١١٢
محمد حسين آل ياسين ١٢٧
ابو محمد الخازن ٢٤٧
محمد بن خلف الهمداني (ابو سعد) ١٤٤
محمد زغلول سلام (الدكتور) ١٠ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٩١
محمد بن سلام ٩ ، ٩٠ ، ١٨٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٣٠٣ ، ٣١٧
محمد بن الشيخ ابي علي (ابو الحسن) ٣٦٢
محمد صادق عنبر ١٠٥
محمد بن عبد العزيز السوسي ٣١٥
محمد بن عبد الواحد التميمي (ابو الفضل) ٦٢
محمد بن عبد الواحد القصار (ابو الحسن) ٣١٢
محمد بن عثمان النيسابوري (ابو بكر) ٣١
محمد بن علي بن الحسين صفي الحضرتين (ابو العلاء) ٤٦
محمد علي عطية ٩٥
محمد بن عمر الرازي = فخر الدين الرازي
محمد بن عمر الزاهر (ابو علي) ٦٠
محمد بن عيسى الدامغاني (الشيخ ابو علي) ٣٤٠
محمد بن عيسى بن سعد (ابو البركات) ٨٢

محمد بن عيسى الكرجي (ابو الحسن) ٤٢ ، ٤٧ ، ١١٩ ، ١٤٥
محمد بن الفضل بن محمد السرخسي (ابو نصر) ٦٤ ، ٧٨ ، ٥٠٤
محمد بن كيثر (ابو الحسن) ٣٣ ، ٣٤٠
محمد كرد علي ٩ ، ٢٠ ، ٥٩ ، ١٧٢
محمد محيي الدين عبد الحميد ٨٩ ، ٩٥ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٦٩
ابو محمد بن مطران الشاشي ٢١٩ ، ٣٧٦
محمد بن المرادي (ابو الحسين) ٤٥٩
محمد مندور (الدكتور) ١٠ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٣
١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥ ، ٣٠٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦
محمد بن منصور (ابو سعد) ٣٨
محمد بن موسى بن عمران (ابو جعفر) ٣٤٧
محمد بن موسى الموسوي ٣٠
محمود بن سبكتكين (السلطان ابو القاسم يمين الدولة) ٤١ ، ٤٢
١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
٤٠٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٩٤ ، ٥٠١
محمود السمرة (الدكتور) ٦ ، ٢٧٧ ، ٣٣٣
محمود السمكري ١٣٨ ، ٤٠٠
محمود غناوي الزهيري (الدكتور) ٥ ، ٦ ، ١١ ، ٤٤١ ، ٤٤٢
محمود هدايت ١١٤ ، ١١٦
مرجليوث ٣٧٢
المرزباني (محمد بن عمران) ١٧٢ ، ١٨٣

المرزوقي ٣٥٥
المرغني = الحسين بن محمد
مروان بن ابي حفصة ٢٢٥
المريمي ٨٢
مسافر بن الحسن (ابو الحسن) ٤٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٣٦٩ ، ٤٠٠
مسعود بن محمود الغزنوي (السلطان) ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ٣٨٠ ، ٤٦١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣
مسكويه (احمد بن محمد) ٣٨٩
مسلم بن الوليد ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨
مصطفى السقا ١٢٨
مصطفى الشكعة (الدكتور) ٤٤ ، ٩٣ ، ١٧٢
ابن المعتز = عبد الله بن المعتز
ابن معروف (ابو محمد عبد الله بن احمد) ٤١٥
ابن معصوم المدني (علي صدر الدين) ١١٣
معمر بن المثنى (ابو عبيدة) ٢٢٤ ، ٢٢٦
المقتدر بالله (الخليفة) ٣٨٨
ابن مقلة ٤٦٦
ابن مناذر ٢٢٦
المنتصر (الامير السااماني) ٤٦٨
ابن مندويه ٧٢
المنصور (ابو جعفر الخليفة) ٢٦١

منصور بن الحسين الآبي (ابو سعد) ٣١٢
منصور الفقيه ٤٢٦
منصور بن كيغلغ ٢٩٤
منصور بن محمد بن كيثر ٣٤٠
منصور بن محمد = القاضي الهروي
ابو منصور بن مشكان ٤١ ، ٤٢
المهلبي (ابو محمد الحسن بن محمد) ٧٢ ، ٣٠٦ ، ٤١٥
مهلهل ٢٣٠
موسى (ع) ٢٧٩
موسى بن هرون الكردي (ابو عمران) ٢٧ ، ٨٤
المؤمل بن خليل بن احمد = القاضي ابو الحسن
الميداني ١٢٨
الميكالي (عبيد الله بن احمد) ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٤ ، ٤٥
٥٤ ، ٥٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٨
١٣٢ ، ٢٧٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤١٤ ، ٤٤٨
٤٥١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤
ميمون بن سهل الواسطي (ابو طاهر) ٦٠
النابغة الجعدي (عبد الله بن قيس) ٣١٧
النابغة الذبياني (زياد بن معاوية) ٢٢٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢
٢٧٥ ، ٣١٨
ابن نباتة ٣١١ ، ٣٥٠ ، ٤١٣

ابو نهوان اليمني ١٦٣
نصر بن احمد الساماني ٤٥٩
نصر بن احمد الميكالي (ابو ابراهيم) ٤٤
ابو نصر الظريفي الابيوردي ٢٤٧
ابو نصر المقدسي ١٠١ ، ١١٤
ابو نصر المهلبي ٢٩٣ ، ٢٩٤
نصر بن يعقوب ٣٣٧
نصر بن ناصر الدين سبكتكين (ابو المظفر) ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ،
٤٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٩
٣٨٠ ، ٣٩٦ ، ٤٦٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٢
نصيب ٢٢٥
نظام الملك ١٠٣
النعمان بن المنذر ٢٤٧
نهر أقاخان ٣٩٣
ابو نواس (الحسن بن هانىء) ٨٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١
نوح بن منصور الساماني (الامير) ٣٠ ، ٣٧٧
نيكلسون ١٧٤ ، ١٨٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٣٧٣
ه . أ . جب ١١٥ ، ١٨٨ ، ٣٧٣
هرون بن احمد الصيمري ٢٧
هرون الرشيد ٢٦١
هرون بن علي المنجم ٩٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣

ابو هـلال العسـكري ١٨٥ ، ١٨٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٩١
٤٢٤ ، ٤٢٥

الهلالي ٢٢٥

هيبوليت ادولف تين ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٥، ٥٠٧

الواثقي (عبد الله بن عثمان) ٢٨٧ ، ٣٧٦ ، ٣٩٣ ، ٤٤٤

الواساني (الحسن بن الحسين) ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٣١٥

الوأوواء الدمشقي (محمد بن احمد) ٣٣٨

ابو الوفاء بن يحيى الكاتب ٤٥

ابن وكيع التينسي (الحسن بن علي) ٣٠٦

اليافعي (عبد الله بن اسعد) ٤٩

ياقوت الحموي ٦٣ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٦١
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٨ ، ٤١٧ ، ٤٤٥

ياقوت المستعصمي ١٦٠

يحيى بن علي المنجم ٣٢٧ ، ٤٠٨

يحيى بن يحيى الكاتب (ابو منصور) ٤٥

يعقوب بن احمد بن محمد (ابو يوسف) ٦٣ ، ٨٤ ، ٥٠٤

يوسف الصديق (ع) ٤٣٠

يوسف اليان سركيس ٥٩

يونس بن حبيب ٢٢٥

الكتب

الابانة عن سرقات المتنبي ٢٥١ ، ٢٨٤

ابو الطيب المتنبي وماله وما عليه ٩٥

آثار البلاد واخبار العباد ٤٧٤

اثر القرآن في تطور النقد الادبي ١٨٣

اجناس التجنيس ٣٦ ، ٦٤ ، (٧٧ ـ ٨٠) ، ٨١

الأحاسن في بدائع البلغاء (١٥٠)

احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهليين وملوك الاسلام ١٢٣

احاسن المحاسن (١٥٤ ـ ١٥٥) ، ١٦٤

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ٤٦٩ ، ٤٩٠

احسن ما سمعت ١٨ ، ١٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١٠٣ ، (١٠٤ ـ ١٠٧) ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ ، ٢٨٢ ، ٢٤٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٠٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٧

احكام صنعة الكلام ٩ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ٢٦١ ، ٢٧١

اخبار ابن الرومي ١٨ ، ٢٨
اخبار أبي تمام ٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٥ ، ٣٢٨
ادب الكاتب ٣٥٢
الادب مما للناس فيه أرب (١٥٠)
الادب في ظل بني بويه ٦ ، ٣٨٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٨٤
الاديب (مجلة) ١٩٥
أربع رسائل ٤٣٦
اسرار البلاغة ١٨٥
الاسس الجمالية في النقد العربي ١٧٩ ، ٢٧٧
اسس النقد الادبي عند العرب ٢٧١
اسماء الاضداد ١٢٧
الاشباه والنظائر (منسوب الى الثعالبي) (١٦٠)
الاشباه والنظائر (للخالديين) ٢٣٨ ، ٢٣٩
اصبهان ٢٠٤
الاصول في الفصول (١٥٣)
اصول النقد الادبي ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠١
الاضداد في اللغة ١٢٧
اعجاز القرآن ١٨٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧
الاعلام ٦٩ ، ٧٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩
الأغاني ٢٣٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
افراد المعاني (١٥٠)
الاقتباس من القرآن الكريم ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٥

٧٦ ، (٨٠ـ ٨٢) ٣٢٤ ، ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، ٢٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦
٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ٤٧٣

الف غلام ١٤١
الامثال ٥٢ ، (٨٧ ـ ٨٨) ، ١٦٩ ، ٣٣٩ ، ٣٥٦ ، ٤٠١ ، ٤٥٤
الامثال (المسمى بالفرائد والقلائد) ١٦٤
الامتاع والمؤانسة ٣٥٥
أنس الهمراء (١٥٣)
أنس المسافر (٥٠)
الانساب ١٨
الانوار البهية في تعريف مقامات فصحاء البرية (١٥٣)
انوار الربيع في انواع البديع ١١٣ ، ٣٦٧ ، ٤٤٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨
٤٨٥ ، ٤٨٦

الانيس في غرر التجنيس (١٥٠)
الايجاز والاعجاز (الاعجاز والايجاز) ٤٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٩
١٣٩ ، (١٢١ ـ ١٢٤) ، ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ٢٢١
٢٤٥ ، ٣٢٩ ، ٤٠٠ ، ٥٠٢

البارع ٩٠ ، ٩١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣
بدائع البدائه ١٨ ، ٦٤
البداية والنهاية ٨ ، ١٦ ، ٤٩
البديع ٢٣٥
بديع القرآن ١٧ ، ٧٧

برد الاكباد ٢١ ، ٦٦ ، (١٣٣ ـ ١٣٥) ١٣٩ ، ١٧٠ ، ٢٨٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٨٨

بهجة العشاق (١٥١)

البيان والتبيين ١٨٠ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠ ، ٢٧٨ ، ٣٥٢ ، ٣٨٧

تاريخ آداب اللغة العربية (جرجي زيدان) ٩ ، ١٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ٣٧٣

تاريخ آداب اللغة العربية (كارل بروكلمان) ٩ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤٨ ، ١٧٤

تاريخ الادب العباسي ٧٤ ، ١٨٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٣ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩

تاريخ الادب العربي (حنا فاخوري) ٩٥ ، ٣٧٤

تاريخ الادب في ايران ١١٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩

تاريخ بغداد ١٦٤

تاريخ البيهقي ٤٠ ، ٦٤

تاريخ الصابي ٣٧٦

تاريخ الفنون الايرانية ٣٩٠

تاريخ النقد الادبي عند العرب (طه احمد ابراهيم) ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣

تاريخ النقد الادبي عند العرب من القرن الثاني الى القرن العاشر الهجري ، ١٠ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٧ ، ٢٧٦ ، ٣٠٢ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧ ، ٣٨٤ ، ٤٧٣

تأريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري ١٩٥ ، ٢١٥
٢٣٤ ، ٢٣٦

تأريخ النقد العربي من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجري
١٠ ، ١٨٨ ، ٢٩١ ، ٣١٦ ، ٣٨٥ ، ٤٥٩

تتمة اليتيمة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠
٦٢ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٤٢
(١٤٣ ـ ١٤٦) ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٤٨
٢٧٠ ، ٢٧٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦
٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧
٣٩٥ ، ٤١٦ ، ٤٣٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
٤٦٦ ، ٤٧٩ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢ ، ٥٠٦

تجارب الامم ٣٩٠

التجنيس ٧٨

تحسين القبيح وتقبيح الحسن ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٦ ، (١١٩ ـ
١٢١) ١٧٠ ، ٣٢٣ ، ٤٠٢ ، ٤٥٣ ، ٤٧٧ ، ٤٩٠

تحفة الارواح وموائد السرور والافراح (١٥٣)

التحفة البهية ١٠٨

تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء (١٥٧)

تحفة الوزراء ٤٠ ، ٩٨ ، (١٠٣ ـ ١٠٤) ١٥١ ، ٣٩٨ ، ٤٦٥

التدلي في التسلي (١٥٧)

تراجم الشعراء (١٦٦)
ترجمة الكاتب في آداب الصاحب (١٤٨)
التشبيهات ٣٣٧ ، ٤٥٥
التفاحة (١٥١)
تفضل المقتدرين وتنصل المعتذرين (١٣٥ ـ ١٣٦) ١٧١
التمثيل والمحاضرة ٩ ، ١٦ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦
(٨٥ ـ ٨٧) ٨٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣
١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٨٨
٣٣٩ ، ٣٧٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٥٠ ، ٥٠١
التوفيق للتلفيق (١٤٨)
تيارات ثقافية بين العرب والفرس ١٩ ، ١٦٩ ، ٣٩٠ ، ٤٤٣
الثلج والمطر (١٤٩)
ثمار الانس في تشبيهات الفرس ٢٣٧
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠
٤١ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٢
٩٦ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، (١٣١ ـ ١٣٣) ، ١٦٢ ، ١٧٣
٢١٨ ، ٢٦١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٥٠ ، ٣٧٣
٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ ، ٤٦١
٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ . ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٤٩٥
جمع الجواهر ٢٨٣
جنى المحبوب المنتخب من ثمار القلوب ١٣٣

جوامع الكلم (١٠١)
جواهر الأدب في ادبيات وانشاء لغة العرب ٤٣٦
الجواهر الحسان في تفسير القران (١٥٨) ، ٥٠٤
جواهر الحكم (١٥٣)
جولة في دور الكتب الامريكية ١٦٣
حجة العقل (١٥١)
حديقة الحدق ٢٧
حشو اللوزينج (١٢٤ ـ ١٢٥)
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٦ ،٣٨٨
حلية المحاضرة وعنوان المذاكرة وميدان المسامرة (١٤٩)
حياة الحيوان الكبرى ١٦ ، ٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٧٨ ، ٤٨١
الحيوان ١٨٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣١٦ ، ٣٢٦ ، ٣٣٩
خاص الخاص ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ ٧٢
٧٣ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، (١٣٨ ـ ١٣٩) ١٥٥
١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩
٣١٣ ، ٢٣٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٩٥ ، ٤٠ ، ٤١٧ ، ٤٣١
٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥١
٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦
٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧١ ، ٤٨٢
٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩١
خريدة القصر وجريدة العصر ٦٥ ، ٩٠

خزانة الادب ٤٥٢
خصائص البلدان ٢٧ ، (١٢٥) ، ١٥١
خصائص الفضائل (١٥١)
خصائص اللغة ٤٧ ، ١٤٠ ، ٤٠٣
خمس رسائل ١٥٤
الخوارزميات (١٥١)
دائرة المعارف الاسلامية ٩ ، ١٨ ، ٤٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٨٥
١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٣
١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤
٥٠٤
دائرة معارف البستاني ١٦ ، ٣٧٢
دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى القرن الثالث ١٩٦
٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٣٢٧
درر الحكم (١٦٠) ، ٥٠٤
دلائل الاعجاز ١٨٥ ، ٣٦٠
دمية القصر وعصرة اهل العصر ٨ ، ١٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٩٠ ، ٩١
١٤٩ ، ١٨٦ ، ٣٧٠ ، ٤٣٥ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤
٤٥٧ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨
ديوان ابي الحسن اللحام (٩٥ ـ ٩٦)
ديوان شعر الثعالبي (١٤٩)
ديوان المتنبي ٢٥٩

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ١٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ،
١٤٢ ، ٢٨١ ، ٣٧٠ ، ٣٧١

ذيل تجارب الامم ١١ ، ٣٤ ، ٣٧٦

رسائل الانتقاد ٢٨٣

رسائل الثعالبي ٤٣٦

رسالة الجواري والغلمان ٢٨٢

الرسالة العذراء ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣٥٢

رسالة الغفران ٢٥٠ ، ٢٨٢

الرسالة الموضحة ٣٠٦

روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات ٣٣٧

الروضة ٩١ ، ١٨٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣

روضات الجنات ٤٥١ ، ٤٨١

زهر الآداب ٨ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ،
٣٦٩ ، ٤٤٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٨٠

زينة الدهر ٩٠

السامي في الأسامي ١٢٨

سجع المنثور (١٤٧ ـ ١٤٨) ٣٢٩ ، ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٩

سحر البلاغة وسر البراعة ٩ ، ١٥ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ،
٧٢ ، (٨٢ ـ ٨٥) ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ٢٥٠ ،
٢٨٢ ، ٣٥٦ ، ٤١٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٥٠٩

سر الأدب ١٥

سر الأدب في مجاري كلام العرب ١٢٦ ، ١٢٨
سر البيان (١٥١)
سر الصناعة ٤٨ (١٤٢) ، ١٥٢ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ٣٤١
سر الفصاحة ١٨٥
سر الوزارة (١٥١)
السياسة (٧٥ ـ ٧٦) ٨٠ ، ٤٣٧
سيرة الملوك ٩٨ ، ١١٥
الشاهنامة ٤١
شاهنامة ثعالبي ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٥٩
شذرات الذهب ٨ ، ١٦ ، ٤٩ ، ٣٧٠
شرح ديوان الحماسة ٣٥٥
شعراء مصر ٢٠٤
الشعر والشعراء ٩ ، ١٨٠ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
٢٢٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٦
الشعر العربي في خراسان وما وراء النهر في القرن الرابع الهجري ٤٧٤
الشمس (١٥١)
صبح الأعشى ١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٥٦
الصبح المنبي ٣٠٦ ، ٣٠٧
صفحات عن ايران ١٩
صناعة الشعر ١٨٠

صناعات القواد ١٣٨ ، ٢٨٨
الصناعتين ١٨٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٩١ ، ٤٢٥
صنعة الشعر والنثر (١٥٢)
صورة الارض ٤٦٨
طبقات الشافعية ٢٢ ، ٩٢ ، ١٤٤ ، ١٥٩
طبقات الشعراء (ابن سلام) ٩ ، ٩٠ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٣١٧
طبقات الشعراء (ابن المعتز) ٩ ، ٩١ ، ١٨٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٧٤ ، ٣٢٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤
طبقات الملوك (١٤٩)
طبقات النحاة واللغويين ٨ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٣٧٠
طرائف الطرف (١٦٠ ـ ١٦١)
الطرف من شعر البستي (١٥٢)
طيف الخيال ٣٣٠
الظرائف واللطائف ٣٩ ، ٦١ ، ٩٩ ، (١٠١ ـ ١٠٣) ١١٤
ظهر الاسلام ٦ ، ٥٥ ، ٩٤ ، ١١٥ ، ١٣٠ ، ٣٧٣ ، ٤٧٦
العبر في خبر من غبر ٨ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤٩
علم التاريخ عند المسلمين ١١٥

عماد البلاغة ١٣٢
العمدة ٩ ، ١٩٨ ، ٢٥٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٥٠ ، ٤٢٥ ، ٤٤٣
عيار الشعر ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٩ ، ٢٧٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٨
عنوان المعارف (١٥٢)
عيون الآداب (١٤٩)
عيون التواريخ ٦٩
عيون النوادر (١٥٢)
غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ٤٢ ، ٤٣ ، ٩٨ ، (١١٤ ـ ١١٩) ١٧٣ ، ٣٨٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٥٠٥
غرر البلاغة ١١٨ ، (١٥٥ ـ ١٥٧)
غرر المضاحك ١١٨ (١٥٠)
الغلمان ٤٨ ، ٦٧ ، (١٤٢ ـ ١٤٣) ٤٧٦
فحولة الشعراء ١٨٠ ، ١٩٧ ، ٢٢٦ ، ٢٧٢ ، ٣٢٥
الفرائد والقلائد ١٥ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، (١٦٣ ـ ١٦٥) ١٦٦ ، ٥٠٤
الفصول الفارسية (١٥٢)
الفصول في الفصول (١٥٢) ١٥٣
فضل من اسمه الفضل ٢٧ (٧٥)
فقه اللغة ٢٥ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٤ ، (١٢٥ ـ ١٣١) ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٥٠٢

فقه اللغة (الصاحبي) ١٣٠
الفن ومذاهبه في النثر العربي ٣٩٠
فهرس دار الكتب ١٢٣ ، ١٤٨ ، ١٥٧
فهرس المخطوطات العربية في معهد شعوب آسيا بالاتحاد السوفييتي ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٥٥
فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧
فهرسة ابي بكر بن خليفة ٦٤ ، ٧٩
الفوائد العجيبة في اعراب الكلمات الغريبة ٩٧
فوات الوفيات ٢٥ ، ٧٠
في الادب العباسي ٣٩٠ ، ٣٩١
القاضي الجرجاني الأديب الناقد ٦ ، ٢٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٣٣
القرآن الكريم ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٦٠ ، ١٨١ ، ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠
الكامل في التأريخ ١١ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠
الكامل في اللغة والادب ، ١٨٠ ، ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٣٢٦
كشف الظنون ٦٩ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٦
الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٢٥٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٤٥ ، ٥٠٨

الكشف والبيان (١٥٨ ـ ١٥٩) ، ٥٠٤
كلية الآداب (مجلة) ١٥٦
كمال البلاغة ٤١٨
الكنى ٩٧
الكنى والألقاب ١٨
الكناية ٩٧
الكناية والتعريض ٢١ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١
٧٦ ، ٨٠ ، (٩٦ ـ ٩٨) ١٧١ ، ٢٦٨ ، ٣٣٨ ، ٣٩٩
الكنايات ٩٧
كنايات الادباء واشارات البلغاء ٩٧
كنوز الاجداد ٩ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٥٩ ، ١٧٢
اللآلىء والدرر ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٥٤
لباب الآداب ٨٣
لباب الأحاسن (١٥٢)
اللباب في تهذيب الأنساب ١٨
لسان العرب ٢٨٣ ، ٣٨٧ ، ٤٢١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠
لطائف الصحابة والتابعين (١٤٦ ـ ١٤٧)
لطائف الظرفاء ١٤٧ ، ١٤٨ ، (١٥٥)
لطائف المعارف ٥ ، ٩ ، ١٦ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٦١ ، ٦٧
٦٨ ، ٧٣ . ٧٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، (١٠٩ ـ
١١٣) ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧

١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ٢٠٤ ، ٢٥٦ ، ٤٠٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٦٧
٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، ٥٠١

اللطائف والظرائف ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١
٧٦ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٣
١٤٩ ، ٣٧٨ ، ٤٠٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٨٧
٤٨٩ ، ٤٩٠

اللطف واللطائف ٤٦ ، ٦٠ ، (١٢٧ ـ ١٣٨) ١٥٥ ، ١٧٠ ، ٢٨٨
٣٩٨ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٨٣ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤

اللطيف في الطيب ٤٣ ، (١٢١)

لغة العرب (مجلة) ١٣١ ، ١٤٥

اللمع الفضة (١٥٠)

ماجرى بين المتنبي وسيف الدولة (١٤٦)

ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه ١٣٣

المبهج ٣٥ ، ٦٤ ، (٧٦ ـ ٧٧) ٨٠ ٨٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٢٠
١٧١ ، ١٧٣ ، ٣٢١ ، ٣٤٩ ، ٣٧٨ . ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨
٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٠
٤٣٤ ، ٤٤٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢
٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢
٤٩٣ ، ٥٠١

المتشابه (أجناس التجنيس) ٧٥ ، ٧٦ ، (٧٧ ـ ٨٠) ، ١٦٥
٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٩٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٦ ، ٤٤٦ ، ٤٨٢

المتنبي بين ناقديه القديم والحديث ٢٦٤
مجاز القرآن ١٨١
المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلة) ٨٩
محاسن المحاسن ١٥٤
المحاسن والاضداد ١٠١
محاضرات الادباء ومحاورات البلغاء ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٥٠٤
المختار من المخطوطات العربية في الاستانة ٨٣ ، ١٦٨
المختصر في اخبار البشر ٨ ، ١٦ ، ٤٩
مخزون البلاغة ٢٥
مخطوطات جامعة الرياض ٨٣ ، ١٥٧
مخطوطات الموصل ١٠٨
المدخل في الادب العربي ١١٥ ، ١٨٨ ، ٣٧٩
مدح الشيء وذمه (١٥٢)
المديح (١٥٢)
المذاهب النقدية ٢٩٩
مرآة الجنان ٤٩ ، ٣٧٠
مرآة المروءات ٤٦ ، ٥٣ ، ٧٦ ، ١١٢ ، ١٣٥ ، (١٣٦ـ ١٣٧)
١٤٢ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٤٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٥١ ، ٤٨٨ ،
٤٩٣
المراجع العربية والمعربة ٨٦ ، ١٢٩
المزهر ١٣١

المسالك والممالك ٤٦٩
المستطرف من كل فن مستظرف ٣٨٧
مشارب التجارب ٧٠
المشرق ٣٩ (٩٩ ـ ١٠٠) ٤٣٦
المشرق (مجلة) ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٦٥
مصادر التراث العربي ٩٣ ، ١٢٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٢
معاني القرآن ١٨١
معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص ٤٩ ، ٣٦٧ ، ٤٥١
٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٨
معجم الانساب والاسرات الحاكمة ٣٦ ، ٤٦
معجم الادباء ٢٢ ، ٣٤ ، ٩٣ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١٤٣
١٤٦ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٤١٧ ، ٤١٨
٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٩٥
معجم المطبوعات العربية ٥٩
مناظرة الجواري والغلمان ١٠٧
مفتاح السعادة ٨٢ ، ١٦٢
مفتاح الفصاحة (١٥٢)
مقامات الهمداني ٢٤٩
المقصور والممدود (١٥٩ ـ ١٦٠)
مكارم الاخلاق (١٦٥ ـ ١٦٦) ٥٠٤
ملح البراعة (١٥٧)

ملح الخواطر ومنح الجواهر ٢٥
ملح النوادر (١٤٩)
الملح والطرف (١٥٢)
الملوكي ٣٩، (٩٨ـ ٩٩)
منادمة الملوك (١٥٣)
مناهج التأليف عند العلماء العرب ٢٣ ، ٤٤ ، ٩٣ ، ١٧٢
مناهج الدراسة الادبية ١٠ ، ٨٦ ، ٢١٧ ، ٣٠٤
المنتحل ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٧ ، (٧٠ـ ٧٥) ٥٠٥
المنتحل في تراجم ادباء المنتحل ٧١
منتخب الاعجاز والايجاز ١٢٣
المنصف ٣٠٦

من غاب عنه المطرب ٦٠ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١٠٣ ، (١٠٧ ـ
١٠٩) ١٧٠ ، ٢٥٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٢
٤٩٢

من غاب عنه المؤنس (١٥٣)
المهذب من اخبار ابي الطيب (١٤٨)
الموازنة ٩ ، ٢٩ ، ١٨٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢٩ ، ٣٤٥
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ١٨٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٧٢
٣٢٧

مؤنس الادباء ١٠٠ ، ٣٥٦ ، ٤٢٤ ، ٤٥٣

مؤنس الوحيد (١٦٢ ـ ١٦٣) ١٧١
نتائج المذاكرة (١٥٧)
النثر الفني في القرن الرابع الهجري ١٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧
١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٧١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧
٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٣
نثر النظم وحل العقد ٢٢ ، ٣٩ ، (١٠٠ ـ ١٠١) ١٦٤ ، ١٦٨
١٧٣ ، ١٩١ ، ٣٥٦ ، ٣٧٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤١٧
٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٥
نزهة الالباء في طبقات الادباء ٨ ، ١٥ ، ١٧ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٦٩
١٢٦ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٣٧٠
نزهة الالباب وعمدة الكتاب (١٥٧)
نزهة اللواحظ من كلام الجاحظ ٢٥
نسيم الانس (١٥٣)
نسيم السحر (١٣٩ ـ ١٤٢) ٤٠٣
نصوص النظرية النقدية ٢٣٠ ، ٣٢٥
نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب ٩٣ ، ١٢٩ ، ٢٥٢
نظرات جديده في تأريخ الادب ١٩
نفحة المجلوب من ثمار القلوب ١٣٣
النقد الادبي ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٤٤١
النقد الادبي ومدارسه الحديثة ٢٩٩
نقد الشعر ١٨٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٨ ، ٣٨٧

النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ٢٢٤ ، ٢٨٢ ، ٣٢٥
النقد المنهجي ١٠ ، ٢٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢٣٣
٢٦٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

النكت في اعجاز القران العظيم ١٨٤
نهاية الأرب ٤٤٧ ، ٤٦٧
النهاية في الكناية ٣٩ ، (٩٦ ـ ٩٨)
النوادر والبوادر (١٥٣)
هدية العارفين ٦٩ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ١٥٨
١٥٩ ، ١٦٢

الوافي بالوفيات ٨ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ١٨
٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣١
١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦
١٦٣ ، ١٦٧ ، ٣٧٠ ، ٤٧٩
الورد (١٥٣)

الوساطة ٩ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦
٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ ، ٥٠٨

وشاح الدمية ، ٩٠
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ٨ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣١
٣٢ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١٢٦
١٤٢ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ٢٧١ ، ٤٤٨ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤

٤٦٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣

يتيمة الدهر ١٠ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧
٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠
٤٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٥
٨٠ ، ٨٢ ، ٨٤ ، (٨٨ ـ ٩٥) ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩
١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨
١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢
٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠
٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٣
٣٩٥ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٨
٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٥

٤٦٩ ، ٤٦٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠، ٤٨٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠
٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨

اليمني ١١ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤٤
٤٦١ ، ٤٦٨ ، ٤٩٥

يواقيت المواقيت ٤٠ ، ٤١ ، ١٠١، (١١٣ ـ ١١٤) ١٢٠ ، ١٥٥
١٧٠ ، ٢٠٢

فهرس الاماكن والامم والطوائف

استانبول ١٥٤ ، ١٦٣

أسفرائين ٢٧ ، ٣٨ ، ٥٠١

الاسكندرية ٨١

الأشاعرة ٣٨٧

أصبهان ٢١٨ ، ٣٧٩

آمل الشط ٣٠

الامويون ٢٥٨

اوربا ١٢٧

الاوس ١٩٧ ، ١٩٩

ايـاد ١٩٩

اياصوفيا ٧١

الاندلس ٦٩ ، ٩٠ ، ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣١١

ايران ١٢٨ ، ٣٧٣

باريس ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ، ١٥٤
١٥٦

باهلة (قبيلة) ٣٢٥
البحرين ١٩٩
بخارى ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٢٨٧ ، ٣٤٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٣ ، ٥٠٠
البرامكة ٢٨٥
برلين ٧٦ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ١٢٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥
بست ٦١ ، ٤٤٩
البغنقان ٤٧١
بغداد ١١ ، ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٥٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٤١ ، ٥٠٢
البغداديون ٤٤١ ، ٤٤٢
بكر (قبيلة) ١٩٩
بنو حنيفة ١٩٨
بنو مروان ٢٦٨
بنو ورقاء ٢٥٤
بيروت ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٦٥
البويهيون ٢٥٧ ، ٤١٤
الترك (الاتراك) ٢٠ ، ٣٦ ، ٣٩٣ ، ٤٨٦
تونس ٨٧ ، ٩٦ ، ١١٤ ، ١٣٨
ثقيف ١٩٩
الجبل ٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٣١١ ، ٣١٢
جرجان ٣٤ ، ٣٨ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ١١٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٣٢١ ، ٣٩٥

٤٦٩ ، ٥٠١

الجرجانية ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨
١١١ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٤٢٣ ، ٤٦٧ ، ٥٠١

الحجاز ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٣١٢ ، ٤٤١

الحمدانيون ٢٥٤ ، ٤١١

الحيرة ١٩٧

خراسان ٦ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٨٩ ، ٢٠٥
٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٥٠
٤٥٩ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٩٠ ، ٥٠٠
٥٠١ ، ٥٠٢

الخزرج ١٩٧ ، ١٩٩

خوارزم ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠

دمشق ٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٠

رستاق جوين ٤٠٥

الروم ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٣ ، ٢٩١

الري ٣٧٩

الزرادشتية ٢٠٠

السامانيون ٢٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٩٣ ، ٤٨٦ ، ٥٠٠

سجستان ٤١ ، ٤٦١ ، ٤٦٨

سرخس ٣٥

السلاجقة ٥٠ ، ٣٧٤

سومنات ٤١
الشاش ٢١٩
الشافعية ٢١
الشام ٦٧ ، ٨٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٢
٢٩٣ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٤٤١
الصوليون ٣٨٥
الطائف ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨
الطالبيون ٢٧٠
طبرستان ٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨
طهران ١١٤ ، ١٤٥
عبد القيس ١٩٩
عجل ١٩٩
العجم (الاعاجم) ٢٠ ، ٨٨ ، ٢٠٩ ، ٢٧٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢
٤٩٧
العراق ١٥ ، ٦٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣
٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٥٦ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٤٤١ ، ٤٥٠
٤٥٩
العرب ٣٠ ، ٥٧ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢
٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩
٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٤٠٩ ، ٤٤٠ ، ٤٧٥

عمان ، ١٩٨ ، ١٩٩
غزنة ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤
١٤٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤
٥٠١ ، ٥٠٢

الغزنويون ٢٣ ، ٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٤٨١ ، ٥٠١
الفاراب ٢٠
فارس ١٩ ، ٨٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٠
٣٠٧ ، ٣١٥ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٤٤١ ، ٤٩٧

الفرس ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣١٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٤
فيروز آباد ٤٠٥
فيينا ٨٣ ، ١٣٧
القاهرة ١٦٤
قريش ١٩٨ ، ٢٧٠
القسطنطينية ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٧
١٣٤ ، ١٦٤

القفص ٤٥ ، ٥٢ ، ١٢٨
الكرخ ٤٤١
كلكتا ٨٩
كوبريلي ٧٦ ، ٨٣ ، ١٥٥ ، ١٦١
الكوفة ٢٠١
لندن ١٢٣

ليبسك ١٤٦
ليدن ١٠١ ، ١١٠ ، ١٤٦
ما وراء النهر ٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٤٥٩
المدينة المنورة ٨٣ ، ٩٦ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، ١٩٥
مصر ١١ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥
١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٥٦
٢٥٧ ، ٣٠٦ ، ٤١٨
المعتزلة ١٨٠
المغرب ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
مكة المكرمة ٩٧ ، ١٩٥
الموصل ١١ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٦
١٦٣
النجف الاشرف ١٢٧
نيسابور ١٣ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤
٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
٥٠ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٤
١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٨٥ ، ٢٢١ ، ٣٣١ ، ٣٧٠
٣٧٤ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٤٦٩ ، ٤٨٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢
٥٠٣

همدان ٣٢

هذيل ٢٢٧

هراة ٤٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ٥٠٢

الهند ٤٧ ، ٣٨٠

اليمامة ١٩٥ ، ١٩٩

اليمن ١٥

اليهود ١٩٥

فهرس القوافي

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة

الهمزة

اذا صفت المودة	الشناءُ	[الوافر]	١	دون نسبة	٢٧٩
أيا طيب عيشي	ماءَها	[المتقارب]	٢	الثعالبي	٤٧٥
قد قلت قولاً	بمائه	[المجتث]	٢	الثعالبي	٤٥٣
رضيعي لبان	صفاءْ	[المتقارب]	١	البحتري	٤١٣

الباء

الارب يوم	أتعجبُ	[الطويل]	٣	الثعالبي	٤٦٩
النار والعار	والخشبُ	[البسيط]	٢	أبو تمام	٤٢٨
فديتك	حبيبا	[الوافر]	٤	الثعالبي	٣٤٩
وقد جعل	جدبِ	[الطويل]	١	الأخطل	٢٥٨
لايحزن الله	بنصيبِ	[الطويل]	١	المتنبي	٢٥٩
وهل سمعت	كثبِ	[البسيط]	١	المتنبي	٢٦٠
لا عجائب	عصبِ	[البسيط]	١	ابن الرومي	٤٠٤

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
ريق الحبيب	والطربِ	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٥٧
أزورهم	يغري بي	[البسيط]	١	المتنبي	٣٤٢
وقصر ملك	جوانبه	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٦٧
يا دار ملك	جوانبها	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٦٧
لما بعثت	تلهبها	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٧٩
اليك المشتكى	حسبي	[الوافر]	٢	الثعالبي	٤٨٧ ، ٤٨٨
في خده	بعقربِ	[الكامل]	١	السري الرفاء	٣٤٢
يا دهر	كغريبِ	[الكامل]	٧	الثعالبي	٤٩١
كان ابو منصور	ثعلبِ	[السريع]	٣	عبد الرحمن بن دوست	٥١
كتبت	مشبهِ	[المتقارب]	٢	الثعالبي	٤٤٩

التاء

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
اذا لم يكن	شجراتِ	[الطويل]	١	دون نسبة	٣٤٥
قولو لعثمان	ياقوتِ	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٢٩
برأس سكة	لجيرتهِ	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٧٧
يا رقعة	حياتي	[الكامل]	٣	الثعالبي	٤٩٠ ، ٤٩١
وكأن عقرب	وجنته	[الكامل]	١	ابن المعتز	٣٤٢
قد لبس	بزهرته	[المنسرح]	٣	الثعالبي	٤٨١

الجيم

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
لا احسب	الودجا	[البسيط]	٢	محمد بن بشير	٥٢

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
بنفسي	درجِ	[الطويل]	٢	البستي	٤٢٧
ومدام	المسارجْ	[الرمل]	٤	الثعالبي	٤٨٤
وفيك لنا	الخوارجْ	[المتقارب]	٢	الثعالبي	٤٤٩

الحاء

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
تسل عن الدنيا	تناكحُ	[الطويل]	٥	الثعالبي	٤٨٧
تفاح غزنة	الراحُ	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٧٤
مديحي عصا موسى	فتضحضحا	[الطويل]	١	ابن الرومي	٣٢٤
ياخاتم الملك	والصفحِ	[السريع]	١	الثعالبي	٤١ ، ٤٦١
أماترى الدهر	الصبحِ	[السريع]	٢	الثعالبي	٥٢ ، ٤٥٤

الدال

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
أخ لي	فرائدُ	[الطويل]	٢	الميكالي	٥٤
وعيدت	تعودُهُ	[الطويل]	١	الثعالبي	٤٤٧
لئن كنت	مجدا	[الطويل]	٢	يعقوب بن احمد	٦٣
لله برد	الرعدا	[البسيط]	٤	الثعالبي	٤٧٠
دع الاساطير	مسعودا	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٦١
يا سيداً	والفرقدا	[السريع]	٤	الثعالبي	٤٥٠ ، ٤٥١
اذا بخلت	رفدا	[المجتث]	٢	منصور الفقيه	٤٢٦
أطال الاله	تأييدَهُ	[المتقارب]	٢	الثعالبي	٤٤٦
قم فاسقني	بموجودِ	[البسيط]	٢	ابو القاسم الهيظمي	٣٢٣

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحه
قالت	قودِ	[البسيط]	٢	الوأواء	٣٣٨
تبارك الله	معقودِ	[البسيط]	١	الدوغابادي	٣٥٠
ابا منصور	الرشادِ	[الوافر]	٢	الثعالبي	١٨ ، ١٩
جعلت	واعتمادي	[الوافر]	٢	منصور بن محمد	٥٤
كالفرقدين	فرقدِ	[الكامل]	١	البحتري	٤١٣
ثم الكتاب	الفرقدِ	[الكامل]	٣	الثعالبي	٤٥٣ ، ٤٥٤
المال للمرء	والولدِ	[المنسرح]	١	دون نسبة	١٧٥
يا زمانا	يدي	[مجزوء الخفيف]	٤	الثعالبي	٤٦٢

الراء

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحه
فديت مسافراً	السفارُ	[الوافر]	٢	الثعالبي	٤٧٨
انظروا	الاقمارُ	[الخفيف]	٢	الثعالبي	٤٩٦
سفرن	جآذرا	[الطويل]	٢	ابو القاسم الزاهي	٣٤٨
اظن الربيع	عطارد	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٠٥
قل للمليك	صدرا	[مخلع البسيط]	٣	الثعالبي	٤٩٦
واهاً لغزنه	دارا	[مجزوء الكامل]	٣	الثعالبي	٤٤٧
اني أرى	والدرا	[السريع]	٢	الثعالبي	٤٦٧
تبلجت الايام	الظاهرِ	[الطويل]	١	الثعالبي	٣٦
سقى الله	ناضرِ	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٦٦
الغيم	ومعنبرِ	[الطويل]	٥	الثعالبي	٤٧٠ ، ٤٧١
سقى الله	عصرِ	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٩٢

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
ودونك بيتاً	بسوارِه	[الطويل]	٢	الثعالبي	٥٣ ، ٤٥١
فديت غزالاً	ثغرهِ	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٧٧
قوم اذا حاربوا	بأطهارِ	[البسيط]	١	الأخطل	٢٦٨
انظر الى البدر	والقدرِ	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٥٥
اذا ازدرى	صدرِه	[مخلع البسيط]	٢	البستي	٥٣
تظل الشمس	سترِ	[الوافر]	٢	ابن المعتز	١٠٧
كتبت اليك	بدورِ	[الوافر]	٤	الثعالبي	٤٨٢
وكأنما	الزهرِ	[الكامل]	٢	ابو فراس	٢٩٠
الله اشهد	كفورِ	[الكامل]	٢	ابو جعفر الاسكافي	٣٢٤
فعليك	كثيرِ	[الكامل]	١	ابو العباس الباخرزي	٣٤٠
صدر الوزارة	كثيرِ	[الكامل]	١	الاصمعي	٣٤٠
وكأن	الدارِ	[الكامل]	١	الاسكي	٣٤١
اني بليت	الاحرارِ	[الكامل]	٣	الثعالبي	٣٤١
كم في ضمير	الاسرارِ	[الكامل]	١	الثعالبي	٤٤٧
بي فاقة	وتسترِ	[الكامل]	٢	الثعالبي	٤٨٩
يارب	ببرها	[الكامل]	٢	الثعالبي	٤٩٠
قد اشرقت	السرورِ	[الرجز]	٢	الحربي	٤٤
حاجيت	نصرِ	[الرجز]	٢	الثعالبي	٤٨٣
يابحر	نزرِ	[الرجز]	٢	ابو سهل المرزبان	٤٨٣
ياواصف	القدرِ	[السريع]	٢	الثعالبي	٤٥١

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
وهدي	وشذورِ	[الخفيف]	٣	الميكالي	٣٩٦
عضد الدولة	القدرْ	[الرمل]	١	عضد الدولة	٢٧٨
بعثت	الصدورْ	[المتقارب]	٢	الثعالبي	٤٨١

الزاي

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
هذا عذارك	معوزُ	[الكامل]	٢	الثعالبي	٤٩٤

السين

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
فغدا لنا	والملبوسُ	[الكامل]	٢	الخالديان	٢٥٥
مطية الضيف	الفرسا	[البسيط]	١	دون نسبة	٣٤٣
لك صدغ	موسى	[الخفيف]	٢	الثعالبي	٤٧٨
طالع يومي	البوسِ	[السريع]	٢	الثعالبي	٤٨٦

الضاد

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
فديتك	تبيضِ	[الوافر]	١	دون نسبة	١٠٧
سقطت لحيني	مهيضِ	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٥٢
وأنسي	مهيضْ	[المتقارب]	١	الثعالبي	٤٤٧

العين

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
وليل	المعُ	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٨٤
رمضان	ارمضني الاربعه	[الكامل]	٢	الثعالبي	٤٤٩
فلو صورت	الطباعِ	[الوافر]	١	ابو تمام	٤٠٥

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
يا واهب	الاربع	[الكامل]	٦	الثعالبي	١١٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥
هل سبيل	الوداع	[الخفيف]	٢	الثعالبي	٤٧٨

الفاء

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
لا تنكرن	النتفا	[البسيط]	٢	البستي	٤٠١
ثلاث	كالاثافي	[الوافر]	٣	الثعالبي	٤٨٨
هذه ليلة	الغداف	[الخفيف]	٣	الثعالبي	٤٥٨

القاف

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
تراني لست	الدقيق	[الوافر]	٢	الثعالبي	٤٨٨
ياسيداً	حنقُ	[البسيط]	٣	عيسى بن محمد	٣٤٣
اطال لك الله	ومرتقى	[الطويل]	٢	دون نسبة	٤٢٨
أحمد قال لي	حقا	[الخفيف]	٣	دون نسبة	٢٨٩
لي مولى	والاشواقا	[الخفيف]	٣	دون نسبة	٣٤٤
لئن هو	ريقه	[الطويل]	١	الصاحب بن عباد	٣٤٢
ثغرٌ	بريقه	[الكامل]	٢	الثعالبي	٤٨٠
اذا ما نقل	الرساتيق	[الهزج]	٢	الثعالبي	٤٥٠
نحن في شتوتنا	فرق	[الرمل]	٢	الثعالبي	٤٧٣

الكاف

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
نثرت عليك	الاملاك	[الكامل]	٣	الثعالبي	٤٦١ ، ٤٦٢

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
وفي كل يوم	عزائكا	[الطويل]	٢	الاعشى	٢٦٨
أقول	مالكا	[الطويل]	٣	الثعالبي	٤٦٢
كتب الامير	المملكه	[الكامل]	٢	الثعالبي	٤٦٥
عجباً	الاحناكِ	[الخفيف]	٣	الثعالبي	٤٩٥
عشقت الجود	ربعكْ	[الوافر]	٣	الثعالبي	٦١ ، ٤٤٩
سحرت الناس	دهركْ	[الوافر]	٣	يعقوب بن احمد	٨٤
ياقبلة العشاق	منهتكْ	[السريع]	٢	الثعالبي	١٩

اللام

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
فقلقلت	قلاقلُ	[الطويل]	١	المتنبي	٣٦٧
ما المرء	الرجلُ	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٥٠
اذا المرء	ثقيلُ	[الطويل]	١	الثعالبي	٤٩٣
وقد غدوت	شولُ	[البسيط]	١	الاعشى	٣٦٧
هل الى نظرة	الغليلْ	[الخفيف]	٢	اسحق الموصلي	٢٢٨
بدت قمراً	غزالا	[الوافر]	١	المتنبي	٣٤٨
سلت وسلت	مسلولا	[الكامل]	١	مسلم بن الوليد	٣٦٣
لازال بجدك	كفيلا	[الكامل]	٨	الثعالبي	٤٦٠
لو لم تحل	زالا	[السريع]	٢	الخليع الشامي	٣١٤
ومهيب	ذلا	[الخفيف]	٢	الخوارزمي	٢٦٠
كاني لم اركب	خلخالِ	[الطويل]	٢	امرؤ القيس	٢٥٥
اقول لدهر	تأميلي	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٨٩

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
بعيشك	سالِ	[الوافر]	١	المتنبي	٢٥٩
فان تفق	الغزالِ	[الوافر]	١	المتنبي	٤٠٥
واذا البلابل	بلابلِ	[الكامل]	١	الثعالبي	٣٦٧
وعاذل	جهلهِ	[رجز]	١	ابو تمام	٢٢٧
وسائل	الحائلِ	[السريع]	٥	الثعالبي	٤٦٣
سبحان ربي	العسلِ	[المنسرح]	٣	الثعالبي	٤٦٥
يا كعبة المعالي	الآمالِ	[المجتث]	١٠	الثعالبي	٤٤٨
دعوا المراء	وزللْ	[مجزوء الرجز]	٣	ابو الدرداء	٣٥١
قلبي وجداً	مشتمل	[مجزوء الرجز]	٤	الثعالبي	٤٧٩
ما إن سألت	السؤالْ	[السريع]	١	الحجندي	٢٧٨

الميم

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
وقفت	نائمُ	[الطويل]	٢	المتنبي	٢٥٥
لقد جل خطبي	نائمُ	[الطويل]	٢	الرقي	٣٤٢
الفتح منتظم	نعمُ	[البسيط]	١	الثعالبي	٣٥
واحر قلباه	سقمُ	[البسيط]	١	المتنبي	٢٦٠
ياقاسم الرزق	اتهمُ	[البسيط]	٢	الخباز البلدي	٢٧٨
كادني المازني	كريمُ	[الخفيف]	٢	دون نسبة	٤٠٨
ولي قميص	الاوهامُ	[المجتث]	٢	الخوارزمي	٤٢٩
رأيت	مغرما	[الطويل]	٢	الشاشي	٣٤٨
كلام	نظما	[الطويل]	٢	المطوعي	٣٦٩

اول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
هون	كالحلم	[البسيط]	٢	المتنبي	٥٢
وحمام	النعيم	[الوافر]	٢	الثعالبي	٤٨٤
يامن يحل	السامي	[الكامل]	٣	مسافر بن الحسن	٣٦٩
افدي الامام	فليسمه	[الكامل]	٣	مسافر بن الحسن	٣٦٩
رب يوم	مذموم	[الخفيف]	١	يحيى بن علي المنجم	٤٠٨
هات	المحرم	[بجزوء الخفيف]	٣	الثعالبي	٤٨٦
رب يوم	متيم	[الخفيف]	٢	الثعالبي	٢٧٣

النون

اذا نسي	خوائنها	[المتقارب]	٢	البستي	٥٤
لقد قال	واحسنا	[الطويل]	٢	الثعالبي	٤٩٤
قد شرف	أنسانا	[البسيط]	١	المتنبي	٥٨
ابا سليمان	شطنا	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٥٢
لا كان	الالسنه	[الكامل]	٢	الثعالبي	٤٥٤
وقد	السنه	[الهزج]	٢	الثعالبي	٤٧٥
اذا انت	للدين	[الطويل]	٢	دون نسبة	٤٢٦
أقول	اجفاني	[البسيط]	٣	الثعالبي	٤٨٩
ابلى جديدي	ينعاني	[البسيط]	٢	الثعالبي	٤٩٢
أغار	الحسين	[الوافر]	١	المتنبي	٢٦٢
ماكان	احوج العين	[الكامل]	١	كشاجم	٤٠٥
عندي انسان	انسان	[السريع]	٣	الثعالبي	٤٨٢ ، ٤٨٣

أول الصدر	القافية	البحر	عدد الابيات	القائل	الصفحة
من سره	واشجاني	[السريع]	٢	سلامة بن بحر	٣٤٩
هذا غزال	الميدانِ	[الرجز]	٣	الثعالبي	٤٧٧
تذكرني	رهانْ	[السريع]	١	ابن بابك	٢٦٧

الهاء

ولما نزلنا	تشبهُ	[الطويل]	٦	الثعالبي	٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٩٣
وأمة	يرضيها	[البسيط]	١	البحتري	٣٤٨
اذا تمنت	أمانيها	[البسيط]	١	ابن نباتة	٣٥٠
ياحبذا	بجناها	[المنسرح]	٤	الثعالبي	٤٥٢ ، ٤٥٣

الياء

كفى بك داء	أمانيا	[الطويل]	١	المتنبي	٢٦١
وأقبلن	سوائيا	[الطويل]	٣	عبد بني الحساس	٢٨٣

الالف المقصورة

فقرطها	بافعى	[الوافر]	١	ابن الرومي	٣٤٢
ألا ياغرة	الدنيا	[الهزج]	٤	الثعالبي	٤٩٥
الله حسبي	المولى	[السريع]	٢	الصابي	٤٠٥

فهرس الآيات والاحاديث

الآية الكريمة	الصفحة	السورة	رقم الآية
آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا	٥١	الكهف	٦٢
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم	٥٦	آل عمران	١٨
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات	٥٦	المجادلة	١١
أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر	٥٧	الكهف	٧٩
ثم سواك رجلا	٥٨	الكهف	٣٧
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا	١٠٤	الانبياء	٢٢
الحمد لله رب العالمين	٣٩٧	الفاتحة	٢
وآخر دعواهم ان الحمد لله	٣٩٧	يونس	١٠
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق	٤٠٧	الاعراف	٣٢

الآيه الكريمة	الصفحة	السورة	رقم الآية
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا	٤٠٧	البقرة	٧٢
ان كيد الشيطان كان ضعيفا	٤٠٨	النساء	١٦
انه من كيدكن ان كيدكن عظيم	٤٠٨	يوسف	٢٨
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم	٤٣٠	يوسف	٥٥

الحديث الشريف

اعيذكما من الهامة والسامة وكل عين لامة	٣٨٧
أسجعا كسجع الجاهلية	٣٨٧

فهرس الخطأ والصواب (*)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣	١١	لا بكل مكان	لا يخفى بكل مكان
١٥	٢	محمد ابن اسماعيل	محمد بن اسماعيل

(*) كان لحرص « دار الرسالة للطباعة » أثر في تقليص حجم هذه القائمة ، ولكن ، رغم ذلك الحرص ، ورغم ما أوليت مسودات الطباعة من جهد التصحيح ، أبى الحرف الا أن يكون له دوره في تثبيت فهرس خاص بالاخطاء الطباعية ، وقد تغلب الزلة جهد الحريص .

ولست أظن القارىء المتمعن الا قادراً على تصحيح ما أثبته هنا ، وما لم اثبته ،من أخطاء ، دون الرجوع الى هذا الفهرس ، ولكنها سنّة شرعها توقع عجالة الحكم قبل التدبر ، ولا أملك بعد هذا إلا أن أكد الأمر الى فطنة القارىء وقلمه ، لتخلص الفائدة له ولمن يتصفح نسخته ، فيقيل بذلك عثرة ، ويشارك في أداء ما هدف اليه هذا الكتاب من خدمة تراثنا العربي الحضاري العظيم .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٦	٦	شهد الله أن	شهد الله أنه
٥٦	٩	آمنوا والذين	آمنوا منكم والذين
٥٩	٦	عصوره	عصره
٦٨	٤	سمي	سمى
٨٨	٢	المهج	المبهج
٩٢	٣	يتيمة	يتيمته
٩٧	١٨	كفايات الادباء	كنايات الادباء
٩٨	١	ذ ره	ذكره
٩٨	١٦	حمدوني	للحامدي
٩٩	٩	المعارف	لطائف المعارف
٩٩	١٥	النهابه	المتهابه
١٠٣	١٠	بأن ألف	بأنه ألفه
١٠٧	٣	يعني	يعنى
١٠٧	١٦	الفدي	الصفدي
١٠٩	١٢	سمي	سمى
١١٠	٦	أبو القاسم	أبي القاسم
١١٠	٥ هـ	مقدمة المحقق	مقدمة المحقق ، ٥ .
١١١	٨	ذاكراً	ذاكر
١١١	٩	تسميته	تسمية
١١٢	٨	وذلك اعتاد	وذلك ما اعتاد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٠	٣	دور الحكم	درر الحكم
١٧١	٣	بلفظه	بلفظة
١٧٤	١٢	صمت	صممت
١٨٢	٣	العقلة	العقلية
٢٢١	١٢	شلاتاً	شتاتاً
٢٣٠	٣	يقوم	يقول
٢٤٣	٧	بنوء	بنوّ
٢٦٢	٣	عدوا تجاوزاً ذلك	عدوا ذلك تجاوزا
٢٧٥	١٦	بايمانه	بايمانهما
٢٧٨	١٦	تمسها	تمجبا
٢٨٥	١١	وجوده	جودة
٣٠٥	٧	برفونج	برونتج
٣٢٥	٨	المباهات	المباهاة
٣٢٩	١٤	أو أوخذه	أو أخذه
٣٣٥	٢	فيكره	فيكرره
٣٣٥	٨	المكرة	المكررة
٣٣٥	١٦	بالمصلح	بالمصطلح
٣٣٦	٦	دارسة	دراسة
٣٣٦	١٧	لايتيحة	لا يتيحه
٣٥٣	١٦	عمر بن كلثوم	كلثوم بن عمرو

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥٦	١٢	لم تزال	لم تزل
٣٨٩	٤	الطرق	الطرف
٣٩٠	١٢	الشبة	الشبه
٣٩٢	١٩	أنثى	أنثى
٤٢٦	١٤	أورده	ما أورده
٤٣٣	٤	عين	عنين

وقع في الصفحة الاولى من (كلمة بين يدي البحث) خطأ في نص محققي لطائف المعارف حيث سقط حرف الحاء من كلمة (بصاحبه) واضيف سهواً الى كلمة (ما يتصل) الواقعة قبلها وعلى هذا يكون صواب العبارة (ما يتصل بصاحبه) .

Abstract

In this thesis I have covered a study of the life, critismand literature of . Ta'alibi .

It appeared to me from the biblography of this man shat his history is not enough ao give full infor_ mation to the researcher; it could be considered that the cause of this shortage of information regarding this man is due to the lack of wriring full details by his contemporaries about his life . The pretent refr_ ence sourcet are satisfied with the repetition of phr_ ases and information regarding him but in a modern mode . Some of these sources declined to cover cert- ain details of which their authors have got no reliable sources. Consequently, they have fallen into many errors which I have corrected in my study on bases based on _ whet I think_ undoubtfull evidencets because their sources were the works of Ta'albi him _ self . I have collected and studied most of his printed and manuscript books. in which I found many facts which could be useful for the researcher in giving a full aud a detailed history cldar of any errors or do_

ubts waich many writers fell in .

I have been supplied by the books of Ata'alibi with many details of his life. I have also added to these details what I have derived from the bibliography books which enabled me to achieve a detailed history of this man , in this respect, I believe that nobody had ever preceded me .

Concerning his education , I have searched for it in its sources . It was evident that he had not studied under the supervision of scholars except Aba Bakir Al - Khawarizmi and that was due to his poverty . So, he was self - educated depending on studying a large variety and a wide range of dooks .

As what regards his students, I have mentioned the names of anumder of them on the basis of what some of them had declared about their study on him such as Al-BakhOrzi and AL Baihaki and On the dasis ofwhat was mentioned in the books Of those who con - veyed his bOOks direetly .

I have made use of the references and the indexes which had mentioned Al - Ta'albi and got at what I belive was written by At ta' -

alibi himself . Consequently . I have corrected many Of the mistakes that had taken place in the list of bOOks supposed to be written by him . So, I have pointed out that owing to the fact that some Of his books had more that one title made the researchers believe that they were different books . Besides, I have given evidence against attributing other books to him by mentioning the name of their real writers whethere these books were attributed to him or still manuscripts with his name on them or printed with his name .

I have given a detailed list of what had been mentioned by his contemporaries and more recent receachers about his books adding to it what was not mentioned by them .

I have come across some books that he himself attributedto himself and explained the procedure inhit other books atthe time that nobody had taken notice of them.

I have included in my list the titles of his books and arranged them chronologically on the basis of the informationI have collected aiming to understand this art of writing . Then, I have mentioned under the name of each the information concerning it .

Aftar the above menitoned list, I have introduced a brief study to point out why his works are so available, and a study of the features of his procedure in writing depending on different points of view to achieve the evaluation of his works .

As regards his criticism, I have alloted a detailed study for it . I have meant in its introduction to sum up the stages of the development of Arabic criticism from the Jahiliah Age until Atta'libe Age concentating on the different currents that, especially, had emerged in Al-Ta'albi's views .

His critical points of view include two remarkable procedures, the first, which was on environmental cirteria, was used for the first time in the history of literary criticism in two of his books, nemly, "Yatimat Al-Dahar" and "Tatimat Al-Yatimah". This enviromental criteria is basd on different measuses, the most important of which are his taking into consideration the influence of time and place and the influence of the social currents on literature in addition to the influence of the writer's environment. on his literatuer I have spared an independant research for each of the previous measures

noticing that that they were interrelated and compat-ibla within the frame of this environmental criteria of criticism.

As for the second criteria to which Atta'libe's cs-itical views had been sudjected, it was an artistic do-ctrine depending on the critic's artistic appreciation on the ground of the beckground of the dominant critical Currents of his age .

I have clarified the causes that made At-Ta'albi appeal to the artistic doctrine in spite of the innov-ated critical doctrine.I have contradicted what has been said suspecting his esthetical views in the mod-ern books of criticism, on the basis of the critical and strict iqeas used in his books.

Afterwards, I have covered Al-Atta'libe's esthetical measures purchasing his decisions about meanings and his preference of the invented ones refusing what was repeated or stolen, and his interest in the art of

rehtory in relation tc simil, metaphore and allegary. Then, I concerned myself with the studying of his esthetical decisions concerning the vocabularies and his preference to the simple, flexible and the well-interwoven phrases I have made it quite clear that he was fond of the ornamental structures following the examples of the men of literature and critics of his environment , Then , I have ended my study speaking about his preferring prose to poetry and what critical disputes had emerged later on .

I, then, went on to speak about the literature by giving a preface showing his literary position among the men of literature of his age. I have sudjceted the influential factors on his literature to a critical study based on the environmental criteria of critcism innovated dy him and come to study fully the style of prefaces and the radical contents of hit books, Then I have come to the study of his literary eontexts,

when I have studied his poetry , I have not found any printed or manuscript of poetry, So, J was compelled to collect fragments of his poctry and subjected them to the study in which I have concentatcd on his vocabutary, style the images, fancies rhyme and rhythm, Then, I have spared to each kind of poetry a study depending on the introduction of the context and giving an anolytic study for each .

This is what I have studied about Attalibe, I have found it necessary to confess that Al-Ta'albi had lost many

books which were very important for the researcher to achieve a complet res arch about him.

As for my thesis, I do not pretend that it is an ideal one, but I hope it has approached completeness .

فهرست ابواب الكتاب

الاهداء	٣
كلمة بين يدي البحث	٥
الباب الاول ـ حياته وثقافته	١٢ ـ ١٧٥
الفصل الاول ـ حياته	١٣ ـ ٥٤
الثعالبي في كتب التراجم	١٣
اسمه ونسبه	١٧
مولده واصله	١٩
نشأته وحياته	٢٢
وفاته	٤٨
شخصيته واخلاقه	٥١
الفصل الثاني ـ ثقافته	٥٥ ـ ١٧٥
مصادر ثقافته	٥٦
شيوخه	٥٩
تلاميذه	٦٢
مؤلفاته	٦٦
منهجه في التأليف	١٦٨
تقويم كتبه	١٧١
الباب الثاني ـ نقده	١٧٧ ـ ٣٦٣

الفصل الاول ـ المنهج الاقليمي	١٩٣ ـ ٢٩٩
ملامح المنهج قبل الثعالبي	١٩٣
بواعث المنهج واسسه عند الثعالبي	٢٠٤
أثر المكان في الادب	٢٠٨
أثر الزمان في الادب	٢٢٢
أثر التيارات الاجتماعية في الادب	٢٥٣
أثر البيئة الخاصة في الأدب	٢٨٥
الفصل الثاني ـ المنهج الفني	٣٠١ ـ ٣٦٣
بواعث المنهج وأسسه عند الثعالبي	٣٠١
المعايير الفنية للاحكام على المضمون	٣٢٢
المعايير الفنية للاحكام على الشكل	٣٤٤
الموازنة بين النثر والنظم	٣٥٢
الباب الثالث ـ ادبه	٣٦٥ ـ ٤٩٧
الفصل الأول ـ نثره	٣٨٣ ـ ٤٣٧
خصائصه	٣٨٣
اسلوبه في مقدمات كتبه	٣٩٦
اسلوبه في عرض مادة كتبه	٤٠٧
اسلوبه الانشائي	٤١٧
الفصل الثاني ـ شعره	٤٣٩ ـ ٤٩٧
أغراضه	٤٥٦
المبدع	٤٥٩
الوصف	٤٦٨
الغزل	٤٧٥

الاخوانيات	٤٨٠
الخمريات	٤٨٤
الشكوى	٤٨٦
الحكمة	٤٩٣
الرثاء	٤٩٤
خلاصة البحث	٤٩٩ ـ ٥١٠
المصادر والمراجع	٥١١ ـ ٥٣٢
فهرس الاعلام	٥٣٣ ـ ٥٦١
فهرس الكتب	٥٦٢ ـ ٥٨٣
فهرس الاماكن والامم والطوائف	٥٨٥ ـ ٥٩١
فهرس القوافي	٥٩٣
فهرس الآيات والاحاديث	
فهرس ابواب الكتاب	

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٣٦ لسنة ١٩٧٦

سعر النسخة ديناران